

مجموع الرسائل

“الأبحاث والمقالات”

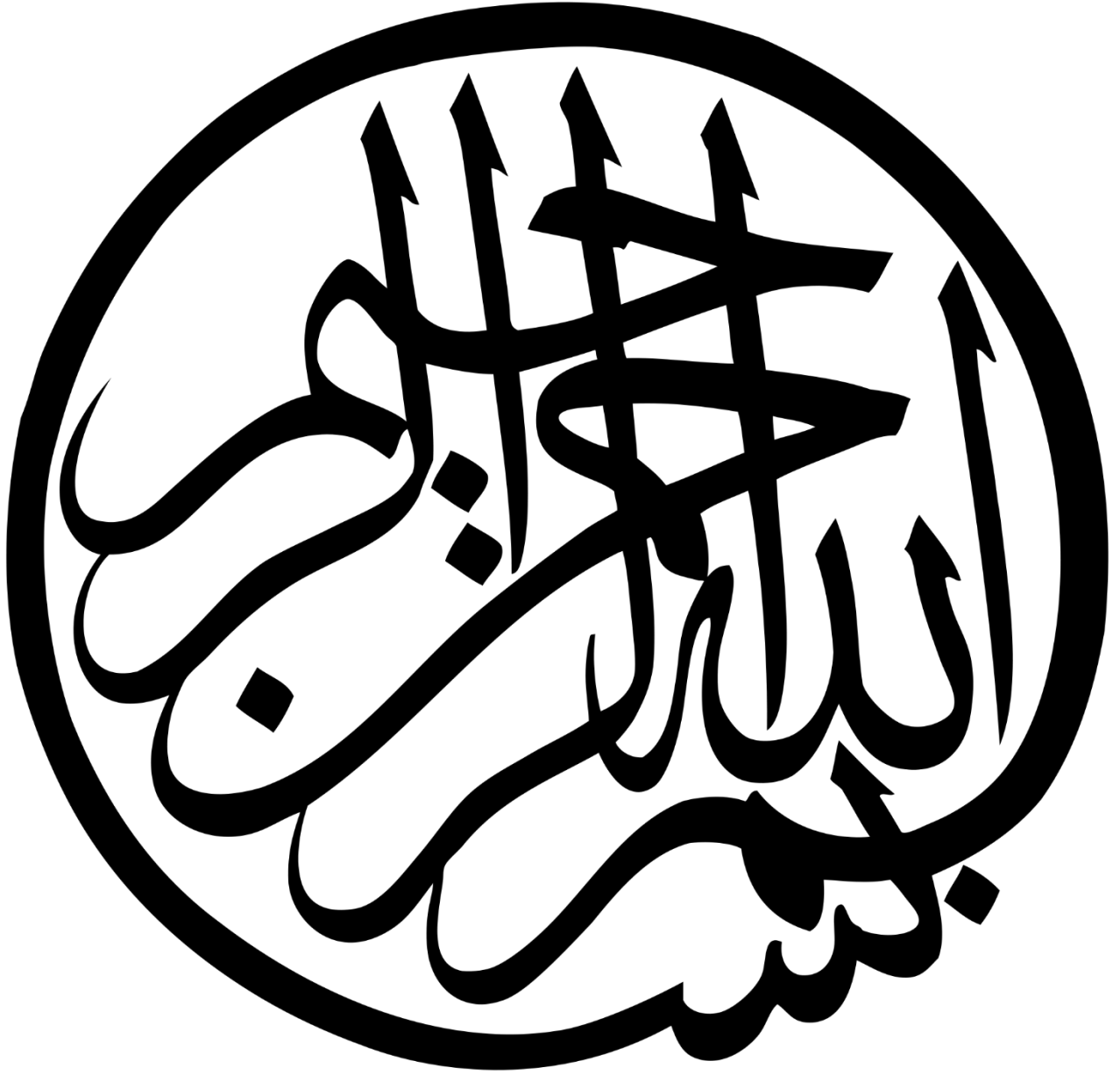
الجزء الثاني

عبد المنعم مصطفى حلیمة

أبو بصیر الطرطوسی







لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

(الجزء الثاني)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

من الحقائق التي يُسلم بها جميع أصحاب العقول والفطر السليمة أن الله تعالى هو خالق الخلق

.. وهو المالك الحقيقي لما خلق .. لا شريك له في الملك ولا في الخلق.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ

الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام: 73.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ

رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ إبراهيم: 32.

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النور: 45. وهذا لا خلاف فيه

بين الشعوب وأهل الديانات كلها، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ العنكبوت: 61. وإنما حصل الخلاف فيما بينهم حول المعبود

المستحق للعبادة، والطاعة، والتأله .. فحصل بسبب ذلك الخلاف الإلشراك بالله ﷻ .. وعُبد من دونه

من لا يجوز أن يُعبد؛ لأنه مخلوق ضعيف لم يخلق شيئاً .. وليس بقادرٍ على أن يخلق شيئاً، كما قال

تعالى: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ الأعراف: 191. وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: 17. لا يستونون مثلاً!..

فإنه تعالى هو الخالق لهذا الكون وما فيه؛ وبالتالي فهو المعبود بحق .. لا شريك له .. وهو وحده

له الحكم والأمر دون أحدٍ سواه ﷻ، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف:

54. فمالك الملك الذي له الخلق .. هو الذي له الأمر وحده .. وهو الذي يجب أن يُطاع في ما يأمر به

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟ (الجزء الثاني)

وينهى عنه .. أما الذي لا يخلق وهو يُخلق .. ولا يملك وهو يُملك .. لا يجوز أن يكون له شيء من الأمر .. كما لا يجوز أن يُطاع في شيء مما يأمر به فيما لا يملكه ولا يخلقه!

فالآمر الناهي هو الخالق المالك .. أما الذي لا يخلق ولا يملك .. فلا أمر له ولا نهي!

هنا مكمن الخلاف والتزاع بين أهل الحق من أتباع الأنبياء والرسل .. وبين ما سواهم من الشعوب والأمم الضالة .. التي ضلت طريق التوحيد .. والعبودية لله ﷻ وحده .. لتقع في أحوال الشرك .. وعبودية المخلوق؛ الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً!

كل الأمم والشعوب الضالة .. على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم .. وأديانهم .. ومسمياتهم .. يشتركون في خصلة واحدة، وتوحدتهم خصلة واحدة؛ ألا وهي عبادة المخلوق من دون الله ﷻ .. وصرف الطاعة والتأله لهذا المخلوق من دون الله تعالى .. وإن اختلفوا فيما بينهم على صورة وشكل واسم هذا المخلوق! فهم وإن كانوا فرقاً وشيعاً شتى .. متنازعة ومختلفة فيما بينها .. إلا أنهم عندما تكون المعركة بين أهل الحق من أتباع الأنبياء والرسل .. وبين أهل الباطل من عبدة الأوثان والطواغيت .. تراهم جميعاً صفاً واحداً ضد الحق وأهله؛ لاشتراكهم جميعاً في خصلة واحدة؛ وهي عبادة المخلوق من دون الخالق .. بغض النظر عن صفة وشكل هذا المخلوق .. كما قال تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ المائدة: 51.

فالذي يوحدتهم على الحق وأهله الشرك بالله ﷻ .. وعبادة الطاغوت!

الله تعالى يقول لعباده أنا المعبود المطاع .. لأنني أنا الخالق المالك .. وحقى عليكم أن تعبدوني لا تُشركوا بي شيئاً: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذريات: 56. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ البينة: 5.

فيأتي الطاغوت المخلوق المملوك الضعيف الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله . على اختلاف صورته ومسمياته . فيقول: لا .. بل أنا المعبود المطاع من دون الله .. ما علمت لكم من إله ومشروع ترجعون إليه في جميع شؤون حياتكم غيري .. ويجيش من أجل ذلك الجند والجيوش وكل من يدخل في حلفه وطاعته من دون الله!

ومن خصائص الله تعالى وصفاته أنه غيور .. يغار على حرماته وعلى حقه على عباده .. فلا أحد أغبر منه ﷻ على الحرمات وعلى العباد، كما في الحديث الصحيح: "لا أحد أغبر من الله، ولذلك حرم

لماذا الجهادُ في سبيل الله ..؟ (الجزء الثاني)

الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب، وأرسل الرسل".

كما أنه ﷺ يبغض الظلم ويحرمه .. ولا شيء يُغضبه ويُسخطه كظلم الشرك .. وظلم الطواغيت التي تستشرف خصائص الإلهية وتُعبد من دون الله؛ لأنه ظلم عظيم لحق الله تعالى على عباده .. ولأدمية الإنسان معاً: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: 13. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء: 48.

أي ظلم يعلو ظلم الطاغوت الذي يجعل من نفسه نداً لله ﷻ .. ويُعلن على الملأ وبكل وقاحة أنه الإله المعبود .. وأنه الحكم والمطاع لذاته .. الذي له حق التشريع والحظر والإباحة والحكم على الأشياء من دون الله .. وما على الناس إلا أن يدخلوا في طاعته وعبادته وحزبه من دون الله ﷻ!؟
أي ظلم يعلو ظلم العبد وهو يقول لربه وخالقه ومالكة والمتفضل عليه بالنعم التي لا تُحصى: أنت لست معبودي .. ولا حق لك علي .. وإنما معبودي الذي له كامل الحق علي ذلك الطاغوت من البشر أو الحجر أو البقر...!!

أي ظلم يعلو ظلم العبد وهو يقول لخالقه . رغم الآيات الباهرات الدالة عليه ﷻ والتي لا تُحصى : لا حجة لك علي .. وإنما الحجة الكاملة للطاغوت ...!!

إن مقتضيات أسماء الله الحسنى وصفاته العليا لا تقبل هذا الظلم والزور .. والجحود .. لأجل

ذلك شرع الله تعالى الجهاد ...!

أمر عباده الموحدين الذين استجابوا لدعوة الأنبياء والرسل .. بأن يُجاهدوا المشركين الذين ضلوا عن عبادته وتوحيده وعبدوا الطاغوت من دونه .. ليأطروهم إلى الحق أطراً .. وليخرجوهم من ظلم الشرك وظلماته إلى عدل التوحيد ونوره .. ولهم مقابل ذلك رضوانه تعالى والجنة .. أنعم به من ثمن!

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: 111.

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟ (الجزء الثاني)

أمر عباده الموحدين بأن يقصدوا المشركين .. ليخرجوهم . ولو بالسلاسل . من حظيرة الشرك والضياع .. ليأتوا بهم إلى حظيرة العبودية والتوحيد .. والخضوع .. ومن السبيل الذي ينتهي بهم إلى النار وجحيمها إلى السبيل الذي ينتهي بهم إلى الجنة ونعيمها .. ولو استدعى الأمر إلى الجهاد والقتال .. فإن الفتنة أشد من القتل والقتال.

قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا

تَصِفُونَ﴾ الأنبياء: 18. فمن الحق الذي يقذف الله تعالى به الباطل وأهله جند التوحيد وأهله.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "عجبت لأقوامٍ يُساقون إلى الجنة في السلاسل وهم

كارهون". وفي رواية: "عجب ربنا ﷻ من قوم يُقادون إلى الجنة في السلاسل".

هذا المعنى هو الذي أراده الصحابي الجليل ربعي بن عامر عندما أجاب ملك بلاد فارس لما سأله

عن العلة التي حملتهم على الجهاد والقتال .. وغزو فارس في عقردارهم، فقال له: لقد ابتعثنا الله تعالى

لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام !!

لا توجد لنا غاية أخرى حملتنا على غزو بلادكم سوى هذه الغاية .. ولا يوجد سبب آخر حملنا

على غزو بلادكم سوى ما أنتم عليه من ظلم الشرك .. وعبودية العبيد للعبيد .. وهذا هو المعنى الحقيقي

للجهاد في سبيل الله الذي أمرنا الله تعالى به.

لا حظوظ فيه للنفس .. ولا أطماع ولا مآرب أخرى .. سوى إخراج العباد من عبادة العباد إلى

عبادة رب العباد .. فإن تحقق ذلك .. تحقق السلم والأمان .. وتصافت النفوس وتآخت وتحابت في الله

مهما كان بينها قبل ذلك من جراحات ودماء وثورات!

كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ﴾ التوبة: 11. فتنقلب العداوة مباشرة . إن تابوا وأقاموا الصلاة . إلى أخوة متحابين في الله والدين.

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ

وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ

وَحَدَّهُ﴾ الممتحنة: 4. فهذه العداوة مستمرة أبداً . عبر الأزمان كلها وإلى أن تقوم الساعة . بين أتباع الأنبياء

لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟ (الجزء الثاني)

والرسل وبين الطواغيت وأتباعهم .. إلى أن يعبدوا الله تعالى وحده .. فإن آمنوا وعبدوا الله تعالى وحده وتبرؤوا مما هم فيه من الشرك .. ذهب العداوة والبغضاء وحلت محلها المحبة والإخاء!
وفي غزوة أحد لما جرح وجه النبي ﷺ، وكُسرت رُباعيته، وشُج في رأسه، وهُشمت البيضة على رأسه، وجعل الدم يسيل عنه ﷺ وهو يقول: "كيف يُفلح قوم شجوا نبينهم وكسروا رُباعيته، وهو يدعوهم إلى الله!"

فأنزل الله ﷻ إليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ آل عمران: 128. أي أن الأمر كله لله تعالى .. أما أنت يا محمد فإنك عبد الله ورسوله .. فليس لك من الأمر شيء .. فليس لك أنت ومن تبعك من المؤمنين سوى المضي لأمري .. والصبر على جهاد من عصاني وعبد غيري إلى أن يدخل في طاعتي وعبادتي .. فأنا ابتعثتك وجميع الأنبياء والرسل من قبلك لأجل ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: 36.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ النساء: 76. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من صيغ العموم؛ أي كل الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله .. ولا يجوز لهم غير ذلك .. وكل الذين كفروا بجميع طوائفهم ومللهم وعلى اختلاف راياتهم ومسمياتهم .. ومواقعهم .. يُقاتلون في سبيل الطاغوت .. فالقتال في سبيل الطاغوت سمة مشتركة بين جميع ملل الكفر والشرك.
هذا المعنى لغايات ومقاصد الجهاد في الإسلام .. يجب أن يعرفه العدو المحارب .. كما يجب أن لا يسهو عنه المجاهد وهو في غمرات الغزو والجهاد في سبيل الله.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1423/11/04 هـ

2003/01/06 م

بيان حول غزو الصليبيين للعراق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

لم يعد خافياً أن غزو الصليبيين للعراق ليس مقصوداً على العراق وحدوده وحسب، بل هو. لما تمتاز به العراق من موقع وخصائص. يستهدف حاضر الأمة ومستقبلها .. يستهدف دينها وثقافتها .. يستهدف خيراتها وثرواتها .. يستهدف إرادتها وبقايا الخير فيها .. يستهدف الهيمنة على البلاد والعباد ليتسنى لهم فرض ما يشاؤون من مخططات، وأنظمة، وسياسات تعمل أكثر على خدمة أهدافهم ومصالحهم. وهم قد مهدوا لهذا الغزو الغاشم منذ اليوم الأول من إعلانهم عن حصار العراق، وشعب العراق. الذين قتلوا بسببه ما يزيد عن مليون طفل. ليضعفوا بذلك من عزائم وإرادة شعب العراق عن المواجهة والمقاومة عندما تحين ساعة المواجهة، ولكن أتى لهم .. إن شاء الله.

مغفلون أولئك الذين يظنون أن الصليبيين جاؤوا إلى العراق لأهداف إنسانية .. و لرفع الظلم عن العباد .. فهامهم يقتلون الإنسانية ومعانها . غير مباليين ولا عابئين بنقد ولا معارضة . في كل صاروخ يوجهونه على أهالي بغداد؛ فصاروخهم وطائراتهم لم تميز بين عمارة وعمارة، ولا بين مسكن ومسكن، فنيرانهم تشتعل في كل بيت على أهله لهيباً .. وتطال المستضعفين من النساء والولدان والشيوخ قبل غيرهم!

لذا قلنا ونعيد القول هنا: أن الدفاع عن العراق وأهالي العراق واجب عيني لا يجوز أن يتخلف عنه قادر، ومن وجد لنفسه سبيلاً للنصرة والذود عن الحرمات ثم هو لا يفعل فهو آثم آثم وإن أفتاه المفتون!

كما نؤكد هنا كذلك ما أكده جميع أهل العلم: أن من ناصر الصليبيين وظاهرهم على مسلمي العراق، فهو منهم، وهو كافر خارج من ملة الإسلام، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
المائدة:51.

بيان حول غزو الصليبيين للعراق

واني لأعجب لبعض الدعاة والشيوخ قد حضنتهم الأمة ورفعت اسمهم وذكرهم بين العباد، ثم لما احتاجتهم الأمة في قليل من العطاء أدبروا إليها ظهورهم وشحوا بالعطاء!

يمنعون المسلمين من الذهاب إلى العراق لإغاثة إخوانهم وأهاليهم وأعراضهم، والجهاد في سبيل الله .. بزعم الشح بدماء المسلمين وأرواحهم، والحذب عليهم، وتلمس مصلحتهم كما زعموا!

بل هو الشحُّ على الله بما تم بيعه وشراؤه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا فِي النَّوْرِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: 111.

ليتهم يشحون بدماء المسلمين عندما تُهدر بالأطنان وأمهارةً في سبيل الطواغيت الظالمين .. كما يشحون وهي تُراق في سبيل الله .. وما أقل الذي يُراق في سبيل الله!

ثم ما أدراهم أن الذي يذهب للجهاد في العراق أو غير العراق يعني موته .. أو سجنه .. أطلعوا الغيب أم علموا ما قد رُقم في اللوح المحفوظ؟! كم من مجاهد لم يدع ثغراً من ثغور الجهاد إلا وجاهد فيه .. ثم يُقدر الله له أن يموت وهو على فراشه؟!!

أين هؤلاء الشيوخ الكبار من حديث: "يا غلام احفظ الله يحفظك ..!!"

تشابه قولهم بقول الذين من قبلهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ آل عمران: 168.

وقال تعالى محذراً المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ آل عمران: 156.

لا شك أن فتواهم هذه قد لامست هوى الغزاة الأمريكان وعملائهم من الطواغيت الخونة الحاكمين .. فمري لا تصب إلا في خدمتهم وصالحتهم سواء علموا بذلك أم لم يعلموا!

بيان حول غزو الصليبيين للعراق

كما وأني لعاتب على إخواني المجاهدين الذين اتخذوا موقف الحياد والمتفرج من الأحداث، وكأن ما يجري في ساحتهم لا يعنهم ولا يخصهم إلى أن أصابهم صواريخ الصليبيين فأردت منهم عشرات القتلى .. نسأل الله تعالى أن يتقبلهم شهداء، وأن يكون ما حصل لهم سبباً في مراجعة موقفهم!

الموت آتٍ عاجلاً أم آجلاً، لكن شتان شتان بين من يموت مقبلاً غير مدبر، وبين من يموت مدبراً غير مقبل!

يا أهلنا وإخواننا في العراق: فوالله الذي لا إله إلا هو ما من قذيفة أو صاروخ يرميكم به الصليبيون الحاقدون إلا ونجد وقعه وأثره في قلوبنا قبل أن يصل إلى مساكنكم ودياركم! .. نوصيكم بتقوى الله، والصلاة، والثبات .. والجهاد في سبيل الله .. وإخلاص النية لله تعالى .. ونحذركم من الشرك، والفرار من الزحف أو أن تولون الدبر .. فأنتم على ثغرة عظيمة من ثغور الأمة والإسلام، فاحرصوا أن لا تؤتى الأمة من قبلكم!

لا تخافوا ناراً ولا هدماً .. نبشركم بما بشر به النبي ﷺ أمته، حيث قال: "الشهداء خمسة: المطعون الذي يموت بالطاعون، والمبطنون، الذي يموت بداء في بطنه، والغريق، وصاحب الهدم، الذي يهدم عليه منزله، والشهيد في سبيل الله". وهو الذي يُقتل في ساحات القتال. وفي رواية: "الغرق شهادة، والحرق شهادة، والسِّل شهادة". وماذا نريد نحن وأنتم غير أن يُختم لنا بشهادة خالصة لله تعالى وحده.

وأنتم أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وبخاصة من كان منكم مجاوراً للعراق: هاقد فُتح لكم باب عظيم من أبواب الخير والجهاد في العراق .. طالما تشوقتم إليه وسألتم عنه .. فلا تبخلوا على إخوانكم وأهاليكم هناك بشيء تستطيعون تقديمه وبذله، واعلموا أن النِّصرة واجبة. ولا مِنَّة لكم فيها. وهي أنواع: أعلاها وأعظمها نصرتهم بالنفوس والمال، وأضعفها نصرتهم بالقلب والكلمة وإخلاص الدعاء لهم! ..

قال رسول الله ﷺ: "المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لما يُصيب أهل الإيمان، كما يألم الرأس لما يُصيب الجسد".

وقال ﷺ: "المؤمنون كرجلٍ واحدٍ، إذا اشتكى رأسه اشتكى كلُّه، وإن اشتكى عينه اشتكى كلُّه".

بيان حول غزو الصليبيين للعراق

وقال ﷺ: "ما من امرئٍ يخذلُ امرأً مسلماً في موطنٍ يُنتقص فيه عِرضه، ويُنتهك فيه من حُرْمته إلا خذله الله تعالى في موطنٍ يُحبُّ فيه نصرته، وما من أحدٍ ينصرُ مسلماً في موطنٍ يُنتقص فيه من عِرضه، ويُنتهك فيه من حرْمته إلا نصره الله في موطنٍ يُحبُّ فيه نصرته".

وقال ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه". فكما هو لا يظلمه كذلك لا يُسلمه إلى الظلم والقهر، وعدوان المعتدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/01/20 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/03/23 م

دروسٌ وعبرٌ مُستخلصةٌ من غزو الصليبيين للعراق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

ها قد تم الغزو والاحتلال .. وها قد سقطت العراق . أرضاً وشعباً وحضارة . بأيدي الغزاة الصليبيين كما كان يتمنى ذلك المغفلون والخونة الحاقدون من أبناء جلدتنا وأمتنا .. ليُضاف إلى جروح الأمة النازفة جرح غائر آخر اسمه "العراق المحتل"!

وإليك أيها القارئ بعض الدروس والعبر المستخلصة من غزو الصليبيين للعراق:

الدرس الأول: مما نستخلصه من دروس أن الظلم والطغيان لا يدوم .. وأن عاقبته إلى زوال وأقول ولو بعد حين؛ فهو إما أن يزول بقدر كوني، وإما بسيف أهل الحق والعدل، وإما بتسليط الظالمين على الظالمين، فيدفع الله تعالى الظالمين بالظالمين.

فمن سنن الله تعالى في الأمم والدول والقرى أن يأخذها وهي قائمة على الظلم والفسوق والطغيان، فالله تعالى لا يأخذ قرية وهي قائمة على العدل، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود: 102. وقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ الأنبياء: 11. وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبُئِرٌ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾ الحج: 45. وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ الحج: 48. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدَمْنَا مَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء: 16.

وفي ذلك عبرة وعظة لطواغيت الكفر الجائمين على صدر الأمة بالحديد والنار. ومنذ زمنٍ ليس بالقريب . يحكمون العباد والبلاد بقوانين الهوى والكفر والشهوات .. بأن دور تهشيم أصنامهم وضرب صورهم بالنعال آتٍ لا محال بإذن الله، هذا إذا لم يصطلحوا بصدق مع الله تعالى ومع شعوبهم المقهورة المظلومة!

دروس وعبرٌ مُستخلصةٌ من غزو الصليبيين للعراق

صدام واحد من عشرات الطواغيت الذين يحكمون الأمة .. كلهم مثل صدام وأزيد في الظلم والطغيان، والجبروت، واحتقار الشعوب .. وكلهم بإذن الله تعالى سيأتهم اليوم الذي تدوسهم فيه الشعوب بالأقدام!

ستخرب قصورهم العامرة بالتبذير والفجور والطغيان كما خربت قصور من قبلهم من الفراعنة والطواغيت، غير مأسوف عليهم، ويحق فهم قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ. فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ الدخان: 25-29.

من سياسة قوى الاستكبار والطغيان العالميين . وبخاصة منها أمريكا . أن يُجرئوا عملاءهم الخونة من الطواغيت على ظلم شعوبهم، وهضم حقوقهم، وعلى مزيد من الطغيان والتكبر على العباد، حتى إذا ما حلت ساعة الخلاص منهم . وشاءوا أن يتدخلوا بشؤون البلاد . استدلت تلك القوى العالمية الاستعمارية بظلم هؤلاء الحكام العملاء كورقة ضغط عليهم، وكمبرر لعزلهم وإزالتهم، مستغلة في ذلك نقمة الشعوب المظلومة عليهم!

وإلا فقولوا لي كيف يمكن التوفيق بين احتضان أمريكا وغيرها من دول الغرب لكثير من الأنظمة الديكتاتورية الطاغية الحاكمة في المنطقة، وإقامة علاقات دبلوماسية معها، وفي نفس الوقت يحتضنون جميع فصائل المعارضة لتلك الأنظمة ..!!؟

يُهيمنون على الشيء وضده في آنٍ واحد لِيُهددوا الشيء بضده وقت تلوح لهم المصلحة من وراء ذلك، وما أكثر الأمثلة والشواهد الدالة على ذلك لو أردنا الاستدلال أو الإحصاء!

وهذا درس أرجو أن يعقله طواغيت الحكم وفصائل المعارضة سواء!

الدرس الثاني: ما حدث للعراق أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الشيعة الروافض طابور خامس

في جسد الأمة، لا يمكن الركون عليهم أو الثقة بهم في الملمات العظام التي تواجه الأمة .. هذه حقيقة طالما وسائل الإعلام . رهبة أو رغبة . تغاضت عنها!

دروس وعِبَرٌ مُسْتَخْلَصَةٌ من غَزْوِ الصَّلِيبِيِّينَ لِلْعِرَاقِ

أثبتوا ومنذ زمنٍ أنهم عملاء خونة، وبطانة سوء يعملون لصالح أعداء الأمة على الأمة وأبنائها ..
فصوت الحقد والكراهية أقوى في قلوبهم من أي صوت أو خطاب آخر .. فمن قبل أعانوا مغول التتار.
على يد الرافضي ابن العلقمي . في غزوهم للعراق ومكنوهم من رقاب المسلمين حتى قُتل منهم أكثر من
مليون نفس مسلمة .. واليوم وقفوا . وبكل خسة وعمالة . مع الغزاة الصليبيين في غزوهم لأفغانستان
والعراق حتى مكنوهم من البلاد والعباد!

فما أن يضطرب الأمن وتسرح لهم الفرص إلا وتراهم يقومون بأعمال النهب والقتل، والسطو،
والاغتصاب، والاعتداء على ممتلكات وحرمات المسلمين .. ليعبروا عن مدى حقدهم الدفين على الأمة
ودينها ..!

وإلا فقولوا لي من يتجرأ على حرق مكتبات بغداد التي تحتوي على مئات الألف من الكتب
والمخطوطات العلمية والإسلامية .. ومَن المستفيد من جراء هذا الفعل الشنيع!

الجواب: يعرفه الجميع وهو أن المستفيد اثنان لا ثالث لهما: الشيعة الروافض، والعدو الصليبي
الغازي!

أما الشيعة الروافض فهو لحقدهم الدفين على الإسلام وأهله وعلى كل ما يمت من علوم وكتب
ومؤلفات نافعة قام بها علماء أهل السنة والجماعة!

لا نحتاج إلى مزيد عناء لنثبت للقارئ أن شعر شعراء الشيعة الروافض .. وسواليف زنادقتهم
وخرافاتهم أصدق عندهم وأحب إلى نفوسهم بكثير من صحيحي البخاري ومسلم أصح وأصدق كتابين
بعد القرآن الكريم .. وبالتالي فهم لا يتورعون أن يُحيوا سنة المغول التتار الذين ألقوا بمؤلفات المسلمين
وكتبتهم في نهري دجلة والفرات حتى تغير لون الماء إلى لون المداد الذي كُتبت به تلك المؤلفات!

وأنا أزعم أن الكتب والمؤلفات المطبوع منها والمخطوط التي تم حرقها على أيدي الشيعة الروافض
اليوم في بغداد هي أكثر بكثير من الكتب والمؤلفات التي تم إتلافها على أيدي المغول التتار لما دخلوا بغداد
.. وبخاصة أن الأخبار تأتي بأن الكتب التي حُرقت على أيدي الشيعة الروافض تزيد عن المليون كتاب ..
ولا حول ولا قوة إلا بالله!

دروس وعبرٌ مُستخلصةٌ من غزو الصليبيين للعراق

وأما أن المستفيد الثاني هو العدو الصليبي الغازي: فهو أولاً لأنه عدو للأمة وثقافتها .. وثانياً لأن إتلاف وتخريب أي شيء في العراق فهو يعني كبر وطول الفاتورة والتكاليف التي ستُدفع من مال وخيرات العراق .. ويعني مزيداً من فرص العمل لشركات الدول الغازية .. ويعني كذلك إطالة أمد إقامة العدو الغازي في البلاد؛ لأن عملية إعادة البناء والإعمار لما تم إفساده وتخريبه وتدميره تحتاج إلى وقت وإقامة أطول، وبالتالي كلما ازداد الخراب كلما طالت فترة إقامة الغزاة الصليبيين في البلاد .. ووجدوا لأنفسهم الذريعة التي تُبرر لهم المكث والإقامة لفترة أطول!

لذا أقول أيما مؤسسة عامة يتم نهبها وحرقتها، وتخريبها .. فهو يعني مزيداً من الإقامة للعدو المحتل في البلاد تحت زعم إصلاح ما تم إفساده وتخريبه ..!

لذا وجدنا الغزاة الصليبيين يفضون الطرف عن . بل ويشجعون . كل عمل تخريبي وتدميري ليجد الشعب العراقي نفسه محتاجاً لبقاء الغزاة في أرضه مدة أطول ليصلحوا ما تم تخريبه وتدميره .. وهذا غرض قد أعانهم على تحقيقه خيانة وحقد وسفه عقول الشيعة الروافض!

قالوا للغزاة الصليبيين: خذوا العراق كله بما فيه من خيرات على أن لا تقتربوا من حوزاتنا وأضرحتنا وقبورنا المقدسة^[1]!

¹ هذا مع التنبيه أنه لا يصح بالسند ولا بالخبر الصحيح أن القبرين اللذين في النجف هما قبرا علي بن أبي طالب والحسين بن علي عليهما السلام، ورضي الله تعالى عنهما.

ثم هم في الوقت الذي منعوا فيه المسلمين من الجهاد والدفاع عن أنفسهم لرد العدو الصليبي الصائل انطلاقاً من مسجدهم الذي سموه مسجد علي بن أبي طالب .. وتعظيماً وتقديساً لقبورهم .. هم أنفسهم بأمر من ابن إمامهم مقتدى الصدر يذبحون بالسكاكين ابن إمامهم الآخر عبد المجيد الخوئي ومن معه في نفس المسجد .. وأمام قبورهم ومزاراتهم .. فأين الحرمة التي يزعمونها للمسجد وما فيه من قبور .. مما دل أن غايتهم كانت أن يحولوا بين المسلمين والدفاع عن أنفسهم ضد الغزاة المحتلين الصائلين .. وليس مراعاة لحرمة المسجد كما زعموا وكذبوا!

ثم فات هؤلاء الضلال الجهلة أن العدو الصائل لوداهم المسلمين وهم في بيت الله الحرام في مكة المكرمة لجاز لهم القتال والدفاع عن أنفسهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: 191. أم أن مسجدهم الذي بنوه ضراراً بأيديهم وتفريقاً بين المسلمين خير وأعظم حرمة من بيت الله الحرام الذي بناه النبي إبراهيم عليه السلام بيده؟!!

دروس وعبرٌ مُستخلصةٌ من غزو الصليبيين للعراق

فقبورنا المقدسة خير من كل شيء .. نُسالمكم إذا سلمت قبورنا وحوزاتنا .. ونعاديكم إذا اقتربتم من قبورنا المقدسة بسوء .. هذا الإنسان الذي تقتلونه لا يهمننا .. هذه البيوت التي تهدمونها على ساكنيها من الأطفال والنساء لا تعيننا كثيراً .. خيرات البلاد التي تنهبونها ليست مشكلة .. المشكل القبور والمزارات المقدسة .. والحوزات الشيعية!

ألا ما أخف عقولكم .. وأرق دينكم .. هذا إذا وجد عندكم دين!

فإن قيل: فما بال هذه المظاهرات التي يخرج بها الشيعة الروافض وهم ينددون بالغزاة الأمريكان..؟!

أقول: هي من قبيل التغطية على جرائمهم وخياناتهم المتكررة .. وإثبات الذات .. وكذلك من قبيل قتل القتل ثم البكاء عليه والخروج في جنازته .. والشيعة الروافض خبراء في التقية والكذب، إذ أن دينهم يقوم على التقية والكذب، وتصديق الكذب!

فمن قبل كذبوا على الحسين ﷺ عندما وعدوه بالنصرة والوقوف معه ضد يزيد .. فلما جاءهم خذلوه وتخلوا عنه إلى أن قُتل شهيداً رحمه الله .. فقتلوه بخيانتهم وغدرهم وخذلانهم قبل أن يقتله أعداؤه .. ومع ذلك فهم إلى الساعة يبكون الحسين، ويلطمون وجوههم وصدورهم، ويشقون جيوبهم وثيابهم حزناً. زعموا. على ما فرطوا بجنب الحسين ﷺ!

ثم ما فائدة أن يهتفوا ليل نهار بالسقوط والموت لأمريكا ويصفوها بأنها الشيطان الأكبر ثم هم من جهة يدخلون عملياً في موالاة ونصرة هذا الشيطان الأكبر على الإسلام والمسلمين؟!

أقول: رغم أن المسلم لا يُلدغ من جحرٍ مرتين إلا أن الأمة لدغت أكثر من مرة من قبل الشيعة الروافض ولا تزال تُلدغ وذلك بسبب تحسين الظن بهم .. وتحت شعار توحيد الصف والكلمة .. وضرورة التقارب بين الأديان والمذاهب وغير ذلك من الذرائع الواهية!

خلاصة هذا الدرس المرير: أن يحذر المجاهد أن يقاتل الغزاة المحتلين وفي خندقه شيعي رافضي واحد، أو في محيطه أو خلفه شيعي رافضي؛ لأن الغدرسيأتيه منهم لا محالة .. فالرافضي لا يستطيع أن يُقاوم حقه الدفين على الموحد المجاهد عندما تسنح له الفرص للغدر والانتقام والخيانة، ومما بلغنا

دروس وعبرٌ مُستخلصةٌ من غزو الصليبيين للعراق

عن غدرهم وحقدهم أنهم غدروا بالمجاهدين العرب وهم جرحى على أسرة المرض في المستشفيات .. وغير ذلك مما لو أردنا إحصاءه وذكره لظال بنا المقام!!

وكلامي هذا لا يعني بحال إثارة النعرات الطائفية بين السنة والشيعة أو توسيع الهوة والفرقة بينهما في هذه الظروف العصيبة التي يمر بها العراق .. فهذا معنى لا نريده ولا نشجع عليه .. وإنما أردنا التنبيه لبعض طبائع القوم الخبيثة ليحطاط المسلمون لأنفسهم، وحتى لا يتخذوا منهم بطانة في أي عمل جادٍ وهام.

الدرس الثالث: في كل حدث جلل يُداهم الأمة منذ احتلال الصهاينة اليهود لفلسطين إلى سقوط العراق بأيدي الغزاة الصليبيين يثبت القوميون العرب . على مستوى الأنظمة العربية الحاكمة وكذلك الأحزاب والتنظيمات . أنهم عملاء وخونة، وأنهم فاشلون ودون الأحداث!

تأملوا مواقفهم تجاه ما جرى ولا يزال يجري في العراق .. وكذلك ما جرى ولا يزال يجري في فلسطين .. فهي بين موقفين لا ثالث لهما: العمالة والخيانة المعلنة الظاهرة، والعمالة والخيانة المبطنة، ولا أستثني نظاماً عربياً من أحد هذين الموقفين، وهذين الوصفين!

عولت الشعوب منذ زمنٍ على القومية والقوميين فما جنت إلا الخيبة والفقر، والذل، والضياع .. فضاع الإنسان وضاعت البلاد معاً!

في كل مصيبة تنتاب الأمة تتعالى صيحات الشعوب بالاستغاثة وطلب العون .. فلا تلقى من القوميون العرب . ممثلين في الأنظمة الحاكمة . إلا كل إهمال، واستهتارٍ، وخيانة وعمالة!

كم من مستغيث يستفتح إغاثته بمناشدة حكام العرب باسم العروبة وما تقتضيه على القوميون من حقوق وولاء لبني جنسهم وقوميتهم .. ولكن لا حياة لمن تنادي!

وما حصل من تفاعلٍ إيجابي مع الأحداث التي تجري في العراق ومن قبل في فلسطين .. كان دافعها البعد الإسلامي، والعقيدة الإسلامية لا غير .. سواء جاء هذا التفاعل من داخل الوطن العربي أم من خارجه .. ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو ظالم.

دروس وعبرٌ مُستخلصةٌ من غزو الصليبيين للعراق

ثم ليتهم كانوا أمواتاً لا حراك لهم على الإطلاق .. فهم أموات لا حراك لهم إذا اقتضى الواجب منهم أن يقفوا موقفاً مشرفاً تجاه العدو الغازي والمحتل لبلاد المسلمين .. أو أن يتحركوا في الاتجاه الذي فيه نصرة للأمة وقضاياها .. بينما عندما تكون الوجهة لاستئصال وضرب المجاهدين . صفوة الأمة وخيرها . الذين نهضوا . في سبيل الله . للذود عن حرمت الأمة .. تراهم أعيناً مفتحةً كالوحوش الكاسرة التي لا تعرف الرحمة ولا الشفقة .. حرصاً منهم على تلبية رغبات وطلبات سادتهم من الغزاة المستعمرين! هؤلاء هم القوميون العرب الذين عوّلت عليهم الشعوب الآمال الكثيرة ومنذ زمن ليس بالقريب فما جنت منهم إلا الخزي والذل، والظلم، والعار!!

لذا نؤكد ونقول ما قلناه مراراً: أنه لا خلاص للشعوب العربية بخاصة والإسلامية بعامة مما هي فيه من الذل، والعار، والضياع .. إلا بالرجوع إلا الله تعالى .. والاعتصام بحبله المتين .. والجهاد في سبيله .. والبراءة من وثن العصبية القومية وأصنامها .. وغيرها من الأوثان والأصنام وما أكثرها في بلادنا!

الدرس الرابع: أثبتت الأحداث في العراق غياب المرجعية الفقهية الموحدة والمستقلة التي تواكب الأحداث وترتفع إلى مستواها .. والتي ترجع إليها الأمة عند الملمات .. وهذا مما لا شك أنه كانت له النتائج السلبية لما آلت إليه العراق من نتائج لا تُحمد!

فريق من العلماء أوجب الذهاب إلى العراق للجهاد والذود عن الحرمات .. وفريق منع من ذلك .. وفريق أثم وجرّم وكفّر من يفعل ذلك .. وفريق آثر الصمت إلى ما بعد سقوط البلاد بأيدي الغزاة الصليبيين .. وفريق أفتى بالاعتزال والاكْتفاء بالمراقبة ومعرفة ما ستنتهي إليه الأمور .. ولا تخلو بعض هذه المواقف والفتاوى من ارتباط بالجهات الحاكمة في بلادهم .. مما حدا بأصحابها أن يقفوا الموقف الذي يرضاه منهم الحكام .. وليس رب وخالق الحكام!

وهذه ثغرة طالما أوتيت الأمة من قبلها لا بد من سدها وإغلاقها باتفاق الأمة على مرجعية عُرفوا بالاستقلالية والعلم والصدق والجهاد يرجعون إليهم عند حصول النوازل والملمات .. إذ أن مثل هذه الخلافات المتباينة والمتضاربة في الفتوى من شأنها أن تُضعف الصف .. وتشتت الشمل .. وتفرق الكلمة .. وهذا الذي يسعى إليه أعداء الأمة والملة!

دروس وعِبَرٌ مُسْتَخْلَصَةٌ من غَزْوِ الصَّلِيبِيِّينَ لِلعِرَاقِ

الدرس الخامس: من الدروس المستفادة كذلك أن الجيوش التي تُربى على تمجيد الطواغيت والولاء لهم من دون الله .. وعلى موائد الكفر والنفاق .. لا تملك مقومات الصمود والمقاومة وبخاصة في ظروف الضيق والشدة .. كما أن اختراق هذه الجيوش وشراء ذمم كثير من أفرادها وقياداتها لتعمل لصالح العدو ممكن وسهل أكثر بكثير مما لو كانت جيوشاً مرباة على الإيمان، وحب التضحية والجهاد في سبيل الله!

فالجندي . في الغالب . عندما يُخير بين سلامة روحه أو الموت المحتم دون الطاغوت ودون أمجاد وأطماع الطاغوت تراه يختار سلامة روحه وأمنه وليكن بعدها ما يكون .. بينما عندما يكون جهاده في سبيل الله وحده .. ويعلم أن الفرار من الزحف كبيرة من كبائر الذنوب، ثم هو بعد ذلك يُخير بين تقديم روحه وبين الفوز بالجنان الخالدة ومرضاة الله تعالى .. يسهل عليه تقديم روحه في سبيل خالقها ومالكها، ومهون عليه الصعب المستحيل، وما أكثر الشواهد . من التاريخ البعيد والقريب . الدالة على ذلك. وفي ذلك عبرة لكثير من الجيوش العربية القومية التي تربي جنودها على معاني الكفر والنفاق .. والمجون والفسوق .. وتجعل مجرد إقامة الجندي للصلاة جريمة كبيرة لا تُغتفر .. يؤخذ صاحبها بالنواصي والأقدام، ويُصنف في خانة المجرمين الخطرين!

الدرس السادس: لم يكن هدف الغزاة الصليبيين من احتلال العراق إزالة أسلحة الدمار الشامل كما زعموا؛ لأنه ثبت بجميع الطرق والأدلة أن العراق خالية من أسلحة الدمار الشامل .. والغزاة يعلمون ذلك!

كذلك لم يكن هدفهم . كما يزعمون . إزالة نظام طاغٍ ظالم .. كما لم يكن هدفهم حماية حقوق الإنسان كما يزعمون، بدليل أن الأرض تعج بالأنظمة الطاغية الظالمة ومع ذلك فهي لا تلقى من أمريكا وحلفائها إلا كل دعم وعون .. كما أن حقوق الإنسان تُقتل بطريقة بشعة في كثير من الأماكن والأمصار، وبخاصة في أمصار وبلاد المسلمين .. ومع ذلك فالقتلة والمجرمون الذين ينتهكون حقوق وحرمات الإنسان بغير وجه حق يلقون من أمريكا وحلفائها كل تأييد ودعم وتبريك .. وبخاصة إن كان هؤلاء المجرمون القتلة يسرون في فلك تحقيق المصالح الأمريكية في المنطقة!

دروس وعِبَرٌ مُسْتَخْلَصَةٌ من غَزْوِ الصَّلِيبِيِّينَ لِلْعِرَاقِ

هذا مع الإضافة أن أمريكا ذاتها . باتفاق جميع العقلاء والمراقبين . تعتبر دولة طاغية وظالمة تنتهك حقوق الإنسان بكل ما يعني الانتهاك من معنى، وما أكثر الشواهد والأدلة الدالة على ذلك لو أردنا الإحصاء .. وإذا كان الأمر كذلك فكيف تُعطي الآخرين شيئاً هي تفقده أصلاً .. فإن فاقد الشيء لا يمكن أن يُعطيه للآخرين!!

الكل يعلم أن أمريكا غزت العراق بنهرٍ من الدم بعد أن قتلت عشرات الآلاف من أهله بأسلحتها الذكية والمحرمة دولياً .. قتلهم للإنسان العراقي . لأدنى شبهة أو حركة . لا يُساوي عندهم شيئاً .. دمرت جميع مؤسسات العراق وبنيتة التحتية .. وما لم تخربه ألتهم الحربية تعاونوا على تخريبه ونهبه وتدميره وحرقه مع المفسدين المخربين ممن رحبوا بهم .. ومع ذلك يزعمون زوراً وكذباً أنهم جاءوا من أجل التحرير .. وتحقيق الحرية!!

إذاً لماذا غزوا العراق .. وما هي أهدافهم الحقيقية من وراء غزوهم للعراق؟

أقول: غزوا العراق من أجل تحقيق الأهداف التالية:

1- السيطرة على خيرات وثروات العراق وبخاصة منها ثروة النفط الضخمة، وهذا لا شك أنه سيكون له المردود الإيجابي على الاقتصاد الأمريكي الذي كان يشكو أصلاً من الضعف واحتمال الانهيار!

2- سيطرت أمريكا على النفط العراقي يمكن أمريكا من التدخل بقوة في سياسة منظمة أوبك، كما يمكنها من تحديد سعر النفط .. والكمية التي تُضخ للسوق العالمي .. وهذا مما لا شك أنه سيسهل عليها اتخاذ كثير من القرارات السياسية الهامة على مستوى المحافل الدولية .. لحاجة تلك الدول . وبخاصة منها الصناعية . لمادة النفط .. فالتحكم بالنفط العالمي يعني التحكم بسياسة العالم وبقدراته السياسية!

3- تأمين فرص عمل لشركات الاستثمار والاستعمار الأمريكية التي تشكوا من البطالة .. لذا نجد

أمريكا تنفذ سياسة "دمر العراق ثم أعد إعمارها" من أموال أهل العراق!

4- من أهداف الغزو الأمريكي الصليبي كذلك تدمير أكبر قوة عسكرية وعلمية عربية في المنطقة

قد تشكل خطراً على دولة الصهاينة اليهود ولو في المستقبل البعيد .. لذا فإن احتلال أمريكا للعراق وتدمير مؤسساته العسكرية بحيث يُصبح بلداً بلا عسكري ولا سلاح .. تعدى صفة أن يكون مجرد خدمة

دروس وعبرٌ مُستخلصةٌ من غزو الصليبيين للعراق

مباشرة للصهاينة اليهود، ليصبح في حقيقته احتلالاً مباشراً من قبل دولة الصهاينة للعراق إذ لا فرق بين أمريكا وإسرائيل فبعضهم أولياء بعض .. ولا نبتعد عن الصواب لو قلنا: أن احتلال أمريكا . ربيبة إسرائيل وحاميتها والساهرة على أمنها وتحقيق أهدافها . معناه تحقيق شعار الصهاينة اليهود القديم الجديد القائل بأن حدود دولة إسرائيل تمتد "من النيل إلى الفرات"!

5- احتلال أمريكا للعراق عسكرياً يعني إمكانية التدخل الصليبي الصهيوني العسكري المباشر بشؤون دول المنطقة وبخاصة منها دول الطوق المحيطة بدولة العراق من دون الحاجة إلى الوكلاء العملاء في المنطقة أو حتى الحاجة إلى القواعد العسكرية الأمريكية الموجودة في دول الخليج وغيرها .. ويعني كذلك إمكانية وسهولة ضرب الوكلاء العملاء الخونة ذاتهم من خارج حدود بلادهم لو بدا لأمريكا فعل ذلك أو كانت المصلحة تقتضي التخلص منهم .. وهذا مطلب وهدف تستشرف له أمريكا وتسعى له منذ زمنٍ بعيد!

6- الغزو الثقافي الحضاري وهو الهدف الأهم للغزو الصليبي الأمريكي للعراق والمتمثل في فرض التصور الأمريكي للديمقراطية في العراق .. والمتمثل في التحكم بسياسات العملية التعليمية والتربوية والتوجيهية في العراق الذي يعين على إيجاد جيلٍ أمريكي يتكلم العربية واللهجة العراقية يعمل على خدمة أهداف ومبادئ وأطماع الإمبريالية الصليبية الصهيونية في المنطقة!

لذا فإن القضية أكبر بكثير من أن تُختزل بشخص معين أو نظام معين كما يُصور بعض المغفلين .. فالقضية أكبر من ذلك بكثير: فالقضية تعني الأمة بكاملها .. تعني حاضر ومستقبل الأمة .. تعني هوية وعقيدة الأمة .. تعني إرادتها وحريتها واستقلالها .. تعني عزتها وكرامتها .. تعني خيراتها وثرواتها .. لذا نجد أن الصهاينة والصليبيين قد وضعوا كل ثقلهم وإمكاناتهم وعتادهم في معركة العراق .. وأبدوا استعداداً فائقاً . على غير عاداتهم . في تحمل أي نوع من الخسائر لعلمهم المسبق أن النصر إذا كان حليفهم فسوف يُعوضون أضعاف أضعاف ما كانوا قد خسروه وفقدوه في حروبهم!

لا بد من النظر لهذا الحدث الجلل الذي حلّ بأرض العراق من هذا المنظور وعلى هذا الأساس وإلا نكون ممن يعين الظالمين على ظلمهم وعدوانهم على الأمة ونحن نعلم أو لا نعلم.

دروس وعبر مُستخلصة من غزو الصليبيين للعراق

الدرس السابع: الشر في الغالب لا يكون شراً محضاً؛ حيث ما من شرٍ إلا وتخلله بعض معاني

الحكمة والخير علم ذلك من علم، وجهله من جهل.

فالغزو الصليبي للعراق وإن كان شراً لا نرضاه إلا أنه فتح باباً عظيماً من أبواب الجهاد . لا خلاف

عليه . لا بد لشباب الأمة من أن يغتتموه ويستغلوه.

كان الشباب من قبل يتجشمون الصعاب والمخاطر ليصلوا إلى ساحات العدو ليحيوا فيه فريضة

الجهاد .. فهاهو العدو قد غزاهم في ديارهم وانتهم حرماهم وفتح بنفسه أبواباً للعزة والجهاد لو وجد

طلابه من المجاهدين المخلصين.

أبواب الخير مواسم سرعان ما تغلق .. يهدي الله إليها من يشاء من عباده .. فهنيئاً لمن يستغلها

قبل أن تغلق، ويقع الندم ولات حين مندم!

أعيدكم ونفسي من أن نتخلق بأخلاق الملامن بني إسرائيل الذين كانوا يتمنون القتال في سبيل

الله، ويسألون عنه، فلما كُتب عليهم القتال، وابتلاهم الله بعدو لهم وله تولوا مدبرين إلا قليلاً منهم، كما

قال تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لِهْمُ ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ

أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ البقرة: 246.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/02/17هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/04/19م

الموقف من النظام السوري في هذه الظروف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال: تعلمون ما تتعرض له سوريا في هذه الأيام من ضغط إعلامي أمريكي صهيوني، وعندما يقوم أحدنا بتعرية فساد وظلم وطائفية النظام السوري .. ينبري كثير من الناس معترضين قائلين: أنتم في نقدكم للنظام السوري تقفون في الموقف الأمريكي الصهيوني، وتكونون عوناً لهم على سوريا آخر قلاع الصمود والتصدي العربي .. وتكررون نفس موقف المعارضة العراقية في تعاملها مع أمريكا من أجل استئصال النظام العراقي، وهذه مفسدة لا نريدها أن تتكرر .. فما هو ردكم على مثل هذا الاعتراض، وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد.

من قبيل معرفة الأشياء على حقيقتها، وتوصيفها بأوصافها المطابقة لها واللاصقة بها، لا بد من الإشارة إلى حقيقة النظام السوري، وحقيقة مواقفه من القضايا الهامة والمصيرية لنرى هل يستحق بأن يوصف بأنه "آخر قلاع الصمود والتصدي العربي"، وهل هو نظام شريف يستحق الاحترام والتقدير أم لا .. ثم بعد ذلك نجيب على السؤال إن شاء الله.

فأقول: إضافة إلى كون النظام السوري نظام بعثي اشتراكي، طائفي، ديكتاتوري، قائم على العمالة والفساد، والقمع والكبت والإرهاب، وحكم المخابرات .. فهو نظام طفيلي يقتات ويعيش منذ تأسيسه . على حساب هموم وقضايا الأمة المصيرية والكبرى، ليظهر بمظهر المناضل الشريف .. وهو في حقيقته . أبعد ما يكون عن النضال والشرف!

فما من بلاء ينزل بالأمة إلا ويققات منه ما يُطيل به من عمره وبقائه وظلمه ومن دون أن يُقدم جهداً يُذكر لرفع أو دفع ذلك البلاء!

فهو نظام كلابس ثوبي زور يتشبع بما لم يُعط، وبما ليس فيه، ولا عنده .. أكثر ما فيه وما عنده الصياح والنباح .. وما كان الصياح والنباح ليفعل شيئاً يوماً من الأيام!

1- موقف النظام السوري من القضية الفلسطينية: على مستوى القضية الفلسطينية .. فهو

نظام تراه لا يريد حرباً ولا سلباً؛ لا يريد حرباً ليققات ويستفيد من أجواء السلام، وليستعطف إليه

الموقف من النظام السوري في هذه الظروف

أنصار ودعاة السلام في العالم .. ولا يريد سلاماً ليقتات ويستفيد من أجواء الحرب، ليظهر. أمام الشعوب المقهورة . بمظهر البطل الشريف .. وليبتز الأموال العربية والخليجية على اعتباره النظام الذي يمثل

قلعة الصمود والتصدي العربي الذي يجب أن يُمد بالمال وبجميع أسباب القوة والحياة!

منذ نشأة النظام وحكمه لسورية في السبعينيات وإلى الساعة حرص النظام حرصاً شديداً .

ككلب حراسة وفي . على حماية حدود دولة الصهاينة اليهود المتاخمة للحدود السورية!

رغم أن غالبية الشعب السوري شعب متمرّد ومجاهد إلا أنه من ذلك الوقت وإلى الساعة لم

يستطع أن يسجل أي عملية اختراق أو تسلل لضرب الأهداف الصهيونية داخل أراضيها عبر الأراضي

والحدود السورية .. وذلك بسبب الحراسة المكثفة التي يقوم بها كلاب الحراسة الأوفياء جنود وأبطال

النظام البعثي الطائفي!

ولا ننسى كذلك عمالة النظام لما كان الطاغية الهالك حافظ الأسد وزيراً للدفاع والحاكم الفعلي

لسورية حيث أعلن عن سقوط الجولان السورية بأيدي جيش الصهاينة اليهود قبل أن تسقط .. ليتباكي

عليها فيما بعد، ويجعل منها ورقة للابتزاز، وسبباً للتفاوض مع الصهاينة المحتلين .. وكان ذلك كله نتيجة

خيانة وصفقة بينه وبين بني صهيون^[1].

أي تحرير يريدونه لفلسطين بل وللأراضي السورية المغتصبة وحدودهم معطلة وأمنة منذ أكثر

من ثلاثين عاماً .. لا أثر فيها لجهاد ولا إعداد .. بل والويل كل الويل لمن يفكر. مجرد التفكير. بالتسلل أو

بتعكير صفو هذا الأمان والسلام!

ثم نسأل: من الذي قتل وذبح الفلسطينيين وقضى على منظماتهم في لبنان .. وأجبرهم على

الرحيل منها ليتشردوا في أمصار عدة متفرقة تبعدهم آلاف الأميال عن حدود بلادهم وديارهم قريبة لدولة

الصهاينة اليهود .. أليس النظام السوري؟!؟!!

من الذي ارتكب مجزرة تل الزعتر وغيرها من المجازر بحق الفلسطينيين في لبنان .. أليس النظام

السوري .. ومن المستفيد من تلك المجازر أليس الصهاينة اليهود ..؟!؟!!

¹ أنظر كتاب "سقوط الجولان" لضابط استخبارات الجولان قبل الحرب خليل مصطفى. أقول: مشكلة كثير من الناس

أنهم لا يقرؤون التاريخ لا القديم منه ولا حتى المعاصر .. فكيف تراهم يستفيدون منه ويتعظون!

الموقف من النظام السوري في هذه الظروف

يحصل هذا كله مع صياحهم الصاخب . الذي فتق الأذان . الهاتف بتحرير فلسطين .. ودعم فلسطين .. والمقاومة الفلسطينية .. وما أكثر هؤلاء الذين تسلقوا على فلسطين والقضية الفلسطينية وهم من ألد أعداء فلسطين وشعب فلسطين!

ما أسرع ما ينسى الناس جلادهم وقاتلهم .. لهتفوا بأسمائهم، ويمجدوا طغيانهم!!؟

فإن قيل: كيف تفسر إذاً احتضان النظام السوري لبعض المنظمات الفلسطينية، وكذلك موقفه

من "حزب الله الشيعي" في لبنان؟

أقول: هذا من جملة الاقتيات والتطفل الذي عودنا عليه النظام، أما احتضانه لبعض المنظمات

الفلسطينية فهي لا تعدو أن تكون مجرد مكاتب رمزية تمثل تلك المنظمات، مسلوبة الإرادة والتمثيل الفعلي، لا نشاط لها يُذكر من الأراضي السورية .. سوى التمجيد بطواغيت النظام، وعروبة وثورية النظام!

ولكن نسأل هل يمد النظام السوري تلك المنظمات الفلسطينية بالمال والسلاح، هل يسهل لهم الدخول والخروج عبر أراضيه وحدوده مع فلسطين .. هل يفتح لهم ولغيرهم معسكرات للتدريب والإعداد .. لا شيء من ذلك البتة!

إذاً لماذا هذه المكاتب الممثلة لتلك المنظمات موجودة على أراضيه ..؟!

الجواب: يعرفه الجميع: ليقنات على حساب القضية الفلسطينية التي قتلها وصفها في أكثر من موضع .. ويظهر بمظهر الشريف المناضل في أعين المغفلين من الناس .. ولكي يقول كذلك لأمريكا، ودولة الصهاينة، والمجتمع الدولي لا يمكن أن تتجاهلوا سوريا ودورها الحيوي في المنطقة .. فنحن لا نزال نملك الأوراق الحيوية التي تلزمكم الاعتراف بنا والتفاوض معنا .. وبالتالي التصديق علينا .. فلا يزال عندنا ما يمكن الاتفاق والمساومة عليه!

أما موقف النظام من حزب الله الشيعي في لبنان ربيب إيران وصنيعتها، وعينها ونافذتها وبوقها الذي عن طريقه تصدر مذهب التشيع والرفض في المنطقة .. فهو نزولاً عند رغبة إيران الجامعة مقابل دعم اقتصادي وسياسي تقدمه إيران للنظام السوري.

الموقف من النظام السوري في هذه الظروف

موقف النظام السوري من حزب الله الشيعي ليس حياً منه في إحياء المقاومة ضد الصهاينة اليهود عبر الجبهة اللبنانية بدليل أنه قضى على المقاومة الفلسطينية في لبنان وعمل على تشريدتها في الأمصار .. ولا يزال إلى الساعة يعمل على تصفية جيوبها، ويُطارد أفرادها .. كما أنه عمل على تصفية جميع القوى السننية المسلحة الموجودة على أرض لبنان .. فهو بحكم احتلاله لأرض لبنان يمنع أي طرف أو جماعة أو فرد من أن يوجه ولو طلقة واحدة نحو دولة الصهاينة اليهود .. فهذا الحق والشرف لا يقوم به إلا حزب الله الشيعي .. وبقدر ما هو مأذون له .. حتى الجيش اللبناني ذاته لا يملك هذا الحق في الدفاع عن نفسه وأرضه .. فحزب الله فقط هو الذي ينوب عنه .. وعن جميع اللبنانيين في الدفاع عن لبنان!!

فحزب الله يوجه بنذقيته نحو دولة بني صهيون في الوقت الذي مُنِع الجميع من فعل ذلك وما أكثرهم .. وأكثر المجاهدين الذين يطوقون لذلك .. وهذا لا شك أنه يصنع دعاية قوية لحزب الله .. ولمذهب التشيع والرفض .. وإيران الشيعية .. وهذا هو المراد!^[1].

هذه هي خلاصة موقف النظام السوري من القضية الفلسطينية طيلة سنوات حكمه .. فأين الصمود والتصدي الذي يزعمه .. وأين هذه القلعة الصامدة التي يدعيها .. ويدعيها له بعض المغفلين .. وهو لم يدع قلعة من قلاع الصمود إلا هدمها ودمرها قرية لبني صهيون!!

¹ لكي تتم الدعاية المطلوبة لما يقوم به حزب الله الشيعي من أعمال، فتحت إيران للحزب قناة "المنار" الفضائية الشيعية .. لذا نجد أن الطلقة التي يُطلقها "حزب الله الشيعي" تُضخم عبر قناة المنار لتصبح صاروخاً عابراً للقارات الذي سيزيل دولة الصهاينة من الوجود!

ونتيجة لهذه الدعاية الكاذبة المضللة نجد كثيراً من المسلمين . وبخاصة في فلسطين . يرفعون صور الخميني وغيره من آيات التشيع والرفض الإيرانية .. ويُجادلون عن التشيع والرفض بدليل أن حزب الله الشيعي هو الحزب الوحيد في الأمة الذي يُقاتل الصهاينة اليهود!!

لذا أقول: إن الدعاية التي صنعها حزب الله الشيعي لمذهب التشيع والرفض .. ولايات إيران لم تصنعها دولة إيران . رغم إمكاناتها الواسعة . ذاتها .. ولم يصنعها دعاة التشيع والرفض عبر تاريخهم كله .. لذا نجد إيران تضع كل ثقلها وإمكاناتها في دعم وتثبيت وحماية حزب الله الشيعي في لبنان!

الموقف من النظام السوري في هذه الظروف

2- موقف النظام السوري من الغزو الأمريكي الصليبي للعراق: لما غزت أمريكا العراق قال النظام

السوري: "قد خُيرنا بين الوقوف مع الغزاة وبين الوقوف مع العراق فاخترنا الوقوف مع العراق" فاستبشرنا خيراً، وأخذنا نترقب كيف سيترجم هذا الوقوف مع العراق!

كنا نتوقع إرسال الجيش السوري للذود عن العراق وأهل العراق .. وإرسال السلاح والعتاد .. وفتح الحدود على مصراعها لتسهيل الدخول والخروج للمتطوعين للجهاد .. كنا نتوقع شيئاً من ذلك، ولكن ما الذي حصل وما الذي رأيناه؟!

رأينا فقط . كالعادة في كل مرة . الصباح والنباح الذي يصم الأذان .. والتشبع بما لم يُعطوا وبما ليس فيهم .. رأينا الاقتيات والاستغلال الدنيء للحدث .. ليظهروا بمظهر الشرفاء الغيورين على أوطان الأمة .. رأينا الخيانة والغدر بشباب الأمة ومجاهديها!

قال الغزاة سوريا أرسلت للعراق مناظير ليلية .. فسرعان ما أنكر النظام ذلك وتبرؤوا من كل دعم للعراق .. وأهل العراق!

قال الغزاة سوريا فتحت حدودها لبعض قيادات النظام العراقي .. وهذا لا نسمح به .. فسرعان ما أنكرت سوريا ذلك، وقامت بخطوة استباقية فأغلقت الحدود السورية كلها مع العراق حتى لا يدخلها جريح عراقي أو طفل عراقي .. أو مجاهد عربي جريح ضاقت به السبل والطرق .. ولا حتى بعثي مثلهم عراقي .. ولم يكتفوا بذلك .. بل قاموا بإعادة العوائل العراقية مع أطفالهم من مخيم "الحوّل" شمال شرق سوريا، وأرغموهم على العبور إلى الجانب العراقي ليعيشوا تحت رحمة قصف الغزاة .. استجابة لرغبات وطلبات الغزاة!

فرد الرئيس الأمريكي "بوش" على الإجراءات السورية هذه: بأن سوريا فهمت الرسالة .. واستجابت لها .. ومكافأة لها سيرسل وزير الخارجية الأمريكية "باول" ليشرح للقيادات السورية الرسالة بصورة أوضح وأوسع ..!!

يا سبحان الله .. ليتهم يفهمون رسالة ربهم ويستجيبون لها كما فهموا رسالة "الطاغوت بوش" واستجابوا لها!

الموقف من النظام السوري في هذه الظروف

ليتهم يستجيبون لصرخات ومعاناة شعوبهم المقهورة والمهانة كما يستجيبون لطلبات ورغبات

الغزاة الصليبيين!

واليوم تطالعنا وسائل الإعلام عن رسالة موجهة من رئيس النظام السوري إلى شارون الصهيوني

السفاح مفادها "استعداد دمشق للتباحث مع تل أبيب حول القضايا الخلافية" ومن دون أي شرط!

هذا هو موقف النظام السوري مما جرى للعراق .. ولأهالي العراق .. ومع ذلك فإعلام النظام لا

يتوقف عن الصياح والنباح .. والتشبع بالبطولة والصمود والتصدي .. صدق من قال: إذا لم تستح

فاصنع ما شئت!

فإن قيل: علام إذاً هذه الحملة الإعلامية الأمريكية على سوريا التي ترقى في بعض الأحيان إلى هز

العصا والتهديد!؟

أقول: قد صرح أكثر من مسؤول أمريكي أنهم لا يعنون التهديد لسوريا، وأنهم لا يريدون الحرب

عليها .. وإنما هو مجرد التذكير لما ينبغي على النظام السوري أن يقوم به، وأن لا يتدخل به في هذه

المرحلة التي يتكرث فيها الاحتلال الصهيوني للصليبي للعراق!

للصليبيين أهدافهم القريبة والبعيدة من غزوهم للعراق تستهدف ماضي وحاضر ومستقبل

العراق والأمة الإسلامية برمتها .. وهم حريصون جداً أن لا يظهر لهم من يعكر لهم صفوهم وخطتهم وهم

في طريقهم نحو أهدافهم هذه .. لذا تراهم يُطلقون أحياناً بعض عبارات التحذير لهذا النظام أو ذاك ..

حتى لا يتجاسر أحد على الاعتراض أو الوقوف في مسير الغزاة .. ولو في المستقبل البعيد!

الغزاة المستعمرون . وبخاصة في مراحل قوتهم وانتصارهم . لا يقبلون من العميل الخائن حداً

من العمالة والعطاء .. لذا فهم يُطالبونه بالمزيد والمزيد .. فكلما استجاب لهم في شيء طلبوا منه الآخر ..

وإذا ما تلعثم أو تلكأ هـوا بالسوط على ظهره .. وذكره بعواقب العصيان .. كما يجلد السيد الظالم

عبده المملوك عندما يُظهر أدنى تقصيرٍ في تلبية رغباته وأوامره!

الصراع في العراق قد يطول .. والمقاومة العراقية قد تمتد وتقوى شوكتها وتستعصي على الغزاة

.. لذا فإن الغزاة الصليبيين يريدون . من وراء تحذيراتهم تلك . تحييد سوريا تماماً تجاه ما يجري لجارتها

في العراق .. وقد نجحوا، وتحقق لهم مرادهم .. واستجاب لهم النظام السوري لما يريدون ويخططون ..

الموقف من النظام السوري في هذه الظروف

وزاد على الحد الذي يريدونه .. كما نجحوا من قبل على تحييده وتحييد غيره من الأنظمة العربية الخائنة تجاه ما يجري في فلسطين من مجازر وانتهاكات على أيدي الصهاينة اليهود .. هذا ما يجعلنا نفسر تصريحات بعض الساسة الأمريكيين والغربيين التي تُثني خيراً على الموقف السوري من الأحداث .. والتي تحملهم على القول: بأن النظام السوري قد فهم الرسالة!

ومع ذلك فإن النظام السوري لا يفتأ . كعادته . عن استثمار الحدث والاقتنيات عليه ليظهر بمظهر البطل الشريف الذي تستهدفه قوى الغزو الصليبي الصهيوني .. وأن على الشعوب والأنظمة أن يقفوا مع سوريا الصمود، وبجانب سوريا تجاه ما تلقاه من تحديات .. وأيما امرئ أو جماعة تعارض النظام السوري .. قلعة الصمود العربي .. أو توجه له أي نقد أو تخالفه ولو في رأي .. فهو يُصنف . ترهيباً . في خانة العملاء للاستعمار والغزاة!

وقد لا حظنا . فعلاً . في الآونة الأخيرة خوف كثير من الساسة والنقاد، والجماعات التي تنشد الإصلاح والتغيير توجيه أي نقد للنظام السوري وقادته رغم مفسده التي لا تكاد تُعد ولا تُحصى .. خشية أن يُصنفوا في خانة الغزاة أو خانة المستعمرين!

أرأيتم كيف أن النظام السوري الطائفي الديكتاتوري يُحسن الاستفادة والاقتنيات من كل حدث، ويُحوّره لصالحه بما في ذلك الأحداث التي تدل على خيانتة وعمالته!

3- موقف النظام السوري من القضايا الإنسانية وحقوق الإنسان: لا يخفى على أحد ما يُعانيه

الشعب السوري ومنذ عقود من وطأة وظلم واضطهاد النظام الحاكم ..!

ما أكثر الجرائم التي ارتكبتها بحق الشعب السوري والتي منها مجزرة حماه، التي ذهب ضحيتها أكثر من ثلاثين ألف نسمة .. ومنها مجزرة تدمر التي قتلوا فيها قرابة ألف سجين . من خيرة شباب الأمة . رمياً بالرصاص وهم في زنزاناتهم !!

سجون النظام منذ عقود وإلى الساعة لا تزال مليئة بالآلاف من السجناء السياسيين الأبرياء ..

لا يعلم سوء حالهم وما يُعانونه من تعذيب وتصفيات، وإهانات إلا الله!

هجّر عشرات الآلاف من خيرة كوادر وعلماء المجتمع السوري خارج البلاد .. ومنذ عقود، لا يُسمح

لأحدهم بالعودة إلا بعد التخلي عن دينه وثوابته، ويعلن الطاعة والولاء للحزب الحاكم والطواغيت

الموقف من النظام السوري في هذه الظروف

الظالمين .. حتى جعلوهم وأبناءهم في بلاد المهجر بلا وطنٍ ولا انتماء ولا حتى بطاقة شخصية تعرف عنهم .. ما من بيت من بيوت الشام إلا وفيه شهيد أو سجين أو طريد^[1]!

أشاع الخوف والرعب والفقريين الناس .. فلا صوت إلا صوت حزب النظام .. ولا رأي إلا رأي حزب النظام .. ولا حياة إلا لمن يدخل في حزب النظام .. ويتجسس على العباد لصالح النظام .. والويل كل الويل لمن يُخالف أو يُعارض!!

هذه بعض مخازي النظام السوري الحاكم بما يتعلق بحقوق الإنسان السوري .. ولو أردنا الإحصاء والاستقصاء لطال بنا المقام!

4- موقف النظام السوري من الحملة الأمريكية على الإرهاب: لا يخفى على أحد أن شعار محاربة

الإرهاب التي رفعتها أمريكا ظاهره محاربة الإرهاب، وباطنه محاربة الإسلام والمسلمين، وغزو بلادهم وديارهم ..!!

ومع ذلك فإن النظام السوري . على لسان رئيسه ولأكثر من مرة . يُعلن عن خدماته لأمريكا في محاربتها للإرهاب .. وبخاصة أن النظام . كما يقول عنه نفسه . له خبرة كبيرة في مكافحة الإرهاب والإرهابيين!

كنا نتوقع من النظام في عهده الجديد أن يستحي من ماضيه وما ارتكبه من مجازر قتل وإبادة بحق الشعب السوري في حماه وغيرها من المدن .. ويعتذر لشعبه عما اقترفه من مجازر قتل وإبادة بحقه .. هذا إذا كان جاداً وراغباً في الاصطلاح مع شعبه .. إلا أننا رأيناها يتباهى بجرائمه السابقة ويتفاخر بها، ويُصنفها كخبرة في محاربة الإرهاب .. تستحق الاحترام والتصدير إلى الدول الأخرى لمن يريد لها ويطلبها! وبالفعل فقد صدّر النظام السوري خبراته الجليلة في مكافحة الإرهاب لأمريكا أم الإرهاب وراعيته في العالم .. مما حمل الإعلام الأمريكي وغيره على الثناء على دور النظام السوري في تعاونه المثمر مع الإدارة الأمريكية في مكافحة الإرهاب!

¹ بما فهم صاحب هذه الكلمات فإن أخاه عبد القادر مصطفى حليلة، وابن عمه محمد خضر حليلة لا يزالان إلى الساعة في سجون الطواغيت الظالمين منذ أكثر من ثلاثة وعشرين عاماً لا نعلم عنهما شيئاً، ولا يُمكن أن نعلم عنهما شيئاً .. وما أكثر هؤلاء المبتلين أمثال أخي وابن عمي .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

الموقف من النظام السوري في هذه الظروف

فالنظام السوري الخائن لا يتورع أن يجند نفسه ويسخر كل إمكانياته لصالح أمريكا في محاربتها للإسلام والمسلمين تحت زعم التعاون على محاربة الإرهاب .. بينما من يتوجه إلى النظام بأصابع النقد أو الاعتراض في شيء فهو عميل لأمريكا والإمبريالية ضد النظام السوري الذي يمثل قلعة الصمود والتصدي العربي، كما زعموا!!

هذا هو واقع النظام السوري باختصار الذي يصنفه بعض المغفلين أو الذين باعوا ضمائرهم وعقولهم بثمن بخس بأنه آخر قلاع الصمود والتصدي العربي .. وما ذكرناه عن هذا النظام كان تمهيداً ضرورياً للجواب على ما تم السؤال عنه .. لا بد منه!

أقول: بعد هذا التمهيد الضروري أجيب . مستعيناً بالله تعالى . على ما تم السؤال عنه

في النقاط التالية:

1- المنكر يُنكر ويُعَيَّر، والظلم يُزال .. سواء كان صاحب هذا المنكر أو الظلم هم الروم أو الفرس،

أو المرتد العربي مسيلمة الكذاب!

الظلم يُحارب ويُزال سواء كان الظالم وطنياً محلياً أم أجنبياً وافداً!

الحق لا يُحابي باطلاً دون باطل ولا ظالماً دون ظالم .. فالظلم والطغيان بكل أنواعه وأسمائه،

وألوانه، وانتماءاته، مرفوض، ومُستعدى.

قال ﷺ: "أمرأء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم

على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني، ولستُ منهم، ولا يردون عليَّ حوضي. ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم

يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم، وسيردون علي الحوض".

وقال ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه،

وذلك أضعف الإيمان".

وقال ﷺ: "ما من رجلٍ يكونُ في قومٍ يعملُ فيهمُ بالمعاصي، يقدرُون على أن يغيروا عليه ولا

يُغيرون إلا أصابهم الله منه بعقابٍ قبل أن يموتوا".

الموقف من النظام السوري في هذه الظروف

وقال ﷺ: "من أعان ظالماً بباطلٍ ليدحضَ بباطله حقاً فقد برئ من ذمة الله ﷻ وذمة رسوله".

أياً كان هذا الظالم، وكان اسمه، ولونه، وانتماؤه.

2- النظام السوري . لما تقدم . لا يُشكل أي خطر حقيقي على الغزاة الصهاينة والصلبيين .. فهو

نظام يسير في ركبهم ومخططاتهم منذ زمن .. كما أنه ليس من السهل على أمريكا أن تجد البديل المناسب لها أكثر من هذا النظام .. لذا لا أتوقع حرباً وشيكة على سوريا.

3- لكن سوريا بحكم موقعها الجغرافي المتاخم لفلسطين المحتلة .. ولدولة الصهاينة اليهود ..

وبحكم جيشها الكبير المعافي قياساً للجيش العراقي الذي تعرض لهزائم عدة كان بغنى عنها .. وبحكم ما تملكه من أسلحة ضخمة روسية وإن كانت قديمة نسبياً . والتي لم تُستخدم إلا في قمع الشعب السوري . فإن الصهاينة اليهود . بتعاونٍ مع أوليائهم من الصليبيين . قد يمهدون لحربٍ على سوريا . تحت ذرائع شتى . لضرب مؤسساتها العسكرية، وترسانتها من الأسلحة خشية أن تقع يوماً من الأيام هذه الأسلحة . التي يعلوها الصدا . بيد أمينة شريفة تشكل خطراً على أمن دولة الصهاينة اليهود!

كما أن موقف النظام السوري المؤيد لحزب الله الشيعي استجابة لعلاقته الاستراتيجية مع إيران

.. لا يرضي الصهاينة اليهود .. فاليهود لا يقبلون من رافضة إيران أن تصدر ثورتها ومذهبيها على حسابهم وحساب أمنهم وأمن دولتهم .. وهذا مما سيسبب حرجاً للنظام السوري ويجعله في موقف المفاضل بين الاستجابة لمصالحه مع إيران وبين مصالحه المحققة من جراء الاستجابة

لضغوطات الصهاينة اليهود .. ولا بد له من الاختيار!

4- على أي حال لا نتوسع في التوقعات المستقبلية .. وكيفما كانت الأمور فإننا نقول بكل وضوح

وصراحة: لو تم أي عدوان صليبي صهيوني على سوريا أو غيرها من بلاد المسلمين . تحت أي ذريعة كانت . فموقفنا سيكون . بلا أدنى تردد . مع سوريا، ومؤسساتها، وشعبها المسلم الذي نحن منه وهو منا .. فنحن نفرق بين النظام الحاكم الذي تعلوه فئة قليلة من الطواغيت الظالمين لا يتعدون المائة أو المائتين وبين سوريا كمجتمع، ومؤسسات، وشعب مسلم .. وهذا الموقف لا نقوله من قبيل السياسة أو المجاملة لأحد .. لا .. وإنما هو موقف الشرع الذي يمليه علينا ديننا.

الموقف من النظام السوري في هذه الظروف

لا يمكن أن نقف الموقف الذي وقفته غالب المعارضة العراقية أو نكرر فعلها عندما وضعت

يدها بيد الغازي المحتل لبلدهم، ومؤسساته، وشعبه ..!

لا ندفع ظلاماً بظلم .. ولا نستعين بمشرك على مشرك .. وكفر النظام السوري وظلمه ومعارضتنا

له، لن يمنعنا من اتخاذ هذا الموقف؛ لأنه موقف العقيدة والدين .. كما أن هذا الموقف لا يمنعنا من

الاستمرار في الإنكار على الطواغيت الظالمين والأخذ على أيديهم.

ونصيحتنا للنظام السوري وغيره من الأنظمة المتسلطة الحاكمة في بلاد المسلمين: اصطلحوا

بحق مع الله .. ومع شعوبكم برفع الظلم عنهم .. عودوا إلى الله .. عسى الله تعالى أن يغير الحال إلى أحسن

حال .. قبل فوات الأوان، ووقوع الندم ولات حين مندم!

نقول لكم ذلك من قبيل النصيح، والإنذار، والإعذار.. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ

قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الأعراف: 164.

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1424/02/29 هـ

2003/05/01 م

الْعُرُوبَةُ وَالْإِسْلَامُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد.

لم يعمل الإسلام على تغييب وإلغاء القوميات، والجنسيات، أو القبائل والعشائر، والأوطان، من حيث وجودها ومن حيث انتساب الإنسان لتلك القوميات، والجنسيات، أو القبائل والعشائر، والأوطان وما أكثر الأدلة الشرعية الدالة على ذلك.

فلم يمنع المرء من أن يقول عن نفسه بأنه عربي أو فارسي أو رومي، أو يميني أو شامي، أو قرشي أو خزرجي .. كما لم يمنعه من التعبير عن الحب والحنين لما ألفه من أوطان وديار.. فهذا وارد، والشارع أقره ولم يُلغِه، ولا أظنني بحاجة للاستدلال على مشروعية ذلك إذ أنه من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة .. لا يُجادل فيها اثنان.

ولكن الذي منع منه الإسلام وعمل على إغائه هو تلك العصبية الجاهلية لتلك القوميات والجنسيات، وتلك الأوطان، والقبائل، وغيرها من المسميات والانتماءات التي تغييب الولاء والبراء في الله. كما منع أن يكون التفاضل بين الشعوب على أساس الانتماء لتلك القوميات والجنسيات والأوطان، وجعل ميزان التفاضل والتمايز بين العباد مقصوراً ومحصوراً على ميزان التقوى، والأحسن عملاً بغض النظر عن الجنس أو العرق، أو اللون، أو اللغة، أو الموطن، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: 13. وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الملك: 2.

لا يجوز أن ننتقص دور العرب كمادة لنصرة قضايا الإسلام وعقيدته، ارتبط مصيرهم بمصير هذا الدين عزاً وذلماً، عزاً إن نصره، وذلماً إن خذله وتخلوا عنه، كما قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كنا في الجاهلية أذلاء فأعزنا الله بالإسلام، فإذا ما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله".

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله، قال: حدثني أم شريك أن رسول الله ﷺ قال: "لَيَفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ حَتَّى يَلْحَقُوا بِالْجِبَالِ". قالت أم شريك: يا رسول الله فأين العرب يومئذٍ؟ قال: "هم قليلٌ"[1]. فسؤال أم شريك عن العرب يومئذٍ يوحي بما يجب على العرب خاصة من نصرة لهذا الدين: وكأنها تريد أن تقول: كيف يؤول أمر الناس إلى أن يلتحقوا بالجبال خوفاً من الدجال .. والعرب موجودون .. فأين العرب يومئذٍ يا رسول الله الذين من شأنهم نصرة هذا الدين ودفع طغيان الطواغيت؟!!

فأجابها ﷺ: "هم قليلٌ": أي هم قليل يومئذٍ ..!

لماذا هم قليل ..؟!!

هم قليل لأنهم مادة الجهاد والاستشهاد .. فما أن ينادي منادي الجهاد في أي بقعة من بقاع الأرض إلا وتجد من العرب من يلبي ذلك النداء .. وفي كثير من الأحيان يكونون قادة الجهاد وعصبه وركنه وطليعته[2] .. ومن كان كذلك لا شك أنه عرضة للقتل والموت والاستشهاد .. لذا فهم قليل[3]! وفي الحديث الضعيف: "أحبوا العرب وبقائهم؛ فإن بقاءهم نور في الإسلام، وإن فناءهم ظلمة في الإسلام"[4].

¹ صحيح سنن الترمذي: 3084.

² حتى في هذه الأيام حيث ما من موقعة ولا ساحة يُعلن فيها الجهاد إلا ويفزع لها نخبة من شباب العرب المسلم المجاهد ملبيين نداء الجهاد في سبيل الله متحدين الصعاب الجمّة التي تعترض مسيرتهم وحركتهم وجهادهم .. وما أن يعلم العدو أن في الساحة مجاهدين من العرب إلا وتراه يحسب لواحدهم ألف حساب لما يرى منهم من الشجاعة، والرجولة، والإقدام!

³ مما يدل على ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: "إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقسَمَ ميراث ولا يُفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونَحَّأها نحو الشام، فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام. قلت: الروم تعني؟ قال: نعم.

ثم قال: فإذا كان اليوم الرابع. أي من المعركة. نَهَدَ إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدِّيرة عليهم. أي الهزيمة على أعدائهم. فَيَقْتَتِلُونَ مقتلة لا يُرى مثلها، وإما قال: لم يُرى مثلها، حتى أن الطائر ليمر بجناياتهم فما يُخْلِفهم حتى يغرَّ ميتاً. فيتعادُّ بنو الأب كانوا مائة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يُفرح، أو أي ميراث يُقاسم، فبينما هم كذلك إذا سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصرخ: إن الدجال قد خَلَفهم في ذرايعهم ..!"

⁴ السلسلة الضعيفة: 578. قلت: الحديث وإن كان ضعيفاً إلا أن معناه صحيح قد دلت عليه مجمل نصوص الشريعة. من ذلك ما جاء في فضل الشام وأهله، كما في قوله ﷺ: "عليكم بالشام، فمن أبى فليلحق بيمينه.

هذه المكانة للعرب في الإسلام لا يجوز أن ننكرها أو نجحدها، ولكن لا يجوز أن تكون كذلك مدعاة أو مبرراً للدعوة إلى العروبة أو "القومية العربية" التي تقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة والحياة، وعلى تكريس مبدأ عقد المواولة والمعاداة، وكذلك تقسيم الحقوق والواجبات على أساس الانتماء القومي للجنس العربي بغض النظر عن العقيدة والدين والعمل .. ومبدأ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

فالقومية العربية أو العروبة بهذا المفهوم الأنف الذكر هي دعوة عصبية جاهلية نتنة حرمها الإسلام وحذر منها أيما تحذير، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن".

وقال ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا".

وقال ﷺ: "من ادعى دعوى الجاهلية فإنه جثا جهنم . أي من جماعات جنهم . فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ فقال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله التي سماكم: المسلمين، المؤمنين، عباد الله".

وقال ﷺ: "ليس منا من دعا بدعوى الجاهلية".

وقال ﷺ: "إن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا".

وليستق من غدره، فإن الله ﷻ قد تكفل لي بالشام وأهله". أي تكفل الله لنبيه بنصرة هذا الدين بالشام وأهله .. ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه.

وقال ﷺ: "ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام". وقال ﷺ: "لن تبرح هذه الأمة منصورين أينما توجهوا، لا يضرهم من خذلهم من الناس حتى يأتي أمر الله، وهم بالشام". وقال ﷺ: "إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم". وقال ﷺ: "عقر دار المؤمنين بالشام". وغيرها كثير من الأحاديث الصحيحة التي تدل على فضل الشام وأهله .. والشام وأهله جزء من العرب.

وهناك أحاديث عديدة كذلك تدل على فضل المدينة المنورة وساكنيها، وكذلك اليمن وأهله .. وكذلك الجزيرة العربية واستتناؤها من أن يسكنها مشرك غير موحد .. وهم جزء من العرب.

الْعُرُوبَةُ وَالْإِسْلَامُ

وقال ﷺ: "لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا أبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب".

وغيرها كثير من النصوص الشرعية التي تحرم العصبية القومية التي تُفاضل، وتوالي وتعادي على أساس الانتماء القومي أو غيره من الانتماءات العصبية الجاهلية.

وفي ذلك رد على بعض الدعاة والكتاب المعاصرين المصايين بلوثة الهزيمة النفسية والفكرية الذين يُحاولون تزلفاً مدهانة القومية والقوميين العرب على اعتبار أن ما كان من خلاف وتنافر بين الإسلام والإسلاميين من جهة وبين العروبة أو القومية والقوميين العرب من جهة ثانية لم يكن مُبرراً وليس له داعٍ إذ لا تعارض بين الإسلام والعروبة، ولا بين الدعاة إلى الله تعالى وبين الدعاة إلى القومية العربية أو العروبة .. فكل منهما حاضن للآخر .. لذا فإن المعركة القديمة الحديثة بين الطرفين لا بد من أن تهدأ وتزول، ليحل مكانها التلاقي والوئام!

كثير من الدعاة والكتاب المعاصرين . عن قصد أو غير قصد . لا يفرقون بين العرب والعربي والعربية وبين العروبة، ولا بين الوطن والموطن وبين الوطنية، ولا بين العشيرة أو القبيلة وبين العشائرية أو القبلية، ولا بين الناس، والإنسان، وكرامة الإنسان وحقوقه وبين الإنسانية كشعار ومبدأ يغيب عقيدة الولاء والبراء في الله .. فيخلطون بينهما عند الحديث عنهما وكأنهما شيء واحد في الدلالة والمعنى، فيخلطون بذلك حقاً مع باطل .. فيَخلطون ويُخلطون!

تراهم يستدلون بالأدلة الدالة على شرعية مصطلح ومعنى العرب، والعربي، والعربية على شرعية مصطلح ومعنى العروبة الدال على معاني التعصب القومي المقيت والمذموم ..!

وتراهم يستدلون بالأدلة الدالة على شرعية مصطلح ومعنى الوطن، والموطن، وحب الديار وموطن المنشأ على شرعية مصطلح ومعنى الوطنية الدال على العبودية للوطن من جهة عقد الموالاتة والمعاداة، وكذلك الحقوق والواجبات على أساس الانتماء لحدود الوطن .. وتغيب وإلغاء كل ولاء وبراء يتعارض مع الولاء الوطني .. كما هو مشاهد في كثير من الأمصار!

وتراهم كذلك يستدلون بالأدلة الدالة على شرعية مصطلح ومعنى العشيرة أو القبيلة على شرعية مصطلح ومعنى العشائرية أو القبلية التي تعني عقد الموالاتة والمعاداة، والحقوق والواجبات على أساس الانتماء القبلي العشائري ..!

وتراهم كذلك يستدلون بالأدلة الدالة على شرعية مصطلح ومعنى الإنسان، وكرامة الإنسان وحقوقه على شرعية مصطلح ومعنى الإنسانية كمبدأ يُعلن الموالاتة والمؤاخاة بين الإنسانية جمعاء بغض النظر عن اعتبار العقيدة والدين .. وميزان التقوى وأيكم أحسن عملاً .. وهذا من التلبيس والتضليل الذي ينبغي أن نحذره ونُحذِر منه .. وهو كذلك علامة على حجم الهزيمة النفسية الفكرية التي يُعاني منها أولئك الدعاة أو الكتاب أمام التيار القومي العربي المهترئ المتآكل التي لم تجن الأمة منه إلا الذل والهزيمة، والتخلف والدمار!

الاتجاه القومي العربي . منذ قرابة القرن وإلى الساعة . إضافة لما جلبه على الأمة من ذل وهزائم، وتخلف ودمار فهو . بحكم مناقضته لعقيدة الأمة ودينها . لم يستطع أن يحقق شيئاً من أهدافه التي ملأ بها الدنيا ضجيجاً وعبثاً ..!

لا على المستوى الوحدة العربية قد حققوا شيئاً .. بل هم من تفرق وتشرذم إلى آخر، ومن ضعف إلى آخر [1]!

ولا على مستوى التضامن العربي والدفاع العربي المشترك قد حققوا شيئاً .. فهم بعضهم على بعض أعداء ألداء أكثر مما هم على أعداء الأمة من خارجها .. بل هم يد مع العدو الخارجي المستعمر على بعضهم البعض!

ولا على مستوى التضامن الاقتصادي والتكافل الاجتماعي العربي كذلك قد حققوا شيئاً .. فهم من تخلف إلى تخلف، ومن فقر إلى فقر .. ومن جهل إلى جهل!

¹ يستدلون بالوحدة الأوربية على إمكانية تحقيق الوحدة العربية على أساس قومي .. ولهؤلاء نقول: الوحدة الأوربية لم تقم على أساس قومي، فهي من قوميات شتى ومختلفة .. ولكن الذي جمع فيما بينها على تعدد قومياتها أمران: الدين .. والمصلحة، لذا نجدهم إلى الساعة لم يسمحوا بانضمام تركيا إلى وحدتهم رغم أنها دولة علمانية إباحية معادية للإسلام والمسلمين، والسبب أنها لم تُصنف كدولة صليبية كباقي دول الاتحاد الأوربي! والقوميون العرب وإن كانوا قد يظهرون بأنهم حريصون على المصلحة إلا أنهم ليسوا بحريصين على الدين الإسلامي، ولا على التعامل معه كسبب لا يمكن للعرب أن يجتمعوا إلا عليه .. ولا يمكن أن يكون لهم شأن إلا به .. ثم ليتهم انتهى موقفهم عند عدم الاهتمام والحرص .. بل تعدوا ذلك إلى إعلان الحرب الشعواء على الإسلام وأهله وكل ما يمت لهذا الدين من صلة .. فحق عليهم هذا الذل والتفرق والعذاب، والدمار!

العزوبة والإسلام

ولا على مستوى تحرير البلاد المغتصبة في فلسطين وغيرها قد فعلوا شيئاً .. بل هم من خيانة إلى خيانة .. ومن هزيمة إلى أخرى .. إلى أن أوصلوا الأمة إلى موصل لا تُحسد عليه!
ومع كل ذلك وبعده نجد بعض الكتاب المعاصرين من ذوي الاتجاه الإسلامي يمدون لهم . بعد أن أذلمهم الله وأخزاهم . حبلاً من القوة والحياة بمداهنتهم، والاعتراف بشرعيتهم وشرعية حكمهم وتوجيههم القومي .. على اعتبار لا تعارض بين العروبة والتوجه القومي وبين الإسلام، وأن المعركة بينهما مفتعلة لا مبرر لها!

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة
أبو بصير الطرطوسي

1424/03/05 هـ

2003/05/06 م

الشيعة والعراق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

كنا نود . ولو لمرة واحدة . أن نكذب أنفسنا وأعيننا وما ذكره التاريخ من مواقف الخزي والخيانة

والغدر عن الشيعة الروافض!

كنا نود . ولو لمرة واحدة . أن نصدق الشيعة الروافض بأنهم شرفاء .. وأنهم مع الأمة وليس ضدها

.. وأن المعاصرين منهم لا يتحملون إرث آبائهم وأجدادهم في الخيانة والغدر والعمالة !!

ولكنهم يأبون . وفي كل مرحلة من مراحل الضيق والشدة التي تمر بها الأمة . إلا أن يشهدوا على

أنفسهم بالقول والفعل بأنهم خونة عملاء .. كانوا ولا يزالون مع الغزاة المحتلين على الأمة وأبنائها!

حقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين أعمى بصائرهم وأبصارهم .. وجعلهم يستعذبون سياط

وسطو الغزاة المحتلين على الحرمات، والأرض، والعرض، ويرون في غزوهم للبلاد والعباد أخف ضرراً من

أن تقوم للإسلام والمسلمين قائمة أو شوكة!

فهاهم اليوم .. علانية وبكل جرأة ووقاحة .. يعلنون ظاهراً وباطناً وبالقول والعمل أنهم مع الغزاة

المحتلين للعراق .. وأن المقاومة العراقية لا تخدم العراق .. وأن المقاومين المجاهدين شذمة قليلون ..

وهم من فلول النظام .. فرضوا بذلك لأنفسهم أن يكونوا عين الغازي المحتل التي تدله على عورات

وبيوت المجاهدين .. وما غاظهم كل هذا الغيظ من المقاومة العراقية إلا أنها سنية إسلامية .. وانطلقت

من مدن وقرى المسلمين السنة!

ومما بلغ بهم حقدهم الدفين أن تنادت أئمتهم بقتل المسلمين السنة تحت زعم قتل البعثيين

الذين كانوا مسؤولين عن جرائم النظام البائد .. وفاتهم أن جل أتباع حزب البعث العراقي .. وجل جلاديه

كانوا من الشيعة الروافض .. عقيدة التقية الشيعية هي التي سمحت لهم بأن يفعلوا ذلك وأن يتخذوا

تلك المواقف ويقتلوا أنفسهم بأنفسهم .. وهم أنفسهم عملاً بعقيدة التقية قاتلوا مع النظام العراقي

البائد إخوانهم من الشيعة الروافض في إيران على مدار أكثر من ثمان سنوات .. وهاهم اليوم يجندون

الشيعة والعراق

أنفسهم للعمل والقتال في جيش يعمل تحت إمرة الغزاة المحتلين .. ولا ندري هذه التقية في أي وادٍ ستجعلهم غداً يقفون .. وفي سبيل أي طاغوت يُقاتلون ويموتون!

هذا الموقف ذاته وقفوه من قبل في أفغانستان لما غزا الأمريكان بلاد الأفغان؛ حيث وجد الغازي المستعمر في الشيعة الروافض النصير والحليف والمعين على البلاد والعباد ..!

انظروا إلى مدنها وقراها وأماكن تواجدهم في العراق .. لا تكاد تجد لهم حراكاً ضد الغزاة المحتلين .. ضاعت العراق .. وضاع ما فيها ومن فيها .. وهم يتباكون على حوزاتهم وحسينياتهم المبتدعة! البلاد تُغتصب .. والعباد تُنتهك حرمتها .. وهم يتنادون: نريد الحوزة العلمية .. نريد الحوزة العلمية! العلمية!

شغلهم المستعمر الكافر بنهب القبور القديمة .. وساعدهم بألياته على نبشها وإخراج ما فيها من عظام مهترئة متآكلة ليتباكوا عليها .. وليغطي على ضحايا جرائمه التي يرتكبها يومياً بحق الشعب العراقي المسلم .. التي تجاوزت آلاف القتلى .. والتي لم يتوقف نزيف دماؤها بعد! نبشوا قبور الأموات .. ليستعطفوا المستعمر الكافر على حالهم عسى أن ينالهم منه بعض الفتات .. وتركوا الأحياء يتلبطون بدمائهم .. ألا ما أخف عقول الشيعة الروافض، وما أيسر الضحك والكذب عليهم .. هذا إذا وجد عندهم عقول يفكرون بها!

وعليه فإننا نقول: أيما جريمة قتل .. أو اغتصاب .. أو سطو ونهب .. تحصل في العراق فالمسؤول عنها اثنان لا ثالث لهما: الغزاة الأمريكان .. لما يملكون من قوة تمكثهم من أن يمنعوا من ذلك ثم لم يفعلوا بل يفعلون ويحرصون على العكس .. والشيعة الروافض لحقدهم الدفين، ولما يملكون من تصورات وأيدلوجيات دينية خاصة بهم تبيح لهم الاعتداء على حرمت المسلمين ولو كانوا من أبناء جلدتهم وأوطانهم .. فنداء الحقد الدفين في نفوسهم البغيضة أقوى من كل وشيجة ورباط .. هذا واقع ملموس نشاهده .. لا ندعيه ولا نزعمه!

أيما حدث أو جرم يقع في العراق لا يمكن للمسلمين في العالم أن يُفسروه غير هذا التفسير .. وسكوت وسائل الإعلام . رهبة أو رغبة . عن هذه الحقيقة الظاهرة .. لا تمنعنا من أن نشير إليها ونبينها

الشريعة والعراق

للناس .. لتضاف هذه الجرائم والخيانات إلى سجل الشيعة الروافض الضخم المليء بالغدر والخيانة والعمالة .. وليزدادوا إثماً على إثم، وكفراً على كفر.. وبعداً عن الأمة وجسدها .. والله تعالى حسيهم في الدنيا والآخرة.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/04/20 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/06/20 م

حتى لا يفقد العلماء دورهم

حتى لا يفقد العلماء دورهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فإن العلماء ورثة الأنبياء في العلم والعمل، والبذل والعطاء والجهد.

هم محطة ثقة الناس وآمالهم .. إذا ما داهمتهم الخطوب الجسام.

هم الذين يُصلحون إذا فسد الناس .. ويتصدون للتيارات الهدامة الباطلة الجارفة بالناس نحو

الهاوية والهلاك!

هم القادة والمصلحون الذين يقودون العباد والبلاد إلى بر السلامة والأمان والنجاة.

هم الطليعة الذين يتقدمون الشعوب نحو كل خير، لذا أمر الله تعالى بطاعتهم، وخصهم بالذكر

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: 59. وفي

قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: 43. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ

الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا

فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: 83. فمن أولي الأمر الذين يعلمونه

ويستنبطونه .. الذين تجب طاعتهم بالمعروف .. هم العلماء العاملون.

هذا هو دور العلماء .. وهكذا كانوا .. وهكذا يجب أن يكونوا!

ولكن عندما يرضى العالم لنفسه خلاف ذلك؛ يرضى أن يكون بوقاً للطواغيت الظالمين .. يبرر

ظلمهم وكفرهم ويزينه في أعين الناس .. ويصبغ عليهم وعلى نظامهم الشرعية بعبارات الإطراء والولاء

والفداء .. ويمنع من جهادهم والإنكار عليهم .. فإنه مباشرة يفقد دوره الريادي القيادي المناط به، ليصبح

من التابع الذين ضلوا وأضلوا .. ويكون مثله في ذلك مثل سحرة فرعون قبل أن يقولوا ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ

وَمُوسَى﴾ .

عندما يرضى لنفسه أن يعمل . عند الطاغوت . كشاهد زور .. فكل ما يصدر عن الطاغوت .. وكل

ما يصب في خدمته وخدمة نظامه وأمنه .. فهو زين وحق .. وكل ما خالف هوى الطاغوت .. وخالف

سياسته ونظامه .. وكان فيه خطر عليه وعلى نظامه وأمنه .. فهو شين وباطل .. عندما يكون العالم

حتى لا يفقد العلماء دورهم

كذلك فإنه مباشرة ينسلخ من علمه ومن صفة ومسمى العلماء الناصحين .. ويفقد دوره . المناط به . في قيادة البلاد والعباد .. ليصبح مثله . في أعين الناس وعند الرب ﷺ . مثل الكلب ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ .

عندما يسخر العالم علمه وما يحفظ من نصوص شرعية لإحقاق باطل أو إبطال حق قرينة للطواغيت الظالمين .. طمعاً بالفتات الذي بين أيديهم .. فإنه مباشرة يفقد دوره الريادي . المناط به . في قيادة البلاد والعباد الذي يجب أن يكون .

عندما يرضى العالم لنفسه أن يكون الأداة التي يؤدب بها الطاغوت مخالفه ومعتضيه .. أو أن يكون عبارة عن كاسحة ألغام تزيل كل عقبة تعترض الطاغوت وتعترض نظامه .. فإنه حينئذ مباشرة يفقد دوره الريادي . المناط به . في قيادة البلاد والعباد .

عندما يتحول العالم إلى عقبة كأداء تمنع الشعوب من التغيير إلى الأفضل .. ومن العمل والانطلاق من أجل حياة أفضل .. لتحيل بينهم وبين أن يستأنفوا حياة إسلامية راشدة على منهاج النبوة .. فإنه حينئذ مباشرة يفقد دوره الريادي . المناط به . في قيادة البلاد والعباد .

أعجب من شيوخ يحفظون قوله ﷺ: "ما لم تروا منهم كفراً بواحاً"، ويدرسونه تلاميذهم ثم هم يمنعون من الخروج على طواغيت اجتمعت فيهم جميع نواقض الإيمان وخصال الكفر والمروق .. ويجرمون ويبعدون كل من يفكر بالخروج عليهم !!

وهؤلاء في حقيقتهم يُجرمون ويُبدعون الرسول ﷺ .. سواء علموا بذلك أم لم يعلموا! الذي يجرم ويُخطئ من يعمل بسنة من سنن الرسول ﷺ لكونه يعمل بهذه السنة، ويعمل على إحياها .. فهو في حقيقته . علم أم جهل . يُجرم ويُخطئ النبي ﷺ صاحب هذه السنة .. فليتنبه هؤلاء الشيوخ . دعاة السنة زعموا . فإنهم يلعبون بالنار وهم يدرون أو لا يدرون!!

عندما تقتصر همم العالم ووظائفه على الوعظ والإفتاء بعيداً عن واقع الأمة وآلامها ومشاكلها .. وتنحصر حركته ونشاطاته في المسجد وزواياه وحسب .. فإنه بذلك يُصبح . شاء أم أبى . عالمي العقيدة .. علمانياً في واقعه وعمله وحياته .. وهو بذلك لا شك أنه يفقد دوره الريادي . المناط به . في قيادة البلاد والعباد .

حتى لا يفقد العلماء دوزهم

كثير من الناس اقتنعوا بفصل الدين عن الدولة والسياسة والحياة .. وبصواب ما تقوم عليه العلمانية من مبادئ باطلة .. عندما رأوا كثيراً من دعاة المسلمين وشيوخهم .. يفصلون في واقع حياتهم واهتماماتهم ونشاطاتهم .. وبلسان حالهم .. بين الدين وبين السياسة وشؤون الحكم والحياة .. واقتنعوا بأن العمل القيادي . في جميع ميادين الحياة . ليس من اختصاصهم ولا خصائصهم .. وإنما هو من خصائص ووظائف غيرهم من الطواغيت الظالمين!

لو تحررت عن طموح أحدهم من وراء دراسته للشريعة والعلوم الإسلامية لوجدتها تنحصر في أن يُصبح إماماً في مسجدٍ يؤم فيه المسلمين في صلاتهم .. أو نائب إمام .. أو ليصبح خطيب جمعة يُكرر ما يُملأ عليه ويُطلب منه .. أما الذي يؤم الناس خارج المسجد في جميع مجالات الحياة وميادينها وساحاتها الأخرى: السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والعسكرية وغيرها من مجالات الحياة .. فهو الطاغوت .. وقساوسة الطاغوت!!

بزعم الزهد من الإمارة زهدوا من القيادة ومهامها .. وهذا من تلييسات إبليس عليهم وإغوائه لهم! فالعالم إن وسعه الزهد بالإمارة فإن المهام الثقال الملقاة على عاتقه تمنعه من أن يزهد بالقيادة .. فكل عالم رباني . وإن لم يكن أميراً . فهو قائد للجميع، وناصح للجميع، ومعلم للجميع، ومرشد للجميع، وشاهد على الجميع .. لا يجوز له أن يرضى بأقل من ذلك!

العزبن عبد السلام لم يكن أميراً .. ولكنه كان قائداً يبيع الأمراء في سوق العبيد ليصبحوا أحراراً! الإمام أحمد بن حنبل لم يكن أميراً .. ولكنه كان بمفرده الجماعة التي يلتزم غرسها .. وكان القائد الذي تهابه الملوك والأمراء .. أكثر مما تهاب جيوش الأعداء!

شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن أميراً .. ولا رجل دولة بعينها .. بل قضى كثيراً من أيامه في غياهب سجون أمراء الظلم .. ومع ذلك كان القائد الذي يرضى الأمة بكاملها .. ويوجه الأمة بكاملها .. بشعور المسؤول عن كل فردٍ من أفرادها!

أيها العلماء .. من قبل راجت مقولة خبيثة بين الناس تقول أن "الدين أفيون الشعوب" بسبب بعض الممارسات الخاطئة ممن ينتسبون لهذا الدين من المتصوفة وغيرهم .. وهامم اليوم بسبب ما يرونه من خذلان لهذا الدين ولأمة هذا الدين من قبل بعض الدعاة والشيوخ .. الذين يباركون واقع الطواغيت .. ويأبون التغيير .. يقول كثير من الناس: إن الشيوخ يخدرون الشعوب .. وهم أفيون الشعوب

حتى لا يفقد العلماء دوزهم

.. كلما ظهرت بازغة خير وصحوة وجهاد هنا وهناك .. تعاونوا . مع الطاغوت . على وأدها .. وعلى تجريمها .. وتجريم أصحابها في أعين الناس!

كلما بزغت بازغة خير وجهاد .. قالوا للناس: هذه فتنة .. نحن لا نحتاج إلى هذا .. بلادنا بخير .. وحكامنا بخير .. ولا ندري أي خير يعنون ويقصدون!!

أيها العلماء .. إني أعيدكم من أن تتخلقوا بهذه الأخلاق .. فموطن التخذيّل والتثبيط .. والرضى بواقع الطواغيت الظالمين ليس موطنكم .. ولا المكان الذي يليق بأقل المسلمين شأنًا فضلاً عن أن يليق بكم!

أيها العلماء .. الشعوب سئمت كفر وفجور وظلم وتبذير وعمالة طواغيت الحكم الجاثمين على صدر الأمة ومقدراتها .. وهي تريد التغيير وتسعى له .. وهي ماضية فيه لا محالة .. فالمرجو منكم أن تكونوا القادة لأي عملية تغيير تُقدم عليها الأمة .. لا أن تقفوا عقبة كأداء في طريقها!

أيها العلماء .. إن خذلتكم شعوبكم وكذبتموهم .. وأبيتم قيادتهم في الشدة وهم في طريقهم نحو التغيير المنشود .. فإن الشعوب ستتجاوزكم .. وتلعنكم .. وقد تبحث عن قادة غيركم .. يتكلمون بألسنتنا لكنهم على غير ملتنا .. والمسؤول حينئذٍ أنتم!

أيها العلماء .. قد فسد حكامنا .. فلا يُضاف إلى فسادهم وطغيانهم فساد العلماء .. فهلك حينئذٍ البلاد والعباد .. وتغرق السفينة بمن فيها من الصالحين والطالحين .. فيقع الندم، ولات حين مندم!

رحم الله ابن المبارك القائل:

وهل أفسد الدين إلا الملوک ... وأخبارُ سوءٍ ورهبانها

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/06/06هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/08/04م

الشعوب والأنظمة وأمريكا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعني بالشعوب: الشعوب العربية والإسلامية .. وبالأنظمة: الأنظمة العربية الحاكمة في بلاد المسلمين .. وبأمريكا: أمريكا ومن دخل في حلفها وفلكها وسياستها من دول الكفر والظلم والاستعمار. لا خلاف بين جميع المراقبين والعقلاء أن المستعمر المعاصر خرج من بلاد العرب والمسلمين بنفسه بعد أن أبقى فيها من بني جلدتنا من ينوب عنه في حكم البلاد والعباد وفق قوانينه وشرائعه .. وليسهر على حماية مصالحهم. نيابة عنهم. في البلاد .. هذا أمر لم يعد يخفى على أحد، كما لا يختلف عليه اثنان! وبالفعل فإن الأنظمة العربية الحاكمة على اختلاف مسمياتها الجمهورية والملكية، وعلى اختلاف مراحلها وتقلباتها قد حفظوا المهمة جيداً، وأدوا الأمانة الاستعمارية الملقاة على عاتقهم، فانصب جل اهتمامهم. طيلة فترة حكمهم. في أمرين:

أولهما: حماية مصالح أمريكا ودول الغرب في المنطقة .. والتي منها حماية وحراسة دولة الصهاينة اليهود من غضب الشعوب المقهورة والمسلوبة الحقوق .. يقومون بهذا العمل كئمن يدفعونه مقابل السماح لهم في البقاء على سدة الحكم! وهذا لم يكن مانعاً. من قبيل تضليل الشعوب وتنفيس نغمتهم. أن تمارس هذه الأنظمة العميلة. كلما احتاجت إلى ذلك. سياسة الكلاب النابحة ضد الاستعمار .. والصهيونية .. والإمبريالية .. المهم أن لا تتعدى سياسة ومرحلة الجعجعة والنباح!

ثانياً: حماية عروشهم وأنظمتهم وامتيازاتهم .. وثرواتهم .. من غضب الشعوب وانقلابها عليهم .. وهم من أجل ذلك بنوا المؤسسات الأمنية القمعية العديدة .. وأنفقوا عليها ثروات طائلة .. وجهزوها بجميع وسائل القمع والإرهاب .. إمعاناً في إذلال الشعوب وقهرهم .. وهضم حقوقهم! جل أنشطة هذه الأنظمة. لو تأملتها. تجدها مقصورة على هذين المجالين لا تكاد تتجاوزهما: السهر على حماية مصالح أمريكا ودول الغرب في المنطقة .. والسهر على حماية عروشهم وأنظمتهم .. وما سوى ذلك فله الموت .. وهو لا يعنهم في شيء .. ولا ينال منهم أدنى اهتمام ولا اكتراث!

الشعوب والأنظمة وأمريكا

المصلحة العامة .. والمصلحة الوطنية .. والسياسة العامة .. والموازات الدولية .. والوحدة الوطنية .. وأمن الدولة .. والأمن الوطني .. والظروف الدولية .. هذه المرادفات وغيرها عندما تستخدمها هذه الأنظمة العميلة . وما أكثر ما تلوكها . فهي تعني بها شيئين: حماية مصالح ومكاسب دول الأسياد .. وحماية مصالح عروشهم وأنظمتهم!

لنلقي نظرة على الحياة الاقتصادية الصناعية لهذه الأنظمة .. رغم مضي عدة عقود على حكمها وتسلسلها على الرقاب .. فهم من تخلف إلى تخلف .. ومن فقر إلى فقر .. ومن جهل إلى جهل .. وكأنهم لا يعيشون ضمن حركة هذا العالم!

وفي المجال العسكري .. فهم من ضعف إلى ضعف .. ومن عجز إلى عجز .. ومن هزيمة إلى هزيمة .. سلاحهم المهترئ إلى الساعة يستمدونه من أسيادهم أعداء الأمة .. يفشلون أمام أدنى تهديد خارجي لأمن البلاد والعباد .. قالوها أكثر من مرة .. بيوتنا . أنظمتنا . عورة وهي من زجاج لا تتحمل أدنى هزة أو ضربة .. وبالتالي لا بد لنا من الاستسلام والرضى بالأمر الواقع الذليل .. وتنفيذ ما يُملَى علينا من أمريكا وغيرها من دول الأسياد .. من دون أدنى ترددٍ ولا اعتراض .. ولا ندري ما الذي أجبرهم . بعد عدة عقود من الحكم والتسلط على البلاد وثرواتها . أن تكون بيوتهم من زجاج وفخار .. ولا تكون من حديد وفولاذ .. سوى العمالة والخيانة لهذه الأمة .. وانتفاء العزيمة والإرادة في الدفاع عنها وعن مقدساتها!

وفي مجال الحياة الاجتماعية .. فإن الشعوب . بسبب من هذه الأنظمة العميلة الخائنة الفاسدة . تعيش الفقر، والجوع، والمرض .. والذل .. والخوف .. والتخلف .. والفساد .. فهي مهمومة ومشغولة على مدار الوقت بكيفية تأمين لقمة العيش .. وسداد رفق من يُعيلوا من الأطفال .. لا هم لها يعلو هذا الهم إلا من رحم الله .. ولعل هذا كان مقصوداً من قبل طواغيت الحكم والظلم .. ليشغلوا الشعوب ببطونهم عن طغيانهم وعمالتهم .. وفساد أنظمتهم البوليسية .. وعلى مبدأ جوع كلبك يتبعك!

الشعوب والأنظمة وأمريكا

كما أنه مقصود من قبل دول الأسياد الكافرة .. لتبقى الشعوب المسلمة مصطفة في أواخر طوابير التخلف والجهل .. ولتبقى واقفة في خانة المستهلك المستجدي وحسب .. والعاجزة عن مواكبة عجلة التقدم عند الأمم والشعوب الأخرى!

منذ عدة عقود هذا هو واقع الأنظمة الفاسدة العميلة .. وهذا هو واقع الشعوب المقهورة في ظل هذه الأنظمة الإرهابية القمعية!

أمريكا ومعها دول الأسياد لا يعنهما من هذا الواقع شيء إلا الحفاظ على مصالحها وأطماعها في المنطقة .. فهي لا تبالي أن تدعم أشد الأنظمة الحاكمة قمعاً وديكتاتورية، وظلماً لحقوق الشعوب .. كما لا تتردد من وصفها بالرقى والتحضر والديمقراطية .. ما دامت هذه الأنظمة تؤدي دورها الخدماتي في الحفاظ على مصالح ومكاسب دول الأسياد!

متى أمريكا تهدد هذه الأنظمة .. بعصا الديمقراطية .. وبضرورة إنصاف الشعوب المقهورة .. ورفع شعارات التحرر .. عندما تقصر هذه الأنظمة في حماية وحراسة مكاسب وأطماع الأسياد!

الأنظمة الحاكمة يخافون من هذه العصا الأمريكية أشد الخوف؛ لأنهم يعلمون علم اليقين أن شعوبهم تلعنهم وتبغضهم .. وأن الشعوب لا يمكن أن تقف . في أي محنة من المحن . بجوار الجلاد الظالم حتى لو كان من بني جلدتهم .. لذا تراهم يُسارعون في إرضاء أمريكا ودول الأسياد .. وإظهار المزيد من العمل الخدماتي المجاني لهم .. ولو كان ذلك على حساب الشعوب والأوطان .. عسى أن يرضى عنهم أسيادهم من أعداء الأمة!

الأنظمة الطاغية الحاكمة .. لا يمكنها أن تُسخط شعوبها .. ودول الأسياد معاً .. وأمريكا تعلم ذلك جيداً .. لذا فهي تعمق هذه الفجوة بين هذه الأنظمة الطاغية وبين الشعوب .. لتهدد تارة الأنظمة بالشعوب .. وتارة الشعوب بالأنظمة!

المشكلة في هذه الأنظمة الحاكمة أنها ومنذ بداية عهدها بالحكم أثرت أن تقف مع دول الأسياد ومصالحها .. ضد الشعوب ومصالحها .. وضد الأمة وأمنها .. لذا تجد نفسها ملزمة على الإمعان في العمالة .. والاستمرار فيها!

الشعوب والأنظمة وأمريكا

يكفي لأمريكا .. أن توجه لهذه الأنظمة العميلة رسالة عبر الأثير .. وما إن تصل الرسالة إلى مسامع طواغيت الحكم في بلادنا .. إلا ونجدهم جميعاً يعربون عن تفهمهم للرسالة .. والتزامهم بمضمونها .. ويتسابقون . فيما بينهم . إلى تنفيذها!

بينما الشعوب تصبح .. وتتظاهر .. وتقف في طوابير الانتظار الزمن الطويل .. وترجو .. وتتملق قليلاً من حقوقها .. ثم هي بعد كل ذلك لا تلقى من هذه الأنظمة إلا الإعراض .. والإدبار .. والاستخفاف .. والقمع .. والقتل!

أدرت الشعوب المقهورة هذه العلاقة المتلازمة والمتبادلة بين دول الأسياد وبين الأنظمة العميلة .. وأدرت كذلك أن دول الأسياد والعبيد كلاهما يشتركان في وزرما وصلت إليه الشعوب من مستوى لا تُحسد عليه .. وأن ما تعاني منه ناتج عن تأمر الطرفين معاً!

هذا الإدراك للشعوب .. الذي يرافقه بين الفينة والأخرى بعض التملل والتذمر هنا وهناك .. قد أقلق أمريكا وحلفاءها .. وأضر بمصالحها وأطماعها .. مما جعلها ترفع عقيرتها .. وتتخلى عن وقارها .. وعما كانت تتظاهر به من إنسانية .. وديمقراطية .. وعدالة .. لتطالب طواغيت الحكم في بلادنا بأن يُشددوا الخناق على الشعوب .. وأن يسدوا عليهم الثغور .. وأن يُمعنوا في إذلالهم وقهرهم وتعذيبهم .. وأن يُطاردوا الأحرار منهم .. وهذا كله يتم تحت شعار محاربة الإرهاب زعموا!

هذا الطلب الأمريكي .. لأمس هوى وطبائع طواغيت الحكم في بلادنا .. فهم الخبراء العلماء والأكفأ في إذلال الشعوب وقهرها .. فقابلوا الطلب الأمريكي بالترحاب والسرور .. وتسارعوا فيما بينهم في ملاحقة الأحرار من شعوبهم .. وقتلهم .. وزجهم في السجون .. تقريباً لأمريكا وحلفائها .. كي تقر عينها!

زوروا سجلهم الحافل بإرهاب الشعوب .. إلى خبرات في مكافحة الإرهاب .. ليقدموها بسخاء إلى

أمريكا راعية الإرهاب العالمي!

المهم عند هذه الأنظمة .. أن لا تغضب عليها أمريكا .. ولا غيرها من دول الأسياد .. ولو أدى ذلك

إلى سحق الشعوب وإبادتها!

الشعوب والأنظمة وأمريكا

نقول لهذه الأنظمة الخائنة العميلة التي باعت شعوبها وأمتها بمرضاة أمريكا: رضيتم لأنفسكم أن تكونوا في خانة الملعونين على ألسنة الأجيال ما ذكرتم .. أنتم سحابة سوداء في سماء بلادنا لا بد لها من أفول وزوال .. مهما طال حكمكم وظلم أنظمتكم .. فإن العاقبة . ولو بعد حين . للحق .. وللأمة .. وللشعوب المقهورة .. وما ذلك ببعيد إن شاء الله.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/06/28هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/08/26م

وقفات مع الإصلاح السوري المزعوم

وقفات مع الإصلاح السوري المزعوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منذ أن تسلط "بشار الأسد" على الحكم في سورية كوريث وحيد لأبيه .. رفع النظام السوري شعار الإصلاح، فشكّلوا حكومة إصلاح برئاسة "محمد مصطفى ميرو" ليصلح بعض ما أفسده النظام في عهده القديم .. ولكن بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على حكم "الوريث" لم تتمكن الحكومة الإصلاحية من إصلاح شيء .. بل الأمور .. على جميع المستويات . من سيئ إلى أسوأ .. ومن ظلم وفساد إلى ما هو أشد ظلماً وفساداً!

وهاهم اليوم بعد إثبات عجز حكومتهم وفشلها في إصلاح أي شيء وفي أي مجال من مجالات الحكم والسياسة والحياة .. يستبدلونها بحكومة إصلاحية أخرى برئاسة "محمد ناجي العطري" من قبيل ذر الرماد في الأعين، والضحك على الشعوب .. وكأن المشكلة الحقيقية التي تمنع من الإصلاح تكمن في حكومة دون أخرى .. أو في رئيس للوزراء دون غيره!

ونحن نقول لهم: المشكلة الحقيقية التي تمنع من الإصلاح لا تكمن في هذه الحكومة أو تلك .. ولا في شخص رئيس الوزراء أو غيره .. ولا في خطة دون أخرى .. وإنما هناك أسباب أخرى قديمة حديثة . يعرفها الساسة المتنفذون المتسلطون . تمنع من الإصلاح، وتحيل بين أي مشروع إصلاحي من أن يأخذ طريقه إلى حيز الواقع والتنفيذ .. نجمل أهم هذه الأسباب في النقاط التالية:

أولاً: أن نظام البعث الطائفي الحاكم في سورية تحكمه حكومتان: حكومة ظاهرة قابلة للتغيير والتبديل، لا حول لها ولا قوة، مشلولة الرأي والقرار والإرادة .. تتمثل في رئيس الوزراء ووزرائه .. وهذه الحكومة دورها شكلي يقتصر على أداء المراسيم الدبلوماسية على طريقة ومبدأ "استقبل وودع .. ووقع فقط!"

وحكومة خفية ثابتة تعمل في الخفاء غير قابلة للتبديل والتغيير، بيدها جميع مقاليد الحكم والأمور .. تتدخل في الشاردة والواردة وفي أخص خصائص حياة المواطن .. تتمثل في المخابرات، والأجهزة الأمنية القمعية الأخرى!

وقفات مع الإصلاح السوري المزعوم

هذه الحكومة الخفية هي السلطة الفعلية التي تحكم البلاد والعباد .. وكلمتها هي النافذة والماضية التي لا يمكن للحكومة الظاهرة . الممثلة بالوزراء ورئيسهم . أن تخالفها في شيء أو أن تتخذ خطوة لا ترضى عنها ولا توافق عليها!!

وأياً عملية إصلاح تتعارض مع سياسة ومصالح وأهواء هذه الحكومة الخفية المخابراتية الجاسوسية .. فهي مرفوضة ومآلها إلى الفشل والانتكاس!

فأي إصلاح يُنشد ويُمكن أن يتحقق مع هذا الواقع الرهيب للنظام الحاكم ..!!؟

ثانياً: أن الطاقم القديم المرافق لعهد "حافظ الأسد" لا يزال . بجميع تراكماته المليئة بالإجرام والفساد . موجوداً على سدة الحكم والمسؤولية والقرار، ومحيطاً بالحاكم الحالي "بشار الأسد" إحاطة السور بالمعصم؛ فهم وصية حافظ الأسد لولده، وولده وصيته لهم؛ فكما أنهم حافظوا على وصية حافظ الأسد في ولده، وتنصيبه حاكماً على البلاد والعباد، فعلى ولده كذلك أن يُحافظ على وصية والده فيهم، وفي الحفاظ عليهم، وتقريبهم .. مهما بدر منهم من ظلم وفساد وإجرام! وعندما كان يشكو المواطنون السوريون فساد وإجرام واحد من هؤلاء القدماء .. كان يجيبهم رئيس النظام الحالي "بشار الأسد": "هذا وصية الوالد .. لا يمكن إزعاجه .. أو نهيه عما يفعل .. أو إقالته من منصبه!"

فأي إصلاح ينشده النظام وهذا الطاقم القديم بكل تاريخه الحافل بالفساد والإجرام لا يزال جاثماً على سدة الحكم يتصدر المسؤوليات وإصدار القرار!؟

الإصلاح بالنسبة لهؤلاء المجرمين القدماء . وصية الأسد الأب . يعني فضحهم، وبيان فسادهم وإجرامهم بحق البلاد والعباد .. وهذا مالا يمكن حصوله ما داموا قادرين على منعه وتحقيقه!

الإصلاح الفعلي الحقيقي يستدعي مراجعة ومناقشة الأسباب الحقيقية لظاهرة الفساد المتفشية في البلاد، وهذا يلزم منه الرجوع إلى الوراء إلى تاريخ ومنشأ هذه الأسباب .. ومن كان وراء هذه الأسباب، وسبباً فيها .. وهذا يعني محاسبة الرؤوس الحاكمة المجرمة المتنفذة وصية الأسد الأب، ولا بد .. وهذا مالا يمكن تحقيقه مادام هؤلاء المجرمون لا يزالون يحكمون ويتصدرون المسؤوليات والمهام العامة!

وقفات مع الإصلاح السوري المزعوم

ثالثاً: إضافة إلى ما تقدم فإن نظام البعث الحاكم في سورية نظام طائفي قائم على حكم الأقلية من الطائفة النصيرية الموجودة في المجتمع السوري؛ وهذا معناه أن الكلمة الأولى والأخيرة والنافذة هي للموظف النصيري أو الضابط النصيري مهما صغرت رتبته .. وبغض النظر عن موافقته للإصلاح والفساد، أو الحق والباطل!

لا نتعدى الحقيقة والواقعية لو قلنا أن ضابطاً نصيرياً لا تتعدى رتبته رتبة الملازم يملك صلاحيات التصرف . والحل والربط . ما لا يملكه وزير سني .. أو وزير لا ينتمي لتلك الطائفة .. وهذا واقع ملموس ومعايش لا يمكن أن ينكره أحد!

يأتي بعد الموظف النصيري درجة من حيث حرية العبث والنهب والإفساد .. الموظف الحزبي المتعصب لحزبيته وبعثيته .. فعلى قدر ما يُظهر من ولاء لحزب البعث .. والطائفة النصيرية الحاكمة .. تُرفع عنه المسائلة .. وتُطلق يده ليعبث بحقوق العباد والبلاد كيفما يشاء!

وبالتالي ما قيمة عمليات الإصلاح .. وخطط الإصلاح .. ومشاريع الإصلاح .. إذا كانت كلها معرضة لفيتو الموظف النصيري .. أو الحزبي .. فيرد منها ما يشاء ويقبل منها ما يشاء، ويُمضي منها ما يشاء؟!!

رابعاً: يحكم النظام البعثي الطائفي في سورية . ومنذ نشأته . على طريقة حكم إنسانٍ مودع .. وعلى طريقة فرصة سانحة قد لا تتكرر .. وبالتالي ينبغي استغلالها بأكبر قدر من النهب والسلب .. وليكن بعدها ما يكون .. المهم أن تشيع البطون .. وتمتلئ الجيوب المخرومة التي لا يمكن أن تمتلئ!

ترى أحدهم . نصيرياً أم حزبياً متكلفاً . يستشرف مواطن المسؤولين والوظائف المتقدمة .. وربما يقدم مقابل ذلك المال والعرض .. مقابل أن يحصل على تلك الوظيفة أو المنصب .. لا لكونه يصلح لذلك المنصب .. ولا لكي يخدم الناس .. ويبني البلاد .. ويفعل عمليات الإصلاح .. وإنما لكي يستغل موقعه الجديد . كفرصة العمر التي قد لا تتكرر . في النهب والسلب .. وأخذ الرشاوى .. والاعتداء على حرمان العباد!

لا يمكن للنصيري أو البعثي الحزبي أن يخطط ويمضي في مشاريع إصلاحية تنتفع منها الأجيال اللاحقة .. من دون أن ينتفع بها هو أولاً .. ويقطف ثمارها في حياته ولنفسه .. وذلك لضعف . إذا لم يكن

وقفات مع الإصلاح السوري المزعوم

لانعدام .شعور الانتماء لديهم للأوطان التي يقطنونها .. والأمة التي ينتمون إليها .. ولشعورهم بأنهم جسد غريب عن الأمة .. دخيل على قيمها وعقيدها .. لا بد له من أفول وزوال!

النصيري ولاؤه لطائفته .. ولشهوته ونزواته .. وأيما ولاء يتعارض مع هذا الولاء فالولاء أولاً وأخراً للطائفة والشهوات والنزوات .. وبالتالي فهو لا يمكن أن يُعطي العطاء الذي يتجاوز ولاءه هذا .. يظهر ذلك في أمرين جليين: أولهما أنه لا يُعرف عن النصيرية . كطائفة وأفراد . أنها خالفت النظام النصيري الحاكم في سورية في شيء من سياساته وتقلباته وتناقضاته وخياناته على كثرتها .. فهي تدور مع الحاكم ونظامه حيثما دار، وفي الحق والباطل!

ثانياً: أنهم بعد أكثر من ثلاثين سنة من حكمهم للبلاد والعباد .. لم يقدموا للمجتمع السوري ومواطنيه إلا التخلف .. والفقر .. والجوع .. والرعب .. والقتل .. والسجون .. والتعذيب .. والمجون .. والفجور .. والإلحاد .. وهاهم . بعد ثلاثين سنة من السيرة الذاتية المقيتة . بعدما استفحل فسادهم وشهرهم إلى حدٍ لا يُطاق .. يتنادون . خجلاً من الرأي العام . إلى الإصلاح !!..

أي إصلاح هذا الذي يريدونه وراعي الإصلاح يفقد الإصلاح وهو إما نصيري طائفي متنفذ تقدمت بعض أوصافه وخصاله .. أو متحزب متعصب لبعثيته وحزبيته يمتطي حزب البعث كوسيلة لإشباع شهواته، وتحقيق مآربه وأطماعه الخاصة .. لا هم له إلا كيف يملئ جيبه المخروم .. وكيف يسطو على حرمان وحقوق العباد!

خامساً: أيما مواطن يريد أن يستثمر ماله في سورية أو يبدأ بمشروع اقتصادي يعود عليه وعلى البلاد بالخير والفائدة يجب أن يكون وراءه نصيري قوي أو واحد من الشلة الحاكمة المتمكنين كواسطة يحميه من بقية اللصوص الأخرى، ويُسهل عليه المعاملات والإجراءات التي غالباً ما تكون بالغة التعقيد .. مقابل أن يُقتطع له . وهو جالس في مكتبه . نسبة من أرباح ودخل المشروع أو المال المُستثمر .. يُقدر بحسب رتبة ومكانة اللص الوسيط .. وهذا أمر ظاهر لا يمكن إنكاره، ولا يستدعي منا إلى ذكر الأدلة والبراهين، يعرفه جميع أبناء سورية وبخاصة من حاول منهم أن يستثمر ماله في البلاد!

وقفات مع الإصلاح السوري المزعوم

وهذا المسلك اللاأخلاقي . في كثير من الأحيان . يُفسد المستثمر ذاته؛ عندما يجد وراءه لصاً
ووسيطاً متمكناً من الشلة الحاكمة يحميه .. فإنه يتجرأ على الغش، والكذب، والإفساد، وتجاوز
المنوعات!!

والسؤال: أي إصلاح ينشدونه إذا كان هذا هو واقع الاستثمار والمستثمرين عصب اقتصاد
المجتمع السوري ..؟!

سادساً: لنجاح أي عملية إصلاح لا بد من توفر الإنسان الصالح الذي يقود الإصلاح ويرقى إلى
مستوى الإصلاح؛ إذ لا قيمة للإصلاح والخطط الإصلاحية . مهما كانت جادة ونافعة . إذا فقد الإنسان
السوي الصالح الذي يقدر على أن يرفع تلك الخطط الإصلاحية ويرقى إلى مستواها .. فالإنسان هو المادة
الأساسية والأهم لأي عملية إصلاح أو تقدم أو تغيير.

إذا سلمنا بذلك . ولا بد من أن نسلم . نلقي نظرة إلى المواطن السوري والمستوى الذي وصل إليه
في ظل حكم النظام البعثي النصيري الطائفي!

فأقول: رغم أن الإنسان السوري قد عُرف بذكائه، ونشاطه، وحبه للعمل والإنتاج، والإبداع ..
إلا أنه وصل موصلاً . في ظل النظام الحاكم . لا يُحسد عليه!

فبسبب سياسة البطش، والتجهيل، والتقتيل، والسجن، والتجويد، وتكميم الأفواه، والتجسس،
ومطاردة الأحرار التي ينتهجها النظام السوري بحق أهل سورية ومواطنيها على مدار أكثر من ثلاثة عقود
فإن الإنسان السوري يعيش حالة من الرعب والخوف .. والجبن .. والفقر .. والجهل .. والانحراف ..
وعدم الثقة بالنفس .. والقلق إلى درجة المرض .. التي تمنعه من النهوض بأعباء أي عملية إصلاح أو
تغيير!

وقفات مع الإصلاح السوري المزعوم

صفوة المجتمع السوري .. علماً وفهماً والتزاماً وعطاءً .. وعددهم بعشرات الآلاف .. بين شهيد قتيل .. وسجين غيبتهم سجون وزنازين النظام الحاكم .. وطريد خارج البلاد تلاحقه وتتابع أخباره أعين جواسيس مخابرات النظام!¹

كعموا أفواه العباد .. قتلوا في نفوسهم كل فضيلة وقيمة أو خلق .. وربوهم على خلق واحد ألا وهو تمجيد الطاغوت الحاكم .. وحزب الطاغوت .. والرقص والغناء من أجل الطاغوت! لسياسة التفجير والتجويع والإذلال . على مبدأ جوع كلبك يتبعك .. وعلى مبدأ تطبيق الاشتراكية . التي ينتهجها النظام الحاكم .. فإن غالب الشعب السوري يعيش هم تأمين لقمة العيش ليسد رمقه وورق من يعيل من الأبناء والعيال!

شعب هذا همه .. وتفكيره .. لا يمكن أن يتجاوز ساحة الاهتمام بلقمة العيش .. كيف يُتوقع منه أن يُبدع .. ويُصنّع .. ويُخطط .. ويُصلح .. ويعمل على التغيير إلى الأفضل؟!

شعب يعيش القهر والخوف والذل .. وسياسة تكميم الأفواه .. على مدار أكثر من ثلاثين عاماً .. كيف يُطالب بالإصلاح أو أن ينجح في تنفيذ أي عملية إصلاح؟!

شعب يُحرّم من أن يكون له رأي فيمن يحكمه .. كما يُحرّم من أن يكون له رأي في أي شيء مما يدور حوله من شؤون بلاده وأمته .. كيف يُطالب بالإصلاح .. أو أن يرقى إلى مستوى الإصلاح؟!

لذا نقول لمن ينشد الإصلاح: قبل الإصلاح الإداري الذي تتكلمون عنه لا بد من إصلاح الإنسان الذي يقود عملية الإصلاح .. لا بد من أن ترفعوا الأغلال الثقيل عن الإنسان الذي به يتم الإصلاح .. لا بد من العمل على رفع الإنسان إلى مستوى الإصلاح .. لا بد من احترام وتكريم آدمية الإنسان .. وإلا فإن الدعوة إلى الإصلاح ستظل زعماً ولغوياً لا واقع لها!

¹ من عادة السجناء في دول العالم أن يعدوا فترة سجنهم بالأيام أو الأسابيع أو الشهور أو السنين .. بينما سجناء سورية المنسيين يعدون أيام سجنهم في سجون الطاغوت الحاكم بال عقود، وبالقرن وأجزائه؛ حيث قد مضى على كثير من سجناء الرأي كما يسمونهم . ومن غير أن يكون لهم رأي . أكثر من ربع قرن .. منهم أخي وابن عمي!! إنسان مدمر يمضي على سجنه . ظلماً وعدواناً وقتلاً لإنسانيته . ربع قرن وأزيد .. في أسوأ سجون العالم وأقدرها .. كيف تتوقعون أن يستأنف حياته من جديد .. وكيف يمكن له أن يقود أي عملية بناء أو إصلاح!

وقفات مع الإصلاح السوري المزعوم

هذه هي أهم الأسباب التي تمنع من تفعيل أي عملية إصلاح ينادي بها النظام السوري .. لا بد من تغييرها وتداركها وتصحيحها قبلاً إن كان القوم جادين فعلاً بالإصلاح وراغبين فيه .. وأيما تجاهل لهذه الأسباب . أو بعضها . فإن عملية الإصلاح ستظل حبراً على ورق، وزعماً لا واقع له ولا أثر.. مهما تغيرت الحكومات وأسماء وزرائها!

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/07/21هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/09/17م

أسرانا في غوانتانامو أمانة مُهدرة

أسرانا في غوانتانامو أمانة مُهدرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فإن أمريكا باعتقالها لمئات من المسلمين في جزيرة "غوانتانامو" الكوبية بصورة تعسفية وانتقامية، ولمدة قاربت السنتين .. ولا يزالون .. من غير محاكمة عادلة ولا حتى توجيه تهمة معتبرة . تمارس بحقهم صنوفاً من العذاب والقهر والإذلال . تضيف بذلك إلى جرائمها العديدة بحق الأمة جريمة سٌتحفر في ذاكرة الأمة وتاريخها آلاف السنين .. وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!

جريمة بحجم جريمة سجون "غوانتانامو" لا يمكن أن تُنسى .. ستظل محفورة في أذهان الأجيال يتوارثونها جيلاً بعد جيل .. يتلقونها كدليل وشاهد على الإجرام والطغيان الأمريكي الصليبي في قرننا المعاصر!

تتكلم أمريكا عن الأحقاد وضرورة إزالتها .. وهي تزرع بيدها حقولاً مليئة بالأحقاد والكراهية .. يصعب تفاديها .. أو تناسيها .. تترك آثارها المدمرة على مدى قرونٍ وأجيالٍ عدة قادمة .. قد تضطر . تلك الأجيال . لدفع ضريبة تلك الأحقاد نيابة عن الحاكم الأمريكي "بوش" وزمرته الحاكمة الحاقدة!

كم هم الطغاة الظالمون . بسبب سياساتهم الإجرامية العدوانية . الذين يجبرون الأجيال القادمة من شعوبهم على الاعتذار ودفع الضريبة الباهظة نيابة عنهم على ما قد فعلوه من جرائم بحق الشعوب الأخرى .. ولا أرى الطاغية "بوش" ومن معه في الحكم وموقع المسؤولية إلا من هؤلاء الطغاة الظالمين الذين سيجبرون شعوبهم . يوماً ما . على الاعتذار ودفع الضرائب عن الإرث الضخم من الطغيان والعدوان والإجرام الذي خلفوه!

تتساءل أمريكا . متجاهلة وكأنها لا تدري . عن أسباب تفاقم كراهية الشعوب لها؟! ونحن نقول لها: الأسباب عديدة .. منها سجون الظلم في "غوانتانامو" وأسرى المسلمين في "غوانتانامو"!

حديث أمريكا عن الديمقراطية .. والإنسانية .. وحقوق الإنسان .. والعدالة .. وغيرها من الشعارات البراقة والرنانة .. مهما علا صخبه .. وطبّلت له وسائل إعلامهم الضخمة .. وصدقه المغفلون

أسرانا في غوانتنامو أمانةً مُهدّرةً

.. فإنه لا يمكن أن يخفي معالم الظلم والإجرام والإرهاب الذي تمارسه أمريكا بحق المسلمين في سجون الكفر والظلم في "غوانتنامو"!

والذي يزيد الطين بلةً والأمر استغراباً ودهشةً .. هذا الصمت الرهيب المطبق من قبل المجتمع الأوربي والدولي على هذه الجريمة الشنعاء .. وكأن الذين في سجون "غوانتنامو" ليسوا من فصيلة البشر، تشملهم قوانين حقوق الإنسان!؟..

هل لو كان هؤلاء المعتقلين في "غوانتنامو" يهوداً أو نصارى .. كانوا سيُعاملون بهذه المعاملة .. ويُقابلون . من المجتمع الأوربي والدولي . بهذا الصمت الرهيب .. أم أنهم كانوا سينتصرون لهم .. ويضجون .. ويُقيمون الأرض ولا يُقعدونها!

بل لو كان هؤلاء المعتقلين في "غوانتنامو" كلاباً وقططاً .. لوجدنا جمعيات الدفاع عن حقوق الحيوان تشرّب وتعترض وتدافع عنهم!..

هذا الصمت الرهيب . نحو هذه الجريمة الشنعاء . من قبل المجتمع الأوربي والدولي لا يُمكن أن يُفسّر إلا على أنه رضى بالجريمة .. وموافقة عليها .. والراضي بالشيء كفاعله .. وهو كذلك رسالة صليبية عالمية تدل على أن الضحية إن كان مسلماً .. فلا حرج ولا مانع حينئذٍ من انتهاك حرمانه والاعتداء عليه .. مهما كان نوع وحجم هذه الضحية .. ونوع هذا الاعتداء .. فالمسلم . في قانونهم وأعرافهم . دمه رخيص .. لا حرمة له ولا حصانة .. ولا حقوق ولا بواكي!

والأغرب من هذا كله .. هذا التواطؤ المخيف، والصمت المطبق الرهيب من قبل الأنظمة العربية وغيرها من الدول التي تسمي نفسها زوراً بالإسلامية .. على هذه الجريمة النكراء .. وكأن الذين في سجون "غوانتنامو" ليسوا من تلك الأمصار ولا ينتمون إلى شعوب تلك البلدان!

بزعم محاربة الإرهاب .. وحتى لا يُصنّفوا من جملة الدول الداعمة للإرهاب .. سكتوا على هذه الجريمة الشنعاء .. وتواطؤوا عليها .. ورضوا بها لمواطنيهم!

هذا التواطؤ والصمت من تلك الأنظمة هو دليل إضافي على عمالة وخيانة وخسة تلك الأنظمة .. وعلى انعدام الشعور بالمسؤولية نحو مواطنيهم وشعوبهم .. وأنهم لا يعرفون من شؤون الملك والحكم

أسرانا في غوانتانامو أمانةٌ مُهدّرةٌ

إلا مصالحتهم الشخصية .. ومصالح عروشهم .. ولو كان ذلك على حساب جماجم الشعوب المقهورة برمتها!

كيف يطالبون أسيادهم الأميركيين بالإفراج عن مئات من الأسرى .. وهم يعتقلون في بلدانهم وسجونهم آلافاً من الأسرى الأبرياء .. ما من نظام من تلك الأنظمة العميلة إلا وعنده عشرات السجون مثل سجن غوانتانامو .. وفيه من السجناء أضعاف ما يوجد في غوانتانامو .. ففاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه .. كما لا يمكن أن يُطالب به الآخرين!

هذا الواقع المرير لا يسقط الواجب عن الشعوب الإسلامية التي تتعدى المليار؛ كما لا يبرر لها القعود والتقاعد عن نصرته إخوانهم المظلومين؛ حيث يجب على القادرين . فراداً وجماعات كل بحسب استطاعته وموقعه . أن يتحركوا ويعملوا، وينشطوا من أجل الإفراج عن أسرى المسلمين .. لا تُعدم الوسائل على أكثر من مليار مسلم . لو اتقوا الله حق تقاته . في الضغط على الظالمين من أجل الإفراج عن إخوانهم المظلومين.

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "فكوا العاني . يعني الأسير . وأطعموا الجائع، وعودوا المريض". وقال ﷺ: "ما من امرئٍ يخذلُ امرأً مسلماً في موطنٍ يُنتقصُ فيه من عرضه، ويُنتهك فيه من حُرْمته، إلا خذله اللهُ تعالى في موطنٍ يُحبُّ فيه نصرته، وما من أحدٍ ينصر مسلماً في موطنٍ يُنتقصُ فيه من عرضه، ويُنتهك فيه من حُرْمته، إلا نصره اللهُ في موطنٍ يُحب فيه نصرته".

فلا بد من السعي الدؤوب . ومن غير نسيانٍ ولا كللٍ ولا ملل . في فك العاني بكل الوسائل المتاحة والمشروعة .. عسى الله تعالى أن يفرج عن أسرانا في "غوانتانامو" وفي غيره من سجون الطواغيت الظالمين .. اللهم آمين.

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/07/29هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/09/25م

الديمقراطية كما نريدها وتمارسها أمريكا

الديمقراطية كما نريدها وتمارسها أمريكا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

لا نريد هنا أن نتكلم عن مزالق الديمقراطية والمآخذ التي أخذت عليها كعقيدة وفكرة وطريقة ودين .. فهذا قد تناولناه في كتابنا "حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية" وغيره من الأبحاث والمقالات .. ولكن نود أن نشير إلى الديمقراطية كما تفهمها وتمارسها وتبشر بها راعية وحامية الديمقراطية في العالم "أمريكا"!

مما يُعين على فهم الديمقراطية .فتنة العصر. وتحديد الموقف منها أن ينظر المرء إلى رعاة ودعاة وحماة الديمقراطية: كيف يفهمون الديمقراطية، وكيف يمارسونها ويطبقونها .. وماذا يريدون من ورائها لشعوبنا وبلادنا!

لا خلاف بين جميع المراقبين العقلاء للمواقف الأمريكية وسياستها أن أمريكا تتخذ من الديمقراطية ذريعة للاستعلاء .. والاعتداء .. والاستيلاء .. والتدخل في شؤون الآخرين! فالديمقراطية التي تعمل على تحقيق وحماية أطماع أمريكا .. ومصالحها .. وسياساتها الخارجية الداعمة والمؤيدة للصهيانية اليهود المستوطنين في فلسطين .. والمناهضة لأي توجه إسلامي جاد .. أو قوة إسلامية معتبرة .. فهي الديمقراطية المحمودة والمثالية والمتحضرة .. وأيما ديمقراطية تتعارض مع المصالح الأمريكية وأطماعها وسياساتها هذه .. فهي ليست بشيء .. وليست بديمقراطية معتبرة مهما تنادى أصحابها بالديمقراطية ومجدوا بها!

أمريكا تريد الديمقراطية التي تفرق الصفوف، وتشتت الكلمة .. وتُضعف الشوكة .. وذلك في تقسيمها للمجتمع الواحد . من بلاد المسلمين . المتجانس دينياً وثقافياً إلى عشرات . بل ومئات . من الأحزاب المتغايرة المتنافرة المتباغضة .. لكي تنتقي . فيما بعد . من هذه الأحزاب أقربها إلى أهدافها ومصالحها وسياساتها في المنطقة لتتكن عليها وتُظهرها .. وتهدد بها الأحزاب الأخرى .. وتتخذها وسيلة وذريعة للتدخل في شؤون البلاد والعباد .. على مبدأ فرق تسد .. وهذا كله يتم باسم الديمقراطية .. والعمل من أجل تحقيق الديمقراطية!

الديمقراطية كما تُريدها وتمارسها أمريكا

أيما بلد أو دولة تخرج عن الطاعة والعبودية الأمريكية .. فأمریکا تملك كل المبررات والمسوغات التي تبرر لها إبادة تلك الدولة وإزالتها من الوجود . كما حصل في أفغانستان والعراق . باسم الديمقراطية .. والعمل من أجل تحقيق الديمقراطية!

أيما نظام يتعارض مع الأطماع والسياسة الأمريكية . ولو اختاره غالبية الشعب . فهو نظام غير ديمقراطي .. تغييره بالقوة فيه وجهة نظر .. وخيار محتمل .. وأيما نظام يسهر على حماية ورعاية المصالح والأهداف الأمريكية .. فهو نظام ديمقراطي متحضر .. وصديق حميم يستحق الدعم والتأييد الأمريكي .. ولو كان قمة في الديكتاتورية والظلم والإرهاب بحق الشعوب .. وما أكثر الأمثلة الدالة على ذلك لو أردنا الاستطراد أو الاستدلال!

لا يحق لأي بلد مسلم أن يملك القوة التي تحرره من التبعية والحاجة لأمريكا أو غيرها من دول الغرب .. وهذا من تمام مبادئ الديمقراطية الأمريكية والغربية .. التي يسهرون على تحقيقها باسم الديمقراطية .. والحفاظ على الديمقراطية!

أيما بلد من بلاد المسلمين يتصرف بطريقة فيها استقلالية .. وسيادة .. وندية للسياسة الأمريكية .. فهو بلد غير ديمقراطي .. وبالتالي فهو عرضة لجميع أنواع العقوبات والتهديدات .. من أجل بسط الديمقراطية فيه من جديد!

لا بأس بقتل عشرات الآلاف من الناس الأبرياء .. بقنابل أمريكية ديمقراطية من نوع ووزن الطنِّ فما فوق .. وبالأسلحة الذكية الديمقراطية .. من أجل الديمقراطية .. وتحقيق الديمقراطية!

لا حرج بالصواريخ العابرة للقارات التي تدمر البيوت على ساكنيها الأمنين .. مادامت هذه الصواريخ صواريخ ديمقراطية أمريكية .. قذفت من على البوارج الأمريكية من أجل تحقيق الديمقراطية! بكل دم بارد .. يدمرون المدن على ساكنيها .. ويقتلون الآلاف من الأبرياء .. ثم يقولون: هذا الذي نفعه من أجل الديمقراطية .. وتحقيق الديمقراطية في البلاد .. فالديمقراطية سلعة غالية ولا بد من التضحية في سبيلها!

تُكَمَّم الأفواه .. وتُغلق الصحف .. ويُقتل الصحفيون .. ويُسجنون .. وتُمنع قنوات البث الفضائية من أداء عملها على الوجه المطلوب .. عندما تتحرك . ولو قليلاً . في الاتجاه المعاكس للمصالح والسياسة الأمريكية .. وهذا التصرف كله من الديمقراطية .. ومن أجل حماية مكاسب الديمقراطية .. لا تعارض

الديمقراطية كما تُريدها وتمارسها أمريكا

بينه وبين الديمقراطية مادام يصب في خدمة وصالح راعية الديمقراطية أمريكا .. ومادام أن الذي يقوم بكل هذه المصادرات والإجراءات التعسفية هي أمريكا!

لا بأس بالإرهاب ولا حرج فيه . ولو كان في أشنع صورته ومعانيه . إن كان ضحيته من المسلمين . كما هو الحال في فلسطين، وأفغانستان، والشيشان، والعراق، وكشمير وغيرها من البلدان . فهو إرهاب ديمقراطي متحضر ومشروع .. ومن أجل الديمقراطية!

الذي يمارسه الصهاينة اليهود الدخلاء بحق المسلمين من أهل البلد في فلسطين من تقتيل للأبرياء، واغتيالات، وحصارات، وعقوبات جماعية، وتدمير للمنازل .. هو. في عرف أمريكا والمجتمع الدولي الغربي الديمقراطي . قمة الحق .. وقمة الديمقراطية .. ودولة المستوطنات التي تمارس كل هذا الإرهاب .. هي دولة ديمقراطية متحضرة لا غبار عليها!

أما الذين يُقاومون الاحتلال والغزاة .. أو يفكرون بالمقاومة .. والذود عن أنفسهم وحقوقهم، وحرمتهم .. فهم إرهابيون .. وأعداء للديمقراطية .. وتصرفهم غير ديمقراطي!

انظروا إلى تجربة أمريكا في العراق .. بعد هذا الدمار والخراب الذي أحدثته في البلاد .. وأنها العباد .. وبعد أن أصاب جنودها النار التي كانت سبباً في اشتعاله .. هاهي تريد أن تنسحب انسحاباً صورياً .. ولكن بعد أن تجد البديل العراقي الذي تثق به وتتكئ عليه في تنفيذ سياساتها والمهام والواجبات نيابة عنها!

صرحت أكثر من مرة أنها لن تسمح بنظام ديني يخالف السياسة الأمريكية .. ويُخالف توجهاتها في المنطقة .. ولو اختاره كل الشعب العراقي .. وأنها لن تسمح إلا بنظام عراقي البشارة أمريكي الجوهر والمعنى .. هذه هي الديمقراطية التي تعنيها وتريدها أمريكا في العراق .. والتي تنشد أن يكون نموذجاً لغيره من البلدان المجاورة!

وهاهي أمريكا اليوم تماطل في الانسحاب .. وتماطل في توكيل من ينوب عنها من الدول في العراق .. إلى أن تتمكن من إيجاد هذا الوليد العراقي الأمريكي المشوه الذي يحقق لها مصالحها وأهدافها من وراء غزوها للعراق .. وهذا كله يتم باسم الديمقراطية .. والسهر على حماية الديمقراطية .. فأمرها لا تريد للعراق ولشعب العراق إلا الديمقراطية!

الديمقراطية كما تُريدها وتمارسها أمريكا

تتذرع أمريكا . كاذبة . بعدم وجود دستور للعراق .. وأن الديمقراطية لم تتحقق بعد .. لذا فمن المبكر الحديث عن الانسحاب والخروج من العراق .. والحقيقة أنها إلى الساعة لم تجد العميل العراقي القوي الذي تستطيع أن تركز إليه .. والذي يقدر على أن يحرس مصالحها نيابة عنها في العراق .. وإلى أن تجده فلن تتأخر ساعة في الخروج .. وإن لم تجده فهي على استعداد أن تمكث السنوات الطوال في العراق . مهما كانت تكاليف إقامتها باهظة . إلى أن تجد هذا العميل القوي!

أيما دولة من دول المنطقة . مهما كانت ديمقراطية . لا تعترف بشرعية دولة الصهاينة اليهود في فلسطين .. فهي . في نظر أمريكا والمجتمع الدولي الغربي . دولة غير ديمقراطية .. وفي محاربتها وغزوها .. وحصارها وحصار شعبيها .. وتجويعه .. وجهة نظر .. وهو خيار محتمل ومفتوح، قابل للنقاش!

ما الفرق بين الديمقراطية الأمريكية والديكتاتورية الشيوعية إذا كان كل منهما يبسط نفوذه ونظامه، ويفرضه على الآخرين عن طريق القوة، والإكراه، والدمار، والأسلحة الذكية وغيرها من الأسلحة الغبية .. بل إن ما تمارسه أمريكا ومعها دول الغرب من إجرام وعدوان على حقوق وحرمان الآخرين .. وحصارات تجويع للشعوب والدول من أجل الديمقراطية .. ما لم تفعله الأنظمة الديكتاتورية الشيوعية مع مخالفيها .. وما فعلته أمريكا الديمقراطية في أفغانستان في أيام لم تفعله روسيا الشيوعية الديكتاتورية في أشهرٍ وسنين .. وعدد الأطفال الذين قتلهم الديمقراطية الأمريكية الغربية بسبب حصارها لشعب العراق .. لم يحصل واحد بالمائة منه على يد النظام البعثي الديكتاتوري!!

فشعار أمريكا ودول الغرب: إما أن تكون مع الديمقراطية وإلا فلك الموت والجوع والفقر .. والحصار .. هو نفس شعار الديكتاتورية الشيوعية: إما أن تكون مع الشيوعية وإلا فلك الموت والجوع والفقر .. إذ لا خيار آخر لك .. لا فرق بين النظامين من حيث طريقة بسط نفوذهما ومن حيث طريقة تعاملهما مع الآخرين والمخالفين .. وإن كانت الطريقة الديمقراطية تبدوا للوهلة الأولى أنها أكثر نعومة ورقة من الطريقة الشيوعية الديكتاتورية.

لذا أقول: لا بد لبني قومي من أن يُراجعوا أنفسهم ومواقفهم من الكذبة الكبيرة الرائجة التي

تُسمى بالديمقراطية!

الديمقراطية كما تريدها وتمارسها أمريكا

كفاهم انهاراً بها، وترويجاً لها .. وتحاكماً إليها .. ومناداة بها .. وهم يعلمون أن ليس لهم في الديمقراطية حظ إلا على قدر ما يقدمونه من خضوع وتبعية وخدمة للأسياذ حماة الديمقراطية ورعاتها .. ولمخططاتهم!

ليس لهم من الديمقراطية حظ إلا على قدر انسلاخهم من عقيدة الأمة وثقافتها وأخلاقها .. ودخولهم في عقيدة الأسياذ . أرباب الديمقراطية . وثقافتهم وعاداتهم وأخلاقهم!

مهما كنتم ديمقراطيين فإنكم لن تحصلوا على شهادة أرباب الديمقراطية ورعاتها بأنكم ديمقراطيون حتى يرضوا عنكم .. ولن يرضوا عنكم حتى تتبعوا ملتهم، وتدخلوا في طاعتهم وقوانينهم، وأهوائهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ .

ثم أيما ديمقراطية قد توصل مالا ترضاه أمريكا ولا دول الغرب .. فهي نتيجة مرفوضة ومحاربة .. وغير ديمقراطية .. وفي مدى ديمقراطيتها نظراً!

فإن قيل: ما هو البديل .. هل تريد أن تحكمنا الأنظمة الديكتاتورية الفاشية؟!

أقول: نحن لسنا كغيرنا ملزمين بأحد الخيارين: إما الديكتاتورية وإما الديمقراطية .. لا .. ليس هذا ولا ذلك .. فالبديل عندنا موجود .. وهو الإسلام .. ولا شيء غير الإسلام .. وهو دين الله الكامل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/08/04هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/09/30م

هيئة كبار العلماء والسياسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

من يتتبع سيرة ومواقف هيئة كبار العلماء في الدولة السعودية يجد أنهم . ومنذ زمنٍ . قد ارتضوا . رهبة أو رغبة . لأنفسهم أن لا يقتربوا من ساحة السياسة .. وشؤون الدولة والحكم .. وإدارة البلاد؛ فالسياسة وشؤونها .. ومتعلقاتها .. لآل سعود الحاكمين والمالكين لمقدرات البلاد والعباد .. أما الشيوخ وكبار العلماء لا يجوز أن تتعدى نشاطاتهم واهتماماتهم الساحة الدينية التعبدية الفقهية .. المجردة والبعيدة كل البعد عن واقع الأمة وشؤون الحكم والسياسة .. وإدارة البلاد .. إلا ما تسمح به الأسرة الحاكمة المتسلطة . وقت الحاجة والضيق . وبالقدر الذي يخدم أهواءهم، وسياساتهم .. ومصالحهم الذاتية .. فإن تحقق الغرض حُرِّم عليهم ما أبيع لهم بالأمس!

وأیما عالم أو شيخ يخرج عن هذه القاعدة .. ويتطلع لأن يُمارس دوره الحقيقي والطبيعي نحو دينه .. وأتمته .. وبلاده .. والعباد .. فهو سرعان ما يُعاقب بالطرد من عمله .. وبسلب امتيازاته وحقوقه .. ويتعرض للاستتابة والسجن والاعتقال .. كمجرم .. أصابته لوثة خوارجية .. لا بد من أن يُعلن البراء منها .. ويدخل في الطاعة والولاء من جديد .. وما أكثر الشيوخ والعلماء في الجزيرة العربية الذين تعرضوا لهذه المعاملة الظالمة .. لو أردنا أن نذكر الأسماء!!

فإن قيل: قد رميت هيئة كبار العلماء في الدولة السعودية بتهمة كبيرة .. فما البرهان عليها؟!

أقول: راجعوا فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .. وهي تُعد بالمجلدات .. فلن تجدوا

عنهم غير هذا الوصف الذي ذكرناه!

راقبوا مجالسهم ودروسهم التي تُبث عبر القنوات الفضائية وغيرها .. فستجدونها لا تخرج عن

هذا الوصف الذي ذكرناه عنهم!

بلغت العائلة السعودية الحاكمة والمتسلطة .. قمة الطغيان، والفساد، والنهب، والإسراف،

والتبذير .. ومع ذلك لم نجد لهؤلاء العلماء الكبار قولاً ولا رأياً في ذلك!

هَيْئَةُ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالسِّيَاسَةِ

ألم يوقف رجل من آحاد المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمام الناس ليقول له: لا سمع ولا طاعة

لك يا عمر.. لماذا ثوبك أطول من ثوبي؟!!

فهل يتجرأ كبار العلماء أن يتوجهوا بالسؤال للمفسدين من العائلة المالكة الحاكمة ليقولوا

لهم: من أين لكم هذه المليارات..؟!!

من أين لكم هذه الأموال الطائلة التي تبنون بها قصوركم في أوربا وغيرها .. وهي تكلف بمليارات

الدولارات؟!!

أين تذهب خيرات الأمة .. وفي جيوب من توضع عائدات البترول وغيرها من أموال وخيرات البلاد

.. والناس يشكون الفقر والجوع والحرمان؟!!

يستبيح النظام السعودي حرمت الشباب المسلم الموحد .. وكثير من علمائهم ومشايخهم .. إرضاء

لأمريكا بزعم ملاحقة الإرهاب .. ومع ذلك لن تجدوا لهؤلاء العلماء رأياً ولا قولاً حول ذلك، وكأن الذي

يجري في البلاد لا يعنهم .. وهؤلاء الشباب لا حرمة لهم!

أمريكا تستبيح بلاد الحرمين بقواعدها العسكرية .. ولسنوات عدة .. فهل تجدون لهؤلاء العلماء

الكبار رأياً أو كلمة أو همساً حول ذلك؟!!

يضخ النظام السعودي بتروله . عصب الاقتصاد . لأعداء الأمة .. وحلفاء دولة بني صهيون ..

ومنذ زمن .. ولا يزال .. ومع ذلك لا رأي لهؤلاء العلماء في ذلك؟

ما من نظام طاغٍ وكافر يُحارب الإسلام والمسلمين .. إلا وللنظام السعودي كامل العلاقات الودية،

والدبلوماسية، والاقتصادية معه .. وفي المقابل نراه يقطع جميع العلاقات الدبلوماسية . وحتى مجرد

الاعتراف . بالدولة الإسلامية الأفغانية زمن الطالبان .. إرضاء لأسيادهم الأمريكان .. ومع ذلك لم نجد

لهؤلاء العلماء رأياً أو قولاً في ذلك؟!!

أميرهم "عبد الله" يعلن عن خطة مفادها التطبيع الكامل والشامل مع دولة الصهاينة اليهود ..

وتتناولها وسائل الإعلام .. والكل يتكلم عنها .. ومع ذلك لم نسمع لهؤلاء العلماء رأياً ولا صوتاً حول ذلك

.. إلا المباركة لكل ما يقوم به آل سعود؟!!

هيئة كبار العلماء والسياسة

هل ترون لهم رأياً في الأمم المتحدة وقوانينها .. وبرامجها .. التي تقسم العالم إلى قسمين: قسم العبيد المطيع المنفذ لكل ما يؤمر به .. وقسم الأسياد الذي يُملي ويأمر ويُطاع!!؟

هل ترون لهم رأياً في الأحلاف والمعاهدات التي تقيمها الدولة السعودية مع الآخرين!!؟

هل ترون لهم رأياً أو حكماً ولو في نظام واحدٍ من هذه الأنظمة العربية الطاغية الظالمة الجاثمة على صدور الشعوب بالحديد والنار .. والتي تحكمهم بقوانين الكفر والعهر!!؟

هل تعرفون لهم رأياً تجاه كثير من المفاهيم والمصطلحات العصرية التي تشكل عند كثير من الناس ثقافة مغايرة لثقافة الإسلام .. كالعلمانية، والديمقراطية، والإنسانية، والوطنية، والعولمة، والرأسمالية، والاشتراكية .. وغيرها من المفاهيم والمصطلحات الشائعة الرائجة!!؟

تُحَاك المؤامرات تلو المؤامرات ضد أمة الإسلام .. ثم تجدهم لا يعلمون عنها شيئاً .. وإن كانوا يعلمون .. فإنهم لا يتكلمون عنها شيئاً .. وهذا أنكى وأشد!

الأمة تُذبح من الوريد إلى الوريد .. وفي مجازر جماعية .. وفي أقطار عديدة من بلاد المسلمين .. ومع ذلك لا صوت لكبار العلماء ولا حس ولا حراك!

النظام السعودي بكل جرأة ووقاحة يعلنها صريحة: بأن مشكلة المسلمين في الشيشان .. مشكلة روسية داخلية لا علاقة لآل سعود ودولتهم بها .. وكبار العلماء يقفون كالخرسان .. لا حس لهم ولا حراك .. وكأن المسلمين في الشيشان لا تجمعنا بهم أخوة العقيدة والدين والإيمان!!

هل يجرؤون أن يُناقشوا . عبر الأثير . حقوق الحاكم وواجباته .. ما له وما عليه .. وفق ما تقتضيه تعاليم ديننا الحنيف .. ثم يُطالبون أمراءهم وحكامهم بالالتزام بهذه الحقوق والواجبات!!؟

أياً فساد يأتي من جهة الأسرة المالكة الحاكمة . مهما كان نوعه وكمه . فهو فوق المساءلة والمحاسبة والنقاش .. والسؤال عنه بدعة وفتنة .. وخلق من أخلاق الخوارج!!؟

فأي برهان تريدونه بعد كل هذه البراهين .. وأي دليل أصدق من هذه الأدلة التي تُثبت أن هيئة كبار العلماء . وغيرهم ممن دخل في سلكهم وطريقتهم من الشيوخ . في وادٍ .. والسياسة وعالمها .. والحكم وشؤونه .. في وادٍ آخر!!؟

هَيْئَةُ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالسِّيَاسَةِ

قد أضحكني شيخ شاب متحمس . في مقابلة معه في إحدى القنوات الفضائية . عندما أراد أن يُثبت أن في السعودية العلماء العالمين بشؤون السياسة ودهاليزها .. وغير ذلك من المؤامرات التي تُحاك ضد الأمة . وكأنه أراد أن يدفع هذه التهمة عن نظامه الفاسد المهترئ . فذكر الشيخ سفر والشيخ سلمان .. وفات هذا الشاب المتحمس أن هذين الشيخين قد دفعا ضريبة باهظة . ولا يزالان . جراء تجربتهما على ممارسة حقهما المشروع في الحديث عن السياسة .. وشؤون العامة والحكم .. ودروب الإصلاح .. وقد سجن كل منهما لأكثر من خمس سنوات كعقاب على جرأتهم هذه .. ولا يزال إلى الساعة الشيخ سفر يُحرم من حقه المشروع في العمل .. وفي التدريس .. ومخاطبة الناس!!

فإن قيل: فما هي العواقب المترتبة جراء هذا الانقسام والبعث لكبار العلماء عن شؤون الحكم

والسياسة ..؟

أقول: لا شك أنه يترتب عليه مزالق عدة:

منها: أن هذا الفصل بين علماء الشريعة والسياسة هو تكريس للعلمانية التي تفصل بين الدين والسياسة .. بين الدين والدولة وشؤون الحكم والحياة .. وهو تكريس كذلك لتلك المقولة الكافرة التي تقول: "دع ما لله لله، وما لقيصر لقيصر!"

ومنها: أن هذا الفصل بين العلماء والسياسة .. وواقع الحياة .. يعني انسحاب العلماء من ساحة القيادة .. وساحة التأثير .. وساحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وتركها لغيرهم ممن قد يُفسد ولا يُصلح!

ومنها: أن هذا الفصل .. يُجرئ طواغيت الحكم على التمادي في الظلم والفساد والطغيان .. والتأمر على الأمة ومصالحها .. لأنهم قد آمنوا صمت العلماء تجاههم وتجاه كل ما يصدر عنهم من ظلم وفساد .. وأمنوا عدم تدخلهم في كل ما يمت إليهم بصلة!

ومنها: أن هذا الفصل .. فيه إضلال للناس نحو دين الله؛ حيث قد يرسخ في أذهانهم أن علماء الشريعة لا يجوز أن يقتربوا من ساحة السياسة والحكم .. فهذا ليس لهم .. فدين الله لم يأذن لهم بذلك .. فالدين له رجاله .. والسياسة لها رجالها .. كما وفيه إضلالهم نحو حقيقة الحكام؛ إذ يقول عامة

هَيْئَةُ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالسِّيَاسَةِ

الناس: لو لم يكن هذا الحاكم عادلاً .. ويحكم بالسوية .. لما سكت عنه العلماء، ولما أكلوه وشاربوه .. وأقروه على أعماله وسياساته!

ومنها: أن هذا الفصل بين العلماء والسياسة .. يفقد شباب الإسلام الثقة بعلمائهم؛ إذ كيف يستفتونهم، ويرجعون إليهم عند الملمات، وهم طرف .. دائماً يمثلون وجهة نظر الحاكم .. وفي الحق والباطل سواء!

كيف يرجعون إليهم .. وهم يجهلون واقعهم .. ويجهلون السياسة ودهاليزها .. ويجهلون ما يدور حولهم .. وما يُحاك ضدّهم وضدّ أمتهم .. فجاهل الشيء فاقد له، وفاقد الشيء لا يُعطيه!
والشباب إن فقدوا الثقة بعلمائهم .. قد يقودهم ويوجههم من لا علم له ولا خبرة .. وحينئذٍ لو حصل ما لا يرضاه الله ولا رسوله .. لا يَلام إلا هؤلاء العلماء الذين قصروا ولم يؤدوا الأمانة .. وأبو قيادة السفينة .. ورضوا لأنفسهم أن يكونوا طرفاً وبوقاً وتبعاً للظالمين!

ومنها: أن هذا الفصل .. تنعكس آثاره السلبية على العالم ذاته؛ إذ بحكم جهله بسبيل المجرمين .. وبالسياسة وواقع الأمة، وواقع حكامها .. قد يُبارك الباطل ويُقره .. ويُنافح عنه على أنه حق وهو لا يعلم .. وفي ذلك هلاك للعالم ذاته .. وهلاك لمن يقلده ويُتابعه من عامة الناس!

كثير من عامة الناس تراهم يباركون باطل الطواغيت .. ويدخلون في موالاتهم ونصرتهم .. فإن أنكرت عليهم .. وسألتهم عن سبب صنيعهم هذا .. قالوا لك: نحن نتبع العلماء .. العلماء فعلوا الذي نفعل .. وباركوا الذي باركناه، ونحن على آثارهم مقتدون .. فنحن لسنا أعلم من العلماء!

لذلك نجد أن القرآن الكريم قد أبان سبيل المجرمين على وجه التفصيل لكي نحذره ونُحذر منه العباد، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِّلَّذِينَ يَلْمِزُونَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ . فمن لا يعرف سبيل المجرمين يُخشى عليه أن يواقعه .. ويقع في شباكه!

ومنها: أن هذا الفصل بين العلماء والسياسة .. يعني تفرغ الساحة السياسية وميادينها للعلمانيين والمنافقين، وغيرهم من الجهلة ليخوضوا ويرتعوا فيها كيفما شاءوا؛ لأن الفراغ موجود ولا بد من أن يُسد ويُملأ، فإن لم يملأه الصالحون سيملؤه الطالحون ولا بد .. والناس لا بد لهم من سائس؛ فإن لم يسوسهم أهل الحق ساسهم أهل الباطل ولا بد!

هَيْئَةُ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالسِّيَاسَةِ

ومنها: أن هذا الفصل بين العلماء والسياسة .. مؤداه إلى أن يكون للحاكم بطانة سوء يُعينونه على الإثم والظلم والعدوان؛ إذ كيف يكون له بطانة حسنة صالحة تعينه على المعروف، والعلماء المصلحون قد آلوا على أنفسهم أن لا يتدخلوا بالسياسة .. ولا بشؤون الدولة والحكم .. ويعتبرون السياسة من المحرمات والمحظورات عليهم؟!

هذه بعض المخاطر والمزالق التي تترتب من جراء فصل العلماء عن السياسة .. وعن ممارسة دورهم المشروع في قيادة الشعوب .. وسياستهم بدين الله .. فهل وعى العلماء ذلك؟!

هذه المخاطر والمزالق ستظل جاثمة بظلمها الثقيل على الأمة إلى أن تعود الريادة والقيادة من جديد إلى العلماء العاملين المجاهدين .. ليقودوا الشعوب بعدل الكتاب وقوة السيف .. وتكون السياسة وشؤون الحكم .. ورعاية البلاد والعباد .. جزء من اهتماماتهم ودعوتهم!

أعجب لبعض الدول التي تنشد الإصلاح .. وتُظهر نوع رغبة في الإصلاح .. ثم هم بنفس الوقت يحظرون على العلماء أن يمارسوا دورهم الريادي الذي ينبغي لهم أن يمارسوه .. ويفصلونهم عن السياسة .. والقيادة .. وشؤون الحكم .. ويجرمونهم لو حاولوا أن يفعلوا؟!

فهؤلاء كذبوا .. لا يريدون الإصلاح .. مهما زعموا بألسنتهم خلاف ذلك .. وإنما يريدون الإفساد في الأرض .. وأن تستمر حالات التردّي والتخلف .. والنهب والظلم .. لتخلو لهم الساحة من غير رقيب ولا حسيب!

هذا قولي، وما أردت منه إلا النصح والإصلاح ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/10/11هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/12/05م

أكراد العراق بين الأصالة والعقالة

أكراد العراق بين الأصالة والعمالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد ألمني وآلم كل حرٍّ ما نسمعه في هذه الأيام عن أكراد العراق: كيف أنهم رضوا لأنفسهم الذلة والخنوع .. وأن يكونوا الأداة السهلة بيد الغزاة الصليبيين المعتدين والمحتلين لأرض العراق .. يضربون بها المجاهدين من أبناء وشعب العراق[1]؟!!

رضوا لأنفسهم بأن يكونوا عين الغزاة التي تتجسس على عورات المسلمين .. وعورات المجاهدين .. ويده الأثمة التي يبطش بها المستضعفين من المسلمين .. من أبناء شعب العراق؟!!

أبطلتم جهادكم ضد طغيان النظام البعثي البائد .. بوقوفكم وقاتلكم مع الغزاة المحتلين .. ضد إخوانكم المسلمين من أبناء وشعب العراق؟!!

قابلتم اعتداء نظام البعث عليكم باعتداء مماثل على مسلمي شعب العراق .. وقلتم ظلم بظلم .. واعتداء باعتداء .. وسطو بسطو .. وقتل بقتل .. وإجرام بإجرام .. وهذا لا يستقيم في ميزان الحق والعدل!

غلب فيكم صوت الحقد وحب الثأر .. على صوت العفو والرحمة .. مما حملكم على الاعتداء والإسراف في الانتقام .. والدخول في موالاة ونصرة أعداء الأمة والدين!

غلب فيكم صوت عصبية النعرات القومية الجاهلية والعنصرية .. على الصوت الأرحب والأوسع: أخوة العقيدة .. وأخوة الإيمان والإسلام .. فكان مثلكم مثل الذي يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو أعلى وخير!

يقول كثير من الناس . ونحن لسنا ممن يقول بهذا القول : كان النظام البائد محققاً بما فعله بكم .. لأنه كان يعلم مسبقاً عنكم أنكم بطانة وعين الغزاة المعتدين .. على العراق وأهل العراق .. فجاءت مواقفكم الآنية الخائنة والعميلة لتصدق هذا القول وتؤيده .. فيماذا أنتم تجيبون؟!!

¹ لا نعمم .. فمن أكراد العراق من يجاهد ويُقاوم الغزاة .. وهؤلاء على الجبين شامة عز وفخار .. ولكنهم يمثلون العدد الأقل قياساً للسواد الأعظم من شعب كردستان العراق ..!

أكراد العراق بين الأصالة والعقالة

أي أنكم بمواقفكم الآنية الخائنة هذه .. قد أعطيتهم المبرر والمسوغ . لدى كثير من الناس والمراقبين . للجرائم التي نزلت بساحة شعبكم .. على يد النظام البعثي البائد!!
لو خرج فيكم اليوم جدكم العظيم البطل صلاح الدين الأيوبي .. قاهر الغزاة الصليبيين .. فبماذا أنتم تجيبونه؟!

والأعظم من ذلك .. عندما تقفون بين يدي الله ﷻ .. يوم لا ينفع مال ولا بنون .. ولا بد أنكم واقفون .. وقد قدم لكم بالوعيد .. فماذا ستجيبون؟!

ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة: 51.

ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ النساء: 144.

ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ المائدة: 81.

ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ التوبة: 23.

ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ الكهف: 102.

أصبتم لما رفضتم الانسياق والانقياد خلف قيادات البعث الكافر .. وأخطأتم ألف مرة لما وافقتهم ورضيتم لأنفسكم . إلا من رحم الله . الانقياد خلف الطاغية "جلال الطالباني" وغيره ممن على شاكلته من قيادات الكفر والإلحاد .. والخسة والعمالة!!

فررتهم من طاغوت إلى طاغوت .. ومن ظالم إلى ظالم .. ومن جلال إلى جلال .. وكفرتهم بطواغيت وأمنتهم بطواغيت .. فما هذا الذي تفعلونه؟!

قد رضيتم لأنفسكم بأن يقودكم الطاغوت "جلال الطالباني" ، ومن معه من القيادات العميلة .. إلى الكفر والإلحاد .. إلى جهنم وبئس المصير .. يوم يتبرأ التابع من المتبوع الظالم، ويقع الندم ولات حين

أكراد العراق بين الأصالة والعقالة

مندم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ البقرة: 166-167.

لقد رضيتم لأنفسكم أن يقودكم هذا الطاغية الحقود إلى الانفصال عن العراق .. وعن جسد الأمة الإسلامية الأرحب .. ليزرع بينكم وبين الأمة جبلاً من الأشواك والأحقاد والكرهية تحيل بينكم وبين الجسد الأم .. قد يقطف ثمارها البغيضة أجيالاً عدة من أبنائكم .. ويقع مالا تُحمد عقباه! لقد استخف بكم هذا الطاغية الحقود .. إلى أن جعل منكم جنوداً تستميتون في سبيل أطماع الغزاة المعتدين!!

لا يغرنكم وقوف الغزاة الأمريكان بجواركم .. وانتصاركم بهم .. على إخوانكم من أبناء دينكم .. فالغزاة معكم اليوم وغداً ليسوا معكم .. هذه سيرة الغزاة المستعمرين مع عملائهم على مدار تاريخهم المقيت .. بينما الأمة الإسلامية هي معكم اليوم وغداً .. وأنتم لبننة في جسدها .. وجزء من أبنائها .. وأنتم من قدرها وهي من قدركم .. لا يمكنكم الفكك ولا التخلي عنها .. فاحرصوا أن لا تكونوا تلك اللبنة العاقة للأمة الأم .. فتخسروا عطفها وإحسانها وحمايتها لزمنا لا يعلمه إلا الله !! نقول لكم ذلك مشفقين وناصحين .. وكلنا أمل ورجاء في أن تراجعوا مواقفكم .. وأن تُحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا!

قولوا لطواغيتكم ممن يتكلمون بألسنتكم .. لا .. كما قلت من قبل لطواغيت البعث .. لا .. فهما . والله . في الكفر والظلم والطغيان .. سواء!

قولوها صراحة بأعلى أصواتكم: نحن أحفاد البطل المجاهد صلاح الدين الأيوبي .. قاهر الصليبيين .. ولسنا أحفاد الخائن جلال الطالباني عميل الصليبيين !!..

قولوا لهم بأعلى أصواتكم، ومن دون خوف ولا وجل: ﴿إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ .

أكراد العراق بين الأصالة والعقالة

نعيدكم من أن تتلطح أيديكم . رغبة بالفئات الذي يرميه لكم الغزاة . بدماء إخوانكم المسلمين .. وبخاصة منهم المجاهدين .. فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا"، وقال ﷺ: "لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يُصب دماً حراماً!"
هذه الروح تخرج مرة واحدة إلى بارئها .. فاحرصوا أن لا تخرج إلا في سبيل خالقها!
﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ .

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/10/12هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/12/06م

الوحدة بين السنة والشيعه

الوحدة بين السنة والشيعه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

الوحدة بين السنة والشيعه شعار قديم حديث: فبين الفينة والأخرى يتنادى بعض من ينتسب للطائفتين بضرورة الوحدة والاتحاد بين الطائفتين .. لكن سرعان ما تذهب جهودهم وصيحاتهم سداً من دون أن يتحقق شيء مما نشدوه .. وفي كثير من الأحيان يُرفع شعار الوحدة ككلمة حق يُراد بها باطل، والإقرار بشرعية الباطل .. ومن قبيل الضحك على الشعوب والناس!

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا رغم تكرار المحاولات العديدة والنداءات المتتالية لم

تتحقق الوحدة . ولو صورياً . بين السنة والشيعه !!؟!

وللجواب عن هذا السؤال أقول: الوحدة شعار نبيل، ومطلب يفرضه الواقع وتدعو إليه الحاجة، ولكن لتحقيق الوحدة بين أي طائفتين أو فرقتين لا بد من وجود الحد الأدنى من الانسجام العقائدي، والفكري، والثقافي فيما بينهما، كما لا بد من انتفاء عوامل التنافر التي يستلزم وجود بعضها انتفاء البعض الآخر!

الله تعالى لم يقل "واعتصموا جميعاً" وإنما قيد هذا الأمر والفرض بجملة اعتراضية واجبة ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ ، فقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ . وحبل الله المتين الذي يجب أن تجتمع عليه الكلمة وتتوحد الصفوف هو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .. وأيما وحدة لا تقوم وحدتها على أساس الاعتصام بحبل الله .. فهي وحدة فاشلة ومرفوضة.

كيف ينشد الشيعة الروافض الوحدة مع أهل السنة وهم يعتقدون أن لأئمتهم مقاماً يعلو مقام

الأنبياء والرسل ..؟!؟!

كيف ينشد الشيعة الروافض الوحدة مع أهل السنة وهم يعتقدون أن كلام أئمتهم وحكمهم

ككلام القرآن وحكمه من حيث العصمة، ووجوب الاتباع .. وعلى مدار العصور!!؟!

كيف ينشد الشيعة الروافض الوحدة مع أهل السنة وهم يعتقدون العصمة لأئمتهم، وأن هذا

الكون وما فيه من ذرات تخضع لولايتهم وسيطرتهم .. وأنهم يعلمون الغيب وما كان وما سيكون!!؟!

الوحدة بين السنة والشيعية

كيف ينشد الشيعة الروافض الوحدة مع أهل السنة وهم يعتقدون أن لهم قرآناً منزلاً

سموه "قرآن فاطمة" ليس فيه آية من هذا القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ!!؟..!!

كيف ينشد الشيعة الروافض الوحدة مع أهل السنة وهم يعتقدون بتحريف القرآن الكريم

الذي بين أيدي المسلمين .. والذي تكفل الله تعالى بحفظه!!؟

كيف ينشد الشيعة الروافض الوحدة مع أهل السنة وهم يصرحون بأنهم لا يؤمنون برب لا

يوصي بإمامة أئمتهم الإثني عشر!!؟..!!

كيف ينشد الشيعة الروافض الوحدة مع أهل السنة وهم يبغضون ويكفرون أصحاب رسول

الله .. صفوة الخلق بعد الأنبياء والرسل .. ويكفرون كل من يترضى عنهم من المسلمين التابعين لهم

بإحسان .. ويجعلون ذلك من صميم دينهم ومعتقداتهم!!؟

كيف ينشد الشيعة الروافض الوحدة مع أهل السنة وهم يكفرون نساء النبي ﷺ ويرمونهن

بالفحش وظن السوء!!؟..!!

كيف ينشد الشيعة الروافض الوحدة مع أهل السنة وهم يعتقدون بطلان السنة، وكل ما ثبت

عن النبي ﷺ بالسند الصحيح كما في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما!!؟..!!

كيف ينشد الشيعة الروافض الوحدة مع أهل السنة وهم يعبدون أئمتهم والأموات من مشايخهم

. من جهة الدعاء والاستغاثة والطلب . أكثر من عبادتهم لله ﷻ!!؟..!!

كيف ينشد الشيعة الروافض الوحدة مع أهل السنة وقلوبهم عامرة بالخيانة والغدر والحقد

والغیظ على المسلمين من أهل السنة .. ما ليس في قلوبهم على ملل الكفر من أعداء الأمة^[1]!!؟

كيف ينشد الشيعة الروافض الوحدة مع أهل السنة وهم كانوا . قلباً وقالباً وبالقول والعمل .

عبر تاريخهم كله وإلى يومنا هذا مع أعداء الأمة من الكفرة الغزاة المعتدين على أبناء الأمة من المسلمين

وعلى أوطانهم .. وموقفهم المعاصر الخائن العميل المتخاذل مما جرى ولا يزال يجري في أفغانستان

والعراق وغيرهما من البلدان أكبر شاهد على صحة ما نقول!

¹ إن طلبت الدليل على جميع ما ذكرنا عن الشيعة الروافض، راجع كتابنا "الشيعة الروافض طائفة شرك وردة"، وهو

منشور في موقعنا على الإنترنت.

الوحدة بين السنة والشيقة

كيف يمكن أن تتحقق الوحدة مع الشيعة الروافض وهم بهذا الوصف المتقدم .. الذي لا يمكن

أن يقره عقل ولا نقل!!؟

لذا نقول لهم: وفروا عليكم الكذب والخداع .. فإن أردتم الوحدة بحق .. وأن تلتئم الصفوف ..

وتندرس الأحقاد .. تخلوا عن هذا الكفر والمروق والحقد الذي عُرِفتم به .. فإن فعلتم .. وصدقتم في

الانخلاع والبراء مما أنتم عليه من باطل . وقد تقدم ذكر بعضه . فستجدون أنفسكم مباشرة ومن دون

حوارات ولا جدال جزءاً لا يتجزأ من جسد هذه الأمة .. تعيشون أتراحها وأفراحها .. وتعيشون مع

المسلمين أخوة متحابين كالجسد الواحد لا متباغضين ولا متنافرين.

أما إن أبيتم إلا أن تبقوا على هذا الوصف المنفر الذي أنتم عليه .. فحلم الوحدة مع أهل السنة

سيظل حلماً بعيد المنال .. أبعد من الثريا عن الثرى .. وستظل صيحات الوحدة نداءات جوفاء وفقاقيع

لا صدى لها ولا واقعية ولا أثر!!

كذلك نقول: أنه لا ينادي من أهل السنة بالوحدة معكم على ما أنتم عليه من كفر وباطل .. ومن

دون أن يُطالبكم بالانخلاع والبراء مما أنتم عليه من باطل .. إلا جاهل مغفل .. لا يعرف من حقيقة

أمركم شيئاً .. أو صاحب هوى .. هان عليه دينه!

أما حرصكم على الوحدة .. وتناديكم بها .. على ما أنتم عليه من كفر وباطل وتنافر مع الحق .

تقدم ذكر بعضه . فهو لمجرد أن تجرئوا من يقابلكم من مغفلي أهل السنة على أن يقابلوكم بنفس

الصيحات التي تنادي بالوحدة .. لكي تقولوا لأتباعكم .. والمغفلين من أهل السنة: لولم نكن على حق ..

والذي نقول به وندعو إليه حقاً لما نشدوا الوحدة معنا .. فحرصهم على الوحدة معنا هو اعتراف بشرعية

ما نحن عليه .. وهو دليل على أننا على حق .. وأنهم على باطل .. فتصطادون بذلك الجهلة المغفلين!

وقد صدق الأثر: "من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام".

هذا الذي تريدونه من نداءاتكم بالوحدة .. وهكذا نفهمها ونفسرها .. إذ ليس لها تفسير آخر غير

هذا التفسير.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/10/06هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/11/30م

العلمانيون .. وقوم لوط .. والحجاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فإن منظر الصحة والعافية يؤدي العليل المريض . إلا من رحم الله ؛ إذ يُذكره بمرضه وعمله وأسقامه .. وبفضل الصحيح المعافى عليه .. حتى أنه يتمنى أن يكون جميع من حوله مرضى مثله يُعانون ما يُعاني ليعيشوا حياته، ويشعروا بشعوره!

كذلك منظر الحشمة والعفة والطهر فإنه يؤدي أهل الفحش والفسوق والفجور والتحلل؛ إذ يُذكرهم بقبحهم .. وبهمييتهم .. وانحطاطهم، وسخف ما هم عليه .. وبفضل واستعلاء أهل الحشمة والعفة والطهر عليهم .. لذا تراهم يحرصون أشد الحرص على أطر أهل الحشمة والعفة والطهر إلى دائرتهم الأخلاقية النتننة الأسنة الفاجرة؛ ليستوا معهم في الانحطاط والتحلل، والهيمية .. ويكونون في ذلك سواء!

من قبل ساء العلمانيون من قوم لوط طهر لوط عليه السلام ومن آمن معه، وإنكاره عليهم إتيانهم المنكرات والفواحش .. والرجال شهوة من دون النساء .. فما كان جوابهم عليه وعلى دعوته ونصيحته لهم إلا بالطرده والإخراج من قريتهم ومجتمعاتهم، متعللين بأنه ومن معه من المؤمنين يتطهرون ولا يقترفون الفواحش والمنكرات، وهذا يُسبب لهم الأذى والحرج الشديدين، كما قال تعالى عنهم في سورة الأعراف: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ. وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ الأعراف: 80-82.

وفي سورة النمل: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ. أَلَيْسَ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ النمل: 54-56.

وفي سورة الشعراء: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ. قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ الشعراء: 167-168. أي إني لعملكم من المبغضين الكارهين.

العلمانيون .. وقوم لوط .. والحجاب

هكذا هي عقوبة الطهر وأهله .. عند أهل الفجور والفحش والتحلل .. وهذا هو حكمهم فيهم ..
فهي قضية لا تقبل عندهم التهاون ولا التفاوض ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ فجرمهم
الذي أتوه وتجرءوا عليه هو الطهر .. والعفة .. وياله من جرم عظيم عند المتحللين الفاسقين!
وهاهم اليوم .. العلمانيون اللوطيون المعاصرون يتنادون في نواديهم ومجالسهم وبرلماناتهم .. سرّاً
وعلانية .. ليجددوا رغبة وطلب قوم لوط الأوائل .. على لسان كبيرهم الأفك "جاك شيراك" وليقولوا بكل
وقاحة ووضوح: أخرجوا المحجبات المسلمات من مدارسكم وجامعاتكم .. أخرجوهن من العمل في جميع
الدوائر والمؤسسات الحكومية .. لا مكان لهن بيننا .. إنهن نساء يتطهرن .. ويتحجبن .. ولا يتعرين .. وإنهن
بذلك يؤذينا!

الحجاب يثير معانٍ عدوانية إرهابية في نفوسنا .. ويذكرنا بالحشمة والطهر والعفة .. يذكرنا
بالإيمان والاستقامة .. وهذا مالا نطيقه ولا نحبه ولا نرضاه .. ولا نسمح به في نظامنا العلماني اللوطي!
وهذا الذي فعله ويفعله العلماني اللوطي "جاك شيراك" يفعله كثير من الطواغيت اللوطيين في
بلاد المسلمين . بصور مختلفة ومتفاوتة . ممن تتلمذوا في مدارس "شيراك" العلمانية .. وتربوا في محاضن
العلمانية اللوطية على محاربة الفضيلة .. والعفة .. والخلق .. والحجاب .. وما يجري في تونس على يد
طاغوتها الكافر الظالم "شين العابدين" .. وفي سورية .. وتركيا .. ومصر .. وليبيا .. والجزائر .. وغيرها من
البلدان .. عن مسامعنا ببعيد!

إنها السنن؛ سنن العلمانية اللوطية تعيد بعضها البعض .. وتجدد بعضها وسيرتها الآسنة من
جديدا!

هذه الحرب الشعواء الظالمة . القديمة الحديثة . على الحجاب والمتحجبات .. لا يمكن أن نفسرها
سوى أنها حرب عنصرية حاكمة كافرة على الطهر والعفة والأخلاق .. وعلى الإسلام والمسلمين!
هذه الحرب الشعواء الظالمة . القديمة الحديثة . على الحجاب والمتحجبات .. لا يمكن أن نفسرها
سوى أنها ابتزاز رخيص لعفة وجسد المرأة .. وفي أشنع صور الإكراه والإكراه .. من أجل تدمير وإفساد
وتحلل أخلاق الشعوب والأمم!

العلمانيون .. وقوم لوط .. والحجاب

أعجب لهؤلاء العلمانيين اللوطيين .. إذ يزعمون أنهم من دعاة الحرية .. والحرية الشخصية ..

ثم هم يمنعون المرأة . بصورة خسيصة ابتزازية . من أن ترتدي الثياب التي تشاء أو تستر شعر رأسها!
في دينهم . دين العلمانية اللوطية . للمرأة أن تتعري كيفما تشاء؛ حتى لو أرادت أن تخرج من بيتها عارية تماماً كما ولدتها أمها .. فلا حرج ولا ضير .. لأن ذلك يخدم أهداف ومخططات العلمانية اللوطية .. بل الحرج كل الحرج على من ينكر عليها حرمتها هذه .. بينما لا حرية لها في أن ترتدي الحجاب .. والثياب التي تشاء؟!!!

في دينهم . دين العلمانية اللوطية . تجد كامل الحرية لمطلق الشذوذ الجنسي والأخلاقي .. لأن ذلك يخدم أهداف ومخططات العلمانية اللوطية الإباحية الحاكمة والمتنفذة في غالب الأمصار .. بينما لا يُسمح للمرأة أن تضع على رأسها ما يستر شعرها؛ وكأن شعرها ليس ملكاً لها، وإنما هو ملك للعلمانيين اللوطيين!!

ومما يُعجب له كذلك هذا الصمت المخيف لعلماء الإسلام . إلا من رحم الله وهم قليل . تجاه ما يُحاك من مؤامرات ضد المرأة المسلمة .. وضد حجابها وحشمتها وأخلاقها .. على يد راعي العلمانية اللوطية "جاك شيراك" وعملائه وتلامذته!؟

ثم ليتهم اكتفوا بالصمت لهان الخطب .. وخف المصاب .. فهاهو كبير المنافقين .. شيخ السوء والضلالة "شيخ الأزهر" الطنطاوي يُصرح بملء فيه: "إن فرض حظر على ارتداء الحجاب في مدارس فرنسا شأن داخلي، لا يحق لأحد التدخل فيه .. لا اعتراض لنا إذا أصدرت فرنسا قانوناً كهذا .. من حق كل دولة أن تصدر من القوانين ما يُناسبها" -هـ.

فبدلاً من أن يقول كلاماً ينصرف فيه الحق وأهله .. ويُعين فيه المسلمات المحجبات على ما يواجهنه من تحديٍّ وحرب ضروس من قبل العلمانيين اللوطيين .. يقول كلاماً يعين فيه العلمانيين اللوطيين على المسلمات المؤمنات الطاهرات المحجبات .. ويعد هذا الظلم والعدوان على الدين .. وحقوق النساء المسلمات .. حقاً من حقوق أي دولة .. وهو دليل على سيادتها .. وبالتالي لا يُحق لأحد أن يتدخل في سياستها فينتقد أو يُعارض شيئاً من قوانينها؟!!!

العلمانيون .. وقوم لوط .. والحجاب

ولا ندري لو سن غداً العلمانيون اللوطيون في فرنسا أو غيرها من الدول قانوناً ينص على ضرورة إبادة المسلمين وقتلهم .. ماذا سيقول شيخ السوء والتملق "الطنطاوي" .. هل تراه سيقول هذا شأن داخلي .. وقانون داخلي .. لا دخل للمسلمين به .. لازم قوله أنه سيقول ذلك ولا بد؟!!

أهكذا يكون . يا شيخ الأزهر! . العمل بعقيدة الولاء والبراء .. وبعقيدة أخوة الإيمان والإسلام بين جميع المسلمين على اختلاف أمصارهم وأجناسهم ولغاتهم، وألوانهم ..؟!!

لماذا هم يتدخلون بكل شاردة وواردة مما يخص شؤون المسلمين في بلادهم وأمصارهم .. ويغزون البلاد؛ فيقتلون ما شاءوا .. ويأسرون ما شاءوا ومن شاءوا من أبناء المسلمين .. ثم نحن المسلمين لا يحق لنا أن نتدخل . ولو بكلمة اعتراض أو شكوى . فيما يعني المسلمين ويخصهم .. وما يُعانون منه في أمصارهم وأماكن وجودهم من العالم؟!!

لماذا هم يعقبون على أحكام وقوانين الله تعالى .. ويصفونها بالتخلف والإجرام .. وأنها تتنافى مع حقوق الإنسان .. ويعدون ذلك من حقهم الذي تتكفله لهم ديمقراطيتهم المعمول بها في بلادهم .. ثم نحن المسلمين لا يجوز لنا أن نعترض على ظلم قوانينهم الوضعية العنصرية .. ولو بكلمة اعتراض واحدة؟!!

أَيكون قانونهم الوضعي الكافر . عندك يا شيخ الأزهر! . أعز وأكرم من قانون الله تعالى ومن حكمه .. وشرعه؟!!

ثم ترى . يا شيخ الأزهر! . أن من حق أي دولة أن تصدر وتشرع القوانين التي تشاء، مهما كانت هذه القوانين تتضمن الكفر البواح والحرب على الله وعلى دينه وأوليائه .. ومن دون أن يُعترض عليها في شيء .. لأن هذا من تمام السيادة التي ينبغي أن تتحلى بها الدول؟!!

ألهذا الحد . يا شيخ الأزهر! . هان عليك حكم الله تعالى وقانونه .. وعظمت عندك قوانين الكفر

والإلحاد؟!!

العلمانيون .. وقوم لوط .. والحجاب

ما أراك . يا شيخ الأزهر! . إلا أنك قد قلت كلمة الكفر .. وكفرت بعد إسلامك .. كما قال تعالى:
﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ ، فسارع البدار إلى التوبة
والاستغفار. علانية كما قلت كلمة الكفر علانية . قبل أن تأتيك منيتك .. ويقع الندم ولات حين مندم^[1].
أما أنت أيتها الأخت المسلمة المحجبة .. أينما كنت .. فاعلمي أنك على ثغرة عظيمة من ثغور
الإسلام .. فاحرصي أن لا يُؤتى الإسلام ولا المسلمون .. من قبيلك.
جهادك أن تلتزمي حكم الله تعالى في نفسك وسلوكك وأخلاقك .. وأن تتمسكي بحجابك، وعفتك،
وطهرتك .. وتباهين . غير آيبة ولا خجلة . بذلك.

صلاح البلاد والعباد بصلاحك .. وفساد البلاد والعباد بفسادك .. لذا ترين شياطين الأنس والجن
حريصين أشد الحرص على إفسادك وإغوائك .. فحذاري ثم حذاري أن تصغي إليهم وإلى وساوسهم ..
فتهلكين .. وتكونين سبباً في هلاك وفساد البلاد والعباد .. وأنت تدرين أولاً تدرين!
أعلم أن الأرض قد ضاقت على كثير من المؤمنين والمؤمنات بما رحبت .. ولكن لا أرى الحرص على
المدرسة .. ولا العمل في دوائر ومؤسسات العلمانيين اللوطين سبباً ومبرراً يُسوِّغ لك خلع الحجاب ..
وإظهار سواتك للناس!

لا تغرنك فتاوى بعض جهلة علماء السوء والفتنة .. الذين يرخصون لك خلع الحجاب .. ومُهونونه
عليك .. تحت ذرائع ما أنزل الله بها من سلطان .. واعلمي أن أي فتوى تُحلُّ لك خلع حجابك للسبب
الذي تقدم ذكره .. فهي فتوى شيطانية .. وراءها شيطان .. فاحذريها وحذري منها، كما قال تعالى: ﴿يَا

¹ أُكْفِرُ الرَّجُلَ لَعْدَةَ أَسْبَابٍ: منها لقوله الوارد أعلاه، ومنها: لقوله المتكرر وفي أكثر من موضع ومقال ومناسبة: "المصريون
جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات، ولا فرق بين مسلم ومسيحي": فغيب وألغى بذلك عقيدة الولاء والبراء في
الإسلام .. ومنها، لدخوله الصريح في موالاته ونصرة الطاغوت الحاكم ونظامه في مصر .. فهو ركن من أركانه، والله تعالى
يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

حكيمي هذا . لأسباب عدة لا تخفى حكمتها . قد كتمته في نفسي .. ومنذ زمن .. ونحن نقول: عسى الرجل .. ولعله ..
وربما .. وقد .. وحتى لا يُقال .. إلى أن جرأنا بقوله أعلاه على بيان اعتقادنا فيه، وبيان الحكم الشرعي الذي يستحقه ..
ليحذره الناس.

العلمانيون .. وقوم لوط .. والحجاب

بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿الأعراف: 27﴾.

حَسَنِي الظَّنِّ بِاللَّهِ وَصِدِّيقِي بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾.

واعلمي أن الأمر قريب .. وأن الفوز صبر ساعة .. وأن الملتقى آت .. وأن الموقف عصيب وعسير .. إلا من سهله الله عليه ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

والحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/10/24 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/12/18 م

الجزاء من جنس العمل .. وصدّام حُسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

لا يُمكن أن نُشارك الكفرة الغزاة .. والمنافقين المرجفين .. فرحتهم .. ولو كان سبب فرحتهم هلاك أو اعتقال طاغية ظالم؛ لأن مشاركتنا فرحتهم تعني مباركة طغيانهم، وعدوانهم، وكفرهم، واستباحتهم للحرمات .. وبخاصة إن كان لهذا الظالم نوع مقاومة لهم ولوجودهم! ولما علمت بخبر اعتقال صدام حسين .. ورأيت صورته التي نُشرت عنه بعد اعتقاله .. راودتني مباشرة القاعدة الشرعية التي دلت عليها عشرات النصوص الشرعية .. والتي تقول: "الجزاء من جنس العمل"^[1].

كما قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ . أي يُسلط الله تعالى الظالمين

على الظالمين؛ فيهلك الظالمين . لظلمهم وبما كسبت أيديهم من الظلم . بالظالمين!

وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ . وقال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ

الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فعاقبهم الله تعالى من جنس فعلهم وذنبهم!

وفي الأثر: "كن كما شئت، كما تدين تُدان".

¹ هذه القاعدة رغم دلالة عشرات النصوص الشرعية عليها، فإنها ليست على إطلاقها؛ أي لا يلزم دائماً نزول البلاء لعمل أو ذنب من جنس هذا البلاء، فالبلاء ينزل أحياناً بالمرء ليرفع مقاماته ودرجاته يوم القيامة في العلا والجنان كالبلاء الذي ينزل بساحة الأنبياء والصديقين والشهداء، وبلاء ينزل أحياناً بالمرء طهوراً وكفارة لذنوبه؛ كالبلاء الذي ينزل بعصاة المؤمنين الموحدين ممن يُقارفون صغائر الذنوب، وبلاء ينزل عقاباً وانتقاماً وطهوراً يُكفر الخطايا في آن معاً؛ كالبلاء الذي يصيب عبداً خلط عملاً ظالماً كبيراً وعملاً صالحاً، وبلاء ينزل يُراد به العذاب والانتقام الصرف؛ وهو البلاء الذي ينزل بساحة الطواغيت الظالمين، والكفرة المجرمين .. والنصوص الشرعية قد دلت على جميع هذه الأصناف الأنفة الذكر .. فتنبه ولا تشط ولا تخلط!

الجزاء من جنس القملي .. وصدّام حسين

فالله تعالى من أسمائه الحسنی "العَدْل" ومن مقتضيات هذا الاسم ومعانيه تنزيه الخالق ﷻ عن أدنى درجات الظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ . وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .

وبعد، فلما تأملت حال صدام حسين وما حلَّ به .. فقد وجدته قد أكل كثيراً من الآباء والأمهات بقتل أبناءهم ظلماً وعدواناً .. فعاقبه الله تعالى من جنس عمله وذنبه؛ بقتل ولديه، وحفيده .. في حياته وأمام عينيه .. ليشرب من نفس الكأس، ويشعر بنفس الآلام التي يشعر بها أولئك الآباء الذين فقدوا فلذات أكبادهم على يديه!

وجدته قد يتّم أطفالاً .. ورمل نساءً .. فعاقبه الله تعالى من جنس عمله وذنبه؛ فيتمّ الله أبناء بناته وأبناء أبنائه .. ورمل بناته .. ونساءه .. وهذا كله تم في حياته وأمام ناظره!

وجدته قد فرّق بين الأحبة .. وهجر بظلمه آلافاً من الناس بعيداً عن أرحامهم وأوطانهم .. فعاقبه الله تعالى من جنس عمله وذنبه؛ ففرق بينه وبين زوجة وبناته؛ فهو في وطن، وزوجه في وطن، وبناته في وطن .. لا يستطيع أن يتصل بهن؛ كما كان المهجّرون من شعبه لا يستطيعون أن يتصلوا بذويهم ورحمهم في العراق .. خوفاً من ظلمه وطغيانه!

وجدته يعيش . بغير وجه حق . الإسراف والتبذير في قصور فارهة منعمة .. فيها ما لذ وطاب من النعيم ووسائل الترف .. فعاقبه الله تعالى من جنس عمله وذنبه؛ فجعله يعيش . رغماً عن أنفه . كهوفاً ومغارات .. وضنكاً من العيش .. ينسيه نعيم تلك الأيام الخالية كلها .. ونعيم تلك القصور الفارهة!

وجدته قد طارد كثيراً من الأحرار الأبرياء، إلى أن ألزمهم العيش . خوفاً على أنفسهم وأرواحهم . في غرف ضيقة تحت الأرض .. لا يرون الشمس من خلالها لأشهر عدة .. وربما لسنين عدة، فعاقبه الله تعالى من جنس عمله وذنبه؛ فجعله مطارداً خائفاً على نفسه وروحه .. يتربص ويتوجس الريبة من كل من يراه .. إلى أن سكن في نفس الغرف الضيقة تحت الأرض لأشهر عدة .. التي سكنها ضحاياها وضحايا ظلمه من قبله!

وجدته قد اعتقل كثيراً من أبناء شعبه بغير وجه حق .. فزجهم في غياهب السجون .. فعاقبه الله تعالى من جنس عمله وذنبه، فسلط الله عليه من يعتقله ويسجنه!

الجزاء من جنس القمل .. وصدّام حسين

وجدته قد غدر برحمه وأقاربه .. فقتل منهم من قتل، وهجر من هجر .. وأبقى من أبقى .. فعاقبه الله تعالى من جنس عمله وذنبه؛ فغدر به رحمه .. وتخلوا عنه في وقت الشدة .. وكان اعتقاله بوشاية أحد نسايبه وأقاربه!

وجدته قد تكبر .. وأذلّ خلقاً كثيراً من شعبه بغير وجه حق .. فعاقبه الله تعالى من جنس عمله وذنبه، فسلط عليه من يذله، ويعبث برأسه وشعره . أمام الخلق كلهم . وكأنه مصاب بالجرب أو القمل! وجدته قد اعتدى . بغير وجه حق . على ملك الآخرين من دول الجوار .. فعاقبه الله تعالى من جنس عمله وذنبه، فأذال عنه ملكه وحكمه .. وجعله يتيه في الأرض إلى أن ضاقت عليه الأرض بما رحبت! وجدته قد كَمَمَ الأفواه .. وألغى كل صوت غير صوته، على طريقة الطاغية الأولى فرعون إذ ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ، فعاقبه الله تعالى من جنس عمله وذنبه، فكُمم فاه .. وفقد وسائل الإعلام .. وألغى صوته .. إلا كلمات ينتقمها ويأذن بها أعداؤه! وجدته قد قتل بنفسه . بغير وجه حق . خلقاً كثيراً .. وحكم عليهم ظلماً وعدواناً بالإعدام .. فهل يُسلط الله تعالى عليه من يحكم عليه بالإعدام فيقتله .. هذا الذي تبقى ولم نره .. وربما يكون قريباً، والله تعالى أعلم.

فالموقف بالنسبة لي موقف عظة وتأمل واعتبار .. لا شماتة فيه ولا فرح!

ثم أقول لكم: لا تفرحوا؛ فإن الله لا يحب الفرحين .. ولا تحزنوا .. ولا تقنطوا من رحمة الله ﴿ وَمَنْ يَفْقَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ فرب ضارة نافعة .. وكم من أمرٍ أحننا وتمنينا أنه لو لم يكن .. ثم علمنا فيما بعد أن الخير كل الخير كان فيه .. وحمدنا الله أن كان .. وكم من أمرٍ أفرحنا ثم علمنا فيما بعد أن الشر كل الشر كان فيه .. وتمنينا أنه لو لم يكن .. فالخيرة ما يختاره الله ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

كم هي الحرمات التي انتهكت .. وكم هي البيوت التي دُهمت وهُدِّمت .. وكم هم الأبرياء .. والأطفال .. والنساء الذين قُتلوا .. على يد الكفرة الغزاة .. وكانت ذريعتهم في كل جريمة يرتكبونها .. هو القضاء على صدام حسين .. والبحث عنه .. زعموا .. فهو . عندهم . غاية تبرر لهم كل الوسائل!

الجزاء من جنس القملي .. وصدّام حُسين

وتقذفكم في مزابل التاريخ مع الخونة والظلمة والعملاء .. كما فعلت ذلك مع من سبقكم من الطغاة
الظالمين!

أيها الطواغيت .. حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا .. ويقع الندم والمحذور .. ولات حين مندم!
واعلموا أن المُلْكَ لله الواحد الأحد يُؤتي الملك من يشاء، ويُعز من يشاء، ويُذل من يشاء .. ﴿قُلِ
اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ
إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

والحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/10/21هـ

أبو بصير الطرطوسي

2003/12/15م

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

كثراً مؤخراً. بحكم الدعاية المكثفة. الذين فُتِنُوا بحزب الله اللبناني الشيعي الرافضي إلى أن ظنوه حزب الله بحق .. ولهؤلاء وغيرهم نقول: فمن يتأمل واقع وحقيقة وسيرة حزب الله اللبناني الشيعي الرافضي، يجد أن مهامه جميعها. الموكلة إليه من قبل أحبارهِ ورهبانهِ في إيران. تصب في غاية واحدة؛ وهي تصدير المذهب الشيعي الرافضي للآخرين .. وتحسين مذهب التشيع والرفض في أعين الناس! فحزب الله اللبناني .. هو البوابة الكبرى لحركة التشيع العالمي .. ولتصدير مذهب التشيع والرفض في العالم الإسلامي .. وبوابة حزب الله لتنفيذ هذه المهمة الكبيرة .. هي فلسطين .. والقضية الفلسطينية .. والضرب على الوتر الفلسطيني .. الذي ما من خائن للدين والأمة. خلال هذا القرن المنصرم لما يعلم للقضية الفلسطينية من أهمية في أعين المسلمين. إلا وقَدَمَ بين يدي خيانتِهِ وغدرِهِ بكاءً مزيفاً على فلسطين .. وأهل فلسطين .. والقضية الفلسطينية .. لا ينكشف للشعوب المضللة إلا بعد حين من الدهر!

فأي عمل يساعد على تحقيق هذه الغاية. وهي نشر مذهب التشيع والرفض. فحزب الله اللبناني لا يتورع عن فعله .. وإن كان هذا العمل باطلاً وحراماً لا يجوز فعله! وأي عمل لا يُساعد على تحقيق هذه الغاية .. أو يتعارض معها ولو مرحلياً .. فحزب الله لا يفعله ولا يحرص عليه .. وإن كان هذا العمل حقاً .. ويجب القيام به شرعاً! فإن قيل: هذا اتهام يحتاج إلى برهان .. فأين البرهان؟!

أقول: رغم جلاء الأمر ووضوحه. على كل مراقب. وضوح الشمس في كبد السماء .. إلا أنني أخص

البرهان على قولي هذا في النقاط التالية:

1- دخول حزب الله في موالاة طوائف الكفر والردة؛ فهو حزب. إضافة إلى كونه إيراني التوجه والتوجيه والمنشأ والدعم. لا يخفي ولاءه للنظام السوري، وللفئة البعثية النصيرية المتسلطة والحاكمة في سورية، فما من خطاب. تقريباً. يوجهه الأمين العام لحزب الله إلا ويجد نفسه ملزماً في أن يوجه

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

للنظام الحاكم في سورية ولحاكمه أسمى آيات الطاعة والولاء، والشكر .. لما يقدمه الآخر للحزب من غطاء وحماية ودعم .. تيسر له ممارسة مهامه الدعائية في التشيع والرفض على الساحة اللبنانية .. وفلسطين .. ودول المنطقة!

وهو حزب كذلك لا يخفي توجهه الوطني الجاهلي؛ من حيث دخوله في موالاته وطاعة النظام الماروني الحاكم في لبنان، وحفاوته بعناصر الحكم والدولة العلمانية .. وأنه يحرص على الوحدة الوطنية .. وعلى تنفيذ قوانين الدولة، وأنه لا يخرج عن أمرها ورغبتها وقوانينها في كل ما يُقوم به من أعمال ومقاومة .. فهو حزب لبناني .. يدافع عن أرض لبنان فقط .. لا يتجاوز حدود لبنان .. ويوالي كل لبناني .. على أساس انتمائه لأرض وتراب ودولة لبنان .. بغض النظر عن دينه وأخلاقه وعقيدته وتوجهاته .. ولو كان أكفر من أبي جهل .. المهم أن يكون لبنانياً .. وهذا أمر معلوم عن سياسة الحزب لا خفاء فيه .. ظهر ذلك جلياً في قضية تناوله ملف الأسرى الذين تم الإفراج عنهم مؤخراً من قبل الصهاينة اليهود .. وهذا معناه أن حزب الله ليس حزباً إسلامياً جهادياً .. ينشد إعلاء كلمة الله وحكمه في الأرض .. كما يزعم ويظهر لبعض المغفلين من الناس .. وإنما هو حزب وطني لبناني .. شيعي رافضي .. همه الأول والأخير تصدير التشيع والرفض .. وتزيينه في أعين الناس .. أياً كانت الوسيلة المتبعة!

وهذا بخلاف ما يجب أن يكون عليه حزب الله الحق الذي أثنى الله تعالى على أتباعه خيراً .. فحزب الله الحق لا يوالي ولا يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
المجادلة: 22.

كذلك حزب الله الحق فإنه كما يتبرأ ممن حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم .. فهو يتولّى الله ورسوله والذين آمنوا؛ كل الذين آمنوا، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ المائدة: 56. هذه أهم وأبرز صفات حزب الله الحق التي يتميز بها عن غيره من التجمعات الأرضية الجاهلية التي توالي وتعاوي في غير الله ﷻ.

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

بينما حزب الله اللبناني الشيعي الرافضي إضافة إلى كونه حزب يتولّى المجرمين .. فهو لا يتولّى المؤمنين الموحدين؛ فهو حزب تقوم عقيدته وثقافته على الحقد والطعن والسب على خير خلق الله تعالى بعد الأنبياء والرسل، على أصحاب النبي ﷺ الأبرار.. الذين جاهدوا في الله حق جهاده .. وعلى نسائه الطاهرات أمهات المؤمنين .. وعلى كل من ترضى عليهم ووالاهم من المسلمين المؤمنين ممن جاءوا بعدهم، ونهجوا نهجهم، وساروا على دربهم!

لا نطالب حزب الله اللبناني الرافضي . الذي يزعم زوراً العمل من أجل تحرير أسرى المسلمين . أن يسأل أولياءه المجرمين في سورية عن آلاف الشباب المسلم المغيبين في سجون النظام النصيري الطائفي منذ أكثر من ربع قرن .. لا ذنب لهم سوى أنهم يقولون: كفرنا بالطاغوت .. وأمنا بالله! في الوقت الذي يعتبر الأمين العام لحزب التشيع والرفض أن قضية الأسير سمير القنطار الدرزي اللبناني .. هي قضيته الكبرى التي سيحاور عليها الصهاينة اليهود في المرحلة القادمة .. نراه لا يذكر. ولو مرة واحدة . أسرى المسلمين في سجون "جوانتنامو" في كوبا على يد الأمريكان .. الذين يزيد تعدادهم عن الستمئة معتقل ..!!

لا يذكر آلاف المعتقلين من المسلمين في العراق الذين زج بهم الغزاة المحتلون الأمريكان في غياهب السجون ..!

ليس غرضنا هنا إحصاء مواقف الغدر والخيانة والتناقض .. فهذا مقامه يطول .. وإنما أردنا التذليل على أن حزب الله الشيعي الرافضي ليس هو حزب الله الحق الذي يتولّى المؤمنين الموحدين .. ويُجافي ويُعادي المجرمين الكافرين .. وإنما هو على العكس تماماً؛ الحزب الذي يتولّى المجرمين الكافرين .. ويُجافي ويُعادي المسلمين المؤمنين!

فهو حزب يتشعب بما لم يُعط وبما ليس فيه .. وهو غير صادق حتى مع عنوانه واسمه؛ إذ أن أخلاق وعقيدة حزب الله الحق المرضي في واد، وأخلاق وعقيدة حزب الله الشيعي الرافضي في واد آخر.. كما تقدم!

فإن قيل: ما علاقة ما تقدم بقضية تصدير التشيع والرفض، وتزيينه في أعين الناس ..؟!

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

أقول: له علاقة كبيرة؛ فحزب التشيع والرفض إذ يدخل في موالاة المجرمين بجميع طوائفهم وأحزابهم الحاكمة والمتنفذة في لبنان وسورية .. وتحت عنوان الحرص على الوحدة الوطنية .. فهو من جهة يضمن عدم المواجهة .. وبالتالي يضمن سلامة وجوده وحزبه وكوادره .. وبالتالي تتاح له الفرصة بشكل أكثر على أن يُمارس الدعاية المكثفة لمذهبه مذهب التشيع والرفض، كما يُمارسها الآن عبر قنواته الفضائية المسماة بالمنار.. وهذا هو المراد!

فهو حزب ليس من مناجه ولا سياسته إظهار العداوة والبغضاء للكفر والكافرين، والإجرام والمجرمين، اقتداء بملة إبراهيم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ الممتحنة: 4. لأن ذلك . في زعمه . يُعيق من عملية تصدير مذهب التشيع والرفض؛ القائم على الطعن والتكذيب !!

لذا نراه يتظاهر بالمودة لجميع الطوائف والأحزاب الموجودة في لبنان لاعتقاده أن هذا النهج كما يُجنبه المواجهة التي تؤدي إلى استئصاله أو إضعافه أو إشغاله فيما ليس من اهتماماته .. فإنه يُساعده على التفرغ لتصدير ونشر مذهب أهل التشيع والرفض في أوساط الآخرين .. الغاية التي وجد لأجلها .. والتي لا يجوز أن يُشغله عنها شاغل .. أو يصرفه عنها صارف!

2- هذه المهمة التي وجد لأجلها حزب الله اللبناني .. لم يجد منفذاً لها يصل من خلاله إلى قلوب وعواطف الآخرين . بأقرب وأسرع وقت ممكن . من النافذة الفلسطينية .. ومن القضية الفلسطينية .. القضية التي يقلق ويهفو لها قلب كل مسلم صادق في العالم!

حتى أصبح في نظروعرف كثير من الناس أن من يهتم بالقضية الفلسطينية .. ويبذل نحوها ونحو أهلها نوع تعاطف وتضامن فهو الصادق .. وهو البطل .. وهو الشريف .. وهو المنقذ الذي يجب أن تهتف الجماهير باسمه .. وإن كان في حقيقته كاذباً ممثلاً .. وأضل من إبليس!

عرف أحبار ورهبان التشيع والرفض في إيران هذه القاعدة؛ قاعدة إن تسود ويسود مذهبك وتوجهك .. في العالم الإسلامي كله .. فاركب موجة القضية الفلسطينية واضرب وغني على وترها .. فأوحوا إلى عملائهم وصنائعهم وربائهم في حزب الله اللبناني . بحكم موقعهم وقربهم من الحدود

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

الفلسطينية . أن يركبوا هذه الموجة .. موجة القضية الفلسطينية .. وأن تكون كلمة "فلسطين" من جملة أدبياتهم التي تتكرر في اليوم ألف مرة وأكثر .. وعلى طريقة النظام البعثي النصيري السوري في أيامه الأولى .. يوم أن كان الكذب يُطلى على كثير من الناس .. وهذا الذي فعله ويفعله الآن حزب التشيع والرفض اللبناني .. من خلال ما يبثونه من دعايات وخطابات فارغة وكاذبة عبر إذاعتهم الرافضية المسماة بالمنار..! وبالفعل من خلال الدعاية المكثفة حول القضية الفلسطينية .. التي يبثها حزب التشيع والرفض عن طريق قنواته الفضائية .. استطاع أن يصنع للتشيع والرفض دعاية كبيرة في أوساط المسلمين في العالم .. وفي فلسطين تحديداً .. حيث بتنا نسمع من كثير من القيادات الفلسطينية . ومن عامة الناس كذلك . الثناء على إيران .. وعلى الخميني .. وعلى حزب الله الرافضي .. وعلى أمينه العام .. ومن ثم على التشيع والشيعة الروافض .. حتى أن بعضهم دخل مذهب التشيع والرفض .. وبدأ يمارس جهاده الأكبر المُعد له في السب والطعن والتشكيك بالصحابة، والصحابيات من أمهات المؤمنين .. رضي الله عنهم أجمعين .. وهذا هو مراد القوم!

فإن قيل: كيف نفهم ونفسر هذا العداة الظاهر الذي نلحظه بين حزب الله اللبناني، وبين الصهاينة اليهود..؟!

أقول: هذا العداة الظاهر الذي نلحظه بين حزب الله الشيعي الرافضي وبين الصهاينة اليهود .. هو نفسه العداة الظاهر الكاذب بين دولة الصهاينة اليهود وبين النظام السوري الطائفي .. وهو لا يخرج عن إطاره الدعائي للشيعة الروافض ولمذهبهم مذهب التشيع والرفض .. وبرهان ذلك من أوجه:

منها: أنه لا خلاف أن حزب الله الرافضي اللبناني .. هو صنيعة كل من النظام الإيراني الشيعي الرافضي، والنظام البعثي النصيري السوري، وأنه يتحرك وفق أوامر ومصالح وسياسة النظامين الأنفي الذكر .. لا يمكن له أن يخرج عن ذلك!

فالنظام الإيراني الرافضي .. لا يهيمه من الأمر كله .. ومن الصراع الموهوم كله .. سوى تصدير مذهب التشيع والرفض والطعن .. وتحقيق الولاء لآيات وأحبار ورهبان التشيع والرفض الإيرانيين .. وليكن بعدها ما يكون .. وإيران مقابل أن يتحقق لها ذلك مستعدة أن تدفع مليارات الدولارات!

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

إيران منذ موت آيتهم الخميني .. غيرت سياستها من تصدير الثورة إلى دول المنطقة والجوار التي تستهدف أنظمة الحكم .. والحكام .. إلى سياسة تصدير مذهب التشيع والرفض التي تستهدف عقول وعقائد الشعوب والناس .. عسى أن تحصل لهم القاعدة الشعبية التي تقدر فيما بعد على التغيير لصالح الدولة الإيرانية التي ترعى مذهب التشيع والرفض!

سياسة تصدير الثورة تستجلب لإيران عداء الحكومات والحكام .. وهذا أمر أثبت أنه مكلف جداً على أحبار ورهبان وآيات النظام الإيراني .. وهو يُحيل بينهم وبين تصدير الفكر الشيعي الرافضي .. بخلاف اعتماد سياسة تصدير مذهب التشيع والرفض التي تستهدف عقول وعقائد جماهير الناس .. من قبيل إثراء الثقافات .. وقبول الآخر .. وضرورة التنوع .. فهي مستساغة وأكثر قبولاً .. وهي على المدى القريب أقل خطراً على الحكام وأنظمتهم .. مما جعل أنظمة دول الجوار .. وغيرها من الدول العربية .. تفتح صفحة جديدة مع النظام الإيراني .. وتعد معه معاهدات التعاون الثقافي التي تعني . عند آيات الرفض . تصدير مذهب التشيع والرفض، وأن لا تمنع الحكومات القائمة من ذلك .. وإلا ما هي الثقافة الإيرانية التي يُراد تصديرها للناس والتعاون من أجلها!؟

لا توجد مشكلة حقيقية بين النظام الإيراني الرافضي وبين أمريكا ودولة الصهاينة اليهود .. وهذا يظهر بين الفينة والأخرى من خلال تصريحات ساسة الطرفين التي تتناولها وسائل الإعلام .. ومن خلال اللقاءات الودية بين الطرفين .. ويظهر كذلك من خلال موقف إيران وعملائها من الشيعة الروافض الداعم للغزاة الأمريكان في كل من أفغانستان والعراق ..!

فأمريكا وكذلك دولة الصهاينة اليهود يعرفون أن مشكلة النظام الشيعي الرافضي في إيران ليست معهم .. وإنما مع العالم الإسلامي السني .. وعلى هذا الأساس فهم يتعاملون معهم بكثير من التفاهم .. والتعاون والتنسيق .. وكطابور خامس خائن في جسد الأمة!

أما النظام البعثي السوري .. فهو لا تخفى عمالته وخيانتته للأمة .. وعدم صدقه في مواجهة الصهاينة المحتلين لأرض فلسطين .. وحتى للأراضي السورية .. وبالتالي فهو لا يمكن أن يسمح لحزب الله الرافضي أن يُجاهد أكثر منه .. أو يُجاهد على غير طريقته الابتزازية التفاحرية .. القائمة على الرياء والتشيع بما ليس فيهم .. أو يتحرك خارج إطار سياسته وتوجهاته ومصالحه الذاتية .. وهو من خلال

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

دعمه لحزب الله الرافضي في لبنان .. وفتح سورية لدعاة التشيع والرفض الإيرانيين .. يريد الأمور التالية:

أولاً: ضمان استمرار الدعم الاقتصادي السخي من قبل دولة إيران .. إضافة إلى الدعم السياسي .. فالنظام الشيعي الإيراني يلتقي مع النظام النصيري السوري .. من جهة أن النصيرية من أفراخ وغلاة الشيعة الروافض وهم خرجوا من حظيرتهم، حظيرة التشيع والرفض .. ومن جهة تلاقهما في الغلو بشخص علي بن أبي طالب عليه السلام .. البريء منهما كل البراء .. من عرف ذلك لا يجد غرابة من موقف النظام البعثي السوري في دعمه لنظام إيران في حربه الطويلة ضد النظام البعثي العراقي البائد!

ثانياً: دعم حزب الله الرافضي .. يشكل بعداً دعائياً للنظام السوري .. ويزيد من أوسمة الصمود والتصدي التي يدعمها!

ثالثاً: ليضمن عدم توتر جبهة الجنوب اللبناني المتاخمة لحدود الدولة اليهودية .. من جهة الفصائل الفلسطينية المسلحة الموجودة في لبنان .. مما قد يسبب له إحراجاً .. ويكشف حقيقة صموده وتصديه للعدو الصهيوني .. وأنه كلب حراسي ضعيف.

فالتحكم بحزب الله الرافضي .. والسيطرة عليه .. أهون بكثير على النظام السوري من التحكم والسيطرة على الفصائل الفلسطينية المسلحة .. لو ترك لها حرية الانطلاق من جهة الحدود الجنوبية للدولة اللبنانية!

فالنظام السوري له تاريخ دموي إجرامي رهيب مع الفصائل الفلسطينية في الثمانينيات والتي كانت موجودة على الأراضي اللبنانية .. لينفرد . ككلب حراسة وفي . بحراسة الحدود الممتدة على جميع الأراضي السورية واللبنانية والمتاخمة لحدود الدولة العبرية .. ليضمن أمن وسلامة دولة يهود من أي عمل عدائي أو فدائي .. يخرج عن السيطرة .. والغرض الدعائي الاستهلاكي!

وهو بذلك يريد أن يقول للصهاينة اليهود .. وللمجتمع الدولي: أنا أحرس جهتين .. وأملك حق التفاوض باسم الجهتين: الجبهة اللبنانية، والجبهة السورية .. وبالتالي لا يمكن لكم تجاهلي .. أو الاستغناء عني!

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

رابعاً: كذلك ليستخدم النظام السوري حزب الله الرافضي .. وغيره من فصائل المقاومة الفلسطينية التي تتمتع بشرف وجود مكاتب لها على أرض دمشق .. كورقة ضغط في أي عملية تفاوضية علنية بين النظام السوري والدولة العبرية .. ولفرض نفسه على المجتمع الدولي .. فهو يحب أن يقول لهم: عندي شيء مهمكم .. وبالتالي لا يمكن لكم تجاهلي .. في أي عملية تسوية علنية!

فإن قيل: قد توسعت في الحديث عن النظام الإيراني .. والنظام السوري .. ونحن حديثنا عن حزب الله الرافضي؟!

أقول: قد توسعنا في الحديث عن طبيعة النظامين الفاسدين: الإيراني والسوري .. لتعرف حقيقة حزب الله الرافضي .. وحقيقة مقاومته للصهاينة اليهود المزعومة .. فهو صنّع على أعين من هذين النظامين .. ولأهداف وأغراض هذين النظامين .. فمن لا يفهم هذين النظامين .. وهذه العلاقة الترابطية بين هذين النظامين من جهة وبين حزب الله الرافضي من جهة أخرى .. لا يمكن أن يفهم حقيقة حزب الله الرافضي .. وحقيقة ما يدعيه من مقاومة للصهاينة المعتدين .. وبالتالي ستنتظلي عليه كثير من الأعيبه وأكاذيبه الدعائية!

ومنها: أن حزب الله الرافضي يلعب دور كلب الحراسة المزدوج؛ فهو عندما يحرس الجبهة الجنوبية اللبنانية مع حدود الدولة العبرية .. فهو من جهة يقدم خدمة كبيرة للنظام السوري؛ لأنه يمنع الفصائل الفلسطينية المسلحة الموجودة في لبنان من ممارسة حقها المشروع في الدفاع عن فلسطين أو تسلل أي عمل فدائي .. بصورة أفضل بكثير من النظام السوري ذاته لو أراد أن يحرس الحدود اللبنانية بقواته وجيشه .. وهذا كما ذكرنا من قبل يرفع الحرج عن النظام السوري الموكلة إليه . دولياً . مهمة حراسة الحدود السورية واللبنانية من أي عمل جهادي فدائي فلسطيني وغير فلسطيني!

وهو . أي حزب الله الرافضي . من جهة أخرى يقدم خدمة جليلة للصهاينة اليهود إذ يمنع عنهم أي عمل عسكري يمكن أن تقوم به تلك الفصائل الفلسطينية الشرسة .. فالصهاينة اليهود مهمهم أمنهم بغض النظر عن نوع ولون الكلب الذي يحرسهم؛ سواء كان سورياً من جند البعث النصيري، أم لبنانياً من جند الشيعة الروافض!

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

ولو كان حزب الله الرافضي صادقاً في دعواه للجهاد .. وصادقاً في زعمه تحرير أرض فلسطين من الصهاينة الغاصبين .. ودعم المجاهدين الفلسطينيين .. لماذا يمنع عشرات الآلاف من الفلسطينيين المقيمين في لبنان وغيرهم من المسلمين السنة الذين يتحرقون للقتال والجهاد في سبيل الله .. من ممارسة حقهم في الجهاد ضد الصهاينة اليهود عبر الحدود الجنوبية؟!!

أهو حب التحرير .. أم العمالة والخيانة ..؟!!

للفصائل الفلسطينية الموجودة على أرض لبنان كامل الحرية في أن تتقاتل فيما بينها .. وتتقاذف بالأسلحة المتوسطة .. ويقتلون بعضهم بعضاً .. فهذا لا حرج فيه .. والدولة اللبنانية وكذلك السورية لا تمنع أو على الأقل لا تهتم بذلك .. مادام هذا التقاتل داخلياً بين الفصائل الفلسطينية .. أما أن تتوجه بندقية فلسطينية واحدة عبر الحدود الجنوبية نحو الصهاينة اليهود .. فهذا من رابع المستحيالات .. وصاحب هذه البندقية يؤخذ . من قبل كلاب الحراسة الأوفياء عملاء يهود . بالنواصي والأقدام .. ويُمزق شرّ تمزيق!!!

ومنها: ومن الأوجه كذلك التي تجعلنا نعتقد أن مقاومة حزب الله الرافضي .. هي مقاومة صورية .. غرضها الدعاية والتسويق للتشيع والرفض .. وليس الجهاد والتحرير .. أن المدعو حزب الله ذاته صرح مراراً وتكراراً أن مقاومته لا تتعدى الأراضي اللبنانية .. وأن مقاومته فقط منحصرة في الأراضي اللبنانية .. ولتحرير لبنان .. وأنه ملتزم بتوجهات وقوانين الدولة اللبنانية .. لا دخل له في فلسطين ولا بالمقاومة الفلسطينية .. إلا ما يبثه من أغاني حزينة وحماسية عن فلسطين وأهل فلسطين .. عبر قنواته الفضائية المسماة بالمنار .. تُساعد على ترويح التشيع!

ومنها: أن للشيعية الروافض في لبنان . ممثلين بمنظمة أمل وغيرها، وحزب الله من أفراخ هذه المنظمة . تاريخ إجرامي مخيف مع الفلسطينيين في مخيماتهم في لبنان .. كما حصل في مخيم شاتيلا وغيره أوائل الثمانينات .. فحاصروهم في مخيماتهم حتى أكلوهم القَطَط والكلاب .. خدمة لبني صهيون والنصيريين السوريين معاً .. وإرواءً لغيليلهم وأحقادهم إذ الذين يقتلونهم هم من أهل السنة .. حتى ولو كانوا سنة بمجرد الانتماء الطائفي .. فمتى كان هؤلاء الخونة والقتلة المجرمين .. يحبون فلسطين، وأهل فلسطين، ومجاهدي فلسطين ..؟!!

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

ما أسرع هلكة بني قومي .. وما أسرع نسيانهم سياط الجلادين .. مصاصي دماء الشعوب المقهورة!
فإن قيل: مادامت مقاومة حزب الله للصهاينة اليهود مقاومة صورية، الغرض منها الدعاية لمذهب التشيع والرفض .. وتسويق الولاء لآيات وأحبار ورهبان التشيع والرفض في إيران .. فكيف تضطر دولة الصهاينة اليهود للانسحاب من الأراضي اللبنانية .. وتسليمها بالمقابل لحزب الله اللبناني الرافضي؟!
أقول: لما وجد الصهاينة اليهود أن الكتائب النصرانية العميلة التي كانت موجودة في الجنوب اللبناني لم تعد قادرة على حماية الحدود .. وتنفيذ المهام كما ينبغي .. وتكلفتهم الكثير .. استبدلتهم بعميل آخر قوي يقدر على حماية الحدود .. وله بعد شعبي في المنطقة .. كما يقدر على منع أي عمل عسكري فلسطيني وغير فلسطيني يمكن أن يحصل عبر الحدود .. وبكلفة أقل .. هذا العميل الجديد هو حزب الله الرافضي .. هذا الاستبدال . وللأسف . سُمي تحريراً وبطولة ومقاومة .. هذه حقيقة لا ينبغي أن يتجادل حولها اثنان من ذوي الفهم!

والفرق بين الكتائب النصرانية الصليبية وبين حزب الله الرافضي أن الكتائب النصرانية كانت تمارس دور العميل الواضح والصريح، وتعمل وتحرس على المكشوف .. بينما حزب الله الرافضي يمارس دور الحارس والعميل الخفي المبطّن .. مع دور البطل الظاهر .. والمنقذ .. وهو لا شك أشد فتكاً وخطراً!
فإن قيل: ما هو المكسب الذي يرتد على حزب الله الرافضي مقابل هذه العمالة .. وهذه الحراسة .. وهذه التضحيات؟!

أقول: لا شيء .. سوى أن يُسمح له أن يُمارس الدعاية الإيجابية لمذهب التشيع والرفض .. وأن يستثمر الأحداث لصالح مذهب التشيع والرفض .. وهذا مكسب عظيم عند آيات وأحبار ورهبان التشيع والرفض في إيران .. لا يُقدّر عندهم بثمن .. وهو بنفس الوقت لا يسبب حرجاً للصهاينة اليهود .. ولا للغزاة الأمريكان، بل يرون في ذلك مصلحتهم وأنه يحقق مزيداً من التفرق والتشتت والإضعاف للأمة!!
هذه الأوجه الأتفة الذكر مجتمعة تجعلنا نجزم أن مقاومة حزب الله الرافضي للصهاينة اليهود مقاومة صورية .. لا حقيقة لها .. الغرض منها صناعة الدعاية لمذهب التشيع والرفض .. ولآيات وأحبار ورهبان الشيعة الروافض في إيران!

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

3- لا يخلو حدث جماهيري وإعلامي ملفت للنظر.. إلا ويستثمره حزب الله الرافضي ويُجَيِّره لصالح مذهب التشيع والرفض .. ولصالح آياتهم وأحبارهم في إيران .. مما يجعلك تشعر وتجزم أنه ما وجد إلا لصناعة هذه الدعاية .. من ذلك ما حصل مؤخراً في قضية الإفراج عن الأسرى من سجون الصهاينة اليهود.

فعبد الكريم عبيد الشيعي الرافضي . الذي صنعت له دعاية كبيرة ومكثفة من لحظة اعتقاله من بيته وهو بين ظهراني محبيه من المقاومة الشيعية الرافضية من قبل الصهاينة اليهود ومن دون أن تحصل أية مقاومة! .. إلى لحظة الإفراج عنه .. ليصبح بعد ذلك البطل الذي دونه الأبطال كلهم . يوجه تحياته وسلامه .. وعبارات الإطراء والولاء . وهو في طائرة العودة من ألمانيا إلى بيروت . إلى آيتهم .. مرشد الشيعة الروافض في إيران "علي خامنئي" .. ويسميه زوراً بإمام المسلمين!

وكذلك الرافضي أمين حزب الله اللبناني .. لم ينس . وهو يخطب في الناس بمناسبة الإفراج عن هؤلاء الأسرى . أن يتوجه بالسلام وعبارات المديح والولاء لروح وجثمان وعظام آيتهم الخميني .. المليء بالحق والكرهية على الإسلام والمسلمين .. وعلى أمهات المؤمنين .. وخيرة أصحاب رسول الله ﷺ .. وكتبه التي خلفها وراءه كلها تتكلم عن ذلك !..

كما لم ينس أن يخص بذلك الإطراء والمديح والولاء وارث ولاية الفقيه بعد الخميني آيتهم خامنئي .. ليقول للحضور ولستمعهم عبر قناتهم المنار: هذا الإنجاز الذي حققته المقاومة .. وهو الإفراج عن هؤلاء الأسرى من سجون الصهاينة اليهود .. والذي نال إعجابكم .. إنما هو بفضل انتمائنا لهؤلاء الآيات والأحبار والرهبان .. وفضل مذهبهم الرافضي الذي نشأنا وتربينا عليه .. ورضعنا منه .. فنحن ثمرة من ثمارهم وعطائهم .. وبالتالي فإن أعجبتم بنا وببطولاتنا .. وبما حققناه من إفراج عن هؤلاء الأسرى .. لا بد من أن يكون إعجابكم موصولاً لهؤلاء الآيات والأحبار والرهبان .. أساتذتنا .. كما لا بد أن تدخلوا في دينهم ومذهبهم مذهب التشيع والرفض الذي أفرز أمثالنا .. وكتعبير عن ولائكم للمقاومة الباسلة!!

وفي اتصال لمذيع قناة المنار مع مراسلهم في الحج .. لم يسأله عن أحوال الحجاج .. ولا عن سلامتهم .. ولا عن أي شيء يتعلق بالحجاج وعباداتهم . فالحج في نظرهم وهابي، ومناسك الحج وهابية لذا فهي لا تعنيهم .. ولا تستدعي اهتمام قناة المنار الرافضية بها . وإنما سأله كيف تلقى الحجاج خبر

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

الإفراج عن الأسرى .. وهل يُتابعون ما تبثه قناة المنار من دعاية عن التشيع والرفض .. وعن حزب الله الرافضي .. بمناسبة هذا الحدث العظيم ..!!

هذا هو المهم عند حزب الله الرافضي .. كيف يجيّر كل حدث لصالح التشيع والرفض .. ولصالح أحبار ورهبان التشيع والرفض!

زعم أمين حزب الله الرافضي .. أنه كان ذكياً لما أعاد نبش رفات وعظام ستين شخصاً ليدفنوا مرة ثانية في الأراضي اللبنانية .. وهؤلاء .. كما ذكرت ذلك وكالات الإعلام .. منهم الشيوعي الملحد، ومنهم من هم من عناصر منظمة أمل الشيعية الحاقدة، ومنهم من هو من الفلسطينيين .. وربما يكونون هؤلاء هم النسبة الأكثر من الموتى والجثث المنقولة والمنبوثة .. نسأل الله تعالى أن يرحم ويتقبل المسلمين المؤمنين منهم .. وفي هذه الصفقة أراد المجرم شارون أن يوجه رسالة مؤلمة للأمة برمتها، وللفلسطينيين بخاصة .. لا أظن حزب الله الرافضي الذي قد فهمها .. وإن كان قد فهمها فهي طامة ودليل آخر على عمالته وخيانتته .. فحوى هذه الرسالة: أن هؤلاء الفلسطينيين المبعدين كما ليس لهم حق العودة ليعيشوا فوق أرض فلسطين .. كذلك ليس لهم حق العودة وهم أموات ليدفنوا في باطن أرض فلسطين .. فأرض فلسطين ظاهرها وباطنها محرمة عليهم .. لذا فهو يعيد نبش قبورهم ليدفنوا مرة ثانية في مخيمات النذل التي انطلقوا منها .. خارج أرض فلسطين .. ولكن بعد اتفاق ذكي مع حزب الله الرافضي!

فإن قيل: ولكن تم الإفراج عن بعض الأحياء .. من اللبنانيين والفلسطينيين ..!؟

أقول: هؤلاء أكثرهم قد قضى محكوميته وزاد عليها .. وبعضهم ليس عليه حكم أصلاً .. ثم لا يمانع الصهاينة اليهود بين الفينة والأخرى أن يتخذوا بعض الإجراءات والخطوات التي تعزز من موقف وسمعة عملائهم .. مقابل ما يقدمه هؤلاء العملاء لهم من خدمات لا تقدر بثمن .. فالأسياد يريدون عملاء أقوياء .. يكونون على مستوى المهام التي توكل إليهم .. لا ضعفاء مهزوزين .. فالعميل الضعيف تكون خدماته مثله ضعيفة وقليلة .. وهذا يحتاج من الأسياد إبداء بعض التنازلات الثانوية لتعزيز موقف العميل في أعين الناس .. فمثل هذه الإجراءات والخطوات تحصل عادة بين الأسياد وعملائهم!

فأمريكا لا يمكن أن تنسى للشيعية الروافض خدماتهم العظيمة لها في كل من أفغانستان والعراق .. وفي مجال ملف مكافحة الإرهاب .. وبالتالي .. من قبيل تعزيز موقف وسمعة الشيعة المهزوزة في العالم

حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

. لا يُستبعد أن توحى أمريكا لربيبتها دولة بني صهيون . بعد اتصالات وترتيبات مع أحبار وآيات إيران . بأن تتخذ مثل هذه الخطوات، كالإفراج عن بعض الأسرى، أو وضع جرافة من دون سائق في الأراضي اللبنانية ليقوم حزب الله بتفجيرها .. ومن ثم لكي يظهر كبطل ومقاوم ومجاهد .. ويستثمر الحدث لصالح مذهب التشيع والرفض .. همهم الأكبر!

اعلموا يا إخواني .. أننا نعيش في زمانٍ .. الحق فيه مُستعدى .. ومحارب .. ومطارد .. قل أنصاره وأعوانه .. ولو كان حزب الله اللبناني على جانب من الحق والإخلاص .. أو فيه بعض خصال وصفات حزب الله الحق .. كما هي مبينة في كتاب الله .. لما سكنت عنه أمريكا ومن دخل في حلفها من دول الكفر والعمالة والنفاق .. إلى هذا الوقت .. ولكانت قيادات الحزب مطاردين .. يفترشون الصعاب .. والكهوف .. والمغارات .. والسجون .. وليس الفرش الفارهة الناعمة .. أو السيارات الواسعة الحديثة!
فلا يختلطنَ عليكم الحق من الباطل .. ولا الصدق من الكذب .. ولا الإخلاص من الخيانة والغدر والعمالة .. كما وأعينكم أن تكونوا بوقاً للباطل وأهله .. أو أن تكثروا سوادهم في شيء .. فتهلكوا .. وتكونون شركاء لهم في الوزر والإثم وأنتم لا تعلمون!

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/12/11هـ

أبو بصير الطرطوسي

2004/02/02م

النظام السعودي .. ومناسك الحجّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البلاء كقضاء وقدر.. نرضاه ولا نسخطه .. ونصبر عليه .. ونحتسب الأجر والمصاب عند الله تعالى .. لأنه حكم الله .. أما كأن يكون المخلوق سبباً في حصوله .. فهو يُحاسب ويُساءل .. ويُنكر عليه .. والساكت عليه معين له على باطله ومنكره وعدوانه!

ما من عام في موسم الحج المبارك إلا ونُفجع بموت عشرات بل ومئات من المسلمين ممن يحجون بيت الله الحرام .. مرة بسبب الاختناقات .. ومرة بسبب الحرق .. ومرة بسبب التدافع والدهس بالأقدام .. كان آخرها هذا العام؛ حيث توفي أكثر من مائتين وخمسين حاجاً عند منسك رمي الجمرات في منى .. دهساً تحت الأقدام .. هذا حسب الرواية الرسمية للنظام السعودي .. وهناك تقارير تقول أن عدد الضحايا أكثر من ذلك بكثير..!

وفي كل مرة يكون المسؤول الأول والأخير عن هذه الأحداث المؤلمة .. هو الإهمال .. هو التقصير.. هو عدم الشعور بالمسؤولية .. هو النظام السعودي ذاته المستأمن على رعاية وسلامة وأمن وراحة حجاج بيت الله الحرام!

والذي حملنا على تحميل النظام السعودي كامل المسؤولية عما حدث .. هو تكرار الحوادث المؤلمة في كل عام وفي نفس الأماكن .. لأسباب فنية تنظيمية .. بشيء من التنظيم وحسن الإدارة، والشعور بالمسؤولية الصادقة يمكن تفاديها بكل سهولة!

لماذا في نهاية مباريات كأس العالم .. التي تقام في بلاد الغير.. يدخل الملعب الواحد أكثر من مليون شخص .. وفي يوم واحد .. ومن بوابة واحدة .. ويخرجون في نهاية المباراة من بوابة أخرى .. من دون أن يحصل شيء من تلك الكوارث المؤلمة التي تحصل للمسلمين عند أدائهم لمناسك الحج ..!

أتكون ملاحظتهم .. أكثر أمناً وتنظيماً ورعاية .. من أقدس بقعة على وجه الأرض؛ عرفات وما حوله من مناسك وشعائر؟!!

النظام السعودي .. ومناسك الحجّ

قال وزير داخلية النظام السعودي، ومعه بطانة السوء: السبب في حصول هذه الكوارث في مواسم الحج هم الحجاج أنفسهم .. بسبب تدافعهم .. وعدم تنظيمهم .. متملصاً وأولياءه من كل مسؤولية أو تبعية؟!

أقول: عدم تنظيمهم بسبب غياب المنظم والراعي الذي يسهر ويقلق على تنظيمهم .. وأما التدافع .. فإن الأرواح تخرج .. وتتلجج في الصدور .. فماذا تراهم يفعلون .. أو يمكن لغيرهم أن يفعلوه .. وأرواحهم تخرج من أجسادهم .. وهم في مرحلة النزاع؟!

أين المداخل والمخارج الإجبارية التي تمنع الداخل من الحجاج لرمي الجمرات في منى أن يصطدم أو يواجه الخارج، أو الخارج أن يواجه ويصطدم بالداخل ..؟!

دولة اليابان بكاملها لا توجد فيها إشارة ضوئية واحدة؛ لأن السائق مهما سار فلن يواجهه أو يُقاطعه أحد .. وبالتالي فهو لا يحتاج إلى التوقف .. فعلام النظام السعودي يتعاجز عن تنظيم بضعة كيلو مترات فقط على هذا النحو .. أم أن هذه الأمور مسؤول عنها حجاج بيت الله الحرام!!

قالوا وبشيء من المن والأذى والرياء والتفاخر، عبر الأثير: توجد بعض الخدمات لحجاج بيت الله الحرام .. وما الطعام المملب المهدي للحجاج . كهديّة من خادم الحرمين الشريفين . عن مرآكم ومسامعكم ببعيد!

قلنا: هذا أمر لا ننكره ولا نجحده .. بل ونشكره .. ولكن هذه الخدمات قياساً لإمكانيات وقدرات، ودخل الدولة السعودية .. وما يأتيها من دخل ومردود من حجاج بيت الله الحرام .. فهي لا شيء يُذكر .. فالدولة السعودية تملك من الإمكانيات والأموال أن تجعل . لو توفرت النية الصادقة المسؤولة . من جبل عرفة وما حوله من مناسك وشعائر .. جنة خضراء تتفجر فيها . بإذن الله . الينابيع والأنهار ..؟!

علام قصور أمراء آل سعود الواسعة المرتفعة .. تتوفر فيها كل وسائل الخدمة والراحة والمتاع .. والتقنية .. إلى درجة الإسراف والتبذير .. والخيال .. بينما جبل عرفات وما حوله من مناسك وشعائر .. أرضاً قاحلة خالية من كل شيء .. إلا من بعض الشجيرات المنتشرة هنا أو هناك ..؟!

قالوا: أوعزت الحكومة بتشكيل لجنة .. تهتم بتطوير وتحسين مناسك وشعائر الحج .. وظروف الحج، والحجاج .. ولكي تتفادى التقصير الحاصل!

النظام السعودي .. ومناسك الحجّ

نقول لهم: لماذا الآن وحسب .. وقد مضى على رعاية النظام السعودي لمناسك وشعائر الحج أكثر

من سبعين سنة .. وفي كل سنة تتكرر نفس المآسي لحجاج بيت الله الحرام؟!!

هل فاتتكم مقولة الفاروق العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو أن بغلة تعثرت في الطريق لخشيت

أن يسألني الله عنها، لماذا لم تعبد لها الطريق يا عمر؟!!

فنحن لا نسألهم أن يُعبدوا الطرق للحيوانات .. وإن كنتم ستُسالون عن ذلك .. وإنما نسألهم

أن تتقوا الله .. في ضيوف الرحمن .. حجاج بيت الله الحرام .. بحيث لا تتكرر هذه المآسي في كل عام من

موسم الحج!

إن نفذتم اليوم . يا حكام وأمراء السعودية . من مساءلة المخلوق .. وسكت . رهبة أو رغبة . عنكم

وعن تفريطكم وتقصيركم علماؤكم ووعاظكم .. فلن تنفدوا غداً يوم القيامة من المحاسبة .. والمساءلة

عن كل نفس بريئة من حجاج بيت الله الحرام .. تُزهق بسبب إهمالكم وتقصيركم!

نراكم ونرى علماءكم وأبواقكم معكم ما إن يقتل عالج من علوج الكفر على أيدي المجاهدين .. إلا

وسرعان ما تُرفع الأصوات .. وتُعقد الندوات .. وتُسخر جميع وسائل إعلامكم للتنديد والتشهير .. بالإرهاب

والإرهابيين!

بينما عندما تقتلون المئات من حجاج بيت الله الحرام . بسبب تقصيركم وإهمالكم وعدم شعوركم

بالمسؤولية . لا نجد أحداً منكم ولا من بطانتكم وعلماؤكم .. من يتباكى أو يستنكر أو مجرد أن يسأل أو

يتساءل .. لماذا وكيف قُتل هذا العدد الكبير من حجاج بيت الله الحرام؟!!

قتل وقتال الغزاة المعتدين .. عمل إرهابي .. يجب أن تتكاتف الجهود على محاربته واستئصاله

.. وهو عمل تُنفق في سبيل استئصاله مليارات الدولارات .. وتُعقد لأجله الندوات والمؤتمرات .. بينما

قتلكم في كل عامٍ لمئات من الحجاج الأمنيين .. ليس إرهاباً .. ولا عملاً إرهابياً .. وهو عمل بسيط . قضاء

وقدر! . لا يستدعي منكم القلق أو الاهتمام!!

يا حكام وأمراء السعودية .. لا جهاد .. ولا ولاء ولا براء في الله .. ولا حكم بما أنزل الله .. ولا قسمة

بالسوية والعدل للثروة والأموال .. ولا سقاية ولا رعاية كافية للحج والحجاج .. فبمّ تدخلون الجنة .. وبمّ

تلزمون الناس أن يعترفوا بشرعيتكم .. وشرعية حكمكم .. وأن يقدموا لكم الطاعة والولاء؟!!

النظام السعودي .. ومناسك الحجّ

اتقوا الله .. وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا .. ويقع الندم ولات حين مندم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ . ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ .
وبما يتعلق بضحايا الحج لهذا العام أرى أن تُدفع لأولياء كل واحد منهم الدية الشرعية للقتل شبه العمد .. من أموال الدولة، والله تعالى أعلم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1424/12/15هـ

أبو بصير الطرطوسي

2004/02/06م

الضوابط المثلى في كيفية التعامل مع الدعاة والعلماء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد كثرت الحديث والسؤال عن حقوق الدعاة والعلماء .. وما يجب لهم وما يجب عليهم .. وعن

اللحوم المسمومة وغير المسمومة!

وكثير من الناس . كعادتهم . فريقان: فريق يجنح إلى الإفراط والغلو في الطاعة والولاء والتقديس

.. وعلى حساب الحق .. فلا يقبل أن يُقال في شيخه .. أو الداعية الذي يهواه .. نقداً .. ولا نصحاً .. ولا

توجيهاً .. ولا أن يُقال عنه أخطأ والصواب كذا .. فشيخه . في نظره . فوق النص .. وفوق المساءلة

والمحاسبة أو أن يُقال له أخطأت!

وهو ما إن يسمع أي نقدٍ أو توجيه أو نصح . وإن كان حقاً . يقال عن شيخه أو لشيخه الذي يهواه

.. إلا وتراه يرتجف .. ويزيد .. ويصيح .. وتنتفخ أوداجه .. ويفجر في الخلاف والخصام .. ويكلمك عن

ضرورة احترام العلماء .. وعن اللحوم المسمومة ..!

وهو في تعصبه لشيخه الذي يهواه .. لا يتورع عن الطعن والتجريح في الشيخ الآخرين الذين لا

يهوهم .. إذا دعت ضرورة الدفاع عن شيخه المحبوب إلى ذلك!

وأذكر في ذلك رجلاً كتب إلي زاعماً مناصحتي فيما كتبتة . ناصحاً ومشفقاً . عن أحد الدعاة

وأسلوبه الدعوي .. مستهجنناً علي جرأتي وقلة أدبي في توجيه النصح لذلك الداعية .. فأين أنا منه ..

ومن أكون أنا حتى أنصحته .. وهو في نصيحته الغضبية . المزعومة . هذه لي لم يفته الإكثار من السب،

والطعن، والتهكم، والتحقيري .. علماً أنني أكبر سناً من ذاك الداعية الذي يغضب لأجله، ويدافع عنه

.. ولا أود أن أزيد!

فقلت: يا سبحان الله .. ينهى عن خلق . بزعمه . ويأتي أسوأ ما فيه ..!

يُطالبني بالأدب والتأدب .. والحوار الراقي والمتحضر .. مع الآخرين .. وهو في نصيحته المزعومة

هذه .. يكثر من السب والطعن، والتجريح بي ..!؟

الضوابط الفُتلى في كيفة التعلل مع الدعاة والعلماء

ما الذي حمله على هذا الغضب الشديد .. وهذه الأخلاق .. أهو حقاً الغضب لله ومن أجل حرمات الله .. أم أنه الغضب والعصبية العمياء لمحبوبه الذي يهواه .. ويمهى فيه .. والذي لا يطبق أن يسمع فيه كلمة واحدة لا تروق لمزاجه!

أهو فعلاً الحرص على ضرورة التأذب مع العلماء والدعاة .. أم أنه التعصب الأعمى للرجال في الحق والباطل سواء .. وعلى حساب الحق المسطور في الكتاب والسنة؟!

هذا الرجل مثلاً ونموذج عن الفريق الذي يمثل الغلو والإفراط في الطاعة والولاء لذوات الدعاة .. وما أكثر الأمثال والنماذج . في أمتنا . التي تماثل وتطابق هذا المثل والنموذج في أخلاقه وعصبيته وإفراطه!

أما الفريق الآخر الذي يجنح للتفريط .. يتمثل في شريحة من الناس لا تقيم للعلماء العاملين وزناً ولا قيمة ولا احتراماً .. فأحدهم لأدنى خلاف .. أو لأي اجتهاد معتبر يصدر عن ذاك العالم أو الداعية لا يفهمه أو قد لا يروق له .. تراه لا يتورع عن الطعن والتشهير والاستخفاف به .. ويعلمه .. ويعلن البراء منه .. والحرب عليه!

وهذا أيضاً منهج باطل وخاطئ .. وهو خلق يبرأ منه الإسلام!

والحق وسط بين الفريقين والمنهجين .. لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .. ومن غير جنوح إلى إفراطٍ ولا تفريط .. نجتهد في أن نُظهر هذا المنهج الوسطي الحق الذي يحدد صفة وكيفية التعامل مع الدعاة والعلماء .. ويبين ما لهم وما عليهم .. من خلال ذكر الضوابط التالية .. راجياً من الله تعالى السداد والتوفيق.

الضابط الأول: يجب أن يعلم الجميع أن للعلماء العاملين الصادعين بالحق مكانتهم الرفيعة،

وحقوقهم المحفوظة في الإسلام.

فهم أولي الأمر .. وهم القادة .. وهم الأمناء على دين الله في الأرض .. وهم الطليعة النخبة الذين يتقدمون الأمة في ميادين الجهاد والصدع بالحق .. ونحو كل خير .. وهم الطائفة المنصورة الظاهرة بالحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم .. لذا فلهم من الأمة التوقير، والاحترام، والإكرام، والإجلال.

الضوابط الفُتلى في كِيفِيَّةِ التَعَاوُلِ مَعَ الدِّعَاةِ وَالعُلَمَاءِ

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت:

.33

فهؤلاء بشهادة الله تعالى لا أحد أحسن منهم ديناً، ولا أجراً، ولا مكانة ولا مقاماً .. وأحسن من دعا إلى الله وعمل صالحاً .. وقام بواجب الدعوة إلى الله تعالى .. هم الأنبياء والرسل صلوات ربي وسلامه عليهم .. وأحسن من دعا إلى الله وعمل صالحاً من الأنبياء والرسل هم ألو العزم من الرسل .. وأحسن من دعا إلى الله وعمل صالحاً من أولي العزم من الرسل هو نبينا وقدوتنا محمد ﷺ.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر" [1].

وقال ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض

حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير" [2].

قلت: هذا فضل العالم على العابد .. فكيف بفضله على من سوى العبّاد من عامة المسلمين ..

لا شك أنه أعظم بكثير!

وقال ﷺ: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله" [3].

وقال ﷺ: "ليس من أمتي من لم يُجَلِّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا" [4]. أي يعرف لعالمنا

حقه من توقير وتكريم واحترام.

وقال ﷺ: "إن من إجلال الله إكرام ذي الشببة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي

عنه، وإكرام ذي السلطان المُقسِط" [5].

1 أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، صحيح الترغيب: 68.

2 أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

3 أخرجه الحاكم، السلسلة الصحيحة: 491.

4 أخرجه أحمد وغيره، صحيح الترغيب: 96.

5 صحيح سنن أبي داود: 4053.

الصُّوابُ الفُتلى في كِيفِيَّةِ التَّعَامُلِ معِ الدِّعَاةِ والعِلماءِ

فالذي يتناول على هذا الصنف من العلماء العاملين بالطعن، والسب، والتهمك، أو التشهير.. أثمه مغلظ ومضاعف.. فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب" البخاري. وفي رواية: "من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة"، وفي رواية: "من أهان لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة". نسأل الله تعالى السلامة والعفو والعافية.

الضابط الثاني: إن إجلال واحترام وإكرام العلماء يتفاضل ويزيد وينقص بحسب قدم السيرة العلمية، والدعوية، والجهادية لكل عالم؛ فحق العالم العامل المجاهد أعظم وأغلظ من حق العالم القاعد عن الجهاد.. ولكل فضله.. وكذلك من كان له السبق في الدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله.. فله زيادة حق وفضل على من كان حديث عهد مع العلم والدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله.. والنصوص الشرعية قد دلت على ذلك.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الحديد: من الآية 10. فميز الله تعالى. من حيث الأجر والمثوبة والدرجة. بين من آمن وأنفق وقاتل في سبيل الله قبل فتح مكة. فهؤلاء أعظم أجراً وأرفع مكانة. وبين من آمن وأنفق وقاتل في سبيل الله بعد فتح مكة، وكلاً وعد الله الجنة.

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: 95. فالآية صريحة في تفضيل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من المؤمنين.

وفي الحديث المتفق عليه، عن أبي سعيد الخدري، قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا أحداً من أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه".

يقول النبي ﷺ ذلك لخالد بن الوليد علماً أن خالد بن الوليد ؓ من أصحاب النبي ﷺ ولكن لما كان إسلام وإيمان وجهاد عبد الرحمن بن عوف ؓ متقدماً على إسلام وإيمان وجهاد خالد بن الوليد..

الضوابط الفُتلى في كِيفِيَّةِ التَعَامُلِ مَعَ الدِّعَاةِ وَالْعُلَمَاءِ

فرق بينهما في المتزلة والأجر، وعد ما يُنفقه من تأخر إسلامه وجهاده إلى الفتح أو ما بعد الفتح ولو كان مثل جبل أحد ذهباً .. فإنه لا يوازي ولا يُساوي مدّاً واحداً ولا نصيفه مما كان يُنفقه الصحابة ممن كان لهم السبق في الصحبة والإيمان والجهاد في سبيل الله !..

حتى في خلاف حصل بين أبي بكر الصديق ؓ وبين عمر بن الخطاب ؓ .. نجد أن النبي ﷺ يراعي هذا الضابط والمقياس، فيقول ﷺ لعمر بن الخطاب ؓ زاجراً وناهياً. والفاروق عمر هو هو: "إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركولي صاحبي .. فهل أنتم تاركولي صاحبي" مرتين، فما أؤذي بعدها. والحديث مخرج عند البخاري في صحيحه، وفيه أن أبا بكر ؓ لما رأى من غضب النبي ﷺ على عمر، أشفق على عمر .. وأخذ يهدئ من غضب النبي ﷺ ويقول: "يا رسولَ الله، والله أنا كنتُ أظلمُ .. والله أنا كنتُ أظلمُ" مرتين!

والأحاديث النبوية التي تبين فضل أهل موقعة بدر على من سواهم من الصحابة .. ومن جاء بعدهم .. كثيرة جداً .. وهي كذلك تصلح كدليل على الضابط الأنف الذكر.

وفي الأثر عن ابن عباس ؓ قال: لا تسبوا أصحاب محمد؛ فلمقام أحدهم ساعة. يعني مع النبي ﷺ. خير من عمل أحدكم أربعين سنة^[1]. وفي رواية: "خير من عبادة أحدكم عُمْرَهُ". يقول ابن عباس ذلك لمعاصريه من الصحابة والتابعين .. فكيف بمن جاء بعدهم .. فكيف بزماننا هذا الذي فشا فيه الكذب .. وفقدت فيه الأمانة .. وساد الغدر .. لا شك أنه من باب أولى أن نمسك عن الخوض فيمن تقدمونا بالإيمان والعمل الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .. وبخاصة القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية والفضل، وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"^[2]. أي أمسكوا عن الخوض فيهم واحذروا أن تتوسعوا في الحديث عنهم بغير علم .. حتى لا تقعوا بالمحذور!

خلاصة القول: مما تقدم نستفيد أن المسلمين في كل عصر من عصورهم .. لا بد من أن يُراعوا في تعديلهم وتجريحهم .. ودرجة توقيهم واحترامهم .. للأخريين علماء كانوا أو غيرهم .. ضابط الأقدمية

¹ أخرجه أحمد وغيره، وصححه الشيخ ناصر في تخريجه لأحاديث "شرح العقيدة الطحاوية".

² أخرجه الطبراني، صحيح الجامع: 545.

الضوابط الفُتلى في كيفة التعاؤل مع الدعاة والعلماء

والأسبقية في الطلب، والدعوة إلى الله تعالى، والجهاد والبلاء في سبيل الله .. فلا يستوي المجاهدون والقاعدون .. ولا الصادع بالحق من أهل العلم والساكت عن الحق .. كما لا يستوي الأقدمون في الدعوة والجهاد وبذل العلم والحديثو عهدٍ في الدعوة والجهاد .. فهذا أمرين لا يحتاج . والله الحمد . إلى مزيد تفصيل وبيان.

الضابط الثالث: من عقيدة أهل السنة والجماعة أن كل إنسان مهما كانت مرتبته ودرجة تحصيله العلمية، يُخطئ ويُصيب، يؤخذ منه ما أصاب فيه، ويُرد عليه ما أخطأ فيه .. عدا النبي المصطفى ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ النجم: 4.

لذا جاءت النصوص الشرعية مبينة أن الطاعة لا تكون على الإطلاق، وإنما تكون في المعروف، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما في الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف" متفق عليه. وقال ﷺ: "من أركم من الولاة بمعصية فلا تُطيعوه"^[1]. وقال ﷺ: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ أو كره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" متفق عليه. وقال ﷺ: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

ومن الشرك الذي وقع فيه أهل الكتاب أنهم أطاعوا علماءهم وأخبارهم ورهبانهم طاعة مطلقة في كل ما يصدر عنهم من حق أو باطل، فاتخذوهم بذلك أرباباً من دون الله، كما قال تعالى عنهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ التوبة: 31. وذلك لما أحلوا لهم الحرام فاتبعوهم وأطاعوهم على التحليل، وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم وأطاعوهم على التحريم .. ذلك معنى اتخاذهم إياهم أرباباً من دون الله.

وهذا معتقد سيئ وباطل ينبغي على المسلمين أن يحذروه ويجتنبوه .. فمن وقع فيه وتخلق به من المسلمين، وتعامل مع العلماء كما تعامل أهل الكتاب مع أخبارهم ورهبانهم فأطاعهم في كل ما يصدر عنهم من حق أو باطل، من صواب أو خطأ، فقد وقع في الشرك، واتخذ العلماء أرباباً من دون الله تعالى.

¹ أخرجه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة: 2324.

الضوابط الفُتلى في كيفة التعاؤل مع الدعاة والعلماء

ومنه نستفيد أن الحق أولى بالاتباع والالتزام .. وأنه لا بد من أن يُقال للعالم أصبت فيما قد أصاب فيه ووافق الحق، وأخطأت فيما قد أخطأ فيه وخالف الحق .. وهذا لا يتعارض أبداً مع حقوقه المحفوظة المشار إليها في الضابط الأول؛ فاحترام العالم شيء وإنصاف الحق منه شيء آخر.

فديننا قائم على النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال: "الله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم" مسلم. بعض المغفلين من المتعصبة يظنون أن مجرد التعقيب على العلماء أو الدعاة .. وبيان الحق فيما قد أخطؤوا فيه .. يتعارض مع ما يجب لهم من التوقير والاحترام .. لذا فأحدهم لا يقبل أن يُقال عن شيخه الذي يحبه قد أخطأ والصواب كذا .. وهو على استعداد أن يرد قول النبي ﷺ ويتكلف الجدل والتأويل والتحريف .. ولا أن يُقال عن شيخه أخطأ .. وهذا لا شك أنه من الجهل المركب .. والعصبية الجاهلية .. قد يودي به إلى المهالك!

قال الإمام أحمد: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو: ﴿فليحذر الذين يُخالفون عن أمره أن تُصيهم فتنة﴾ وجعل يكررها، ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه.

وقيل له إن قوماً يدعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان! فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره! قال الله تعالى: ﴿فليحذر الذين يُخالفون عن أمره أن تُصيهم فتنة﴾ وتدري ما الفتنة؟ الكفر. قال الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ، وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي؟! [1].

الضابط الرابع: فإن قيل قد عرفنا حق العلماء العاملين .. فما بال العلماء الذين يخلطون في دعوتهم ومنهجهم حقاً وباطلاً .. سنة وبدعة .. فهل لهم من التوقير والاحترام والإكرام .. ما قيل عن العلماء العاملين في الضابط الأول .. وهل النصوص التي قيلت هناك تُحمل عليهم؟

¹ عن كتاب الصارم المسلول: ص56.

الصُّوابُ الفُتلى في كِيفِيَّةِ التَّعاضُلِ معِ الدِّعَاةِ والعُلَمَاءِ

أقول: لا بد من النظر إلى كمية ونوعية البدعة أو الباطل الذي يتصف به منهج أولئك العلماء

المراد تقييمهم؛ وهم ثلاثة أصناف:

أولاً: عالم تغلب حسناته على سيئاته، والبدع التي يتصف بها هي بدع عملية أو بدع لا مساس لها بالتوحيد والأصول .. وكانت أصوله يغلب عليها السلامة والصحة، فعالم هذا وصفه يُحذر من بدعته ومن أخطائه .. ومن ضلالاته وانحرافات .. ويُحكم على شذوذاته بالأوصاف الشرعية التي تستحقها .. مع بقاء الاحترام والتقدير لشخصه كعالم من علماء المسلمين بقدر ما يُظهر من خير يعم على الإسلام والمسلمين .. وإن كان لا يجوز أن يحظى من التقدير والاحترام الذي يحظاه العالم العامل المجاهد. فالولاية والمحبة وكذلك الاحترام والإكرام والتقدير يتذبذب صعوداً وهبوطاً، زيادة ونقصاناً بحسب ما يظهر من ذلك العالم أو الداعية من تقوى وعمل صالح يرتد على نفسه والأمة بالخير والاستقامة والصلاح.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات: 13.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن أوليائي منكم المتقون، من كانوا وحيث كانوا"[1]. فكما أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالذنوب والآثام .. كذلك الولاء والبراء، والمحبة والجفاء فإنه يتذبذب بين الزيادة والنقصان بحسب ما يظهر لنا من ذلك العالم أو الشخص المراد موالاته من تقوى وصلاح أو خلاف ذلك؛ فإن أظهر لنا اليوم مواقف إيمانية صالحة .. مباشرة يزداد حبنا وولائنا له، فإن أظهر لنا في اليوم التالي خلاف ذلك من المواقف الآثمة والمنحرفة مباشرة يضعف حبنا وولائنا له بقدر ما يُظهر لنا من تلك المواقف المنحرفة، وهذا هو المراد من قوله ﷺ: "أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله"[2]. وقوله ﷺ: "من أحبَّ الله، وأبغضَ الله، وأعطى الله، ومنعَ الله، فقد استكمل الإيمان"[3]. وما أقل من يفعل ذلك في زماننا!

¹ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخریج: 212.

² أخرجه الطبراني وغيره، السلسلة الصحيحة: 998.

³ أخرجه أبو داود وغيره، السلسلة الصحيحة: 380.

الضوابط الفُتلى في كِيفِيَّةِ التَعَامُلِ مَعَ الدِّعَاةِ وَالْعُلَمَاءِ

ثانياً: عالم تغلب سيئاته على حسناته، والبدع والأهواء التي يدعو إليها، لها مساس بالتوحيد والأصول، وكانت أصوله التي ينطلق منها أغلبها يغلب عليها الفساد والبطلان .. لكنها لم تبلغ به درجة الكفر والخروج من الإسلام.

فعالم هذا وصفه لا أرى أن يؤخذ عنه علم؛ لتوفر هذا العلم عند غيره من العلماء ومن مصادر أخرى تخلو مما يتصف به من بدع وأهواء وانحرافات، ولأن الأخذ عنه كذلك في كثير من الأحيان لا يمكن من دون الوقوف على شيء من بدعه وأهوائه وشذوذاته .. أي أن العلم لا يمكن أن يصل لطالبه صافياً من دون أن تتخلله الشوائب والشبه .. ورحم الله امرأً لم يرع ولم يحم حول الحمى!

كما لا أرى جواز احترامه وتبجيله أو إضفاء ألقاب المديح والثناء الحسن عليه؛ لأن ذلك فيه عون له على باطله وبدعته، ومنهجه الفاسد الباطل، كما وفيه إضلال للأتباع الذين قد يفسرون هذا المديح أو الاحترام عبارة عن تعديل لمنهجه وباطله وبدعته!

لذلك جاء في الحديث: "يليكم عمال من بعدي يقولون ما لا يعلمون، ويعملون ما لا يعرفون، فمن ناصحهم، ووازرهم، وشد على أعضادهم، فأولئك قد هلكوا وأهلكوا .."[1].

فقد هلك؛ لأنه قد أزر مبطلاً على باطله، وأهلك غيره؛ لأنه بثنائه واحترامه وتبجيله لذاك المبطل الظالم. وبخاصة إن كان ممن يُقتدى به. يكون قد أضلهم وغشهم حول حقيقة ذلك المبطل الظالم.

وفي الأثر: "من قر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام". لأنه بتوقيره لصاحب البدعة يكون عوناً للمبتدع على بدعته، كما يكون سبباً لنشر بدعته وضلالاته بين الناس .. وما من بدعة تنتشر وتسود إلا وتندرس مقابلها سنة من السنن!

قال الشافعي رحمه الله: "حكمت في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام"- هـ.

هذا الحكم من الشافعي رحمه الله يطال شيوخ وعلماء أهل الكلام الذين يتكلمون عن الإسلام وباسم الإسلام .. بغير سلطان من الكتاب والسنة .. وما أكثرهم في زماننا!

¹ أخرجه الطبراني، السلسلة الصحيحة: 457.

الضوابط الفُتلى في كفيّة التعاُم مع الدعاة والعلماء

والسؤال: أي احترام وتبجيل يبقى لهم مع ضربهم بالجريد والنعال أمام الناس؟!..

ثالثاً: عالم. ونحن هنا نسميه عالماً تجاوزاً. بلغ به طغيانه وانحرافه درجة أن يكون ركناً من أركان أنظمة الحكم والكفر.. وبوقاً من أبواق الطواغيت الظالمين يبرر لهم كفرهم وطغيانهم، وظلمهم.. ورضي لنفسه أن يكون بيدهم تلك الأداة والعصاة التي يؤدّبون بها الشعوب المقهورة المغلوب على أمرها.. ويمنعون بها أي عمل جاد يستهدف استنهاض الأمة. واستئناف حياة إسلامية من جديد.. وما أكثر علماء السوء هؤلاء في زماننا!

فهؤلاء لا غيبة لهم ولا حرمة.. فضلاً عن أن نلزم الناس باحترامهم وتبجيلهم وإكرامهم لكونهم يرتدون ثوب وعمامة العلماء.. ويُنادون بألقاب العلماء!

من الظلم والجهل كل الجهل أن تُحمل النصوص الشرعية التي قيلت في العلماء العاملين المجاهدين الصادعين بالحق. كما هو مبين في الضابط الأول. على هذا الصنف من الشيوخ أو الناس.. وتُحمل عليهم مقولة لحوم العلماء مسمومة!

هؤلاء علماء السوء والضلالة.. والشقاق والنفاق.. هم السبب الأكبر في انتكاسة الأمة واستعلاء أنظمة الكفر على سدة الحكم في بلاد المسلمين.. لعنهم جائز بنص الكتاب.. وهم يدخلون دخولاً كلياً في الملعونين الوارد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ البقرة: 159. هذا جزاء من يكتم العلم فقط، فكيف بمن يضم إلى كتمان العلم نصره الطواغيت الظالمين على المسلمين الموحدين.. وتزيين الباطل والحرام في أعين الناس؟!..

وهم كذلك مثلهم وسلفهم في القرآن مثل ذلك الشيخ العالم "بلعام" الذي انسلخ من آيات الله بعد أن آتاه الله إياها، بدعاء قاله للكافرين على المسلمين الموحدين، كما قال تعالى عنه: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف: 175-176. وما أكثر بلاعمة العصر. في زماننا

الضوابط الفُتلى في كِيفِيَّةِ التَعَاوُلِ مَعَ الدِّعَاةِ وَالْعُلَمَاءِ

.الذِين مِثْلِهِمْ مِثْلُ الْكَلْبِ ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرِكْهُ يَلْهَثْ﴾ الذِين يَخْلُدُونَ إِلَى الْأَرْضِ، وَالْفُتَاتِ الذِي

يُرْمَى لَهُمْ عَلَى الْعُتْبَاتِ مِنْ قَبْلِ الطَّوَاغِيَةِ الظَّالِمِينَ .. وَيَتَسَمُونَ بِالدِّعَاةِ وَالْعُلَمَاءِ!!

وَفِي الْحَدِيثِ فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "اسْمَعُوا هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أَمْرَاءٌ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظَلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَيْسَ بَوَارِدٌ عَلِيَّ الْحَوْضِ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعْنِهِمْ عَلَى ظَلْمِهِمْ، وَلَمْ يَصْدَقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلِيَّ الْحَوْضِ"^[1]. هَذَا فَيَمِينٌ يَدْخُلُ عَلَى أُمَّةِ الْجُورِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَصْدَقُهُمْ بِكَذِبِهِمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَدْخُلُ عَلَى أُمَّةِ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالطَّغْيَانِ فَيَصْدَقُهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَكَذِبِهِمْ ..!!؟

وَقَالَ ﷺ: "إِنْ أَخُوفٌ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مَنْفَقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ"^[2]. فَالنَّبِيُّ ﷺ يَخَافُهُ عَلَى أُمَّتِهِ وَيُحَذِّرُ مِنْهُ؛ لِأَنَّ عَامَّةَ الْمُسْلِمِينَ يَظُنُّونَهُ عَالِمًا يَسْتَحِقُّ التَّوْقِيرَ وَالْإِحْتِرَامَ وَالْإِكْرَامَ وَالْمَتَابِعَةَ لِمَا يَرُونَ مِنْ طَلَاقَةٍ وَفَصَاحَةٍ فِي لِسَانِهِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ .. وَلِمَا يَرُونَ عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ وَسَمْتِ الْعُلَمَاءِ .. وَهُوَ فِي حَقِيقَتِهِ يَكُونُ مَنْفَقًا مُتَذَبِّبًا لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ .. تَارَةً تَرَاهُ يُوْصِلُ لِلْكَفْرِ وَيَدْعُو لَهُ .. وَتَارَةً تَرَاهُ يُوْصِلُ لِلْإِيمَانِ وَيَدْعُو لَهُ .. فَالْحَذْرُ الْحَذْرُ!

الضابط الخامس: وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ الطَّعْنِ وَالسَّبِّ، وَاللَّعْنِ .. فَهَلْ هُوَ مُحْرَمٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَمْ لَا .. وَإِنْ كَانَ لَا .. فَمَا هُوَ الْمُحْرَمُ مِنْهُ .. وَمَا هُوَ الْجَائِزُ .. وَهَلْ يَلِيْقُ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَطْعَنَ أَوْ يَسِبَّ أَوْ يَلْعَنَ الْآخَرِينَ ..؟!؟

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مُجْرَدٌ أَنْ يَسْمَعُوا مِنْ مُسْلِمٍ . وَبِخَاصَّةٍ إِنْ كَانَ دَاعِيَةً أَوْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ . كَلِمَةٌ سَبِّ أَوْ طَعْنٍ أَوْ لَعْنٍ .. سُرْعَانِ مَا يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ صَنْيعَهُ .. وَيَشْتَعُونَ عَلَيْهِ أَشَدَّ التَّشْنِيعِ .. وَأَنْ فَعَلَهُ هَذَا لَا يَلِيْقُ بِهِ .. فَهَلْ هَذَا الْمَنْطِقُ صَحِيحٌ عَلَى إِطْلَاقِهِ؟!؟

وَلِلْجَوَابِ عَنْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ نَحْدُدُ أَوَّلًا الْمَسَاحَةَ الْمُحْظُورَةَ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهَا الَّتِي لَا يَجُوزُ الْإِقْتِرَابُ مِنْهَا، وَتَكْمُنُ فِي النِّقْطَتَيْنِ التَّالِيَتَيْنِ:

¹ صحيح سنن الترمذي: 1843.

² أخرجه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة: 1013.

الضوابط الفُتلى في كيفة التعاؤل مع الدعاة والعلماء

أولاً: لعن وسب من لا يجوز لعنه وسبه شرعاً .. وهذه مساحة واسعة جداً لا يجوز الاقتراب منها، ومن يفعل ويتجرأ فهو ظالم لنفسه ولغيره قد تعدى الحدود المشروعة، ولعنه وسبه يعود وزره عليه ليبوء بإثمه، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا خرجت اللعنة من في صاحبها نظرت، فإن وجدت مسلماً في الذي وُجِئت إليه، وإلا عادت إلى الذي خرجت منه"^[1]. وقال ﷺ: "لا تلعن الريح فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه"^[2].

ثانياً: أن لا يكون السب واللعن ديدن المسلم وعادته؛ أي كثير اللعن واللعن، ولأتفه الأسباب تراه يطعن ويلعن .. فهذا لا يليق بأخلاق المسلم، ومن كان اللعن واللعن ديدنه وعادته فهو واقع بالمحذور ولعن وشتم من لا يجوز لعنه وشتمه لا محالة .. لذا فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان، ولا بالفاحش، ولا بالبذيء"^[3]. والطعان واللعان من صيغ المبالغة؛ أي كثير الطعن واللعن، فيلعن من لا يجوز له لعنه.

وقال ﷺ: "إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة" مسلم. أي كثيري اللعن! وقال ﷺ: "لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً" مسلم. وفي رواية: "لا ينبغي لمؤمن أن يكون لعاناً"; أي كثير اللعن ويلعن من لا يستحق اللعن شرعاً.

وفي صحيح البخاري، عن أنس ؓ قال: "لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً، ولا لعاناً، ولا سبباً، كان يقول عند المعتبة: ماله تَرَبَّ جبينه".

فإن قيل: عرفنا المساحة المحظورة التي يحرم فيها الطعن واللعن .. فما هي المساحة المباحة

التي يجوز فيها الطعن، والسب، واللعن؟

أقول: يجوز الطعن، والسب، واللعن بضوابط أربعة:

أولاً: أن يكون المطعون والملعون ممن أجاز الشارع لعنه واللعن به.

ثانياً: أن يكون الطعن والسب واللعن مبعثه الغضب لحرمان الله تعالى.

¹ أخرجه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة: 1269.

² أخرجه أبو داود، السلسلة الصحيحة: 528.

³ أخرجه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة: 320.

الضوابط الفُتلى في كيفة التعاؤل مع الدعاة والعلماء

ثالثاً: أن يكون الطعن واللعن والسب سبباً معيناً على زجر المطعون والملعون من الاسترسال في غيه وظلمه، وفجوره.

رابعاً: أن لا يؤدي سب ولعن من يجوز سبه ولعنه إلى أن يسب الآخر الله ﷻ أو دينه أو رسوله، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام: 108. فالله تعالى نهى عن سبهم لعله وليس لذات السبِّ، وهي ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فإن انتفت هذه العلة، وأمن عدم وقوعها .. جاز سبهم والطعن بهم.

بهذه الضوابط الأربعة يجوز الطعن، والسب، واللعن، وإليك بعض الأدلة على ذلك:

أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رهطٌ من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السامُ عليكم . والسام الموت . فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال ﷺ: "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله" قلت: أولم تسمع ما قالوا ؟ قال: "قلت: وعليكم". أي أن النبي ﷺ رد عليهم سلامهم الخبيث وما أرادوه من سوء بكلمة واحدة وهي "وعليكم" أي وعليكم ما قلتم! وفي رواية عند مسلم: "قالت عائشة: قلت بل عليكم السام والذام".

والشاهد من الحديث أن النبي ﷺ قد دل عائشة رضي الله عنها على التعبير الأفضل والأقرب إلى الرفق، ولم ينكر عليها مقولتها .. وذلك أن عائشة رضي الله عنها قالت ما قالته لأولئك الرهط من اليهود غضباً لله ﷻ ولحرمات رسوله ﷺ.

ومن الأدلة كذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه عن صلح الحديبية، وفيه أن عروة بن مسعود موفد قريش إلى النبي ﷺ لمفاوضته، يقول للنبي ﷺ: فإنني والله لأرى وجوهاً، وإنني لأرى أوشاباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك، فقال أبو بكر الصديق ﷺ: "امصص ببظر اللات، نحن نفر عنه وندعه ..؟!". يقول أبو بكر ﷺ ذلك . وهو سب صريح . في حضرة النبي ﷺ ومع ذلك لا ينكر عليه؛ لأنه قال ما قاله غضباً لله ودفاعاً عن رسوله ﷺ .. وفي موطن يُستحسن أن يشعر الكفار بسوء ظنهم بأصحاب رسول الله ﷺ.

الصُّوابُ الفُتلى في كِيفِيَّةِ التَّعاضُلِ معِ الدِّعَاةِ والعِلماءِ

وكذلك قوله ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية، فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا"[1]. قال ابن الأثير في "النهاية": التعزي الانتماء والانتساب إلى القوم. "فأعضوا بهن أبيه" أي قولوا عضاً أير أبيك ا- هـ.

هذا هو علاج ودواء من ترونه يتفاخر ويتماجد ويتعصب لقومه أو قبيلته أو آبائه في الباطل .. أن تقولوا له بكل صراحة ووضوح: اذهب "عض أير أبيك" فهو أزر له وأبكت عن استرساله وتماجده بالباطل .. وبجاهليته!

احذريا عبد الله أن تتكلف الأدب وتزاد وتقول: من العيب أن نقول للآخرين ذلك .. فأنت بذلك تنسب العيب للنبي ﷺ .. فتكفر!

وعن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله إن لي جاراً يؤذيني، فقال: "انطلق فأخرج متاعك في الطريق"، فانطلق فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرت للنبي ﷺ فقال: "انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق" فجعلوا يقولون: اللهم العنه، اللهم أخزه، فبلغه فأتاه فقال: ارجع إلى منزلك، فوالله لا أؤذيك[2]. وفي رواية: "فقال النبي ﷺ ثلاث مرات: اصبر، ثم قال له في الرابعة أو الثالثة: اطرح متاعك في الطريق".

فتأمل كيف أن الصحابة لعنوا هذا المؤذي لجاره .. وكيف أن لعنه أتى بثماره، وكان سبباً في نهي ذلك المؤذي لجاره عن غيه وظلمه!

وفي صحيح البخاري، عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: "لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات لخلق الله، مالي لا ألعن من لعن رسول الله، وهو في كتاب الله؟! فما دام اللعن مشروعاً .. ومأذوناً به في مواضع وحالات محددة .. لا ينبغي التردد أو المنع منه أو إلغاؤه، وعبد الله بن مسعود ؓ إذ قال: "مالي لا ألعن من لعن رسول الله، وهو في كتاب الله" كان بذلك يرد على امرأة من بني أسد يُقال لها أم يعقوب قد أنكرت عليه لعنه من تقدم ذكرهن في الحديث!

¹ أخرجه أحمد والترمذي، صحيح الجامع: 1787.

² صحيح الأدب المفرد: 92.

الضوابط الفُتلى في كِيفِيَّةِ التَعَاوُلِ مَعَ الدِّعَاةِ وَالعُلَمَاءِ

وفي الصحيح كذلك، قال ﷺ: "المدينة حرمٌ ما بين عائرٍ إلى كذا، من أحدث فيها حدثاً، أو آوى مُحدثاً، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل".

وقال ﷺ: "من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم"[1]. أي حقت.

وقال ﷺ: "من سب أصحابي فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين"[2]. وغيرها كثير من

الأحاديث التي تجيز اللعن في مواضع وصفات محددة.

فإن قيل: هل اللعن العام يستلزم دائماً لعن المعين الذي يقع بما يستدعي اللعن .. أم أن هناك

موانع تمنع من لعن المعين رغم إتيانه لفعلٍ يستوجب اللعن؟

أقول: لا يمكن أن نعطل النصوص الشرعية .. ونجعل اللعن دائماً لعناً عاماً لا يمكن أن يتنزل

على أصحابه ومستحقه .. فهذا بخلاف السنة كما تقدم .. كما لا يصح أن نحمل اللعن العام على الأشخاص بأعيانهم مطلقاً ودائماً من دون النظر في الشروط والموانع.

هذه الشروط والموانع أخصها في النقاط التالية:

1- أن يكون اللعن في موضع قد أجاز الشارع لعنه .. فمن لعن من لا يُشرع لعنه .. عاد عليه

لعنه، كما تقدم في الحديث: "إذا خرجت اللعنة من في صاحبها نظرت، فإن وجدت مسلماً في الذي وُجِبت إليه، وإلا عادت إلى الذي خرجت منه".

2- أن لا يكون من وقع في الفعل الذي يستوجب اللعن .. متأولاً أو جاهلاً لا يقدر أن يدفع عن

نفسه الجهل فيما قد خالف فيه مما يستدعي اللعن؛ فمن وقع في مخالفة عن جهل معجز لا يمكن دفعه يُرفع عنه التكليف والمؤاخذة إلى حين توفر القدرة على دفع الجهل بالعلم، كالأعرابي الذي بال في

مسجد الرسول ﷺ .. فنهى النبي ﷺ عن زرمه وتوبيخه واكتفى بتعليمه، ولقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن: 16. وقال تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة: 233. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ

اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ البقرة: 286.

¹ السلسلة الصحيحة: 2294.

² السلسلة الصحيحة: 2340.

الضوابط الفُتلى في كِيفِيَّةِ التَعَامُلِ مَعَ الدِّعَاةِ وَالْعِلْمَاءِ

3- مما يمنع اللعن كذلك عن المعين أن يكون هذا المعين . ممن وقع فيما يستوجب اللعن . من ذوي الحسنات الكثيرة، وله سابقة بلاء وجهاد في سبيل الله .. فالحسنات . في كثير من الأحيان . كلما تعاضمت كلما تشفعت لصاحبها عند موارد الشبهات وحصول الزلل والوقوع في الخطأ، كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة عندما راسل كفار قريش يخبرهم فيها عن توجه النبي ﷺ لغزو مكة .. فقد تذكر له النبي ﷺ مشاهدته لموقعة بدر العظيمة، فقال ﷺ: "إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم". وقال ﷺ: "لن يدخل النار رجلٌ شهد بدرًا والحديبية". وحاطب ممن شهد بدرًا والحديبية .. فجمع الخيرين معاً.

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، عن عمر بن الخطاب ؓ أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يُلقب حماراً، وكان يُضحك رسولَ الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: "لا تلعنوه فوالله ما علمتُ إلا أنه يُحبُّ اللهَ ورسولَهُ".

فرغم أن شارب الخمر قد لعن . في نصوص أخرى . لعناً عاماً إلا أن النبي ﷺ منع من حمل هذا اللعن على هذا الصحابي لوجود حسنة عظيمة عنده؛ وهي أنه يحب الله ورسوله، وكذلك لقيام الحد عليه، فالحد يُكفر الذنب عن صاحبه ويُطهره.

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ أتى برجل قد شرب، فقال: "اضربوه". فقال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف، قال بعض القوم: أخزاك الله، فقال رسول الله ﷺ: "لا تقولوا هكذا، ولا تُعينوا عليه الشيطان .. ولكن قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه"[1].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي

لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود: 114.

¹ صحيح سنن أبي داود: 3758.

الضوابط الفُتلى في كِيفِيَّةِ التَعَاوُلِ مَعَ الدِّعَاةِ وَالعُلَمَاءِ

4- أن يكون الفعل الذي يستوجب اللعن صفة لازمة للفاعل .. يستعلن به ويُباهي .. ولا يستحي من سوء وقبح صنيعه .. فهذا الذي يستحق اللعن .. وليس من تصدر عنه المخالفة على وجه الندرة مع الاستحياء من فعله .. وسرعة المبادرة إلى الاستغفار والتوبة.

هذا الذي نفهمه من قوله ﷺ للرجل الذي كان يؤذيه جاره: "ثلاث مرات: اصبر، ثم قال له في الرابعة أو الثالثة: اطرح متاعك في الطريق". ولم يقل له من أول مرة "اطرح متاعك في الطريق" لاحتمال أن يكون أذاه قد وقع هفوة أو زلة .. ثم تاب وأتاب .. ولكن لما شكاه ثلاثاً .. وتبين أن أذاه لجاره صفة لازمة له .. لا يستحي من قبح وسوء صنيعه .. عندئذٍ أمره النبي ﷺ بأن يطرح متاعه في الطريق .. ليملأ أذنيه لعناً وشتماً من الناس!

وهذا الذي نفهمه ونستفيدة كذلك من النصوص الشرعية التي تدل أن العفو يدرك كل مسلم من أمة محمد ﷺ إلا المجاهر بذنبه ومعصيته المستعلن بها، كما في الحديث الصحيح: "كل أمتي معافي إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه" البخاري.

وكذلك النصوص التي تلزم بوجوب ستر المسلم عند وقوعه في الزلات والهفوات، كما في الحديث الصحيح: "من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" البخاري. ومن لوازم الستر عدم لعنه على المملأ وبين الناس، إذ لا يمكن أن يجتمع لعن وستر في آنٍ معاً.

وهنا يأتي السؤال: إذاً كيف نوفق بين العمل بالنصوص التي توجب اللعن .. وبين

العمل بالنصوص التي توجب ستر المسلم؟

التوفيق هو ما ذكرناه: يُعمل بالنصوص التي توجب اللعن عندما يمارس الفعل الذي يستوجب اللعن على وجه العادة والوقاحة والمجاهرة .. وعدم الاستحياء من الله تعالى ولا من عباد الله تعالى، بينما يُعمل بالنصوص التي توجب ستر المسلم عندما يقع المسلم بالذنب أو المخالفة . التي تستوجب اللعن . على وجه الندرة .. وهي بالنسبة لمسلكه المستقيم تُعد هفوة وزلة يستحي من ظهورها، والاستعلان بها أمام الناس.

ألا ترون فرقاً بين من يضطر لقضاء الحاجة خارج بيته، فيجتهد أن يلتصق زاوية لا يراه فيها أحد من الناس .. وهو يتحرج أشد الحرج من أن يراه أحد .. ثم هو بعد بذل جهده المستطاع هذا يراه واحد

الضوابط الفُتلى في كفيّة التعامل مع الدعاة والعلماء

أو أكثر من عباد الله .. وبين من يقضي حاجته على وجه العادة والتكرار في وسط الطريق مع علمه المسبق أن الناس سيمرون به، ويرونه ويتأذون به .. ومع ذلك فهو لا يبالي .. فالأول يجب ستره، ولا يجوز لعنه .. بخلاف الثاني فإنه يجوز لعنه، هذا هو المراد وهكذا ينبغي أن نفهم قوله ﷺ: "من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم".

يوجد فرق بين من تقع منه بعض الأوساخ في طريق المسلمين على غير وجه العادة ولا القصد .. فهذا لا يجوز لعنه .. وبين من يجمع أوساخ بيته ودكانه ليضعها في كل يوم . عن سابق إصرار وعمد . في طريق الناس يؤذيهم بها .. لا يبالي بنقد ولا نصح .. فهذا يجوز لعنه عملاً بالحديث .
بمراعاة هذه الشروط الأربعة الأنفة الذكر .. يجوز لعن المعين .. وإلا فلا .. والله تعالى أعلم .

. تنبيه: اعلم أن اللعن غير التكفير؛ فلا يلزم من لعن المعين تكفيره، فاللعن شيء والتكفير شيء آخر، فالتكفير وتبعاته أغلظ من اللعن؛ لذا فإن احتياطات التكفير أشد وأغلظ من احتياطات اللعن . ويمكن القول كذلك: ليس كل من استحق اللعن يكون كافراً، وهو في الآخرة من المخلدين في النار، بينما كل كافر يموت على الكفر . فهو ملعون، ومطرود من رحمة الله، وهو في الآخرة من المخلدين في نار جهنم والعياذ بالله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء: 48.

الضابط السادس: من يتتبع سيرة بعض الصحابة، ومن تبعهم من بعض أهل العلم، يجد أحياناً أن لهم بعض الملامات والاطلاقات الشديدة بحق بعضهم البعض .. قد تكون لحكمة نعرفها أولاً نعرفها، أو لعلة ومأرب في نفوسهم نعرفها أو لا نعرفها .. وأنا هنا لا أريد أن أناقش الحق منها من المبطل، وإنما أريد أن أجيب عن سؤال يرد على بعض الألسنة: إذا كنا نحن المسلمين مطالبين باحترام العلماء وإكرامهم فعلا لا نجد أحياناً مثل هذا الاحترام المتبادل للعلماء بعضهم مع بعض؛ حيث نجد بعض الملامات والاطلاقات الشديدة بحق بعضهم البعض ..!؟

هذا سؤال أجيب عنه من أوجه:

الصُّوابُ الفُتلى في كِيفِيَّةِ التَّعَامُلِ معِ الدِّعَاةِ والعِلماءِ

منها: هذه المِلاسنات التي تحصل بينهم .. لا تمنعك يا عبد الله يا مسلم من احترامهم وإكرامهم كما لا تبرر لك عدم احترامهم .. فإن سلّمنا أن هذا الذي يحصل بينهم خطأ .. فخطأ الآخرين لا يبرر لك فعل الخطأ.

ومنها: هذه الشدة والملاسنة التي تحصل من عالم نحو عالم آخر .. قد تكون لما يعلمه هذا العالم عن العالم الآخر من مزالق، وانحرافات، أو بدع، أو تقصير ونحو ذلك .. هو يعلمها ونحن لا نعلمها .. تستدعي وتبرر له شرعاً . من قبيل تحذير العامة من أخطائه وانحرافاته وإنصاف الحق . مثل هذه الاطلاقات الشديدة بحق ذلك العالم.

ومن ذلك ما نعرفه عن علم الجرح والتعديل الذي تميزت به أمة الإسلام، والمليء بالاطلاقات الشديدة على بعض أهل العلم .. لضرورة ضبط النقل .. وتمييز الحديث الصحيح من الحسن، من الضعيف، من الموضوع!

ومنها: أن هذه الشدة والملاسنة قد تكون من قبيل التذكير أو النصح والزجر للعالم الآخر الذي وقع في التقصير أو المخالفة، وهذا يقع أحياناً، وبخاصة من جهة الفاضل نحو المفضول، فالعالم إن لم يجد عالماً آخر يذكره عند النسيان، وينصحه ويسدده عند وقوعه في الخطأ والزلل .. قد يتمادى في باطله ولا تؤمن عليه فتنة الطغيان، فها هو عبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه . بسبب خلاف بينهما على معنى الربا: "أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثني عن رأيك، لأن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك علي فيها إمرة"^[1].

وهاهو العالم المجاهد الزاهد عبد الله بن المبارك يقول لابن عليّة وهو من كبار أهل العلم، لما رضي الآخر لنفسه أن يتولى القضاء عند هارون الرشيد، وقيل صدقات البصرة:

يا جاعلَ العلمِ له بازيأً يصطادُ أموالَ المساكينِ

احتلتَ للدُّنيا ولدَّاتها بحيلةٍ تذهبُ بالدينِ

فصرتَ مجنوناً بها بعدَ ما كنتَ دواءَ المجانينِ

أين رواياتُك فيما مضى عن ابنِ عونٍ وابنِ سيرينِ

¹ صحيح سنن ابن ماجه: 18.

الضوابط الفُتلى في كِيفِيَّةِ التَعَامُلِ مَعَ الدِّعَاةِ وَالْعُلَمَاءِ

أين رواياتك في سردها في ترك أبواب السلاطين

إن قلت أكرهت فذا باطلزل حمار العلم في الطين

فلما وقف على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء فوطئ بساط الرشيد، وقال: الله، الله، ارحم

شيبتي فإني لا أصبر على القضاء^[1].

كانت كلمات ابن المبارك رحمه الله شديدة وقاسية .. لكنها آتت أكلها وثمارها!

الشاهد أن مثل هذه الشدة والملاسنة قد تحصل بين أهل العلم .. فلا ينبغي أن نضخم الأمور

ونثير الشغب عصبية لطرف على طرف، أو لعالم على عالم .. فإن أدركنا الحكمة منها يكون ذلك خيراً ..

وإن لم ندرك الحكمة منها .. وقصرت أفهامنا عن إدراك المراد منها .. فالواجب حينئذٍ يحتم علينا أن

نحسن الظن بالجميع .. ونحترم الجميع .. وندعو للجميع .. ونترحم على الجميع.

وفي الختام أعود فأذكر القارئ بأن من لوازم حسن التعامل مع الدعاة والعلماء، وفهم المسألة

جيداً .. أخذ ومراعاة جميع الضوابط الأنفة الذكر، وإعمالها بعضها مع بعض من دون إهمال شيء

منها؛ فالإفراط وكذلك التفريط غالباً ما يكونا بسبب إعمال ضابط أو بعض الضوابط الأنفة الذكر

وإهمال بعضها الآخر .. فتنبه!

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ

رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحشر: 10.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1425/01/06هـ

أبو بصير الطرطوسي

2004/02/27م

¹ أنظر كتاب الزهد لابن المبارك، ص51.

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد كثّر المداحون للشيخ أحمد ياسين رحمه الله، وتمادوا في المدح والإطراء ليشمل المدح والثناء على منهج وفكر وسياسة الشيخ كأمر ومؤسس لحركة حماس الفلسطينية .. والتي هي امتداد لحركة الإخوان المسلمين العالمية .. فخلطوا في ذلك بين حق وباطل .. وفُسر مدحهم . عند كثير من الناس . على أنه إقرار وترويج لمنهج وفكر الشيخ .. أكثر مما هو ثناء على صموده وجهاده، وحسن بلائه، كشخص، وكشيخ مُبتلى.

وهذا الخطأ .. وهو الخلط بين الموقف من الشيخ وجهاده وخاتمته، وبين الموقف من منهجه وفكره .. قد يُفهم عندما يأتي من جهة أو طرف كتّاب ينتمون إلى الإخوان المسلمين أو ممن يتعصبون لهم ولمدرستهم .. أما أنه يأتي من جهة وطرف إخوانٍ عُرفوا بصفاء فكرهم ومنهجهم .. وصحة عقيدتهم .. وسلامة تصوراتهم وفهمهم للأمور .. فهذا لا يمكن أن يفهم .. كما لا يمكن أن يُبرر!

لذا وجدت نفسي مشدوداً لكتابة هذه الكلمات من قبيل إبراء الذمة .. والإشهاد بالقسط والحق الذي أمرنا به .. رغم ما يُمكن أن تستجلب لي .. من تهجم وسوء فهم وظنٍّ من المتحيزين المتعصبين .. فأمة الإسلام لا يُمكن أن تجتمع على خطأ .. كما لا يُمكن أن تجتمع على سكوت على خطأ .. وديننا كله قائم على النصيحة، والتواصي بالحق.

فأقول: للبتّ في هذا الموضوع الحساس لا بد من التفريق بين الموقف من شخص الشيخ وما تعرض له من اعتداء ظالم على أيدي الصهاينة اليهود .. عليهم من الله تعالى لعائنه وغضبه وسخطه إلى يوم الدين .. وبين الموقف من المنهج والفكر الذي كان عليه الشيخ .. ولا تزال جماعته "حماس" تتبناه وتنهجه .. وأثر هذا المنهج على المسيرة الجهادية والعمل الإسلامي برمته في فلسطين.

أما الموقف من شخص الشيخ .. ومن جهاده وصبره على البلاء .. ومن الخاتمة الطيبة المباركة التي خُتم له بها .. وهو أن يُقتل . على أيدي ألد أعداء الله . متوضئاً .. بعد قيامه لليل .. وأدائه لصلاة الفجر جماعة في المسجد .. فإنه موقف الغبطة والرضى والثناء الحسن .. وهو مدعاة لتحسين الظن

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

بخاتمة الشيخ .. ندعو الله تعالى أن يتغمد الشيخ برحمته وعفوه .. وأن يتجاوز عن سيئاته .. وأن يتقبله شهيداً عنده .. وأن يسكنه الجنات العُلا مع الأنبياء والصديقين والشهداء .. وأن يُعجل الانتقام من قاتليه .. اللهم آمين، آمين.

هذا نقوله .. ونطالب الإخوان بقوله .. والقارئ المنصف لا ينبغي أن ينسى لنا ذلك!

أما الموقف من منهج وفكر الشيخ، وبالتالي منهج وفكر جماعته حماس .. التي هي امتداد لفكر وجماعة الإخوان المسلمين .. فلنا عليه تحفظات وملاحظات عدة، نذكر أبرزها . ناصحين ومشفقين، ومحذرين . في النقاط التالية:

أولاً: التأكيد على الوحدة الوطنية التي تعني تغييب عقيدة الولاء والبراء في الله، واستبدالها بعقيدة الولاء والبراء في الوطن وعلى أساس الانتماء الوطني الإقليمي .. بغض النظر عن دين وعقيدة، وعمل وأخلاق هذا الذي ينتمي إلى الوطن!

الوحدة الوطنية التي تعني عدم التفريق بين أبي جهل القرشي المكي الوثني، وبين أبي بكر الصديق القرشي المكي؛ لأن كلاهما ينتميان إلى وطن واحد .. وبلد واحد .. وبالتالي فلهما نفس الحقوق، وعليهما نفس الواجبات .. بغض النظر عن دينهما ومعتقداتهما!

الوحدة الوطنية التي يتساوى فيها أشرف وأعلم وأتقى الخلق مع أكفر وأفجر وأجهل الخلق .. والله تعالى يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ القلم: 35-36. وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الحشر: 20. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الزمر: 9.

هذه الدعوة الباطلة التي تركز عبادة الوطن ووثنيته والولاء له وفيه من دون الله تكاد تتكرر يومياً على ألسنة قادة حماس .. بل وعلى ألسنة قادة الإخوان المسلمين في جميع أمصارهم .. ومن ذلك قول الشيخ ياسين عندما سأله السائل: ما رأيك بياسر عرفات ؟

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

أجاب الشيخ: "أنا شخص أحب وأحترم ياسر عرفات، كما أحب كل فلسطيني في أي مكان، والإسلام بُني على الحب والألفة"^[1].

والسؤال: هل لو كان هذا الفلسطيني شيوعياً ملحداً ممن يُحاربون الله ورسوله والذين آمنوا .. ينبغي أن يُحب ويوالى لكونه فلسطينياً .. ومن مواليد فلسطين ..؟!.

ظاهر كلام الشيخ ومفاده: أن نعم يجب أن يُحب ويوالى .. فهو يكفي لكي يحصل على هذه الموالاة أن يكون فلسطينياً .. مجرد فلسطينياً .. وهذا قول فاسد وباطل يُعلم فساده وبطلانه من ديننا بالضرورة .. وهو يتنافى مع مئات النصوص الشرعية . لو أردنا ذكرها . التي تنفي الموالاة بين المؤمنين وبين الملحدين أعداء الله ورسوله، وإن كانوا من ذوي القربى فضلاً عن أن يكونوا من ذوي الأوطان أو غيرها من الروابط والشائج.

ونقول كذلك: نعم بُني الإسلام على الحب والألفة .. ولكن ذلك مقصور على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومن دخل في حكمهم وسلطانهم، وسلمهم، من دون المنافقين والكافرين المحادين لله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: 71. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات: 10. فقصر الأخوة والولاية على المؤمنين وحدهم دون سواهم .. من كانوا وأينما كانوا .. وبغض النظر عن انتماءاتهم الوطنية أو الإقليمية.

أما الذين كفروا وناقوا وأشركوا وأجرموا .. فلهم العداوة والبغضاء والبراء أبدأ حتى يؤمنوا بالله تعالى وحده .. وإن كانوا من ذوي القربى .. أو من فلسطين أو غير فلسطين .. أو ممن ينتمون إلى وطن أو قطر واحد .. أو قومية واحدة أو غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ الممتحنة: 4.

¹ عن كتاب "أحمد ياسين الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي"، ص 116، طباعة ونشر "دار الفرقان" الأردنية، وهي دار إخوانية. من نفس مدرسة الشيخ. يُستبعد أن تكذب على الشيخ أو أن تنشر عنه مالا يصح نسبته للشيخ.

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة: 22. فالله تعالى ينفي مطلق المودة بين المؤمنين وبين من حاد الله ورسوله ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ .. وأيما شخص أو جماعة تخرج عن هذه التعاليم وتأبى إلا أن تواد من حاد الله ورسوله .. تحت أي زعم أو مبررٍ كان .. فهي بنص الآية الكريمة تخرج عن كونها من حزب الله، ومن المفلحين المرضيين.

فأي وضوح تريدونه يا دعاة الوحدة الوطنية يُظهر بطلان وفساد دعوتكم يعلو وضوح ما جاء في هذه الآية الكريمة!

فإن قيل: ولكن هذه دعوة مآلها إلى الاختلاف .. والتفرق .. والتناحر بين جميع أبناء الوطن الواحد .. وهذه نتيجة تصب في خدمة العدو المحتل .. الذي يحرص على مبدأ فرق تسد .. أي أنك بدعوتك هذه إلى نبذ الوحدة الوطنية تخدم الغزاة المحتلين وأنت تدري أو لا تدري؟! وهذا السؤال . الذي هو أقرب إلى الاعتراض منه إلى السؤال . الذي يتكرر كثيراً على ألسنة كثير من الناس، أجيب عنه من عشرة أوجه:

منها: ينبغي أن يُعلم أولاً أن "الوحدة الوطنية" دعوة عنصرية .. جاهلية .. تعقد الحقوق والواجبات والموالات والمعاداة على أساس الانتماء للقطر أو الإقليم .. والإسلام بريء من هذه العنصرية الضيقة .. فرسول الله ﷺ بعث رحمة للعالمين كافة .. ومساحة دعوته هي الأرض كلها .. وليس قطر دون قطر .. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: 107. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ: 28.

كما أن أخوة الإسلام والإيمان تشمل جميع مؤمني ومسلمي أهل الأرض على اختلاف مواقعهم وأوطانهم .. وألوانهم ولغاتهم .. وأجناسهم .. فهي أكبر من أن تُحصَر في بقعة أو قطر معين دون غيره من الأقطار والأمصار .. فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "المؤمن من أهل الإيمان . وليس من أهل فلسطين أو

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

سورية أو قطر من الأقطار. بمنزلة الرأس من الجسد؛ يألم المؤمن لما يُصيبُ أهل الإيمان، كما يألم الرأس لما يُصيبُ الجسد"[1].

وقال ﷺ: "المؤمنون كرجل واحد؛ إذا اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينه اشتكى كله" مسلم. فقوله ﷺ "المؤمنون يُفيد الاستغراق والعموم؛ أي كل المؤمنين من دون استثناء.. وعلى اختلاف أمصارهم .. كرجلٍ واحد .. وليس لهم إلا ذلك!

والأدلة من الكتاب والسنة الدالة على ذلك أكثر من أن تُحصَر في هذا الموضوع لو أردنا الإحصاء .. فهي قضية من مسلمات وبعديات هذا الدين .. لا يجوز أن يختلف فيها اثنان ذوا عدل! **ومنها:** أنت إذ ترد الرابطة القائمة على أساس الانتماء للدين والعقيدة والتوحيد .. وتأبى إلا أن تكون وحدة وطنية ضيقة، ورابطة عنصرية جاهلية .. فإنك بذلك تعقب على الله تعالى وترد عليه حكمه .. ومن عقب على الله تعالى ورد حكمه فقد كفر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الحجرات: 1. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الرعد: 41. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: 65.

ومنها: إن أبيت إلا أن تُعلمها وحدة وطنية .. وعنصرية جاهلية .. فلك ذلك .. لكن لا تنسب نفسك وعملك للإسلام .. وتقول: ما أنا عليه هو الإسلام ومن الإسلام .. فحينئذ يكون وزرك مضاعفاً؛ وزر الإصرار على المخالفة .. ووزر الزور والكذب ونسبة هذه المخالفة إلى دين الله تعالى!

ومنها: ما تحرص على تحصيله من الوحدة الوطنية .. تفقد آلاف أضعافه من الوحدة الإيمانية العقدية؛ والمتمثلة في العالم الإسلامي الأرحب والأكبر .. حيث تضع بينكم وبينهم وبين مد يد العون والنصرة لك حاجزاً كبيراً صنعته من عند نفسك .. أنت بغنى عنه .. والأهم من هذا كله أنك تفقد عون الله تعالى ونصره لك؛ إذ أن نصر الله تعالى مقصور على من ينصره ويواليه ﷺ، ويوالي أوليائه، كما قال

¹ أخرجه أحمد، صحيح الجامع: 6659.

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد: 7. مفهوم المخالفة؛ أي إذا لم تنصروا الله لا ينصركم الله، ولا يثبت أقدامكم.

ويكون مثلك حينئذٍ . يا عبد الله . مثل الذي يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وأعلى

وأجل!

ومنها: ما تحرص على تحصيله من مكاسب من خلال الدعوة إلى الوحدة الوطنية .. فلن تحصل منه على شيء .. بل تحصل على ضده .. فليس لك . يا عبد الله يا مسلم . عند أهل الباطل . بكل توجهاتهم وانتماءاتهم . سوى القتل .. والتصفية .. والتأمر .. والكيد .. والمكر، حتى يردوك عن دينك إن استطاعوا، وليس لهم غرض منك غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: 217.

وجماعة حماس ذاتها .. تشكو في أكثر من بيان وتصريح .. ظلم وعدوان وطغيان السلطة الفلسطينية . التي تضم جميع الأحزاب العلمانية الفلسطينية المحاربة لله ولرسوله وللمؤمنين . عليها، وعلى أفرادها، ومؤسساتها .. ومع ذلك نجدها متمسكة بالوحدة الوطنية .. وبشعار الوحدة الوطنية! يقول السائل للشيخ ياسين: أطلق بعض القادة الفلسطينيين تحذيرات من المد الأصولي، ودعوا إسرائيل إلى توقيع اتفاق مع "م.ت.ف" حتى لا يستفحل الخطر الأصولي، فما هي خلفية هذه التصريحات؟ أجاب الشيخ: "الواقع أن التوجهات الإسلامية لا تشعر أنها في صراع مع الأخوة في التوجهات الوطنية، بل تشعر أنها في صراع مع المحتل والمحتل فقط .."[1].

ومنها: أن الدعوة إلى الوحدة الوطنية .. من لوازمها الاعتراف بشرعية الأحزاب والتوجهات العلمانية الباطلة والكافرة التي تنتمي للوطن .. وهذا لا شك أنه يمد هذه الأحزاب الكافرة المحاربة لله ولرسوله بالقوة والحياة .. ويزيد من رصيدها وشعبيتها . التي كادت أن تندرس . بين الناس؛ وفي ذلك تضليل صريح لعوام الناس عن حقيقة وعمالة وخيانة هذه الأحزاب!

¹ المرجع السابق، ص 110.

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

فالشـيخ عندما يقول: أنا أحب ياسر عرفات .. العلماني والخائن العميل .. وأحترم الأخوة في التوجهات الوطنية الغير إسلامية .. فماذا ننتظر من العوام .. سوى أنهم يحبون عرفات .. ويحترمون، وربما ينضمون إلى تلك الأحزاب والتوجهات الباطلة .. ويقول لسان حالهم: إذا كان الشيخ يقول عنهم ذلك .. فهذا يعني أنهم على حق .. ويستحقون مني كل احترام ودعم وتأييد .. وهذا مزلق كبير لا بد للعاملين للإسلام من أن يتنبهوا له .. فنحن بذلك نمدهم وباطلهم بالقوة والحياة ونحن ندرى أو لا ندرى!

وقد صدق الأثر: "من وقَّص صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام"، فكيف بمن يوقر الزنادقة والكفرة المجرمين .. أصحاب الدعوات الهدامة .. لكونهم من أبناء الوطن!!

ومنها: أن الدعوة إلى الوحدة الوطنية .. من لوازمها ولا بد .. التخلي عن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جاء به الإسلام؛ لأن الوحدة الوطنية تعني الاعتراف بشرعية الآخر مهما كان هذا الآخر مبطلاً ومجرماً، وفاسقاً، وسيئاً .. إذ لا يجوز الإنكار عليه .. ولو جاز فهو يجوز بالقدر الذي لا يمنع المبطل المفسد الكافر من أن يمضي لمنكره وتخريبه لو شاء.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها . وفي رواية: والرائع فيها . كمثل قومٍ استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء فمروا على من فوقهم فتأذوا به، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقالوا: لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقةً فاستقيننا منه ولم تؤذ من فوقنا، فأخذ أي أحدهم . فأسأ ف جعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: مالك؟ قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا وأنجوا جميعاً". فالوحدة الوطنية تُلزم . تحت عنوان الاعتراف بشرعية الآخر وحرية . بأن يُسمح لهذا المخرب بأن يخرق السفينة بفأسه وكفره وطغيانه وفسوقه .. ويُغرقها .. ويُهلك جميع من عليها .. ولكن أئى للحق .. ولأهل الحق أن يرضوا بذلك.

ومنها: أن الجماعة الإسلامية التي تربي أبناءها على الوحدة الوطنية .. وعلى لوازم الوحدة الوطنية .. وعلى ما تعنيه الوحدة الوطنية .. تفقد عناصرها العقيدة الصحيحة التي تُلزمها بالدفاع عن النفس .. وعن الدين .. وعن الحرمات .. عندما يأتي الاعتداء عليها من مجرمي وكفري أبناء الوطن ..

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

وبالتالي عندما يُزج بقيادات الجماعة في السجون، وتُعلق أعناقهم على حبال المشانق على أيدي كفرة ومجرمي الوطن .. ثم كوادهم، وعناصرهم، وأنصارهم، ومحبيهم، لا يفعلون شيئاً .. ولا يُحركون ساكناً .. كما حصل ولا يزال يحصل في كثير من الأمصار .. فحينئذٍ على هذه القيادات أن لا تلوم إلا نفسها ..
فهي تحصد ما زرعت بكفيها!

لقد بتنا نجد . بحكم ثقافة الوحدة الوطنية الشائعة . نغمة جديدة غريبة لا يعرفها ديننا الحنيف، ولا مجاهدي الأمة الأوائل؛ وهي مشروعية الجهاد ضد الكافر الأجنبي المحتل دون الكافر الوطني مهما اشتد وتغلظ كفر وعدوان وطغيان هذا الكافر الوطني .. قدمه حرام .. مهما هو سفك من الدم الحرام .. فانتماؤه للوطن يعصمه، ويعصم دمه وماله .. وهذا من أكذب الكذب على دين الله تعالى.
ومنها: نحن إذ نرفض الوحدة الوطنية .. وثقافة الوحدة الوطنية .. فإننا ندعو إلى توحيد الناس في المجتمع الواحد على دين الإسلام، وكلمة التوحيد .. وحكم الله .. وندعوهم إلى الاعتصام بحبل الله جميعاً!

فالفرقة لا تكون مع الدعوة إلى الإسلام .. وإلى عبادة الله تعالى وحده .. وإلى أن يكون المسلمون كلهم إخواناً متحابين ويداياً واحدة على من سواهم .. كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والقلق والحمى .. وكما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾
آل عمران: 103.

وإنما الفرقة تكون مع الدعوة إلى الوحدة الوطنية التي تبارك تفرق المجتمع في أحزاب متضاربة متنافرة .. متناحرة .. وذات مشارب وانتماءات عدة .. ثم تلزم الجميع بأن يعترفوا ببعضهم البعض .. وأن يُداهنوا بعضهم بعضاً .. فأبي الدعوتين والفريقين ألصق وأولى بالتفرق والفرقة .. الإسلام حاشاه .. أم الوحدة الوطنية ودعاة الوحدة الوطنية؟!

ومنها: أن الدعوة إلى نبذ الوحدة الوطنية .. لا تعني ضرورة التقاتل الداخلي .. كما يفهم البعض .. أو أن يقتل الناس في البلد الواحد بعضهم بعضاً .. وإنما تعني ضرورة التمايز والمفاصلة والبراء من جميع التكتلات والاتجاهات الباطلة والهدامة .. وتعني تحصين الأمة من معاول الهدم والتخريب .. والفساد .. والخيانة والعمالة .. حتى لا تفرق السفينة .. أياً كانت مصادرها وكانت

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

انتماءاتها .. وتعني كذلك ضرورة الدفاع عن النفس والدين والحرمان .. إذا ما جاء الخطر الهدام من داخل الوطن .. وممن ينتسبون إلى الوطن .. ومن زنادقة الوطن .. كما واجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه مسيلمة الكذاب ومن معه من المرتدين الوطنيين المحليين، وكما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: 193. وقال تعالى عن صفات المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ الشورى: 39. أي ينتصرون لحقوقهم وحرمانهم، وحرمان دينهم .. فديننا لا يربي أبناءه وأتباعه على الذل والخنوع والرضى بالضيم .. سواء جاء هذا الضيم من كافر محتل أجنبي أم من كافر وطني محلي غير مستورد .. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون: 8.

كما أنها . أي الدعوة إلى نبذ الوحدة الوطنية . لا تعني ترك الغزاة المحتلين .. والانشغال بطوائف الكفر والزندقة المحليين .. فهذا أمر لا نعنيه .. ولا نتدخل فيه .. فمرد ذلك إلى قادة الجهاد المحليين وإلى تقديرات علمائهم الميدانيين للمصالح والمفاسد التي قد تحصل من تقديم طرف أو تأخير طرف .. فالأمر إليهم، وهم أدري بما يقدمونه أو يؤخرونه .. وهم كذلك غير مطالبين شرعاً ولا عقلاً بأن يفتحوا على أنفسهم جيئات عدة في آنٍ واحد لا طاقة لهم بها مجتمعة!

بهذه الأوجه العشرة مجتمعة أرد على دعاة الوحدة الوطنية .. وأجيب عن السؤال الوارد أعلاه، لننتقل . بإذن الله . إلى الملاحظة الثانية التي أخذت على جماعة حماس.

ثانياً: مما يؤخذ على جماعة حماس كذلك موقفهم من السلطة الفلسطينية العلمانية العميلة الخائنة .. التي باعت فلسطين للصهاينة اليهود بثمنٍ بخس .. وفلسطين لا تُباع .. ودخولهم في طاعتها وموالاتها .. واعترافهم بأنها الممثل الوحيد والشرعي للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .. والجهة الوحيدة المخولة بالتفاوض والحديث نيابة عن الشعب الفلسطيني .. هذا التوجه نكاد نلمسه يومياً من تصريحات كثير من قادة حماس .. ومن بياناتهم ونشراتهم!

من ذلك ما يقوله الشيخ ياسين . على سبيل المثال لا الحصر: الذي يمثل الشعب الفلسطيني في الشتات والمهجر هو منظمة التحرير الفلسطيني، وأنا أعود وأقول أنني لست ضد المنظمة، ولكن ضد خطها الذي لا يتبنى الإسلام فهماً ودستوراً.

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

الحركة لن تتفاوض كبديل عن منظمة التحرير الفلسطيني، وكما يقول المثل: "اليد اليمنى لا

تسد عن اليد اليسرى"^[1].

وهذا الموقف من حماس تجاه السلطة الفلسطينية ليس نشازاً .. فهي بموقفها هذا تتبنى نفس

موقف وسياسة الإخوان المسلمين من الأنظمة العربية الحاكمة الخائنة .. حيث رغم محاربة هذه الأنظمة

للإخوان .. ولكل ما يمت بصلة للإسلام .. ومع ذلك فهم يوالونها .. ويرون لحكامها عليهم حق السمع

والطاعة الموالة .. ويجرمون فكرة الخروج عليهم!

وكذلك حماس .. رغم محاربة السلطة الفلسطينية لها .. ولكل توجه إسلامي .. ورغم ما تقوم به

. نزولاً عند رغبة الصهاينة اليهود . من تصفيات وملاحقات للكوادر الإسلامية العاملة في فلسطين ..

فحماس لا تزال ترى لهذه السلطة العميلة .. ولرئيسها عرفات الخرف العريق في العمالة والخيانة ..

السمع والطاعة .. والاحترام والتوقير!

وهذا مخالف للعقيدة الإسلامية التي تلزم بعدم الاعتراف بشرعية الحاكم الكافر .. وبشرعية

سلطته الكافرة على بلاد المسلمين .. سواء كان كفره أصلياً أم طارئاً من جهة الردة والخروج من الدين،

كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ النساء: 141.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تقولوا للمنافق سيدنا؛ فإنه إن يكن سيدكم

فقد أسخطتم ربكم ﷻ"^[2]. هذا إذا كان منافقاً .. فكيف إذا كان الكافر المرتد الذي يظهر الكفر البواح

والعداء الصريح لله ولرسوله والمؤمنين .. سيداً وأميراً وحاكماً على المسلمين .. لا شك أن المسلمين حينئذٍ

. الذين يرضون بهذا الحاكم الكافر سيداً وأميراً وحاكماً عليهم، ولا يعملون على تغييره وعزله . أولى بسخط

الرب ﷻ .. نعوذ بالله من غضبه وسخطه.

لذا فإن إجماع علماء الأمة . سلفاً وخلفاً . قد انعقد على أن الحاكم الذي يطرأ عليه الكفر

البواح لا ولاية له على المسلمين وبلادهم، وأنه لو تسلط عليهم بالقوة وجب إقالته والخروج عليه، لقوله

¹ المصدر السابق، ص 115-116.

² أخرجه أبو داود، والبخاري في الأدب المفرد، وأحمد وغيرهم، السلسلة الصحيحة: 371.

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

ﷺ في الصحيحين: "إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان"; أي إذا رأيتم من الحاكم كفراً بواحاً عندكم من كتاب الله وسنة رسوله دليل وبرهان على كفره ومروقه .. تعين الخروج عليه ولا بد.

فإن قيل: كيف حكمت على السلطة الفلسطينية ورئيسها بالكفر..؟

أقول: لا نطيل الجدل .. الشيخ ياسين ذاته يقول عنها: أنها لا تتبنى الإسلام فهماً ودستوراً ..

كما تقدم من كلامه .. وهذا يعني أنها تتبنى غيره مما يضاد ويُضاهي شرائع الإسلام!

والسؤال: هل تكون السلطة أو الدولة التي لا تتبنى الإسلام .. وتتبنى غيره من الأديان والشرائع

والمناهج .. دولة أو سلطة إسلامية!!؟

وقول الشيخ: "أنني لست ضد المنظمة، ولكن ضد خطها الذي لا يتبنى الإسلام فهماً ودستوراً"،

كمن يقول: أنا لست ضد الكفار ولكن ضد كفرهم ..!؟

ثالثاً: مما يؤخذ كذلك على حماس وعلى منهجها في عملية التغيير والوصول إلى الحكم،

تبنيتها للمنهج الديمقراطي الكفري الذي يرد الأمر كله لاختيار ورغبة الأكثرية من الشعب مهما

كان اختيارها مغايراً ومعارضاً ومضاداً لحكم الله ﷻ .. فهي الحكمُ ولها الحكم والأمر من دون الله .. شأن

حماس في ذلك شأن الإخوان المسلمين في بقية البلدان والأمصار .. فحماس منهم، وهي على نهجهم

وطريقتهم شبراً بشبر!

وللتدليل على ذلك . وليس الإحصاء . نذكر قول الشيخ أحمد ياسين لسائله، عندما توجه إليه

بالسؤال التالي: الشعب الفلسطيني يريد دولة ديمقراطية، وأنت لماذا تعانده؟

أجاب الشيخ: وأنا أيضاً أريد دولة ديمقراطية متعددة الأحزاب، والسلطة فيها لمن يفوز في

الانتخابات.

السائل: لو فاز الحزب الشيوعي، فماذا سيكون موقفك؟

الشيخ: حتى لو فاز الحزب الشيوعي فسأحترم رغبة الشعب الفلسطيني.

السائل: إذا ما تبين من الانتخابات أن الشعب الفلسطيني يريد دولة ديمقراطية متعددة الأحزاب،

فماذا سيكون موقفك حينئذٍ؟

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

الشيخ: والله نحن شعب له كرامته، وله حقوقه، إذا ما أعرب الشعب الفلسطيني عن رفضه للدولة الإسلامية، فأنا أحترم وأقدس رغبته وإرادته^[1] -أ- هـ.

وهذا كلام جد خطير .. كنا نود أن الشيخ لم يتلفظ به .. ولكنه المنهج الفاسد الذي تنتهجه جماعة الإخوان المسلمين .. فلشيوخ الإخوان مثل هذا الكلام وأخطر منه .. وحماس كما ذكرنا على إثرهم ونهجمهم.

من ذلك . على سبيل المثال . ما يقوله المرشد العام السابق للإخوان المسلمين محمد حامد أبو النصر عندما سأله السائل: البعض يتهم الإخوان بأنهم أعداء للديمقراطية، ويُعادون التعدد الحزبي، فما هي وجهة نظركم في هذا الاتهام؟

أجاب المرشد العام للإخوان المسلمين: الذي يقول ذلك لا يعرف الإخوان إنما يلقي التهم عليهم من بعيد، نحن مع الديمقراطية بكل أبعادها وبمعناها الكامل والشامل، ولا نعترض على تعدد الأحزاب، فالشعب هو الذي يحكم على الأفكار والأشخاص^[2] -أ- هـ.

وردنا على هذا القول الخطير نوجزه بالقول: أن أدلة الكتاب والسنة قد تضافرت على أن الرضى بالكفر كفر .. فيكون احترام وتقديس الكفر أولى بالكفر، والعياذ بالله.

ومن أراد أن يراجع أدلة المسألة بشيء من التفصيل، فليراجع كتابنا المنشور "حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية"، وكذلك كتابنا "قواعد في التكفير"، فالمقام هنا مقام إشارة وتذكير، ونصح .. لا متسع فيه للتوسع والاستدلال والشروح.

ولكن قبل أن ننهي الحديث عن هذه الفقرة نتوجه بالسؤال التالي لقادة حماس: إذا الشعب الفلسطيني اختار قيادات من برامجها بيع فلسطين للصهاينة اليهود .. كما هو الحال في اختياره لقيادات السلطة الفلسطينية .. فحينئذ هل ستحترمون وتقصدون اختيار الشعب الفلسطيني؟! ..

فإن أجبتهم: بنعم ..!

¹ المصدر السابق، ص 116 و 118.

² مجلة العالم، برقم 123، حزيران، 1986م.

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

نقول: بطل حديثكم عن فلسطين بأنها وقف، وأنها ملك للمسلمين .. كل المسلمين .. لا يحق لأحدٍ

أن يتنازل عن شبر منها!

وإن أجبتهم: بلا ..!

قلنا لكم: كيف تحترمون وتقدسون رغبة وإرادة الشعب الفلسطيني إذا وافق على دولة شيوعية

ملحدة تحارب الله ورسوله .. والإسلام والمسلمين .. ورفَضَ دولة الإسلام؛ دولة الحق والتوحيد .. ولا

تحترمون إرادته إذا باع فلسطين .. وتنازل عن حقوقه للصهاينة اليهود .. أتكون فلسطين أعز عليكم من

الله ورسوله ..؟!!!

ثم ما هي مبررات القتال والجهاد .. إذا كان في نهاية المطاف ستوافقون على دولة شيوعية ملحدة

تحارب الله ورسوله .. والإسلام والمسلمين .. لو اختارها أكثرية الناخبين من الشعب الفلسطيني؟!!!

صححوا المنهج والتصور .. يا حماس .. قبل أن تسيروا في الطريق .. فالروح تخرج مرة لا ألف

مرة!

رابعاً: العلاقة المشبوهة والزائدة بين حماس وبين الشيعة الروافض في إيران ولبنان .. وكأتهما

على طريق ومنهج واحد .. والتي تركت آثارها السلبية على عقائد الناس في فلسطين وخارج فلسطين ..

إلى درجة أن من المسلمين الفلسطينيين من قد تشيع وأخذ يبدأ بالطعن بالصحابة الكرام .. وهدم

الأصول!

وقد بلغت العلاقة الودية بين الحزبين درجة يُعلن فيها أمين عام الحزب الشيعي الرافضي اللبناني

أنه وحزبه وجماعته كلها جنود عند حماس .. وما أراد من ذلك سوى استغلال بوابة حماس واسم

حماس لتشجيع المسلمين الفلسطينيين في فلسطين وخارج فلسطين .. وقد نجحوا إلى حدٍ كبير!

الشيعة الروافض لا يهتمهم من القضية الفلسطينية . ولا غيرها من قضايا الأمة المصيرية . سوى

كيف يُصدّرون المذهب الشيعي الرافضي . القائم على الطعن والكذب والتكذيب . إلى فلسطين ومن ثم

إلى العالم كله .. وقد وجدوا . وللأسف . بوابتهم لتحقيق هذا الهدف الخبيث .. من خلال جماعة حماس

.. وجماعة الجهاد .. والأخوة في حماس والجهاد قد ساعدوهم على ذلك كثيراً!

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

أرسل إلي أحد الإخوان من فلسطين كتاباً عقدياً قد أعدته جماعة الجهاد الفلسطينية لتدريسه لأفرادها وقواعدها .. لكي أقول رأيي فيه .. فوجدت الكتاب قد تناول جميع فروع العقيدة تقريباً .. سوى الموقف من الصحابة .. فالكتاب لم يتطرق إلى ذكرهم أبداً .. ولا إلى ذكر شأنهم أبداً .. وذلك مجاملة للفتات المسموم الذي قد يأتيهم من قبل الشيعة الروافض!

بئس الدرهم هذا الدرهم الذي يأتي على حساب عرض وشرف أصحاب رسول الله ﷺ .. وشرف وعرض نساء رسول الله ﷺ!

والسؤال الذي نوجهه لحماس والجهاد معاً: كيف تعدون جيلاً مجاهداً مقداماً .. لا سلف له ولا قدوة من الصحابة الأختيار..؟!

جيل لا يعرف قدر الصحابة .. ولا الموقف من أعداء ولاعني الصحابة .. جيل مشوه لا يمكن أن يُعول عليه الكثير ولا القليل!

الحركة الإسلامية في مرحلة من مراحل وجودها وحركتها نحو أهدافها .. وفي مرحلة من مراحل الضيق والشدة والحاجة .. قد تُخَيَّر بين الثبات على المبدأ والعقيدة والتوحيد .. وبين بعض المصالح والمكاسب الدنيوية التي قد تخفف عنها شيئاً من تلك الضائقة والشدة .. ولا بد لها من أن تختار .. والصواب في حين حصول مثل هذه الخيرة .. والذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة .. وسير الأنبياء والمرسلين .. أن تختار الحركة أو الجماعة خيار الثبات على المبدأ والعقيدة والتوحيد .. وليس لها سوى ذلك .. وأيما جماعة إسلامية تختار العكس؛ فتقدم المصالح والمكاسب الدنيوية على المبادئ والعقيدة والتوحيد .. فإنها بذلك تخرج مباشرة عن كونها جماعة تعمل من أجل الإسلام وعقيدة الإسلام .. ولتبحث لنفسها عن نسبة أخرى تنتسب إليها غير نسبة الإسلام، والعمل الإسلامي، والجهاد الإسلامي! لا نقبل من حماس ولا من غيرهم أن يقولوا لنا . كما هو لسان حالهم . القضية الفلسطينية غاية تبرر الوسائل .. غاية ترخص في سبيلها الثوابت والعقائد والمبادئ!

فإن قيل: هل تريد أن يتركوا الغزاة الصهاينة المحتلين .. ويفتحوا جبهة جديدة مع الشيعة

الروافض..؟!

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

أقول: لا، هذا ما قصدناه ولا أردناه .. وإنما الذي قصدناه وأردناه أن يربوا شبابهم على التوحيد والعقيدة الصحيحة .. وعلى تعظيم وتوقير أصحاب رسول الله ﷺ .. وأن يعرفوا لهم قدرهم ومكانتهم في الإسلام .. وأن الأمة من دون سلفها .. كغصنٍ ذابلٍ مقطوع من شجرة .. وأن يقولوا للآخرين .. إنا برآء منكم .. نعتزلكم وما تعبدون من دون الله!

كما نعني ونقصد كذلك أن لا يجعلوا من أنفسهم وسياساتهم ومناهجهم .. مطية للتشيع .. وتشيع العباد وإضلالهم .. وأن يحذروا أن تؤتى الأمة من قبلهم وهم لا يشعرون!

فلسطين اليوم .. كلها والله الحمد .. مسلمون سنة .. وفي حال تشيع جزء منهم . كما يُخطط لذلك الشيعة الروافض . فسوف تجد حينئذٍ كيف أن المعركة ستتحرف عن مسارها رغماً عنك .. من صراع مع الصهاينة اليهود المحتلين للبلاد .. إلى صراع بين السنة والشيعة .. كما هو حال وموقف الشيعة الروافض في العراق .. حيث تركوا الغزاة الأمريكيين المحتلين .. بل وتحالفوا معهم .. على المجاهدين من أبناء المسلمين السنة .. هذه سيرتهم عبر تاريخهم كله فهي تنطق بذلك .. فهم دائماً كانوا ولا يزالون مع الغزاة المحتلين .. وعين لهم على أهل البلد من المسلمين!

خامساً: مما يؤخذ على حماس كذلك هذا الحلف القديم الحديث بينهم وبين النظام النصيري الطائفي العلماني البعثي في سورية، ذو التاريخ الحافل بالخيانة والغدر، والعمالة .. ومحاربة الإسلام والمسلمين.

كم أحزني تصريح الشيخ أحمد ياسين في "قناة العربية" قبل وفاته . رحمه الله وغفر له . بيومين، عندما سُئل عن موقف النظام السوري وما يتعرض له من ضغوطات دولية .. فأجاب الشيخ: سوريا لم تنتهي ولا تنحني أمام الضغوطات الدولية .. وهذا سمعته منه بنفسه!

ولا أدري هل فات حماس أن الرمز الهالك للنظام البعثي السوري الكافر هو الذي باع الجولان للصهاينة اليهود بثمن بخس .. وهو الذي قام بذبح وتصفية الفلسطينيين في مخيماتهم في لبنان في تل الزعتر وغيره .. وهو الذي أرغم الفلسطينيين على مغادرة لبنان .. وهو الذي . ولا يزال . يلعب دور كلب الحراسة الوفي على طول الحدود السورية واللبنانية .. يحرس أوليائه من الصهاينة اليهود .. ويمنع أي

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

عملية مقاومة أو دعم تتم عبر تلك الحدود .. وذلك منذ أكثر من ثلاثين سنة .. ولعل هذا من أكبر الأسباب التي تجعل المجتمع الدولي مقتنعاً بدوام بقاء هذا النظام على سدة الحكم!

كم كان يحزني تحالف حماس مع النظام النصيري البعثي السوري .. في الوقت الذي كان . ولا يزال . هذا النظام يرتكب المجازر الجماعية بحق المسلمين من أبناء البلد .. ويزج بالآلاف منهم في غياهب سجون تدمر وغيرها!

لا أدري كيف تفهم حماس الكفر بالطاغوت الذي هو ركن وشرط من أركان وشروط صحة التوحيد .. وكيف تفهم "الطاغوت" الذي يجب الكفر به، والبراء منه!

لا أدري كيف يفهمون ويفسرون قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ هود: 113.

لا أدري كيف يفهمون ويفسرون قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ القلم: 9.

لا أدري كيف يفهمون ويفسرون قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت: 41. لا أدري هل يقرؤون هذه الآيات .. وأمثالها وما أكثرها في القرآن .. أم أن معاني هذه الآيات لم تعد داخلة في لغة وقواميس حركات هذا الزمان ..!!

سيقولون: هناك بعض المكاسب نتحصل عليها من وراء ذلك الحلف ..!؟

نقول لهم: هذا من سوء الظن بالله .. وكأن هذه المكاسب والمصالح لم تعد تأتي إلا من عند أعداء الله .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

سادساً: مما يؤخذ ويلاحظ على حماس كذلك عدم وضوح الرؤية، وعدم وضوح وتحديد الأهداف والغايات من الجهاد والقتال؛ فتارة تراهم يصرحون بوقف القتال إذا انسحبت إسرائيل من أراضي سنة 67 .. وتارة يصرحون بحق الصهاينة اليهود في فلسطين .. وتارة يصرحون أنهم سيستमितون في الدفاع عن عرفات وسلطته .. وتارة يُصرحون بأنهم يريدون دولة ديمقراطية .. وتارة يوافقون السلطة الفلسطينية .. وتارة يُعارضونها؛ ولكن معارضة ديمقراطية .. وتارة يقولون لا نتنازل عن أي شبر من أرض

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

فلسطين .. فلا تدري ماذا يريدون من وراء قتالهم وجهادهم .. كما أن الغاية من القتال والجهاد والاستشهاد؛ وهي أن تكون كلمة الله هي العليا .. لم نلمسها بوضوح في أدبياتهم ونشراتهم، وتصريحاتهم! فهم يملكون المشروع القتالي الاستشهادي .. لكن مشروع ما بعد القتال والاستشهاد .. فإنهم لا يملكونه .. وهو غير واضح المعالم عندهم .. وكأن عليهم الاستشهاد وبذل التضحيات فقط .. وعلى غيرهم من العلمانيين قطف ثمار هذا الاستشهاد .. وهذه التضحيات!

ولعل ذلك يظهر من خلال ذلك الحوار الذي أجري مع الشيخ ياسين رحمه الله .. وإليك بعضاً منه:

السائل: خلال مقابلة التلفاز الإسرائيلي، قلت بأن الحركة الإسلامية مستعدة للتفاوض مع إسرائيل .. هل هذا صحيح؟

الشيخ: نعم، ولكن إذا ما أقرت بحقوقنا كاملة، واعترفت بحق الشعب الفلسطيني في العيش داخل وطنه حراً مستقلاً ..

السائل: ولكن إذا ما انسحبت إسرائيل من الضفة والقطاع، فهل ستعترف بها؟
الشيخ: لكل حادث حديث. [فالموضوع محتمل عند الشيخ .. وعند حماس .. لكن الحديث عنه سابق لأوانه .. فليس من استراتيجية حماس في هذا الموضوع الهام والحساس، أن تقول: لا .. لا حق للصهاينة اليهود في فلسطين كل فلسطين!]

السائل: ولكن عندئذ هل يجب الاعتراف بها؟
الشيخ: أترك هذا الأمر لممثلي الشعب الفلسطيني. [أي إذا قرر ممثلو الشعب الفلسطيني بأن يتنازلوا عن أراضي ومدن سنة 48 للصهاينة اليهود .. فلا مانع عند الشيخ .. وعند حماس .. وهذا مغاير لتصريحاته الأخرى بأن فلسطين أرض إسلامية .. تعني جميع المسلمين في الأرض .. وبالتالي لا يملك أحد الحق في أن يتنازل عنها للعدو الغازي المحتل .. فتأمل!]

السائل: من هم ؟
الشيخ: لمن ينتخبهم الشعب الفلسطيني. [أي الذين ينتخبهم الشعب الفلسطيني . ولو كانوا من الكفرة المجرمين والخونة العملاء . فهم الذين يملكون الحق في التنازل عن أراضي سنة 48 للصهاينة اليهود، أو لا .. بحسب ما يريدون ويقررون!]

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

السائل: ولكن قبل الانتخابات لمن تترك هذا الأمر؟ [أي حق التنازل عن أراضي سنة 48

للصهاينة اليهود].

الشيخ: لمن يمثل هذا الشعب في الشتات والمهجر؛ وهو منظمة التحرير الفلسطينية. [وهذا يعني

لو أن المنظمة الفلسطينية تنازلت عن أراضي سنة 48 لصالح الصهاينة اليهود فهي تملك هذا الحق!].

السائل: ما هو مفهومك للحقوق الوطنية .. وإذا كنت تريد القضاء على إسرائيل فمع من

ستفاوض؟

الشيخ: من قال ذلك؟! أنا لا أريد القضاء على إسرائيل، بل إننا سنتفاوض مع إسرائيل على أن

يعيش الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج في فلسطين، وعند ذلك تنتهي المشكلة. [هذه هي المشكلة،

وهذه هي حدودها وأبعادها عند الشيخ، وعند حماس .. أن يعيش الشعب الفلسطيني في فلسطين، وعند

ذلك تنتهي المشكلة مع الصهاينة اليهود ومع دولتهم!].

السائل: شيخ أحمد .. تريد أن تعيش في فلسطين، ولكن في ظل أي حكم؟ حكم إسلامي، في ظل

سلطة أو سلطتين، أم في ظل حكم دولة أو دولتين؟

الشيخ: لم يجب الشيخ أحمد على هذا السؤال! [لأنه سؤال صعب .. صعب على الشيخ أن يقول

له أريد أن أعيش في ظل حكم إسلامي .. ودولة تحكم بالإسلام!].

السائل: ولكن الشعب الفلسطيني يريد دولة ديمقراطية، وأنت لماذا تعانده؟

الشيخ: وأنا أيضاً أريد دولة ديمقراطية متعددة الأحزاب، والسلطة فيها لمن يفوز في الانتخابات.

[في السؤال السابق صعب على الشيخ أن يقول له أريد أن أعيش في ظل حكم إسلامي، ودولة تحكم

بالإسلام .. بينما هنا على الفور أجابه: "وأنا أيضاً أريد دولة ديمقراطية متعددة الأحزاب .. فتأمل!].

السائل: لو فاز الحزب الشيوعي، فماذا سيكون موقفك؟

الشيخ: حتى لو فاز الحزب الشيوعي فسأحترم رغبة الشعب الفلسطيني!

السائل: حماس تؤكد في شعاراتها على أهمية الوحدة الوطنية، وفي نفس الوقت ترفض الانضمام

إلى القيادة الوطنية الموحدة .. فما هذا التناقض؟

الشيخ: من قال ذلك؟ حماس تؤيد الانضمام إلى القيادة الموحدة، ولكن هذه القيادة هي التي

ترفض ذلك وتتجاهلها!

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

السائل: أليس من الواجب تجاهل أي حركة هي عائق في وجه الوحدة الوطنية؟

الشيخ: بلى، ولكن حماس ليست عائقاً .. وإذا أردت أن تستفسر فاسألهم [1]-ا- هـ.

وفي بيان سابق لكاتب عز الدين القسام صدر بتاريخ 2002/1/15 يقولون فيه: "إذا لم يرفع العدو الصهيوني الحصار والقيود المفروضة على الرئيس ياسر عرفات، وبقرار مسموع وواضح فسترد كتائبنا على هذه القيود في العمق الصهيوني رداً يعرفه القاصي والداني، وبعده عمليات تزعزع كيانه، وتجعل حياته جحيماً لا يُطاق"-ا- هـ.

كما ترون .. فهم لا يتورعون .. ولا يُمانعون من أن يُضحوا بصفوة شبابهم من أجل الطاغية الخائن ياسر عرفات .. الذين رأوا منه كل غدرو وحرب وتآمر عليهم قبل غيرهم ..!؟

أهكذا يكون الجهاد .. ولأجل ذلك يكون الاستشهاد .. والله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ النساء: 76.

هذا الذي يُقتل في سبيل الطاغوت عرفات .. ودفاعاً عنه وعن كفره ومنظّمته وسلطته الكافرة .. فماذا تراه يُجيب الخالق ﷻ يوم القيامة لو سأله: لماذا قاتلت وقُتلت .. وفي سبيل مَنْ أهدرت دمك .. وأنت عبدي ومن مُلكي .. لا حقّ لأحدٍ عليك تسفك دمك في سبيله غيري!!؟

صححوا المنهج والتصور .. يا حماس .. وأبينوا الطريق ووضحوا معالمة .. قبل أن تسيروا في الطريق .. ويقع الندم ولات حين مندم .. فالروح تخرج مرة لا ألف مرة!

سابعاً: حركة حماس كأي تجمع أخواني في أي قطر من الأقطار تراهم يهتمون بالكم لا بالكيف: حيث تجد في جماعة الإخوان المسلمين: الصوفي، والتبليغي، والسلفي، والأشعري، والجهمي، والسني، والجهادي، وغير الجهادي .. والناقم على طواغيت الحكم، والمداهن لهم الراضي بهم .. والمذهبي، والمذهبي المتعصب، وغير المذهبي .. والجاهل والمثقف .. والتقي والفاجر .. والانتهازي وغير الانتهازي .. والصادق والكاذب .. والديمقراطي وغير الديمقراطي .. والمحِب للشريعة الروافض والمبغض لهم .. فأبي صنف من هؤلاء تريده تجده في جماعة الإخوان المسلمين .. فالإخوان خليط من كل هذه الأطياف والأصناف

¹ المصدر السابق، ص 115-120.

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

والتناقضات .. لذا فهي جماعة كثيرة الانشقاقات والانقسامات بعضها على بعض .. وأفرادها متنافرون متدابرون .. متباغضون .. وذلك لغياب الانسجام الفكري والعقدي فيما بينهم .. ولانعدام وضوح الرؤية والهدف .. وتحديد الأولويات .. عند عناصر وقيادات هذه الجماعة .. ولنسيانهم حظاً من الدين والتوحيد!

وهذا خطأ كبير، وبخاصة في المراحل الأولى من السعي والعمل من أجل التغيير واستئناف حياة إسلامية راشدة، فهذه المرحلة بالذات تحتاج إلى طليعة من النخبة والصفوة العاملة المجاهدة المنسجمة فيما بينها؛ التي تلتزم بهدي وعرز الكتاب والسنة على فهم الصحابة الكرام ومن تبعهم من خيار سلف الأمة .. والتي تقود الأمة ببصيرة ودراية وعلم نحو الأهداف المنشودة .. بأقل ضرر ممكن أو انقسامات واختلافات ممكنة.

لا نمانع من أن يُشارك الفسّاق والعصاة والفجار وأهل البدع والانحرافات في الجهاد .. فالله تعالى ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما جاء ذلك في الحديث النبوي الصحيح .. ولكن نمانع أن تكون هذه الأصناف على هرم الجماعة .. وفي موقع القيادة والقُدوة .. ومن القيادات الأولى أو الثانية أو الثالثة للجماعة .. كما ونمانع أن يتشكل منهج الجماعة، وتتحدد رؤيتها للأمر، وكذلك أهدافها وأولوياتها من خلال انحرافات وضلالات وأهواء أولئك المنحرفين الضالين!

وعليه فإننا نقول: أيما جماعة تنهض للعمل من أجل الإسلام، ومن أجل أهداف الإسلام، وتكون جادة في نهوضها ومسعاها .. لا بد لها من ثلاثة خصال:

1- الالتزام بالكتاب والسنة، على فهم سلف الأمة، وبخاصة القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية والفضل.

2- انتهاج طريق الإعداد والجهاد؛ الإعداد الذي يأخذ بجميع أسباب القوة والمنعة المادية منها والمعنوية، والجهاد في سبيل الله تعالى وحده، الشامل لجميع أنواع الجهاد: جهاد النفس والسنان، وجهاد المال، وجهاد الكلمة والبيان.

3- الاهتمام البالغ بالعقيدة والتوحيد فقهاً والتزاماً ودعوة .. وإعطائه الأولوية في العمل التربوي والدعوي .. فالتوحيد هو الغاية العظمى .. وهو . بجميع تقسيماته وفروعه . جهاز المناعة عند الفرد،

حتى لا يفهم أنه رضى بالمنهج

والجماعة، والأمة .. والحصن المنيع والمتين الذي يستعصي غزوه .. به يتحقق النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض .. وبه يتحقق الفوز والفلاح والنجاة يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: 55. كل هذا العطاء والخير: الاستخلاف في الأرض، والتمكين للدين بقيام دولته، والاستبدال من بعد الخوف أمناً وأماناً .. مقابل تحقيق التوحيد حق الله على العبيد ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ .

هذا إيجاز شديد لما ننصح به، ولما يجب على الجماعة الجادة أن تتصف به .. فمن طلب المزيد وأراد الوقوف على الأدلة بشيء من التوسع والتفصيل فليراجع كتابنا "صفة الطائفة المنصورة التي يجب أن تُكثر سوادها"، وكذلك كتاب "الطريق إلى استئناف حياة إسلامية وقيام خلافة راشدة"، وكلاهما منشوران في موقعنا على الإنترنت والله الحمد.

وأخيراً أقول لإخواني في جماعة حماس .. وغيرهم .. لا تصدركم صراحة المقال وشدة بعض مفرداته وكلماته .. عن الاستفادة من المقال والوقوف عليه بشيء من التأمل والدراسة والمراجعة .. والوقوف الصادق مع النفس .. فأنا ما أردت التجريح ولا الانتقاص معاذ الله .. ولا الشدة لذاتها .. وإنما أردت النصح والإصلاح ما استطعت ﴿إِنْ أُريدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود: 88.

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1425/02/12هـ

أبو بصير الطرطوسي

2004/04/02م

حوار بين جورج بوش وحسني مبارك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لأمراهام ومستعجل يُهاتف حسني مبارك جورج بوش: سيدي أريد زيارتك لأمراهام ومستعجل ..!

جورج بوش: ما الأمر..؟

حسني: موضوع هام لا يُمكن بحثه عن طريق الهاتف .. فهو يستحق الزيارة إلى فخامتكم .. واللقاء

بكم .. لو سمح وقتكم بذلك!

بوش: ألا يُمكن تأجيل ذلك لأسبوع ..؟

حسني: لا يا سيدي .. فهو أمر هام ومستعجل .. لا يقبل التأجيل أو التأخير!

بوش: اعطني رؤوس أقلام موجزة عن الموضوع ..!

حسني: أمر يتعلق بالإرهاب والإرهابيين .. وبأمن أمريكا .. وأمن المنطقة كلها!

بوش: ماذا تقول .. إرهاب .. وأمن أمريكا .. إذاً الموضوع خطير جداً جداً .. غداً أنا ومستشاري في

مكافحة الإرهاب بانتظارك!

في اليوم التالي من المكالمة الهاتفية يقوم حسني مبارك على وجه السرعة بالطيران إلى البيت

الأبيض في واشنطن .. ليلتقي بالرئيس الأمريكي جورج بوش.

بوش: مرحباً بصديق أمريكا الوفي والقديم ..!

حسني: مرحباً يا فندم .. معذرة لهذه الزيارة الطارئة .. فأنا لم أقم بهذه الزيارة إلا من أجل أمريكا

.. ومن أجل السلام .. وأمن دولة إسرائيل .. فالأمر عندي لا يحتمل التأخير!

بوش: لقد أقلقتنا .. ما هي الأخبار عندهم .. وما هو الجديد؟!

حسني: أولاً يا سيدي .. أنا مندوب جميع حكام العرب إليكم .. فهذا الذي أقوله لك .. هو إجماع

عربي .. لم يتخلف عنه أحد!

بوش: جيد .. هات ما عندك!

حسني: لقد سمعنا يا سيدي أنكم . ومعكم الدول الأوروبية . تريدون أن تعملوا ديمقراطية في بلادنا

.. وحرية .. وإصلاحات .. وتقللوا من ضغط الحكام على شعوبهم .. وتقلصوا من صلاحياتهم؟!

حوار بين جورج بوش وحسني مبارك

بوش: اسمع يا حسني .. لنا أكثر من ثلاثين سنة ندعمكم .. وندعم الأنظمة الديكتاتورية القمعية التي تظلم وتضطهد شعوبها .. وتدوسهم بالأقدام والدبابات .. ولكن هذه السياسة . كما يقول لي خبرائي . جلبت لنا نتائج عكسية .. أوجدت جيلاً من الإرهابيين الناقمين على كل شيء .. وقد نالنا منهم ومن شرهم ما قد علمتم .. لذا أردنا أن نمح هذه الشعوب قليلاً من الديمقراطية والحريات .. من قبيل مكافحة الإرهاب .. والتقليل من ظاهرة الاحتقان إلى درجة الانفجار في المجتمع العربي .. والتي قد لا تُحمد عقباها!

حسني: يا سيدي .. هذا الشعب .. نحن نعرفه .. وقد خبرناه وجربناه لعدة عقود .. فهو شعب لا تنفع معه الديمقراطية ولا الحرية .. ولا الإصلاح .. فشعوبنا تعودت على الكبت والقهر .. والأحكام العرفية .. وقانون الطوارئ .. والدّوس على رؤوسهم بالأحذية والأقدام .. ونحن لو لم نفعل ذلك .. لما استطعنا السيطرة على الوضع .. ولما استتب لنا ولحكمنا الأمر!

شعبي في مصر مثلاً .. أنا حكمته وخبرته .. وأنا أعرفه جيداً منذ عقود .. فهو "كالزمبرك" يحتاج إلى ضغط دائم .. وإلى من يدوس عليه .. فإذا زُفِع عنه الضغط شَبَّ في وجهك .. وانتفض .. والشعوب العربية الأخرى لا تختلف عنه كثيراً!

بوش: لكن لا بد من قليل من الحريات .. والعمل على تأمين قليل من فرص العمل والازدهار .. لاحتواء المشاعر .. وكتنفيس لاحتقان الشعوب وغضبها .. فالشعوب التي نحكمها اليوم .. لم تعد تلك الشعوب المغفلة .. التي كنا نحكمها قبل عقود .. وهذه ظاهرة خطيرة لا بد من احتوائها بشيء من السياسة والدهاء .. وقليل من الحريات!

يا حسني .. من قبل كان لا يوجد إلا صوت الحاكم .. وإذاعة الحاكم .. وجريدة الحاكم .. واليوم توجد أصوات عدة .. وقنوات عدة .. وجرائد ومجلات عدة .. تصدر من دول عدة .. وكمبيوتر .. وإنترنت .. وغير ذلك من وسائل الاتصال التي فقدنا السيطرة عليها .. وهذا لا بد للسلطة من اعتباره وأخذه بالحسبان وهم يتعاملون مع شعوبهم!

حسني: لكن يا سيدي .. نحن مشكلتنا الكبرى .. ليست الشعوب .. ولا حرياتنا .. ولا كرامتنا .. ولا حقوقها .. ولا لقمة عيشها!

حوار بين جورج بوش وحسني مبارك

بوش: ما هي إذاً ..؟

حسني: مشكلتنا هي الإرهاب .. والإرهاب الدولي والعالمي .. كيف نواجهه ونحاربه .. ونستأصله من

الوجود .. ونجفف ينابيع دعمه!

بوش: صدقت .. ولكن هذا لا يمنع من أن نمنَّ على الشعوب المقهورة بقليل من ثرواتها .. وبهامش

صغير من الحريات .. كما ذكرت لك!

حسني: كن على يقين يا سيدي .. أن هذا الهامش من الحريات الذي تذكره .. سيزيد من عدد

الإرهابيين .. وسيوجد لهم متنفساً .. وإذا كان عندنا اليوم ابن لادن واحد .. فغداً . بسبب هذا الهامش

البسيط من الحريات الذي تذكره . قد نُبتلى بألف واحد من أمثال ابن لادن .. وحينئذٍ سنكون جميعنا

في ورطة كبيرة .. وسندم على هذه الحرية التي قدمناها لشعوبنا .. ولات حين مندم!

وأنا ما أتيت إلى هنا إلا لأحذرك من هذا .. وهذه رسالة جميع حكام العرب إليكم من خلفي!

بوش: لا .. لا .. لا أوافقك .. أعلم أن نيتك طيبة .. وما حملك على هذا الكلام إلا الغيرة على

أمريكا ومصالح أمريكا .. ومع ذلك فأنا أختلف معك!

حسني: عفواً يا سيدي .. أنا ما أردت إلا النصح والصالح العام .. واستئصال الإرهاب والإرهابيين

.. فأين وجه الخلاف؟!

بوش: أنتم في مصر لكم تاريخ عريق في قمع الشعوب .. وكبت الحريات .. وسجونكم فيها عشرات

الآلاف من سجناء الرأي .. ومع ذلك فالإرهابيون في تنامٍ وازدياد .. وقد صدَّرتم لنا الظواهري .. وغيره من

الإرهابيين .. ليقاتلوننا في عقردارنا ..!

فكيف تريدنا أن نقتنع بجدوى سياستك .. وسياسة من تتكلم بالنيابة عنهم من حكام العرب ..

ومجتمعاتكم . بسبب سياستكم القمعية . تصدرلنا الإرهابيين ..؟!

حسني: يا سيدي .. لو لم نفعَل ذلك .. ولو لم نحكم بلادنا بقوانين الطوارئ .. ونملئ السجون

بمن ذكرتهم ووصفتهم بسجناء الرأي .. لتحولت بلادنا إلى دول إسلامية .. ولأصبحت مصر مثل دولة

طالبان في أفغانستان .. وهذا ما لا أسمح به أبداً .. ولا أتهاون فيه .. ولو أدى ذلك إلى أن أبيد شعب

مصر بكامله عن الوجود .. أو أزج به في السجون!

حوار بين جورج بوش وحسني مبارك

بوش: كلامك وجيه .. وهو يستحق الدراسة من قبل مستشاري في البيت الأبيض .. وأنا ابتداءً أوافقك الرأي بأن الأنظمة الديكتاتورية القمعية .. خير لنا ولمصالح بلادنا من النظام الإسلامي الأصولي .. فأنا فعلاً لا أريد أن تتكرر ظاهرة دولة الطالبان!

المهم بالنسبة لنا . يا حسني . أن تحافظوا على مصالحنا في المنطقة .. وأن لا تُصدروا لنا الإرهاب والإرهابيين .. وأن يبقى صراعكم مع الإرهابيين داخل بلادكم .. بعد ذلك لا نبالي بطبيعة النظام الذي يحكم شعوبكم .. ولا بحقوق الإنسان ولا غيرها .. هذه قضية يجب أن تفهمها .. ويفهمها حكام العرب الذين انتدبوك إلي!

حسني: نحن نفهم ذلك جيداً يا سيدي .. وإخواني من حكام العرب يفهمون ذلك جيداً .. وهم يعون أن وجودهم في الحكم مرهون بمدى محاربتهم للإرهاب والإرهابيين .. وبمدى دخولهم في المنظومة الدولية وتعاونهم معها في مكافحة الإرهاب .. والأصولية الإسلامية المتشددة التي تفرخ الإرهابيين .. وبمدى حراستهم لمصالحكم في المنطقة!

وأنا شخصياً ما أتيت إلى هنا إلا لكي أثبت لكم حرصنا على ذلك .. ولكي أجدد لكم الولاء والوفاء والبيعة على السمع والطاعة .. فنحن لولاكم ولولا دعمكم المستمر لنا لما كنا ولا حكمنا ..!

فنحن حلفاء .. وحلفنا متين .. يجب أن نكون جبهة متماسكة واحدة في محاربة الإرهاب والأصولية المتشددة .. وشعوبنا مهما حاولت فهي لا تستطيع أن تنال من تحالفنا وتعاوننا الاستراتيجي هذا!

بوش: يسرنا . يا حسني . أن نسمع منكم هذه الكلمات .. لكن أنا يهمني العمل أكثر من الكلام!
حسني: طبعاً طبعاً يا سيدي .. فأنا عندي في سجوني أكثر من ستين ألف متطرف وإرهابي .. أسومهم سوء النذل والعذاب .. ولكي أثبت لكم أنني عملي وجاد في مكافحة الإرهاب والإرهابيين .. فأنا على استعداد أن أسجن من شعب مصر أضعاف أضعاف هذا العدد ..!

بوش: هذا شأن داخلي لا نود التدخل به ..!

حسني: ولكن حتى نتمكن من محاربة الإرهاب والأصوليين بصورة فاعلة كما هو مطلوب ومنشود .. وكما تريدون .. نود منكم كذلك . يا سيدي . أن تُطالبوا شركاءكم من الدول الأوروبية بأن يخففوا من الضغط علينا .. ومن مطالبتنا بضرورة الإصلاح .. واحترام حقوق الإنسان .. وغير ذلك من الأمور التي

حوار بين جورج بوش وحسني مبارك

تثير الشعوب علينا .. أصل هذه الدول حساسة زيادة عن اللزوم .. وهي لا تعرف طبيعة شعوبنا .. وكم نكابد حتى نسيطر عليها!

بوش: الدول الأوروبية دول صديقة .. متفهمة للأمر .. فهي حريصة على ما نحن حريصين عليه .. وسوف أحاول أن أشرح لهم الأمر!

حسني: كذلك يا سيدي .. مما يستدعي أن نحافظ على سياستنا القمعية الحالية في التعامل مع شعوبنا .. هو ضرورة الحفاظ على أمن وسلامة دولة إسرائيل .. لأن الحريات .. ورفع الحذاء عن رؤوس الشعوب .. يعني زوالنا وزوال حكمنا ونظامنا الذي يحرص على السلام مع إسرائيل .. وعلى حماية دولتها وحدودها من الإرهابيين .. واستبداله بحاكم .. وربما نظام إسلامي لا يبالي بأمن ولا سلامة إسرائيل .. وينسف كل ما بنيناه من جهود نحو السلام الواعد في الشرق الأوسط خلال السنوات المنصرمة! يجب أن تفهوا .. وتفهم الدول الأوروبية كذلك .. أن من لوازم بقاء دولة إسرائيل والحفاظ عليها .. بقاءنا وبقاء حكمنا .. وأن زوالنا وزوال حكمنا من لوازمه ولا بد زوال دولة إسرائيل .. هذه حقيقة مسلمة وقاعدة مطردة .. ينبغي أن لا تغيب عن أذهان أولئك الذين يُطالبوننا بالإصلاح .. وبالحرثات .. وبحقوق الإنسان!

بوش: أمن دولة إسرائيل .. والحفاظ على تفوقها العسكري والاقتصادي .. مسؤولية أمريكية متفق عليها بين جميع الأحزاب والاتجاهات الأمريكية .. لا يمكننا التفريط بها .. كما أننا لا نسمح لأحد أياً كان أن ينال من أمن ووجود هذه الدولة العزيزة!

ومن جملة الأسباب التي تحملنا على السكوت عن الأنظمة القمعية الديكتاتورية في المنطقة .. تعهدنا بحماية وحراسة حدود ودولة إسرائيل .. وأيما دولة نلمس منها تقصيراً نحو ذلك فحكمها عندنا الزوال .. كما فعلنا بالعراق وحكامها تماماً!

حسني: لأجل ذلك يا سيدي نطالبكم بتعجيل عملية السلام بين الدولة الإسرائيلية والسلطة الفلسطينية .. ولو سلاماً صورياً شكلياً نخدع به الشعوب .. لأن الشعوب العربية في مجتمعاتنا ساخطة جداً .. وناقمة على الوضع الحالي .. وإني لأخشى أن يأتي اليوم الذي نفقد فيه السيطرة عليها .. فيقع حينئذٍ المحذور الذي نخشاه جميعاً!

حوار بين جورج بوش وحسني مبارك

بوش: إسرائيل دولة سلام .. ولكن الآخرين لا يريدون السلام معها .. ولا يسعون له مسعاه!

حسني: يا سيدي أرجو أن تفهمني .. أنا لست حريصاً على حقوق الشعب الفلسطيني .. الشعب

الفلسطيني يروح في داهية .. فهو لا يهمني .. وإنما يهمني مكافحة الإرهاب والإرهابيين كما ذكرت لكم مراراً!

بوش: وما علاقة القضية الفلسطينية .. والشعب الفلسطيني .. وعملية السلام .. بالإرهاب

والإرهابيين؟!

حسني: لها كل العلاقة ..!

بوش: كيف ..؟!

حسني: لها علاقة من وجهين:

أولهما: بقاء القضية الفلسطينية على ما هي عليه الآن مسوغ لوجود الإرهابيين .. ولأعمالهم

الإرهابية الانتقامية .. وهي مبرر . عند كثير من الناس . لما يقوم به ابن لادن وغيره من الإرهابيين من

أعمال إرهابية!

ولو الطال الحال على ما هو عليه الآن .. لأصبحنا أمام ظاهرة آلاف الأشخاص مثل ابن لادن ..

بدلاً من ابن لادن واحد .. وهذا الذي نخشاه!

ثانياً: أن القضية الفلسطينية لها قدسيتهما وبعدها الكبير في نفوس المسلمين .. لذا فهم يلتفون

حول من يرون فيه غيرة على فلسطين .. وحرصاً على تحرير فلسطين .. وهذا معناه أن نفوذ الإسلاميين

الأصوليين الإرهابيين قد يتوسع .. ليشمل العدد الأكبر من الشعوب والأنصار .. وحينئذٍ تتسع دائرة

الخطر .. والإرهاب ونفوذه .. ويصعب علينا معالجة الأمر .. أو بالأحرى ستكلفنا معالجته ومواجهته الكثير

من التضحيات!

إضافة إلى ذلك يا سيدي .. فإن بقاء القضية الفلسطينية على ما هي عليه الآن .. مع ما تقوم

به الدولة الإسرائيلية من قمع واغتيال للشعب الفلسطيني وقياداته .. يجرنا . نحن حكام العرب . كثيراً،

ويظهرنا أمام الشعوب على أننا عملاء وخونة .. وجبناء .. وهذا أمر لا شك أنه يُضعفنا على المدى البعيد

.. ويكشفنا على حقيقتنا .. وهو ليس لصالحنا .. ولا لصالحكم .. ولا لصالح أمن وسلامة دولة إسرائيل!

حوار بين جورج بوش وحسني مبارك

بوش: حقاً يا حسني .. أنت رجل داهية .. وتستحق أن تكون صديق أمريكا الأول .. ومن المقربين

إلى سياساتها وحكامها!

أفصح أكثر ما الذي تريده ..!؟

حسني: الذي أريده يا سيدي . بما لكم من نفوذ . أن تضغطوا على الدولة الإسرائيلية .. لتقوم

بأي عملية سلام .. ولو سلاماً صورياً .. المهم أن تنهي هذا الصراع المشؤوم .. ونقطع الطريق على

الإرهابيين والأصوليين!

بوش: سأحاول .. ولكن لا أستطيع أن أضغط على الدولة العبرية كثيراً .. فهي لها مصالحها التي

ينبغي مراعاتها واعتبارها .. وهي . كدولة ديمقراطية وحيدة في المنطقة . نحترم إرادتها واختيارها!

حسني: رجاء يا سيدي .. حاولوا جهدكم .. فالقضاء على ظاهرة الإرهاب والإرهابيين .. والأصولية

الإسلامية .. مرهون بحل القضية الفلسطينية .. ولو بأي طريقة كانت .. هذه حقيقة يجب على المجتمع

الدولي أن يدركها ويفهمها!

بوش: شكراً . لك يا حسني . على نصيحتك، وعلى إخلاصك ..!

حسني: هذا واجب يا فندم .. ولا شكر على واجب!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1425/03/03 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2004/04/22 م

أنتم البادئُ يا آل سعود وأنتم الأظلم

أنتم البادئُ يا آل سعود وأنتم الأظلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وبعد.

من الأخطاء الشائعة التي يقع بها بطانة وأبواق النظام السعودي أنهم ما من حدثٍ يقع في بلاد الحرمين الشريفين . قد يكون من عند أنفسهم ومن عند أولياء أمورهم من طواغيت الحكم والظلم .. وبما جنت أيديهم الأثمة الظالمة . إلا وتراهم يتسابقون إلى شجبه وإنكاره .. ويضجون ويصخبون .. وينظرون إليه بعين الحور والخور .. فهم لا يرون ولا يُظهرون إلا الجانب الذي يرضيهم ويُرضي أسيادهم .. من دون أن ينظروا إلى الجانب الآخر الذي يلقي المسؤولية عليهم وعلى النظام والقائمين عليه من المفسدين والمخربين الحقيقيين .. وهذا من الغش والكذب في النصح .. وهو أسلوب من لا يريد الإصلاح ولا السلامة للبلاد والعباد..!

يفعلون ذلك .. بينما عندما يقوم جلادو ومجرمو النظام السعودي بهدر الدم الحرام في البلد الحرام .. ويكون لهم السبق في الاعتداء على الحرمات .. ويتعمدون قتل صفوة شباب الأمة جهاراً نهاراً .. استرضاء وتقرباً لأمريكا وغيرها من دول الكفر .. ويقومون باعتقال من يستطيعون اعتقاله من الشباب المسلم . وعددهم بالمئات إن لم يكن بالآلاف . ليفتنوهم عن دينهم وليمارسوا عليهم أشد أنواع التنكيل والتعذيب .. والإذلال والمهانة .. عندما يفعل النظام ذلك .. لا نسمع لبطانة السوء هذه همساً ولا إنكاراً .. ولا حديثاً عن حرمة المسلم .. وحرمة دمه .. وحرمة الاعتداء عليه .. والتعرض له بأي نوع من أنواع

الأذى .. فيتناسون كل النصوص الشرعية التي تحرم ذلك .. ويتحولون إلى خرسانٍ من الشياطين!

الدم الذي يسفكه النظام الطاغوي ظلماً وعدواناً .. بحق المؤمنين المجاهدين .. حلال .. وعمل مبارك .. ولا أحد يتكلم ولا يعترض .. والدم الذي يُسفك من النظام الطاغوي وجلاديه ومجرميهِ .. كدفاع عن الأنفس والحرمات .. ورد الظلم والعدوان .. حرام .. ومرتكبوه في النار!

أنا هنا لا أريد أن أقيّم حدثاً معيناً لا أملك عنه المعلومات الكافية والصادقة التي تمكني من تقييمه والحكم عليه .. فأعيد نفسي وغيري من الدعاة وأهل العلم أن نكون ذلك الصنف من القضاة

أنتم البادئُ يا آل سعود وأنتم الأظلم

الذين يحكمون على الأشياء بجهل وغير علم .. نبتغي مرضاة الطواغيت الظالمين .. فيصدق فينا قول النبي ﷺ: "ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار".

ولكن دعونا ننظر للأشياء بخلاف نظرة الأبواق من مشايخ السوء والسلطان .. وبشيء من الإنصاف والعدل .. لما يحصل في بلاد الحرمين .. على أيدي النظام الخائن الذي يحكم البلاد والعباد بالظلم .. والخيانة .. والفساد .. والغدر .. والخوف .. والحديد والنار .. الذي يعيننا على فهم وإنصاف كل ما يحدث من مضاعفات وردة أفعال تجري في تلك الديار .. نرضى بعضها .. ونسخط بعضها الآخر!

من جهة الحكم .. فالنظام السعودي وإن زعم أنه يحكم بشريعة الإسلام .. إلا أن واقعه يكذب زعمه .. وهو أصدق لهجة من زعم اللسان .. فلا إدارة الحكم والنظام قائمة على أساس الشورى والحكم بما أنزل الله .. ولا الحياة الاقتصادية مضبوطة بحكم الله .. حيث البنوك الربوية تحيط بالحرمين الشريفين .. ولا ثروات البلاد وإدارتها وتوزيعها تخضع لحكم الله ولا حتى لرقابة الأمة والشعوب .. ولا العلاقات الدولية والسياسة الخارجية محكومة بشرع وحكم الله .. وكذلك الحياة الاجتماعية .. والنظام الداخلي للبلاد .. يتخلله كثير من الخروقات والمخالفات المقننة والمقصودة والمتعمدة .. وتتبع ذلك يطول .. وهو معلوم لدى أصغر متابع ومراقب!

ومن جهة فهو نظام يروج . عن سابق إصرار وعمد . للرديلة والفساد والفجور .. لتشيع الفاحشة والأمراض بين المؤمنين .. وجميع وسائل إعلامه المرئية والمقروءة والمسموعة تدل على ذلك، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ النور:

.19

ومن جهة الولاء والبراء .. فهو نظام ولى ظهره للأمة منذ زمن ليس بالقريب .. ودخل في موالة ونصرة الكفرة من أعداء الأمة على الأمة ودينها وأبنائها .. دخولاً كلياً لا يماري فيه عاقل ولا منصف! لا يوجد نظام كافر في الأرض .. ولا طاغوت من طواغيت الأرض .. ممن يحاربون الله ورسوله .. إلا وتربطه بالنظام السعودي علاقات أخوة وصدقة ونصرة وموالة متبادلة بين الطرفين .. حتى دولة

أنتم البادئُ يا آل سعود وأنتم الأظلم

الصهاينة اليهود الغازية والمحتلة لبلاد المسلمين في فلسطين .. فهم يؤيدونها ويدعمونها .. ويحملون الأمة على الاعتراف والرضى بها .. والتطبيع الكامل معها! [1].

وهل سقوط دولة أفغانستان المسلمة .. وغزو قوى الكفر والطغيان للعراق .. وبقاء الجيش الروسي الصليبي في الشيشان .. إلا ثمرة من ثمار دعم وتأييد النظام السعودي لتلك القوى الغازية الكافرة الطاغية!

بينما لا نجد من هذا النظام والقائمين عليه .. نحو المسلمين .. وبخاصة منهم المجاهدين في سبيل الله .. والجماعات الإسلامية الصادقة والجادة في العمل من أجل الإسلام .. والتغيير نحو الأفضل .. سوى الكيد .. والمكر .. والغدر .. والحرب .. والعداء!

فقد زجوا بالعلماء المخلصين .. الناصحين والمصلحين .. في السجون ليفتنوهم عن دينهم ومواقفهم .. وهم منذ سنوات عدة .. قد أعلنوا الحرب البواح . تقريباً واسترضاء لأسيادهم وحماهم في أمريكا . على كل من كان له علاقة بالجهاد والمجاهدين .. أو نوع مشاركة سابقة كانت له في مواقع الجهاد المتعددة من العالم .. أو يحمل في نفسه شيئاً من أفكارهم وتطلعاتهم .. فقتلوا منهم من استطاعوا قتله .. وسفكوا الدم الحرام في البلد الحرام .. وفي بيوت الله .. وزجوا بمئات منهم في السجون ليسومونهم سوء الفتنة والعذاب، والتنكيل .. حتى أن من الشباب من يفضل أن يفجر نفسه ولا يقع أسيراً بين أيدي هؤلاء الظالمين .. لما يعلم ما ينتظره عندهم من تعذيب وتنكيل لا يُطاق!!

¹ أذكر في الثمانينات يوم أن كنت في الباكستان .. قدر الله لي أن التقيت بالملحق الأمني للسفارة السعودية، والمعروف بلقب "أبي مازن"، حيث كان موكولاً له مهمة التجسس على المجاهدين العرب .. وإحصاء عددهم وأسمائهم وبخاصة منهم مجاهدي الجزيرة العربية الأبطال .. وكان في الموقف بعض المجاهدين الأفغان المبتوري الأيدي والسيقان .. يستعطفونه ويسألونه شيئاً من المن والعطاء .. وربما تأشيرة سفر ليعالجوا من جراحاتهم في بلاد الحرمين .. فقلت له مستشفعاً: لا بأس بأن تساعدكم .. فرد علي بحنق وغضب: نحن نساعد دولة إسرائيل .. دولة اليهود .. لا نساعد هؤلاء المساكين .. وكرر مقولته هذه أكثر من مرة .. وقد صدق الرجل فهم يساعدون دولة الصهاينة اليهود .. ومنذ زمن .. فتأمل!

أنتم البادئُ يا آل سعود وأنتم الأظلم

كل هذا والشباب لا يزالون مترددين في شرعية الدفاع عن أنفسهم وأهلهم وحرمتهم .. ودينهم .. ورعاً .. وخشية التلوث بالدم الحرام .. في البلد الحرام .. ولكن هذا الورع .. قد فهمه النظام الطاغى وأزلامه خطأ .. فجرأه على مزيدٍ من الطغيان والعدوان .. وملاحقة الشباب المسلم .. وسفك الدم الحرام .. فأزال بطغيانه وعدوانه وظلمه ما تبقى من ورع وتردد في نفوس الشباب .. وألجأهم إلى خيار وحيد .. لا ملجأ لهم سواه .. وهو خيار الدفاع عن النفس، والدين، والعرض .. وهو خيار له ما يبرره شرعاً وعقلاً. لذا فإننا نقول وبكل وضوح: طواغيت النظام السعودي وجلاديه .. وكلابه المسعورة .. هم الذين بدءوا .. والبادئُ أظلم .. وبالتالي لو حصل ما لا يسرهم .. فلا يلوموا إلا أنفسهم .. والعاقل منهم من يتهم نفسه .. لا غيره .. ويراجع مواقفه .. وأين هو. في هذه المرحلة العصبية التي تمر بها الأمة . من خندق الحق وأهله!

ونقول كذلك على سبيل النصيح والوعظ والإرشاد: أيما أمة تنشد الأمن والأمان .. والسلامة والاستقرار .. لا بد من أن تتقي الله .. وتلتزم جادة الاستقامة والطاعة لله ولرسوله .. وأيما ذنب يظهر ويشيع ويُعمل به .. ويُقر من قبل الخاصة والعامة .. فإن كَفَّارته والظهور منه قد يكون مكلفاً جداً! والفقهاء حينئذٍ لا يلزمنا أن نقف عند الكفارة وما نزل بنا من بلاء وحسب .. وإنما يقتضي كذلك أن نقف على أسباب نزول هذا البلاء .. وأسباب حصول هذه الكفارة وهذا الظهور!

بنو إسرائيل لما عبدوا العجل لأيام فقط .. نزل بهم البلاء .. وكان لا بد لهم من كفارة وظهور يكفرون به عن ذنبهم هذا، فنزل الأمر من عند الله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ البقرة: 54. فقتل الذين لم يعبدوا العجل ألفاً ممن عبدوا العجل .. وقيل أن عدد الذين قُتلوا من عبدة العجل كانوا سبعين ألفاً .. فذلك كانت توبتهم .. وتلك كانت كفارتهم عن ذنبهم .. وكم من عجلٍ يُعبد في أمة الإسلام والتوحيد في هذا الزمان .. ينتظر أهله الكفارة والظهور .. الله تعالى يعلم ماهيتها وكيفيتها .. ونوعها .. وكمها!

وفي الحديث، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن صهيب قال: "كان إذا صلى همس، فقال ﷺ: أفظنتم لذلك؟ إني ذكرت نبياً من الأنبياء أعطي جنوداً من قومه، فقال: من يكافيء هؤلاء، أو من يقاتل

أنتم البادئُ يا آل سعود وأنتم الأظلم

هؤلاء؟ أو كلمة شبيها، فأوحى الله إليه أن اختر لقومك إحدى ثلاث: أن أسلط عليهم عدوهم، أو الجوع، أو الموت، فاستشار قومه في ذلك؟ فقالوا: نكل ذلك إليك، أنت نبي الله، فقال فصلي، وكانوا إذا فزعوا، فزعوا إلى الصلاة، فقال: يا رب أما الجوع أو العدو، فلا، ولكن الموت، فسلط عليهم الموت ثلاثة أيام، فمات منهم سبعون ألفاً، فهمني الذي ترون أني أقول: اللهم بك أقاتل، وبك أصاول، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[1].

فتأملوا، فهذا نبي من أنبياء الله قال كلمة على وجه الإعجاب بجنده ومقاتليه فقط، فكانت كفارتها أن سلط الله على قومه وجنده الموت فمات منهم في ثلاثة أيام سبعون ألفاً .. وليس أربعة أو خمسة .. أو عشرة .. فكيف ببلد أو دولة . تزعم الانتماء إلى الإسلام . ثم هي لا تحكم بما أنزل الله .. وتوالي أعداء الإسلام على الإسلام وأهله .. وتقاتل وتطارد صفوة الأمة من المجاهدين الموحدين .. ومع ذلك علماؤها يزبنون باطلها ويُجادلون عنها وعن ظلمها وعدوانها .. لا شك أن كفارتها وطهورها سيكون مكلفاً جداً .. جداً .. نسأل الله تعالى السلامة والعفو والعافية.

خلاصة القول الذي نود أن نختم به هذا المقال . وحتى لا نُفهم خطأ . هو التأكيد على ما أكدناه

مراراً وفي مقالات عدة، ويتلخص في النقطتين التاليتين:

1- أننا لا يمكن أن نؤيد أو نبارك قصد الاعتداء على الأبرياء ممن صان الشرع حرمتهم ودماءهم

.. مهما كانت دوافع ومقاصد المعتدين نبيلة أو شريفة .. فالغاية لا تبرر الوسيلة.

والعدوان على من صان الشرع حرمتهم مدان شرعاً أيّاً كانت الجهة الفاعلة .. وكان اسمها ..

وهذا لا يعني أننا نمنع . وفق شروط وضوابط الشرع . من أن يُصاب بريء تبعاً لا قصداً .. وبعد الأخذ

بأقصى درجات التحري والحيطه والدقة الممكنة!

2- كثير من أنظمة الحكم المعاصرة التي تزعم الانتساب للإسلام .. بما فيها النظام السعودي ..

أنظمة كافرة طاغية ومرتدة .. قد جمعت بين الكفر والخيانة والعمالة .. وجميع فنون الظلم والطغيان

¹ أخرجه ابن نصر في "الصلاة"، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، السلسلة الصحيحة: 1061.

أنتم البادئ يا آل سعود وأنتم الأظلم

.. يجب شرعاً الخروج عليها .. والعمل والإعداد للخروج عليها والخلص منها .. عملاً بقوله ﷺ: "إلا أن تروا كفرةً بواحاً عندكم من الله فيه برهان".

والأمة . إن أرادت أن تستأنف حياة عزها وكرامتها، وأن تعيد للدين مجده الأول . لا بد لها من أن تروض نفسها لهذه المرحلة .. وهذا العمل .. وتستعد لبذل الكفارة والطهور قبل أن تتعاضم وتتضخم .. وإلا فلا تنشُد الخِلاص من هذا الذل والكفر والهوان .. والفقير .. والكبت والإرهاب .. الذي تعيشه .. ولا تُكثّر من السؤال: عن الحل .. وعن سبيل الخِلاص!

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

1425/03/05 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2004/04/24 م

سجن "أبو غريب" قعان ودلالات

سجن "أبو غريب" معان ودلالات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروهه سواه، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

إن ما حصل في سجن "أبو غريب" وغيره من سجون العراق على أيدي الغزاة الأميركيين وحلفائهم من تعذيب وحشي للسجناء العراقيين .. ومن انتهاك صريح لجميع الحقوق ومعاني الإنسانية والشرف .. إلى درجة القتل البطيء .. والاغتصاب .. وممارسة اللواط .. وغير ذلك من فنون ووسائل التعذيب والإهانة والفجور مما يعجز اللسان عن وصفه وذكره .. وبصورة لا تخطر على بال بشر .. في زمن يزعمون فيه سيادة القانون .. وأنهم حماة الحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان .. إن حصول ذلك كله ليعني . عند كل مراقب منصف . دلالات ومعانٍ عدة، منها:

1- إن ما ظهر من انتهاكات فظيعة لحقوق وحرمان السجناء العراقيين على أيدي الغزاة الأميركيين .. هو قليل من كثير .. وما خفي لهو أعظم وأفظع بكثير مما ظهر وعُرف .. ووسائل إعلامهم قد صرحت بذلك .. وهي في كل يوم تسرب لنا جرعة جديدة من تلك الانتهاكات المرعبة!

2- هذه الانتهاكات المخيفة والمرعبة التي مارسوها بحق سجناء وسجينات العراق في سجن "أبو غريب" وغيره من سجون العراق .. فإنهم يُمارسونها في جميع السجون التي تخضع لسلطتهم وإدارتهم في أفغانستان .. وغوانتانامو .. وغيرها من السجون .. ولا نبتعد عن الحقيقة لو قلنا أنهم يمارسونها في سجونهم داخل أمريكا ذاتها؛ وبخاصة إن كان السجناء من المسلمين من ضحايا الحملة المزعومة على الإرهاب!

ولما بلغنا أنهم كانوا يُعرّون الشيخ الوقور .. والعالم الجليل .. الضير عمر عبد الرحمن .. الذي تجاوز عمره السبعين عاماً من ثيابه تماماً كما ولدته أمه .. لإذلاله وقهره وإهانته .. وإهانة المسلمين من ورائه .. والذي مضى على اعتقاله في سجونهم في أمريكا أكثر من عشر سنوات ولا يزال .. كان منا من يشكك في صحة تلك الروايات .. ولا يكاد يصدقها .. إلى أن رأينا انتهاكات القوم للحقوق والحرمان رأياً العين عبر وسائل الإعلام المتعددة والمختلفة!

سجن "أبو غريب" قعان ودلالات

3- المسؤول عن هذه الانتهاكات المرعبة التي حصلت في سجن "أبو غريب" وغيره .. هم قادة الاحتلال الأمريكي، وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي جورج بوش وأعضاء حكومته ومن دون استثناء .. وكل من حالفهم أو ارتضى غزوهم للعراق .. أو سهّل غزوهم من طواغيت الحكم في بلادنا من خلال تسهيل المرور والانطلاق عبر أراضيهم .. وإقامة القواعد الأمريكية العسكرية والتجسسية الرابضة فيها .. أو صبغ عليهم وعلى غزوهم واحتلالهم للبلاد المشروعية والقانونية .. كأعضاء مجلس الحكم العميل ونحوهم .. فهؤلاء جميعهم يتحملون مسؤولية وتبعات ما حصل في سجن "أبو غريب" وغيره من السجون .. من انتهاكات وقتل للقيم الإنسانية .. يجب أن يُحاكموا ويُحاسَبوا!

4- الذي حصل في سجن "أبو غريب" .. سيجري طواغيت الحكم في البلاد العربية على ارتكاب مزيد من الظلم والانتهاكات لحقوق وحرمان شعوبهم .. فسجن "أبو غريب" أعطاهم الحجة والجواب الكافي في الدفاع عن ظلمهم وطغيانهم وأنظمتهم؛ فهم لو تعرضوا لأي مساءلة من قبل جمعيات حقوق الإنسان المنتشرة في أمريكا وبلاد الغرب .. فالجواب عندهم جاهز؛ وهو قولهم: قبل أن تُحاسَبونا حاسبوا أمريكا .. انظروا ماذا فعلت أمريكا ومن حالفها في سجن "أبو غريب" .. فهم أسيادنا ونحن نتعلم منهم .. ومنهم نقتبس وسائل التعذيب .. لا تلوّمونا ولوموهم .. عودوا إلى حيث أتيتم .. وهكذا سيكون سجن "أبو غريب" ذريعة وستاراً للطواغيت الظالمين .. ومبرراً لمزيد من الظلم والبطش والقهر بحق الشعوب المظلومة والمغلوب على أمرها .. إذ بان أن حامى حقوق الإنسان حرامها!!

5- الذي حصل في سجن "أبو غريب" .. هو الوجه الحقيقي للقيم الأمريكية والغربية الصليبية .. وهذا الذي يفعلونه اليوم فعلوا أضعافه في حروبهم الصليبية . القديمة الحديثة . ضد المسلمين على أيدي أجدادهم وأسلافهم .. وما أخبار محاكم التفتيش الصليبية الإجرامية عنا ببعيدة .. فهم يُجددون تاريخ وسيرة أجدادهم وأسلافهم الإجرامي كلما سنحت لهم الفرصة بذلك!

كان البعض يعتقد أن هذا الذي فعلوه من جرائم وانتهاكات للحرمان عبر تاريخهم الأسود بحق المسلمين .. هو عبارة عن تاريخ قد مضى لا يتحمل وزره المعاصرون من أحفادهم .. ولكن جاءت جرائم سجن "أبو غريب" لتصحيح المعلومة والذاكرة بأن الأجداد والأحفاد سواء في همجيتهم وحقدتهم وعدائهم للإسلام والمسلمين!

سجن "أبو غريب" قعان ودلالات

فهم . بما فعلوه في "أبو غريب". ينقسون عن أحقادهم الدفينة في نفوسهم .. حتى لا يُصابون بمرض نفسي نتيجة الكبت والحقن الزائدين .. لذا لا بد لهم بين الفينة والأخرى من وجبات تعذيبية يعذبون بها الآخرين .. يتسلون بها ويرفون بها عن أنفسهم .. كما صرحوا هم أنفسهم بذلك!

6- أثبتت أمريكا ومعها الغرب الصليبي أنهم . بما فعلوه في سجن "أبو غريب" وغيره . لا يملكون المشروع الحضاري القيمي .. وأنهم لا يُراعون في عالم القيم إلا ما يصب في مصالحهم ومكاسيم الشخصية ولو أدى ذلك إلى إبادة البشرية برمتها .. أو قتل معاني الإنسانية كلها .. أو موت شعب بكامله تحت وطأة الحصار والجوع .. وبالتالي فهم لا يُمكن أن يُقدموا للبشرية والآخرين شيئاً معتبراً في عالم القيم والأخلاق والمبادئ .. ففاقد الشيء لا يُعطيه!

وهذه الشعارات التي يرفعونها .. كتصديدهم للحريات .. والديمقراطيات .. وحقوق المرأة التي اغتصبوها في أفغانستان والعراق .. ما هي إلا مبرر لتحقيق أطماعهم وأهدافهم الخاصة المادية منها والمعنوية في بلاد المسلمين!

7- أثبتت أمريكا ومعها الغرب الصليبي أنهم . بما فعلوه في سجن "أبو غريب" وغيره . لا يُمكن أن يُنصفوا الآخرين فضلاً عن أن يُنصفوهم من أنفسهم .. فالعدل مع الآخرين ليس من قاموسهم ولا ثقافتهم وقيمهم .. وهاهم مؤخراً يسنون القوانين الجائرة . الملزمة للشعوب كلها . التي تمنع من تعرض الجندي الأمريكي أو البريطاني للمساءلة والمحاسبة مهما يرتكب هذا الجندي من جرائم حرب وانتهاكات لحقوق الإنسان .. فالجندي الأمريكي مهما كان مجرماً وإرهابياً وسفاحاً فهو فوق المساءلة والمحاسبة .. فجرائمه وإرهابه إنسانية ورحمة .. وتحضر وتقدم .. بينما رحمة الآخرين وإنسانيتهم .. وجهادهم .. ودفاعهم عن أنفسهم وحرمتهم .. إرهاب وجريمة وتخلف .. يؤخذ صاحبها بالنواصي والأقدام!

تصوروا لو أن هذا الذي حصل في سجن "أبو غريب" كان على يد المسلمين . لا سمح الله .. حاش المسلمون أن يفعلوا ذلك . بحق الأمريكيين أو غيرهم من الأوربيين .. أترون أمريكا ومعها دول الغرب ستكتفي بالمطالبة من جندي أو جنديين من المسلمين بالاعتذار .. أو سجن أحدهم سنة أو سنتين .. أم أنها كانت ستتخذ من ذلك ذريعة لإبادة الشعوب .. وحصارها .. وغزوها .. واستعمارها .. وقتل من فيها جوعاً ومرضاً!!؟

سجن "أبو غريب" قعان ودلالات

لماذا الآلاف منا قتلهم .. وهدم المنازل عليهم وهم أحياء .. حلال وتحضر وحرية ورفي .. وحق تكفله وتسمح به قوانين جنيف والأمم المتحدة .. بينما قتل الكلب العقور منهم .. إجرام .. وإرهاب .. وتعدّ على القوانين الدولية .. والإنسانية .. تنتصر له جميع وسائل إعلامهم المرئية والمسموعة والمقروءة؟! 8- ما حصل في سجن "أبو غريب" صفقة قوية في وجوه أولئك الذين لا يزالون يعتقدون من أبناء جلدتنا ممن يتكلمون بألسنتنا بضرورة التوجه نحو القبلية الأمريكية لتلقي القيم والمفاهيم، والنظم، والحضارة منها !!

رغم الذي حصل في سجن "أبو غريب" وغيره ولا يزال يحصل .. لا يزال . وللأسف . من يعتقد من أبناء جلدتنا أن النجاة مما نحن فيه من ضنك العيش يكمن بالتمسك بالهدي والطريقة والأنظمة والديمقراطية الأمريكية .. فكانوا بذلك مثلهم مثل الذي يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير !! قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الحديد: 16.

9- أثبتت قوانين جنيف التي تنص على عدم تعذيب السجناء .. وغيرها من القوانين ذات العلاقة بحقوق الإنسان .. أنها لا قيمة لها ولا فاعلية عند الجلادين الظالمين؛ لأن هذه القوانين تؤخذ مجردة عن البعد العقدي الإيماني الذي يحمل المرء على استشعار مراقبة الله ﷻ له في كل ما يقوم به من عمل .. وعلى مدار الوقت .. قبل أن يستشعر رقابة القانون الوضعي وسلطته الذي لا حضور له في نفسه ولا في واقعه .. وبخاصة عند غياب رقابة كاميرات التصوير!

إضافة إلى ذلك فإن واضح هذه القوانين هم الجلادون أنفسهم .. وهؤلاء ما أسهل عليهم أن يفسروا قوانينهم وفق أهوائهم ومصالحهم .. كذلك من السهل عليهم أن يتفلتوا منها ومن طائل أية ملاحقة قانونية .. أو محاسبة ومساءلة .. كما هو مشاهد .. فحامها حرامها .. وهم الخصوم والقضاة في أن واحد !!

10- من لوازم هذا الإمعان في الإجرام الذي حصل في سجن "أبو غريب" .. أن يُمنع السجناء من أداء واجباتهم الدينية التعبدية؛ كالصلاة وتلاوة القرآن ونحو ذلك .. وإلا كيف يمكن للسجين أن يقوم

سجن "أبو غريب" قعان ودلالات

هذه الواجبات، وهو عارٍ تماماً من كل ثيابه .. ومكبل لعدة أيام يُسامُ سوء التنكيل والعذاب .. تنهش أجساد بعضهم الكلاب الضارية!!

وهذا معناه بطلان زعمهم المتكرر الذي ملؤوا به الأفاق والأسماع الداعي إلى حرية ممارسة الشعائر التعبدية .. وحرية الاعتقاد .. كما هو منصوص عليه في قوانينهم في الأمم المتحدة وغيرها .. فالعبرة ليست بسن القوانين وتسويد الصفحات بها .. وإنما العبرة في امتثال هذه القوانين والتزامها .. وفي تسهيل مسيبتها التي تصونها وتحميها من الاعتداء!

11- هناك سؤال يطرح نفسه بإلحاح .. إذا كانت ذريعة أسلحة الدمار الشامل في العراق قد كشفت أنها كذبة كبرى .. وكذلك ذريعة دفاعهم عن حقوق الإنسان قد أبطلتها جرائمهم الفظيعة في سجن "أبو غريب" وغيره .. ما الذي حملهم إذاً على العدوان وغزو العراق .. وسفك الدم الحرام في ذلك البلد .. وغيره من البلدان؟!

الجواب يعرفه كل منصف: هو رغبتهم الجامعة في إذلال المسلمين .. وقهرهم .. وانتهاك حرمتهم .. وصددهم عن دينهم وقيمهم الإسلامية .. ونهب خيراتهم وثرواتهم .. كما ثبت عنهم أنهم كانوا يُطالبون المساجين العراقيين بالارتداد عن دينهم .. وبشتم الإسلام .. والدخول في النصرانية .. وبشرب الخمر وأكل لحم الخنزير .. أو الموت تحت التعذيب!!

وقد صرح كبيرهم "جورج بوش" وبكل وضوح وصراحة أن حملته العسكرية على العراق وأفغانستان .. هي حملة صليبية .. وأن الحرب التي يقودها ويخوضها ضد العالم الإسلامي هي حرب صليبية .. وهي امتداد للحروب الصليبية الأولى!

صدق الله ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: 217. وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ النساء: 89.

12- عجباً للقوم يطالبون الآخرين بضرورة تغييب الأحقاد والأضغان ليسود مكانها التسامح والمحبة والمودة .. وبضرورة فرض المناهج الدراسية التي تؤدي إلى ذلك .. ثم هم بأنفسهم وأيديهم يزرعون ألغاماً من الأحقاد والأضغان لا يمكن أن تُنسى .. تنسف ما تذرعه مناهجهم الدراسية .. ووسائلهم

سجن "أبو غريب" قعان ودلالات

الإعلامية .. عبر عشرات السنين .. لتدخل في ذاكرة التاريخ .. ولتتوارثها الأجيال القادمة جيلاً بعد جيل .. من هذه الألغام القاتلة ما صنعوه بأيديهم في سجن "أبو غريب" وسجن غوانتانامو في كوبا .. وغيرها من السجون الشاهدة على ظلمهم وعدوانهم وطغيانهم .. التي ستدخل في الخانة السوداء من التاريخ!

يا ويحهم نصّبوا مناراً من دم ... يوحى إلى جيل الغد البغضاء

13- رغم قتامة هذا الذي حصل في سجن "أبو غريب" وغيره من السجون .. إلا أنه من وجه يُعد بشري خير يُنبئ بزوال وهلاك الطغاة الظالمين.

فمن قبل أملاً الطاغوت الهالك سجن "أبو غريب" ظلماً وإجراماً .. فكان ذلك سبباً في هلاكه وزواله وزوال دولته وملكه .. وهاهي اليوم أمريكا راعية الديمقراطية في العالم .. تملئ نفس السجن ناراً، وظلماً وعذاباً، وإجراماً، وانتهاكاً للأعراض والحرمت .. وبصورة لا يمكن أن يتخيلها إنسان سوي .. وإنما لنترجو أن يكون ذلك كذلك سبباً في زوالها وزوال طغيانها وملكها .. وما ذلك ببعيد إن شاء الله!

سنة الله في الظالمين المجرمين الدمار والهلاك .. ولو بعد حين .. فالله تعالى لا يُزِيل ولا يدمر دولة ولا أمة من الأمم وهي قائمة على العدل .. وإنما إذا أراد تعالى أن يهلك دولة من الدول أخذها ودمرها وهي قائمة على الظلم والطغيان، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ الكهف: 59. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء: 16. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود: 102. وقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ الأنبياء: 11. وقال تعالى: ﴿فَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ الحج: 45. وقال تعالى: ﴿وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ الحج: 48. وغيرها كثير من النصوص الشرعية التي تؤكد وتدلل على أن سنة الله تعالى في الظالمين المتجبرين في الأرض الهلاك والدمار ولو بعد حين .. وإن غداً لناظره لقريب!

14- ما حصل في سجن "أبو غريب" من انتهاك للقيم، ومعاني الفضيلة والخير .. على يد رعاة الديمقراطية .. والحرية .. والإنسانية .. زعموا .. إنه لحافز من جملة الحوافز العديدة التي تستدعي من المسلمين أن يهضوا من ثباتهم .. وأن يُجاهدوا .. ويعملوا بجد وإخلاصٍ وتفانٍ لتأول إليهم من جديد

سجن "أبو غريب" قعان ودلالات

قيادة البشرية جمعاء .. فيقودونها بالإسلام .. وقيم وأخلاق الإسلام الخالدة لا غير؛ لأن الآخرين أثبتوا وبكل المقاييس والمعايير أنهم لا يملكون لهذا العالم إلا الدمار .. والخراب .. والفساد .. والقنابل الذرية والنووية .. فإن تُركوا وما أرادوا هلكوا وهلكنا معهم جميعاً، وإن أُخذَ على أيديهم زجراً ومنعاً .. وآلت لأهل الإسلام قيادة سفينة الحياة .. نجوا ونجونا جميعاً!

هذا هو الخيار .. لا مناص منه .. إما الله والرجوع إليه بحق .. وإما الدمار والهلاك!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1425/04/06 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2004/05/25 م

خانوا الحُسين حياً وخانوه ميّتاً

خانوا الحُسين حياً وخانوه ميّتاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عجباً للشيعرة الروافض .. فأى دينٍ هذا الذي يتدينون به .. وأى أخلاق هذه التي يتخلقون بها؟! وطوّوا للغزاة المحتلين .. غزو العراق .. فكانوا . بكل فصائلهم ومرجعياتهم الدينية . للغزاة المحتلين العين والبطانة والنصير على الإسلام والمسلمين في العراق .. وكل ذلك . كما زعموا . من أجل الحسين .. والثأر للحسين .. زعموا .. والحسين ﷺ منهم ومن دينهم وأخلاقهم براء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام! تحالفوا مع الغزاة المحتلين .. على أبناء البلد من المسلمين .. ليشاركوهم . لأكثر من سنة . وزر القتل والفساد والدمار الذي ارتكبه بحق البلاد والعباد .. وكل ذلك . كما يزعمون . من أجل الحسين .. والثأر للحسين!

منذ أكثر من ألف سنة . ولا يزالون . يلطمون أنفسهم بالسلاسل .. وأحياناً بالخناجر .. ويتظاهرون .. ويستعرضون عددهم وعضلاتهم .. في مظاهرات ومسيرات عدة .. من أجل الحسين .. والانتقام والثأر للحسين .. زعموا!

دينهم كله قائم .. على عبادة الحسين .. وعبادة قبر الحسن .. والاستغاثة بالحسين .. من دون الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ .. والحسين ﷺ من هذا الشرك كله براء .. فحاشاه أن يرضاه! يحجون إلى قبر الحسين . زعموا! . أكثر مما يحجون إلى بيت الله الحرام ..!

قالوا . على لسان جميع مرجعياتهم السياسية والدينية . للغزاة المحتلين بلسان الحال ، وأحياناً بلسان المقال: لا نبالي بالعراق .. وبأهل العراق .. فهي وأهلها وخيراتها وثرواتها ومساجدها حلال زلال لكم .. ونحن معكم عليهم .. ولكن النجف مقر قبر علي ﷺ . زعموا! . وكربلاء مقر قبر الحسين ﷺ . زعموا! . فلا .. فالنجف وكربلاء .. خطوط حمراء .. لا نسمح لأحد بتجاوزها .. إلا على أجسادنا وأرواحنا!! مدن العراق كلها .. وحرمات المسلمين كلها مستباحة لكم .. وهي خطوط خضراء وبيضاء لا حرج من تجاوزها .. أما النجف وكربلاء .. فلا .. فهي خطوط حمراء .. نحذر كل من تحدته نفسه الاقتراب منها .. فضلاً عن تجاوزها!

خانوا الحسين حياً وخانوه ميتاً

أصموا آذاننا تهديداً وصراخاً وصياحاً عن خطوطهم الحمراء هذه .. حتى كدنا . نحن الذين نعرف كيدهم ومكرهم وكذبهم ، وأن الكذب من دينهم قد جُبلوا عليه . أن نصدقهم !!
ولأسباب شخصية .. وحزبية .. وجنائية .. معلومة للجميع . يقدرها الله ﷻ . يختلف فصيل مقتدى الصدر الشيعي مع الغزاة الأمريكان .. لينقلب وبارخيانة الخائن على نفسه .. وليبطل سحر وكذب الساحر .. ولينكشف للعالم كله كذب ادعائهم في أنهم يحبون الحسين .. وأنهم يريدون أن يثأروا وينتقموا للحسين! فيها هم جنود الغزاة الأمريكان . ومنذ أكثر من أسبوعين . قد تجاوزوا هذه الخطوط الحمراء .. فدخلوا بأحديتهم النجسة .. وترسانتهم المدججة بالأسلحة .. مدينتي النجف وكربلاء .. ليعيثوا فيهما . بكل سهولة ويسر . فساداً وخراباً وتدميراً .. ولم يستثنوا من شرهم شيئاً ، حتى مسجدي النجف وكربلاء مقر قبري علي بن أبي طالب والحسين رضي الله عنهما . كما يزعم الشيعة الروافض! . لم يسلم من القصف والخراب الأمريكي!

يفعل الغزاة الأمريكان كل ذلك .. والشيعة الروافض ممثلة بأحزابهم ومرجعياتهم الدينية .. صامتون .. كالشيطان الأخرس .. لا حراك لهم ولا نفس .. وكأن الأمر لا يعنهم في شيء .. وكأنهم لم يتكلموا من قبل عن الخطوط الحمراء .. فخطوطهم الحمراء أصبحت خضراء وبيضاء ومستباحة .. وقبر الحسين ﷻ الذي كانوا يعبدونه من دون الله .. ويحجون إليه لم يعد يعني لهم شيئاً .. فهو حلال للغزاة الأمريكان! لا غرابة؛ فمن قبل غدروا بالحسين حياً عندما عاهدوه على النصر والوقوف معه ضد أعدائه .. ولما جاءهم .. وأحاط به أعداؤه .. وحمي الوطيس .. تخلوا عنه ليكتفوا بالنظر إليه وهو يُقتل ومن معه من أهل بيته .. ليبوؤا بوزرهم الثقيل .. وهامهم اليوم بعد أن تعاهدوا وأقسموا على الذود والدفاع عن مرقد علي بن أبي طالب وولده الحسين رضي الله عنهما .. يتخلفون .. ويغدرون .. ويكذبون .. ويكتفون بمجرد التفرج على ما يحدث من انتهاكات .. وكأنهم لم يتعاهدوا من قبل على النصر والذود عن الحرمات .. فخانوا الحسين ميتاً كما خانوه حياً .. لكن هل سيبكونه ويلطمون أنفسهم عليه لألف عام قادمة على خيانتهم له ميتاً كما بكوه، ولطموا أنفسهم عليه لأكثر من ألف عام مضت عندما خانوه وهو حي يُقاتل !!?!!

خانوا الخُسين حياً وخانوه ميّتاً

ومن العبر التي تُذكر .. وتستدعي التوقف والتأمل .. هذا الكم الكبير الذي كان يُقتل في كل يوم . من هذين الأسبوعين الماضيين من القتال . من جيش المهدي الشيوعي الرافضي التابع لمقتدى الصدر .. على أيدي الغزاة الأمريكيان .. بينما هم لم يتمكنوا من قتل أحدٍ من جنود الأمريكيان .. وكأنهم نجاج لجلاء عرجاء أمام أسود مفترسة .. وهذا كله بسبب غياب الروح القتالية الجهادية .. وبسبب ما هم عليه من شرك وعبادة وتعظيم للقبور والمقامات .. الذي يورث في قلوبهم الجبن والخوف .. وحب الدنيا .. ويرفع عنهم نصرَ الله تعالى وعونه ومدده .. فنصر الله تعالى لعباده مشروط بنصر العباد لخالقهم؛ بتوحيده والدخول في طاعته وعبادته، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد: 7.

بخلاف أسود التوحيد في الفلوجة .. الذين أعطوا جنود الاحتلال درساً لا يُنتسى في الصبر والثبات وفنون القتال .. بفضل ما هم عليه من التوحيد وما منَّ الله تعالى عليهم من روح قتالية جهادية عالية .. فكبدوا العدو المحتل .. صاحب أكبر ترسانة أسلحة في العالم .. من الخسائر الفادحة في الأرواح والمعدات ما هو معلوم للجميع .. مما يبعث على الإعجاب والفخر والعزة والمجد!

إنها لعبرة تستدعي من الشيعة الروافض وبخاصة مقاتليهم أن يُراجعوا مواقفهم .. وأنفسهم .. ويُحاسبوها قبل أن يُحاسبوا .. ويعرفوا أين هم من جادة الحق والصواب .. وأين هم من جادة التوحيد الذي لا نجاة لأحد يوم القيامة إلا به .. ولا نصر ولا تمكين ولا استخلاف في الأرض إلا به.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: 55.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1425/04/11هـ

أبو بصير الطرطوسي

2004/05/30م

عندما ينزلُ البلاءُ بالمجاهدين

عندما ينزلُ البلاءُ بالمجاهدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

عندما ينزلُ البلاءُ بالمجاهدين لا ينبغي أن يقتصر الحديث وحسب على التوصيف أو التمجيد أو الرثاء .. كما هو شائع وملموس .. وإنما يجب أن يمتد ليشمل عملية التقييم والمحاسبة والمساءلة الجادة والجريئة للنفس والمواقف والأفعال .. والنظر في جميع الأسباب التي أدت لنزول هذا البلاء .. لتفاديها .. ولكي لا تتكرر الأخطاء فيتكرر البلاء .. ويتكرر المصاب!

عندما تفشل جماعة من الجماعات الجهادية المعاصرة في تحقيق أهدافها أو بعض أهدافها .. لا يجوز أن نرد ذلك الفشل إلى مبدأ الجهاد الذي شرعه الله تعالى وأمر به .. وإلى انتهاج طريق الجهاد .. كما يفعل ذلك بعض الذين لا يفقهون .. وإنما يجب على الجماعة حينئذٍ أن تهتم نفسها .. وتراجع مواقفها وسياستها .. وسلوكها بكل تجرد وإخلاص .. لتقف على الأخطاء فتتوب منها وتتفادها .. وعلى الحسنات .. فتحمد الله عليها .. وتعمل على تنميتها وزيادتها.

لا بد من أن نملك الجرأة الكافية لمحاسبة النفس على كل تقصير.. وإجراء عملية التقييم الواعية بعد كل عمل .. هذا إذا كنا جادين في المسير من أجل نصرة هذا الدين.
لا بد من أن نملك الجرأة على أن نقول للمخطئ . أياً كان . أخطأت .. وللمحسن المصيب . أياً كان . أحسنت وأصبت .. وهذا من تمام النصح والعدل والإنصاف.

والقرآن الكريم قد دلنا على هذا المعنى؛ ففي موقعة أحد لم يتناول وحسب ما للشهداء من أجر وثواب .. بل تعدى ذلك ليبيّن أسباب الهزيمة .. والأسباب التي أدت لنزول البلاء بالمسلمين المجاهدين، ليتم اجتنابها وعدم تكرارها، فقال تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران: 165.

قال ابن كثير: قال محمد بن إسحاق، وابن جريج، والربيع بن أنس، والسدي: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتهم؛ يعني بذلك

عندما ينزل البلاء بالمجاهدين

الرماة ا- هـ. فقتل من خيرة الصحابة . رضي الله عنهم أجمعين . بسبب هذه المخالفة لأمر رسول الله ﷺ سبعون رجلاً!

وفي موقعة حنين كذلك لما أعجبهم كثرتهم .. وغفلوا للحظات أن النصر من عند الله تعالى وحده .. لا بكثرة الجند .. فكانت النتيجة أن هُزموا في أول المعركة وولوا مدبرين إلا النبي ﷺ وقليلاً ممن ثبت معه من خيار الصحابة، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ التوبة: 25.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ الشورى: 30.

وفي الحديث، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن صهيب قال: "كان إذا صلى همس، فقال ﷺ: أفطنتم لذلك؟ إني ذكرت نبياً من الأنبياء أعطي جنوداً من قومه، فقال: من يكافئ هؤلاء، أو من يقاتل هؤلاء؟ أو كلمة شبيهها، فأوحى الله إليه أن اختر لقومك إحدى ثلاث: أن أسلط عليهم عدوهم، أو الجوع، أو الموت، فاستشار قومه في ذلك؟ فقالوا: نكل ذلك إليك، أنت نبي الله، فقال فصلي، وكانوا إذا فزعوا، فزعوا إلى الصلاة، فقال: يا رب أما الجوع أو العدو، فلا، ولكن الموت، فسلط عليهم الموت ثلاثة أيام، فمات منهم سبعون ألفاً، فهمسي الذي ترون أني أقول: اللهم بك أقاتل، وبك أصاول، ولا حول ولا قوة إلا بالله" [1].

فتأملوا .. هذا نبي من أنبياء الله قال كلمة على وجه الإعجاب بجنده ومقاتليه .. قد نقول نحن في أنفسنا وإخواننا أضعافها ولا نبالي .. كانت كفارتها أن "سلط عليهم الموت ثلاثة أيام، فمات منهم سبعون ألفاً"!!

لذا أعود فأقول: أيما مصاب أو بلاء ينزل بساحة المجاهدين .. ينبغي أن ينفروا . على وجه السرعة . إلى أنفسهم ليحاسبوها ويتهموها .. قبل أن يتهموا أحداً غيرهم .. ولينظروا ماذا بدر منهم من تقصير وهم يدرون أو لا يدرون: هل تخلفوا عن سبب من أسباب النصر وهم يقدرون عليه ثم لم يفعلوا .. هل عصوا الله ورسوله في شيء وهم يدرون أو لا يدرون .. هل فرطوا ببعض الفرائض والواجبات .. هل تركوا سنة

¹ أخرجه ابن نصر في "الصلاة"، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، السلسلة الصحيحة: 1061.

عندما ينزلُ البلاءُ بالمجاهدين

السواك التي كانت سبباً في تأخر نصر المسلمين في إحدى المعارك في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه .. هل وقعوا بنوع إسراف في القتل بغير وجه حق .. هل وقعوا بنوع غدروهم يدرون أو لا يدرون .. هل آذوا المسلمين في جهادهم وكانوا يستطيعون أن يتفادوا هذا النوع من الأذى ثم لم يفعلوا .. هل وسعوا دائرة المعركة والمواجهة أكثر من طاقتهم وإمكانياتهم .. هل ما أصابهم كان بسبب أنهم بدءوا بقتال الأفعى من جهة ذيلها ووسطها بدلاً من أن يُقاتلوا من جهة الرأس .. فانشغلوا بالصعاليك وبمن لا زبر له عن أئمة الكفر والطغيان .. هل هو بسبب استخفافهم بقوة العدو وقدراته وعدم تشخيصهم الدقيق لحجم قواته .. هل بينهم عصاة أو من فيه بعض خصال وأخلاق الخوارج الغلاة وهم يدرون أو لا يدرون .. هل بينهم ممن هم في شك وتردد من أحقية وشرعية مواجهة الطاغوت ونظامه وعصابته .. هل هو الاستعجال في قطف الثمار قبل نضجها وحلول أوان قطافها .. هل لوقوعهم بشيء من الرياء .. والإعجاب والغرور الذي يُنسي فضل الله على عبده وجنده .. وبخاصة أننا نلاحظ في الفترة الأخيرة انتشار الفلاشات والصور عبر مواقع الإنترنت والتي تصور المجاهدين بصور شتى قد تؤثر على الإخلاص؛ فتُبطل العمل .. وترفع عنهم نصر الله تعالى ومدده .. فالله تعالى أغنى الأغنياء عن الشرك؛ فمن عمل لله عملاً أشرك فيه غير الله فالله منه بريء، وعمله للذي أشرك .. فالله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه تعالى .. ومن سمع الناس بعمله سمع الله به وصغره وحقّره كما ورد ذلك في الحديث .. وغيرها كثير من الأسئلة ينبغي أن يوجهوها لأنفسهم .. ويُحسنوا الإجابة عنها بكل جرأة وصراحة وتجرد وإخلاص .. عسى أن ينكشف لهم مكمّن الداء .. وسبب نزول البلاء أو المصاب .. فيعملوا على إزالته والتخلص منه.

لا ينبغي أن نُعطل العمل بواجب النصيحة الهادفة الراشدة. التي يجب أن تُعطى لجميع المسلمين خاصتهم وعامتهم . بحجة أن المجاهدين هم أعلم من على الأرض .. وأنهم يَنصحون ولا يُنصحون .. ولا يُخطئون .. وأنهم لا يحتاجون إلى نصيحة الآخرين!

فالدين كله النصيحة .. فمن لا ينصح لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم .. فلا دين له .. كما أن الناس كلهم في خسر .. ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر: 3.

عندما ينزلُ البلاءُ بالمجاهدين

لا يمكن أن نتعامل مع النصيحة الراشدة المخلصة أياً كان صاحبها . وإن خالفت أهواءنا . باستعلاء .. واستخفاف .. واحتقار .. فالكبر . الذي يمقته الله ويمقت أهله . هورد الحق واحتقار الخلق .. وهذا خلق شنيع بغيض .. يحق كل بركة .. أعيد نفسي وإخواني من أن نتخلق به!

عندما تدنو الخطوب .. وينزل البلاء .. لا بد للعقل من أن يُعطى فرصة للكلام والنظر .. وأن لا يُمارَس عليه الإرهاب والتحجير .. كما لا بد للحكمة من أن تدلي بدلوها بكل حرية ومن دون أدنى خوف .. فإذا حُظِرَ على العقل ومُنِع من الكلام ورُمي عند كل أول حديث له بالخذلان .. والحكمة كلما تنفست وأدلت بدلوها رُميت بالجبن والتخاذل .. فعلى المجاهدين حينئذٍ السلام!

في كثير من الأحيان يكون الرأي السديد الموفق .. والقرار الحكيم الجريء .. أنفع للمجاهد وجهاده مما يحمله من عتاد وسلاح!

الحماس مطلوب .. لكن الزائد منه يضر .. كذلك الأناة والروية .. ودراسة مضاعفات كل حدث .. مطلوبة .. لكن الزائد منها يضر .. ويُشل العمل ويوقفه!

كثير من الحركات الجهادية المعاصرة أوتيت من جهة الحماسة الزائدة .. وممارسة الإرهاب الفكري على العقل .. وعلى كل صوت يُعاكس تلك الحماسة الزائدة ..!

لا أزال أذكر تلك المجموعة من خيرة شباب الإسلام والجهاد في زماننا المعاصر .. وكان تعدادهم يزيد عن السبعين مجاهد .. بقيادة الأخ الشيخ المجاهد عدنان عقلة . فك الله أسرهم وأسر إخوانه . عندما أرادوا أن يتجاوزوا الحدود السورية ليستأنفوا جهادهم ضد الطاغوت ونظامه الطائفي الفاسد .. حيث كان الأخ ينزل ظاناً أن الذين سيستقبلونه من جهة الأراضي السورية هم من الأخوة المجاهدين .. ولكن في حقيقة الأمر كانوا الذين يستقبلونه هم من جند الطاغوت ومخابراته بعد أن تصنعوا أنهم من الأخوة والمجاهدين .. ليأخذوه مباشرة إلى سجون الطاغوت .. ليعيش فتنتها ومحتتها .. وكنا في الخارج نعلم ذلك .. ولكن لم نكن نجرؤ أن نوقف استمرار نزول الإخوان .. أو إيقاف هذه المجزرة البشعة بحق هؤلاء الصفوة من المجاهدين .. والذي كان منا يُحاول أن يفعل أو يتكلم .. كان مباشرة يُرمى . من قبل أولئك المزاودين من المتحمسين .. والمشبهين من ذوي الصوت العالي . بالجبن والتخاذل .. وأنه ضد الجهاد والمجاهدين ..!!

عندما ينزلُ البلاءُ بالمجاهدين

وبعد أن تم الذي تم .. وحصل الذي حصل .. واعتقل الأخ عدنان ومن معه من أولئك الشباب
المجاهد .. وانتعش النظام الطاغي وتنفس الصعداء بعد اعتقالهم .. فما كان من هؤلاء المزاودين في
حماسهم .. الذين كمنوا الأفواه .. وأرهبوا كل صوت يُخالفهم .. سوى أن ينزلوا بإرادتهم مستسلمين
ومبايعين للنظام النصيري البعثي .. وكعملاء رخاص .. ومنهم . لكونه يُحسن المزاودة والصباح في كل شيء
حتى في العمالة والخيانة . من جعل من المقربين من الطاغوت ونظامه؛ فأصبح عضواً في مجلس الشعب
السوري!

القصص كثيرة .. وكثير من فصولها تتكرر في أكثر من مكان .. وزمان .. ولكن أين الذين يعتبرون
.. الذين يقرؤون تجارب الغير ويستفيدون منها .. فلا يُلدغون من نفس الجحر الذي لدغ منه إخوانهم
ممن سبقوهم في الجهاد!؟

عبد المنعم مصطفى حليلة

1425/05/30 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2004/07/17 م

قَهلاً يا دعاة الضلالة قَهلاً

مَهلاً يا دعاة الضلالة مَهلاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

منذ أشهر ودعاة الضلالة من خطباء ووعاظ ومثقفين بلاط الطواغيت .. يبثون في الأمة . بكل حماس ونشاط، وبكل ما أتوا من قوة وبيان . عبر عديد من القنوات والمنابر، والوسائل الإعلامية الأخرى .. فقه الركوع والطاعة والولاء للطواغيت!

يبثون في الأمة فقه الرضى بالعبودية للطواغيت؛ كأمر واقع لا فكاك منه ولا مناص .. وأن مجرد التفكير بالخلاص منهم ومن أنظمتهم الفاسدة العميلة الكافرة .. هو فتنة .. وهو من أخلاق وصنائع الخوارج .. يجب الابتعاد عنه!

ملوا أذاننا . قاتلهم الله! . في تمجيد الطواغيت الظالمين .. والجدال عنهم .. وعن أنظمتهم الفاسدة العميلة .. وكأنهم لا مهمة لهم سوى فعل ذلك .. ولم يتلقوا العلم إلا من أجل ذلك!

تُصاب الأمة بألف مُصاب ومصاب .. وتُذبح من الوريد إلى الوريد .. وتُنتهك حرمانات الله جهاراً نهاراً .. ومع ذلك لا تكاد تسمع لدعاة الضلالة هؤلاء صوتاً ولا همساً .. ولا يتحرك لهم عرق غضب .. فمات فيهم الغضب لله .. وكأن ما يجري للأمة لا يعنهم ولا يخصهم .. بينما لو مُس عرش الطاغوت ونظامه بنوع أذى أو ضرر .. انبروا . بكل حماس وقوة . ليظهروا لنا مهاراتهم الخارقة في النفاق والتضليل والتلفيق .. والخطابة والوعظ والإرشاد .. ليضلوا العباد .. وليذودوا ويُناضلوا عن الطاغوت وعرشه!

ما أسرع غضبهم ونفيرهم .. وما أكثر ندواتهم .. إذا ما انتهكت حرمانات الطاغوت .. أو مُست بنوع أذى .. بينما عندما تُنتهك حرمانات الله .. وحرمانات عباده . وما أكثر ما تُنتهك . لا تجد لهم حراكاً ولا همساً .. وكأنهم في عداد الأموات لا الأحياء .. ﴿قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْي يُؤْفَكُونَ﴾ المنافقون: 4.

كلما بزغت في الأمة بازغة خير وأمل .. وصحوة جهاد .. نهضوا واستنهضوا لوأدها ومحاربتها .. وملاحقتها .. وتنفير الناس عنها .. ونبذها بفنون من ألقاب الدم والسوء .. تقرباً للطاغوت عسى أن يمن عليهم بنوع عطاء .. أو يسمح لهم بدخول بلاطه .. ويجعلهم من المقربين!

قَهلاً يَا دَعَاةَ الضَّلَالَةِ قَهلاً

خانوا العهد والأمانة الملقاة على عاتق الدعاة والعلماء؛ أمانة البيان والصدع بالحق .. طمعاً بالفُتات الذي يُرمى لهم على العتبات .. فباءوا بوزرين: وزر الصدع بالباطل والجدال عنه .. ووزر كتمان الحق وخذلانه!

فكان مثلهم في كتاب الله تعالى مثل من قال فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة: 174.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ البقرة: 159.

مثلكم . يا دعاة الضلالة . في كتاب الله مثل سحرة فرعون قبل أن يتوبوا وينقادوا إلى الحق، الذين يزينون الباطل وعبادة الطاغوت في أعين الناس، والذين قال تعالى فيهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الشعراء: 41-42.

مثلكم . يا دعاة الضلالة . في كتاب الله مثل بلعام الذي لم يحفظ العهد ولا الأمانة الملقاة على عاتق الدعاة والعلماء، فانسلخ من آيات الله بعد أن آتاه إياها، والذي قال تعالى فيه: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف: 175-176.

مَنْ الأولى . يا دعاة الضلالة . بالاستتابة وأن يُحمل على التوبة والتراجع .. شباب لامست هممهم وأمالهم قمم الجبال الشامخات .. هانت عليهم أرواحهم في سبيل خالقها .. فنهضوا ليعيدوا للدين مجده .. وللأمة الجريحة عزها وكرامتها .. أم طواغيت الكفر والظلم والعمالة .. الذين ساموا . منذ أكثر من خمسين عاماً . البلاد والعباد الكفر والذل، والظلم، والفساد، والفقر، والجوع .. الذين لا يهمهم من شؤون الحكم والملك سوى سلامة عروشهم وشهواتهم التي لا تشبع .. وامتيازاتهم الخاصة التي لا يجوز أن تتعرض للمساءلة أو المحاسبة .. ولو أدى ذلك إلى هلاك وضياع البلاد والعباد!

قَهلاً يا دعاة الضلالة قَهلاً

تعلمون . يا دعاة الضلالة . أن هذا الشاب الذي تفتنونه عن دينه .. وتحملونه على أن يُسلم نفسه لجلادي الطاغوت .. يكون المستفيد الأول من اعتقاله واعترافاته . التي قد تُنتزع منه بالقوة وتحت تهديد السياط وانتهاك الأعراض . هي أمريكا راعية الكفر والظلم والإرهاب العالمي .. التي تُنقل إليها المعلومات والاعترافات أولاً بأول .. وهي بدورها تستثمرها لصالحها في حربها المعلنة الصريحة على الإسلام والمسلمين .. باسم محاربة وملاحقة الإرهاب .. زعموا !!

فأنتم . يا دعاة الضلالة . شركاء الجلادين في هذا الوزر الغليظ .. ومعينين عليه .. وسبب رئيسي فيه .. وشركاء في وزر كل ضررٍ يصيب الإسلام والمسلمين .. من جراء تسليمكم لهؤلاء الصفوة من المجاهدين !!

فأنتم . يا دعاة الضلالة . شركاء في وزر كل كلمة كفر يقولها هذا الشاب طوعاً أو كرهاً وهو تحت سياط جلادي الطاغوت .. فإن كان هو قد يُعذر لشبهة الإكراه التي يتعرض لها .. فبماذا أنتم تعذرون .. وأنتم السبب في اعتقاله وتسليم نفسه؟!

ثم حذار . يا دعاة الضلالة . أن تقولوا ما أردنا . من فعلنا هذا . إلا خيراً .. فينطبق عليكم حينئذٍ قوله تعالى في أولئك الذين ضلوا ثم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف: 104.

فكم من مرید للخير لا يدركه لأنه لم يلتزم هدي الشريعة فيما أراده من خير .. فحسن النية . التي قد تتظاهرون بها . لا تبرر لكم شرعاً ولا عقلاً فعل هذا المنكر العظيم؛ فعل الركون للطواغيت الظالمين .. والدخول في موالاتهم ونصرتهم .. وفتنة الشباب المسلم المجاهد عن دينه .. فحسن النيات لم تكن يوماً من الأيام مبرراً لفعل المنكرات والموبقات!

هلا فكرتم بذلك .. قبل أن تقدموا على فعلتكم النكراء هذه ..؟!

تعلمون . يا فقهاء ودعاة الضلالة . أن الراضي بالسيئة كفاعلها وإن لم يفعلها .. فكيف بالذي يرضاها ويفعلها ويسعى لها سعيها ..؟!

أنتم . يا دعاة الضلالة . لم تكتفوا بأنكم كتمتم الحق .. وجبنتم عن الصدع به .. وأنكم خذلتكم الإسلام والمسلمين في أشد المواطن حاجة للنصرة والتأييد .. لم تكتفوا بكل ذلك .. بل تماديتم إلى أن

قَهلاً يا دعاة الضلالة قَهلاً

وقفتم في صف الطاغوت وعصابته .. وأوليائه من أعداء الأمة .. تمدونهم بالقوة والحياة .. على الأمة ودينها والطيعة من أبنائها!

فأعدوا جواباً عما فعلونه اليوم من منكرات وموبقات .. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ غافر: 52.

مهلاً يا دعاة الضلالة .. لا تفرحوا بما قدمت أيديكم من سوء .. فهؤلاء الطواغيت الذين أليت على أنفسكم إلا أن تدخلوا في موالاتهم وطاعتهم ونصرتهم .. والنضال عنهم .. عهدنا بهم أنهم يقربون الداعية ما استفادوا منه .. فإذا تحققت مآربهم وأغراضهم منه .. وانتهى خيره وعطاؤه لهم .. سرعان ما يلفظونه ويتخلون عنه، ويرمونه كما تُرمى القمامة في سلة المهملات؛ ليبحثوا عن بديل آخر أقوى منه، ولا يزال خيره فيه؛ ليتكئوا عليه في باطلهم وظلمهم .. ويتقوا به . في الباطل . على شعوبهم!

عهدنا بهؤلاء الطواغيت .. إن خلت الساحة من مقاومتهم وجهادهم .. ومن العصابة المؤمنة المنصورة التي تنهض لجهادهم .. وتجرؤ على محاسبتهم ومساءلتهم .. وأطرحهم إلى الحق .. أن يزدادوا كفراً، وظلماً، وفجوراً، وخيانة، وفساداً في الأرض .. إذ لا رقيب عليهم ولا حسيب لهم من بني البشر .. وليس أمامهم من يهابونه أو يحسبون له حساباً .. فليس أمامهم سوى مطأطي الرأس من المدّاحين من ماسحي الأثواب .. ولا عقي الأحمية من مثقفي هذه الأمة .. ودعاتها الضالين المضلين .. وهؤلاء شرهم يهون؛ يُدفع بشيء من المنِّ والعطاء .. ستذكرون هذا الذي أقوله لكم .. وكثير منه بدا ينكشف ويظهر للعيان!

أنتم . يا دعاة الضلالة .. ويا مثقفي البلاط! . نصف المشكلة التي تُعاني منها الأمة .. والنصف الآخر يكمن في طواغيت الحكم ذاتهم .. لا بد من الخلاص منكم ومنهم .. لا بد من تعريتكهم وفضحكم وتحذير الأمة منكم ومن خبثكم وشركم!

كيف لا نحذركم ولا نخافكم على الأمة وشبابها، والنبي المصطفى ﷺ حذرنا منكم، وخاف علينا وعلى ديننا منكم ومن شركم، فقال ﷺ: "إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي كلُّ منافقٍ عليم اللسان". وقال ﷺ: "أخوف ما أخاف على أمتي بعدي الأئمة المضلون".

قَهلاً يا دَعَاةَ الضَّلَالَةِ قَهلاً

نعوذ بالله منكم .. ونُعِيدُ شباب هذه الأمة بالله منكم، ومن ضلالكم .. ونفائقكم .. وشركم ..
وفتنتكم .. وخذاعكم .. ونسأل الله تعالى أن يهديكم .. أو أن يأخذكم ويقصم ظهوركم، ويريح الأمة منكم
ومن شركم وفتنتكم .. وما ذلك على الله بعزيز.

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1425/06/17 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2004/08/03 م

كُفْرٌ إِضَافِيٌّ لِلنِّظَامِ السَّعُودِيِّ

كُفْرٌ إِضَافِيٌّ لِلنِّظَامِ السَّعُودِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

ما إن أصدرتُ الفتوى في كفر النظام السعودي في الفتوى المعنونة بـ"سؤال وجواب عن حكم النظام السعودي"، وكان ذلك بتاريخ 1424/5/4 هـ، إلا وسرعان ما انبرت أبواق النظام من شيوخ السوء والإرجاء الذي يتكئ عليهم في باطله وكفره ليرموننا بشين القول وقبيحه ومن دون أن ينظروا لأدلة الفتوى وواقعها .. أو يردوا عليها بالدليل الشرعي كما دعمنا الفتوى بالأدلة الشرعية والواقعية .. وكما كنا نود ذلك لو كانوا قادرين!

ولهؤلاء ومن تابعهم الذين لا يريدون أن ينظروا للنظام السعودي وواقعه إلا بعين الرضى .. رغم قوة رائحة الكفر التي تصدر عنه . جهاراً نهاراً . والتي تُزكم الأنوف .. نقول لهم هاكم أنواعاً . قديمة جديدة . من الكفر يمارسها النظام بكل جرأة ووقاحة .. ردوا عليها إن استطعتم!

منها: حرص النظام السعودي الشديد على دعم الاقتصاد الأمريكي والدولة الأمريكية رغم حربها المعلنة والصريحة على الإسلام والمسلمين .. من خلال مضاعفة ضخها للبتروول عصب الحياة، وكل قوة مادية على الأرض .. وبأسعار زهيدة .. للحفاظ على استقرار سعر البتروول وبالتالي على الاقتصاد الأمريكي المرتبط ارتباطاً قوياً بهذه المادة من الخام!

يقول ولي عهد النظام السعودي عبد الله، كما في مقاله المنشور في جريدة الشرق الأوسط 2004/8/16: "إن أسعار النفط يجب أن تتراوح ما بين 25 - 30 دولاراً للبرميل حتى لا نلحق الضرر بالدول، مؤكداً أن بلاده سوف تزيد من الإنتاج بقدر طاقة حقولها من أجل كبح الأسعار .. إن الأمر الوحيد الذي نقدر عليه هو تلبية حاجة السوق بزيادة الإنتاج بقدر طاقتنا، فإذا كبحت الأسعار كان به، وإلا فإن الأمر خارج عن حدود قدراتنا ..!!" - ا- هـ.

كُفْرٌ إِضَافِيٌّ لِلنِّسَابِ السُّعُودِيِّ

وفي جريدة القدس نشرت في مقال لها تحت عنوان "مقامرة سعودية لإنقاذ بوش" 2004/8/8: بادرت الحكومة السعودية بالإعلان عن زيادة إنتاجها النفطي بحوالي مليون وربع المليون برميل في محاولة من جانبها لتخفيض أسعار النفط، والحيلولة دون وصولها إلى معدلات مرتفعة، يمكن أن تلحق الضرر بالاقتصاد الغربي، والأمريكي على وجه الخصوص.

ونقلت عن الكاتب الأمريكي الشهير "بوب ودورد" قوله في كتابه الأحدث حول خطط الحرب في العراق: أن الأسرة الحاكمة السعودية تعهدت للرئيس الأمريكي جورج بوش بدعم حملته الانتخابية، وبذل كل ما يمكن من جهود من أجل فوزه في الانتخابات وذلك من خلال تخفيض أسعار النفط لضمان استمرار التحسن الاقتصادي الأمريكي، وأضاف أن الأمير بندر بن سلطان بن عبد العزيز السفير السعودي في واشنطن حمل هذا التعهد شخصياً إلى الرئيس بوش -1 هـ.

والسؤال الذي يطرح نفسه وينتظر إجابة صريحة من مشايخ النظام وبطانته: تحت أي خانة يندرج هذا الموقف للنظام السعودي السخي والكريم على دولة تعلن الحرب بكل صراحة ووضوح على الإسلام والمسلمين في جميع أماكنهم وأمصارهم .. تحت الموالاة الصغرى أم الموالاة الكبرى التي تخرج صاحبها من الملة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة: 51. وقال تعالى ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ المائدة: 81!؟

أي موالاة أصرح وأظهر من هذه الموالاة التي يُظهرها النظام السعودي نحو راعية الكفر والإرهاب العالميين أمريكا ..!!؟

كل طائفة إسرائيلية تقصف أبناءنا وإخواننا في فلسطين .. وتدمر عليهم منازلهم .. فالبتترول السعودي .. شريك لهم في الجرم والوزر؛ إذ لولا البترول السعودي لما استطاع الطيران الصهيوني أن يُحلق ساعة في سماء فلسطين!

كُفْرٌ إِضَافِي لِلنِّزَامِ السَّعُودِيِّ

وكل صاروخ أو قذيفة تُرمى على أهلنا وإخواننا في العراق أو في أفغانستان من قبل القوات الأمريكية الغازية .. فللبترول السعودي نصيب في الوزر والإجرام .. إذ لولا البترول السعودي الذي يُضخ بسخاء لأعداء الأمة .. لما طارت لهم طائرة .. ولا تحركت لهم مصفحة أو دبابة!

لو خُيرت أمريكا وغيرها من دول الكفر والاستكبار بأن تُدعم وتُمد في حربها على الإسلام والمسلمين بالعسكر والجند أم بالبترول عصب الحياة، وكل صناعة وتقدم تكنولوجي .. لاختارت البترول عصب الحياة والاقتصاد .. وهذا أمر يُجمع عليه جميع العقلاء والمراقبين .. باستثناء مشايخ الإرجاء والسلطان فإنهم مصابون بالعمور الذي لا يُريهم إلا محاسن الطاغوت .. والفئات الذي يرميه إليهم!

ومنها: أي من الكفر المضاف إلى كفر النظام السعودي ليعلو بعضه بعضاً، فيزداد كفراً على كفر، ما صرح به عضو مجلس الشورى، ورئيس الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في السعودية الدكتور عبد بن صالح العبيد، في مقابلة له مع قناة العربية، في برنامج إضاءات، فقال: "الجمعية الوطنية في المملكة العربية السعودية أنشئت وفقاً لمبادئ باريس التي سيقوم عليها إنشاء الجمعيات الوطنية في مختلف أنحاء العالم .. نعم الجمعية تحتكم إلى ضوابط حقوق الإنسان التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة، وتبنتها جمعيات حقوق الإنسان في مختلف أنحاء العالم .. مبادئ باريس هذه تبنتها الأمم المتحدة ولجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة هي التي تعمل على تنفيذها، ونسقنا مع الجمعية العاملة للأمم، مع لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة، قبل أن ننشئ هذه الجمعية، وعرضنا عليهم هذا النظام .. عندما انتهى عملي في الرابطة تم الاتصال بي من قبل الدولة وقيل لي: هل لديك استعداد لأن تنشئ جمعية أهلية لحقوق الإنسان؟ فكان أنه إذا كانت على مبادئ باريس فأنا مستعد للعمل .. إذا كانت على هذه الأسس، فبالفعل هي لا ينبغي أن تنشأ إلا على هذه الأسس .. وبالتالي تم عرض الأسماء . أسماء مؤسسي الجمعية . ووافقت الدولة على هذه الأسماء .. أيضاً بالنسبة لهذه الأسماء تم التشاور فيها مع الجهات المعنية: وزارة العدل بالدرجة الأولى، ووزارة الداخلية التي هي الجهة التنفيذية بالدرجة الثانية، ووزارة الخارجية بالدرجة الثالثة .. أنشئت هذه الجمعية

كُفْرٌ إِضَافِيٌّ لِلنِّزَامِ السُّعُودِيِّ

بموافقة سامية .. مثل جمعية حقوق الإنسان ما فيه مرجعية لها ترجع إليها سوى رأس الدولة؛ وهو الملك ولهذا أعطى الملك الإذن؛ فكان النص هو أن لا بأس من قيامكم بهذا العمل .."- هـ.

ففي هذه العبارات المنقولة من كلام المذكور أعلاه، يتلخص أمران جليان، أولهما: قيام هذه الجمعية السعودية لحقوق الإنسان على مبادئ وشرائع مبادئ باريس الكفرية وليس على مبادئ وشرائع الإسلام السمحة، وهذا عدول صريح عن التحاكم إلى شرع الله تعالى إلى التحاكم إلى شرائع الطاغوت، وتفضيل صريح لها على شرائع الإسلام ذات العلاقة بحقوق الإنسان .. وهذا كفر بواح لا يشك فيه إلا من أعمى الله بصره وبصيرته، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: 65. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء: 60. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ محمد: 25-26. وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: 50.

ثانياً: أن هذه الجمعية القائمة على الكفر والتحاكم إلى الكفر إنما وجدت وقامت بإذن وموافقة الملك ومؤسسات حكومته، كوزارة العدل، والداخلية، والخارجية .. أي أن هذا الكفر يتحمل مسؤوليته وتبعاته بالدرجة الأولى النظام السعودي والفئة الحاكمة المتسلطة فيه، إذ لولاهم لما قام وأنشئ هذا الصرح من الكفر البواح!

والسؤال الذي يفرض نفسه على مشايخ الإرجاء والسلطان .. ومنتظر له الجواب منهم: بما تردون هذا الكفر .. وكيف تصرفونه عن ظاهره .. وتمنعون لحوقه بفاعليه؟!

أعملوا دهاءكم .. وفقهكم .. وتلبساتكم .. وتأويلاتكم .. ثم أتوا صفاً .. فلن تقدروا على تأويل

هذا الكفر ورده عن أهله وأصحابه ..؟!!

كُفْرٌ إِضَافِيٌّ لِلنِّظَامِ السَّعُودِيِّ

ومنها: أي من الكفر المضاف الذي يمارسه النظام السعودي وتمارسه العائلة المالكة، هو ما فاجأنا به وزير الدفاع السوري مصطفى طلاس عندما ذكر في كتابه الأخير "ثلاثة أشهر هزّت سورية": أن الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد السعودي وقائد الحرس الوطني كان يدفع لرفعت الأسد شهرياً خمسة ملايين دولاراً- هـ.

ومعلوم من يكون هذا رفعت الأسد؛ إنه المجرم النصيري البعثي قائد ومؤسس سرايا الدفاع الذي كان وراء مجزرة حماه، والتي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين .. وكذلك كان السبب والمنفذ لمجزرة سجن تدمر التي قتل فيها رميةً بالرصاص أكثر من ألف شاب أسير من خيرة وصفوة شباب الإسلام!.. فالنظام السعودي .. وتحديداً ولي عهده عبد الله .. شريك لهذا المجرم في كل جريمة ارتكها بحق الإسلام والمسلمين في سورية .. وما أكثر جرائمه!

فإذا كان الطاغية والمجرم رفعت الأسد هو الذي ينفذ الجرائم بحق الإسلام والمسلمين في سورية .. فإن النظام السعودي ممثلاً بولي عهده هو الذي كان يمول هذه الجرائم بمال كان الأولي به شعبه الذي بدا الفقر والحرمان عليه ظاهراً!؟!

والسؤال الذي نوجهه لمشايخ النظام وأبواقه: ما حكم هذا الذي يدعم الزنادقة الكافرين الحاقدين من النصيريين بالممال الكثير في حرهم الشرسة ضد الإسلام والمسلمين!؟! أجيبونا إن استطعتم .. ولن تستطيعوا .. لأنكم أسرى شهوات وأهواء الطواغيت الظالمين! فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلاكم به .. وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1425/08/21 هـ

أبو بصير الطرطوسي

200/10/05 م

هؤلاء أخافهم على الجهاد والمجاهدين !!

هؤلاء أخافهم على الجهاد والمجاهدين !!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فإن المثبتين المخذلين يُعرفون من لحن القول ومن صريحه .. وهم معروفون .. لا يخفون على أحد .. وشهرهم مُجْتَنَّب .. بينما هناك فريق آخر يُسيئون للجهاد والمجاهدين .. ويُصيبون المنهج الجهادي بمقتل عظيم .. باسم الجهاد .. وبزعم حب الجهاد والمجاهدين .. والذود عنهم .. قلَّ من يتعرف عليهم .. فتعين التعريف بهم وببعض صفاتهم وخصالهم .. ليتم اجتنابهم والحذر والتحذير منهم!

من أبرز خصال وصفات هذا الفريق من الناس:

- 1- أنهم يُعرفون بالشغب .. والإثارة .. والثرثرة .. وقلة الأدب .. وسوء الخلق .. والصخب .. ليحسبهم الناس أنهم على علم وعمل .. وأنهم من أهل الجهاد والاجتهاد .. أو أنهم على شيء وما هم على شيء!
- 2- يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ .. وفوق النص القرآني .. وفوق أهل العلم .. لا يحترمون شيئاً .. ولا أحداً .. متذرعين بالحماس الزائد للجهاد والقتل والقتال .. وحماسهم في حقيقته لا يعلو عن كونه صخب في صخب .. كسراب يحسبه الظمان ماء!
- 3- يميلون لكل قول . وإن كان خطأ . يُفضي إلى التشدد والغلو .. والتنطع .. وسفك الدم .. ولو بالحرام!
- 4- يرمون كل من خالفهم .. وإن كان محقاً .. بالتخاذل .. والعداوة للجهاد والمجاهدين .. ترهيباً وتبكيئاً!
- تجدهم عند كل مرأى وجدال .. منتفخة أوداجهم مرتفعة أصواتهم .. فإذا جد الجد تواروا .. واختبؤوا .. وفروا .. وكأن الأمر لا يخصهم ولا يعنهم في شيء!
- 5- يعتمدون أسلوب التهيج .. والصخب .. ورفع الصوت .. والحماس الزائد .. ورفع شعارات القتل والقتال .. لترهيب المخالفين .. ومن غير علم ولا بصيرة .. ولا مراعاة لضوابط ومقاصد الشرع .. فتراهم لا يُحسنون النظر لأبعد من أنوفهم .. لأنهم لا يريدون أن ينظروا لأبعد من ذلك!

هؤلاء أخافهم على الجهاد والمجاهدين !!

6- على جهلهم المركب .. تراهم .وبكل جرأة وقلة دين وورع .يخوضون في المسائل الكبار .. ويحللون ويحرمون .. ويشرقون ويغربون .. ويُخطئون ويُصوّبون .. والويل لك لو خطأتهم أو خالفتهم أو ناصحتهم .. فيصنفونك مباشرة أنك من المخذلين .. وضد الجهاد والمجاهدين .. زعموا!

7- إذا نظروا في أقوال أهل العلم .. لا ينظرون فيها ليستفيدوا ويتعلموا منها .. ولكن ليبحثوا عن مفردات متفرقات متشابهات هنا وهناك ليتقوا بها على صخبهم .. وجهلهم .. وباطلهم وتهيبجهم!

8- يستخفون بالحقوق والحرمات .. لا يُراعون عهداً ولا ذمة ولا أماناً .. لأنهم لا يعرفون معنى العهد والأمان .. ولا معنى الغدر وما يترتب عليه من وعيد، وخذلان!

إذا خاصموا فجروا .. وإذا عاهدوا غدروا .. وإذا أؤتمنوا خانوا .. الحديث . عندهم . عن الخلق والأخلاق والآداب .. سُبّة .. وخنوثة فكرية!!

9- يحتقرون العباد .. وبخاصة من يخالفهم في أمرهمونه .. وينظرون إليهم من عُلي .. وبازدراء .. لأنهم . كما يزين لهم الشيطان . هم . بصخبهم وثرثرتهم الزائدة . المجاهدون .. ومن سواهم فهم القاعدون .. والمتخاذلون!

10- لا يعرفون الإنصاف ولا العدل .. فلا ينصفون الحق من أنفسهم ولا من غيرهم .. والويل كل الويل لمن يخالفهم .. فهم دائماً على حق وصواب .. ومن سواهم ممن يخالفهم على الباطل!

وهم بذلك يجتمع فيهم رد الحق واحتقار الخلق .. وهذا هو عين الكبر!

11- سيئ الأخلق .. بذيئ اللسان .. وسيئ الظن .. من أبعد الناس عن أخلاق المجاهدين .. وما يستدعيه الجهاد من خلق رفيع وعلم وأدب ودين!

12- حظهم من الجهاد .. الصخب .. والثرثرة .. والتهيبج .. والتهكم واحتقار الخلق .. لا يُعرف لهم سابقة جهاد .. ولا ثبات في الميادين!

لكن الذي يسمع لهم .. ويرى حماسهم الزائد الموهوم .. يظن أنهم أبو الجهاد .. وأبو المجاهدين .. وأنهم لم يدعوا ميداناً من ميادين الجهاد إلا وخاضوه .. فيتشبعون بما لم يُعطوا وبما ليس فيهم .. كلابس ثوبي زور!

هؤلاء أخافهم على الجهاد والمجاهدين !!

13- لا يعرفون التنظيم ولا الانضباط .. ولا السمع والطاعة لأحد .. فلا كبير لهم يحترمونه،

ويرجعون إليه .. فكبيرهم الذي يرجعون إليه أهواءهم، وكل ما وافق أهواءهم!

14- يحترمون العالم ما وافقهم وواكهم على أهوائهم .. فإن خالفهم .. لم يدعوا نقيصة ولا مسبة

إلا وألصقوه بها .. وألصقوها به!

إن وافقهم في قول .. فقوله حجة لا يُرد عليه ولا يُعقب .. وطاروا به في الأفاق فرحاً وطرباً .. وإن

خالفهم في مسألة أو قول . وإن كان حقاً . استهانوا به وبعلمه .. وتكلموا عن التعصب للعلماء وعدمه!

وهذا كله يتم باسم الحماس للجهاد .. ونصرة الجهاد .. وتحت ذريعة الذود عن الجهاد

والمجاهدين .. والجهاد والمجاهدون براء منهم ومن أخلاقهم .. براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام!

وخطر هذا الفريق من الناس . على قلتهم . يكمن من أوجه:

منها: أنهم بصخيم .. وتهبيجهم .. وثرثرتهم .. وحماسهم الزائد .. يشكلون ضغطاً نفسياً على

المجاهدين وقادة المجاهدين .. وإرهاباً فكرياً .. وربما يؤثران سلباً على قراراتهم ومواقفهم .. فتأتي النتائج

بصورة لا نريدها ولا نحياها .. ولا تقتضيها مصلحة الجهاد!

ومنها: أنهم بأخلاقهم الأنفة الذكر .. يُشكلون إرهاباً فكرياً على كثير من العلماء والدعاة وطلبة

العلم .. حيث ترى منهم من يُحجم . طلباً لسلامة أعراضهم . عن البيان، والنصح، والصدع بالحق .. في

وقت تشتد فيه حاجة الأمة لنصحهم وسماع أقوالهم !!

ومنها: أنهم يُسيئون لمنهج الجهاد .. وللصورة التي ينبغي أن يكون عليها الجهاد .. فيُعطون الآخرين

.. صورة قاتمة وسيئة جداً عن الجهاد والمجاهدين!

ومنها: أنهم بأخلاقهم الأنفة الذكر ينفرون الناس عن نصرة المجاهدين وعن الانخراط في طريق

ومنهج الاجتهاد والجهاد!

فيطيلون بذلك من عمر الطواغيت الظالمين .. ويمدون أنظمتهم بالحياة .. وهم يدرون أو لا

يدرون!

ومنها: أن هذا الفريق من الناس يُعتبر بيئة خصبة لتسرب الجواسيس والعملاء الذين يعملون

لصالح الأعداء .. لأن اختراق الجماعات الجهادية عن طريق هذا النوع من الناس سهل ويسير؛ فالكل

هؤلاء أخافهم على الجهاد والمجاهدين !!

يتقنه .. فعلى قدر ما تسب وتحتقر المخالفين .. وتعتمد أسلوب الصخب والتهيج .. والحماس الزائف .. والاستعلاء في الخطاب .. على قدر ما يوثق بك .. وتصبح من المقربين والمرهوبين .. وما أسهل فعل ذلك على الجواسيس العملاء!

كثير من الحركات الجهادية المعاصرة أوتيت واخترقت عن طريق هذا الصنف من الناس .. وما أكثر الأمثلة والنماذج .. لو أردنا الاستدلال!

لذا فنصيحتي لإخواني وبخاصة منهم المجاهدين . حفظهم الله من كل سوء ودخن . أن يحذروا هذا الصنف من الناس .. وأن لا يكثرثوا بهم .. ولا يلتفتوا إليهم .. ولا يسمعوا لهم .. وأن لا يغرمهم حماسهم الزائد الموهوم .. فالزيادة أخو النقصان .. والإفراط أخو التفريط .. فالمرحلة عسيرة جداً .. وهي لا تسمح بالوقوف طويلاً عند هؤلاء .. ولا عند أمثالهم من المشاغبين المريبين!

هذا صرح لنا أكثر من خمس وعشرين سنة .. ونحن نبني به .. ونؤسس له .. وندعو إليه .. فلا نسمح لهذه القلة القليلة من ذوي الغلو والصخب والفجور .. ولا غيرهم .. من هدمه .. أو تشويهه .. والعمل على تخريبه من داخله!

فإرهابهم وصخبهم وغلوهم لا يرهبنا .. فنحن . بإذن الله وعونه وتوفيقه . لهم .. ولغيرهم من ذوي التجهم والإرجاء . قرة عيون الطواغيت الظالمين . بالمرصاد .. إلى أن يفتح الله بيننا وبينهم بالحق ، والله خير الفاتحين.

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1425/09/14هـ.

أبو بصير الطرطوسي

2004/10/27م

التَّوْحِيدُ .. قَبْلَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ

التَّوْحِيدُ .. قَبْلَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

كلما نهضت فئة مؤمنة لتقارع طواغيت الكفر والحكم والظلم .. لتعيد للأمة مجدها وحقها المسلوب .. وترفع عنها أغلال العبودية والظلم .. ترتفع بعض أصوات المثقفين المهزومين المأجورين .. ومنهم . وللأسف . من يُحسب على الدعوة والدعاة .. بضرورة المحافظة على الأمن والأمان .. وأن لا نسيء لنعمة الأمن والأمان التي تنعم بها البلاد!!

كلما وُجِّهت الدعوة للشعوب المقهورة المستعبدة لإرادة الطواغيت الظالمين .. بضرورة الكفر بالطاغوت، والانخلاع منه، ومن نظامه، وحزبه، وقانونه .. والخروج عليه .. ترتفع . في المقابل . أصوات المهزومين من الدعاة المأجورين والمأسورين لإرادة ورغبات الطاغوت .. بأن هذه الدعوة تتعارض مع ما تنعم به البلاد من أمنٍ وأمان .. وأن الكفر بالطاغوت .. والخروج عليه فتنة تُفقدنا نعمة الأمن والأمان التي نعيشها!!

كلما أراد المسلمون بأن ينهضوا للقيام بما يجب عليهم نحو دينهم وأمتهم وحقوقهم التي اغتصبها الطاغوت .. ترتفع أصوات أولئك المهزومين المأجورين المثبطين .. متظاهرين بالشفقة والرحمة على العباد والبلاد .. بأن هذا المسلك مؤداه إلى الوقوع في الفتنة .. وفقدان نعمة الأمن والأمان التي نعيشها .. ويحسدنا عليها الناس!!

وهؤلاء إذ يتظاهرون بالإشفاق على الناس وأمتهم وأمانهم .. إلا أنهم في حقيقة أمرهم لا يُشفقون على شيء سوى على الطاغوت وعرشه ونظامه .. وعلى مكاسيهم ومصالحهم الخاصة .. والفئات الذي يُرمى إليهم من قبل الطاغوت!

ولهؤلاء الذين يتباكون على الأمن والأمان، نقول: الأمن والأمان مطلب شرعي ومقصد من مقاصد الدين، لكن الأعظم من مقصد الأمن والأمان .. وكل مقصد .. مقصد ومطلب التوحيد .. وسلامة التوحيد؛ فإذا تعارض مقصد ومطلب التوحيد مع مقصد ومطلب الأمن والأمان .. وأي مقصد أو مطلب

التَّوْحِيدُ .. قَبْلَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ

آخر .. قُدم ولا بد مطلب ومقصد التوحيد .. وسلامة التوحيد .. وهذا الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وإجماع علماء الأمة.

من هذا المنطلق المُجمع عليه شرع الجهاد في سبيل الله .. رغم ما يترتب عليه من قتل وقتال وزهقٍ للأنفس .. وشرعت الهجرة إلى الله التماساً لسلامة العبادة والعقيدة والدين .. رغم ما يترتب عليها من مفارقة للأوطان، والأهل، والأحبة .. والمسكن .. والمتاجر .. والأموال .. فالله تعالى أجل وأحب إلى عباده المؤمنين من كل ما سواه.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ وهو ما يمثل عالم الأمن والأمان ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ وهو ما يمثل التوحيد .. والولاء للعقيدة والتوحيد ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة:24. فهذه هي النتيجة المؤلمة التي تدمغ صاحبها بالفسوق والكفر والخروج عن الدين!

وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ﴾ عالم الأمن والأمان ومادته ﴿فِتْنَةٌ﴾ ؛ وذلك عندما تكون سبباً يصد المرء عن القيام بما تقتضيه عقيدة التوحيد من جهاد وبذل وعطاء ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الأنفال:28. لمن قدم مقصد ومصلة العقيدة والتوحيد .. على مقصد ومصلة أمن الأموال والأولاد.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ وذلك عندما يحملونكم على البخل والشح؛ فيصدونكم عن القيام بواجب الجهاد في سبيل الله .. وما تقتضيه مصلحة العقيدة والتوحيد من مواقف وأعمال ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ التغابن:14. أي فاحذروا الأزواج والأولاد . عالم الأمن والأمان ومادته . من أن يحملوكم على التخاذل والجبن .. وعدم القيام بما تقتضيه مصلحة العقيدة والتوحيد من مواقف وأعمال.

وكانت الكفارة لمن عبد من بني إسرائيل العجل .. ولما نقضوا عقيدة التوحيد .. أن يقتلوا أنفسهم .. وأي أمن وأمان مع الأمر بأن يقتلوا أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ

التَّوْحِيدُ .. قَبْلَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ

أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿البقرة:54﴾.

قال ابن كثير في التفسير: قال ابن عباس: أمر موسى قومه عن أمر ربه ﷺ أن يقتلوا أنفسهم، قال: وأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضاً، فأنجلت الظلمة عنهم وقد جلو عن سبعين ألف قتيل، كل من قُتل منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت له توبة.

وعن سعيد بن جبير ومجاهد ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قالوا: قال بعضهم على بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضاً لا يحنور رجل على قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم، فكشف عن سبعين ألف قتيل ا- هـ.

قلت: وما أكثر الطواغيت العجول في زماننا التي تُعبد من دون الله .. وتخاصم الله تعالى في ألوهيته وربوبيته .. التي يجب على الأمة أن تتطهر منها ومن رجسها .. وعبوديتها .. مهما كانت التكاليف والتضحيات!

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع" مادة الأمن والأمان ومتعلقاته .. وركنتم إلى ذلك " وتركتم الجهاد " وهو ما يقتضيه موقف الولاء للعقيدة والتوحيد .. فالنتيجة المحتملة التي ينبغي أن نتوقعها ونتنظرها " سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذَلَالًا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ ". فتقدموا مصلحة العقيدة والتوحيد والجهاد في سبيل الله .. على كل ما سواها من المصالح والمقاصد مهما عظمت.

ونقول كذلك لهؤلاء المرجفين الذين يتباكون على الأمن والأمان، خشية الوقوع في الفتنة زعموا: أن الفتنة كل الفتنة تكمن بالرضى بهؤلاء الطواغيت الظالمين .. وبأنظمتهم الكافرة .. وبالركون إليهم .. كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الأنفال:39.

التَّوَجِيهُ .. قَبْلَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ

وقال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة:191. وقال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾

البقرة:217. أي فتنة الرضى بالطاغوت .. وما يصدر عنه من كفر وشرك وظلم .. أشد وأكبر من فتنة القتل وما يترتب عليه من آلام وجراح!

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا

تُنصَرُونَ﴾ هود:113. وأي ركون أعظم من الرضى بالطواغيت الظالمين وبحكمهم وقانونهم .. وترك جهادهم؟!!

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور:63.

ومن أمر النبي ﷺ للمسلمين الذي إذا تركوه أصابتهم فتنة .. أو يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .. الخروج

على الحاكم الكافر المتلبس بالكفر البواح، كما في الصحيحين: "إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان"؛ أي إذا رأيتم منه كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان ودليل من كتاب الله أو سنة رسوله، تعين قتاله والخروج عليه .. وهذا الذي نص عليه جميع أهل العلم بلا خلاف؛ لعلمهم أن إقرار الحاكم على كفره وطغيانه أشد فتنة وضرراً على الأمة من قتاله والخروج عليه .. مهما ترتب على الخروج عليه من توضيحات.

تأملوا . إن شئتم . حجم الذل والخنوع .. وحجم الظلم والفقر .. وحجم الفساد والتخلف والجهل

.. وحجم الضرائب الباهظة التي تقدمها الشعوب من دينها .. وعرضها .. ومالها .. وعزتها .. وكرامتها .. عندما تخلوا عن العمل بفريضة وواجب الخروج على طواغيت الحكم والكفر والظلم .. خشية الوقوع في الفتنة .. وخشية فقدان نعمة الأمن والأمان .. زعموا!!

أي فتنة نخشاها تعلوا الفتن التي أصابت الأمة في هذا الزمان بسبب ركونها . إلا من رحم الله من

عباده المؤمنين الموحدين . للطواغيت الظالمين الأثمين .. وعدم الخروج عليهم!

أين الأمن والأمان . الذي يزعمه هؤلاء المخذلين المأجورين . في ظل حكم هؤلاء الطواغيت الظالمين

.. والمرء لا يجد الحرية ولا الأمان الذي يمكنه من التعبير عن عقيدته ودينه ..؟!!

التَّوْحِيدُ .. قَبْلَ الأَمْنِ والأَمَانِ

أين الأمن والأمان . الذي يزعمه هؤلاء المخذلين المأجورين . في ظل حكم هؤلاء الطواغيت الظالمين .. والمرء لا يجرؤ على أن يقول كلمة نقد واحدة في الطاغوت الحاكم .. رغم ما يراه . وعلى مدار الوقت . من انتهاكات صريحة للحقوق والحرمان ..؟!

أين الأمن والأمان . الذي يزعمه هؤلاء المخذلين المأجورين . في ظل حكم هؤلاء الطواغيت الظالمين .. وكثير من شباب التوحيد لا يأمنون على أنفسهم أن يؤدوا مناسك الحج أو العمرة .. أو يزوروا الحرمين الشريفين اللذين يُفترض أن يكونا أكثر بقاع الأرض أمناً وأماناً .. خشية أن تتخطفهم كلاب الطواغيت المسعورة ..؟!

أين الأمن والأمان . الذي يزعمه هؤلاء المخذلين المأجورين . في ظل حكم هؤلاء الطواغيت الظالمين .. والشعوب المقهورة لا تملك سوى أن تقول للطاغية الجراد .. نعم .. ولو تجرأ أحدهم فقال مرة: لا ، فمصيره السجن أو القتل أو الطرد والتهجير ..!!

أين الأمن والأمان . الذي يزعمه هؤلاء المخذلين المأجورين . في ظل حكم هؤلاء الطواغيت الظالمين .. وسجونهم تغص بعشرات الآلاف من الأبرياء المظلومين .. من صفوة وخُلص شباب هذه الأمة ورجالاتها؟!

ومما يدل على هذا الواقع المرير، ذلك التقرير الذي أعدته " الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في السعودية " والذي نشرته كثير من وكالات الأنباء والإعلام، وقد ورد فيه: " أن السجون في السعودية تضم ضعف طاقتها الاستيعابية من السجناء "؛ فامتألت العمارات والسجون الضخمة بالسجناء الأحرار .. بل هي . بحسب رواية التقرير. تضم ضعف طاقتها من السجناء .. والنظام السعودي رغم ما يملك من أموال طائلة سلبها من شعبه المحروم، فلم يعد يملك العمارات التي يضع فيها السجناء المعارضين لكثرتهم!!

فأي أمن وأمان . يا دعاة الإرجاف والتثبيط . مع تلك السجون الضخمة التي تغص بالمؤمنين الموحدين ..؟!

التَّوَجِيهُ .. قَبْلَ الْأَمْنِ وَالْأَقَانِ

هذا في السعودية .. بلد الحرمين الأسيرين .. فكيف لو أردنا أن نتكلم عن سجون الطواغيت
الظالمين في سورية أو مصر .. أو ليبيا .. أو تونس .. أو الجزائر .. أو العراق .. أو غيرها من البلدان التي
يحكمها الطواغيت المجرمون .. وما أكثرهم!؟

يا أيها الناس .. يا أبناء ديني وأمتي في كل مكان .. حتى لا تقولوا كتمتم عنا العلم .. فلم تنصحوا
ولم تبينوا .. هاأنذا أبرئ الذمة .. معذرة إلى ربكم .. فأستصرخكم من جديد .. وأحذركم من جديد ..
وأعيد لكم البيان والتذكير المرة تلو المرة . محتسباً نقمة الطواغيت الظالمين علينا عند الله . فأقول ناصحاً
ومشفقاً: إن أردتم أن يُرفع عنكم هذا الذل والضميم الذي طال أمده .. وأن تُعيدوا للدين عزه ومجده،
ودوره في الحياة وقيادة الشعوب .. لا بد من أن تتحرروا أولاً من سلطان وضغط وهيمنة طواغيت الحكم
والكفر في أمصار المسلمين .. وراء كل عقبة كأداء تمنع المسلمين من التقدم والتحرك نحو أهدافهم
وحقوقهم .. فإن لم تفعلوا .. فتريصوا .. وانتظروا مزيداً من الذل، والخوف، والضياع، والفقر،
والتخلف، والتهيه .. والعذاب .. وروضوا أنفسكم على دفع المزيد من الضرائب الباهظة تقدمونها بنفس
مرغمة مكرهة على موائد وشهوات ورغبات الطواغيت الظالمين .. ولا تلوموا حينئذٍ إلا أنفسكم!

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود:88.

والحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1425/11/03هـ

2004/12/14م

حكم موالاة ومظاهرة المشركين على الإسلام والمسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

اعلم يا عبد الله أنك مربوب مخلوق .. ومملوك لله ﷻ .. فالله تعالى هو الذي خلقك وصورك .. وهو الذي تفضل عليك بالفضائل والنعم التي لا تُحصى ولا تُجزي .. على أن تُفرد بالعبادة والمحبة والطاعة لا تُشرك به شيئاً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذريات:56. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة:31. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ البينة:5.

فإن الله تعالى هو المألوه المعبود بحق لذاته وما سواه . أيًا كانت صفاته وماهيته . يُحب فيه وله؛ لأنه هو الله .. هو الخالق المالك .. له الأسماء الحسنى والصفات العليا لا شريك له ولا مثيل في شيء من أسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى:11. وبالتالي لا يجوز أن يُصرف لغيره ما يُصرف له ﷻ من العبادة، والمحبة، والطاعة، والخضوع .. لأن الخالق والمخلوق لا يستويان مثلاً كما لا يستويان من حيث الحقوق.

ومن معاني ولوازم إلهيته وربوبيته أن تحبه ﷻ لذاته؛ فتوالي وتحب فيه وله، وتُعادي وتبغض فيه وله .. تحب من يُحب وما يُحب وإن كنت كارهاً لمن يُحب .. وتبغض من يبغض وما يبغض وإن كنت محباً لمن يبغض .. وهذا من أوثق وأمتن وأشدّ عرى الإيمان وأقواها، كما في الحديث: "إن أوثق عرى الإيمان أن تُحبَّ في الله، وتبغضَ في الله". وقال ﷻ: "من أحبَّ الله، وأبغضَ الله، وأعطى الله، ومنع الله فقد استكمل الإيمان".

وأياً ما مخلوق . أيًا كان اسم هذا المخلوق وكانت صفته وماهيته . يُحبُّ لذاته؛ فيؤالي ويُعادى فيه وله من دون الله ﷻ .. فقد اتَّخَذَ هذا المخلوق نداءً من دون الله .. وعُبد من دون الله ﷻ من جهة المحبة والموالاة .. والذين دخلوا في مولاته لذاته فقد عبده من دون الله تعالى .. ووقعوا في الشرك الأكبر والعياذ بالله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ

حكم موالاة ومظاهرة المشركين على الإسلام والمسلمين

أَمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ ﴿البقرة:165. أي يوالونهم لذواتهم كما يوالى الله لذاته، فيوالون ويُعادون فيهم من دون أو مع الله .. ذلك اتخذهم إياهم أنداداً من دون الله.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ إبراهيم:30. أي جعلوا لله أنداداً وشركاء في المحبة والطاعة؛ فيوالونهم كما يوالون الله، ويُطيعونهم كما يُطيعون الله .. ليضلوا العباد عن التوحيد حق الله على العبيد .. فهؤلاء مصيرهم . ولا بد . إلى النار .. وبئس المصير!

وكذلك قوله تعالى عن المشركين وهم يتعاتبون يوم الحساب: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً﴾ سبأ:33. أي تأمروننا أن نجعل له أنداداً وشركاء في المحبة والطاعة .. فنوالي ونعادي فيهم من دون الله ﷻ .. وهم لا يستحقون منا ذلك!؟

وقال تعالى عن المشركين وهم في العذاب .. في جهنم يختصمون ويتعاتبون ويتلاومون .. ولات حين مندم: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الشعراء:96-98. أي نسويكم برب العالمين في المحبة والطاعة؛ حيث كنا نوالي ونعادي فيكم ولكم، فنوالي من والاكم ونعادي من عاداكم .. ونطيعكم من دون أو مع الله .. فتلك كانت تسويتهم للأنداد والزعماء برب العالمين ﷻ.

ومن متابعة الله تعالى فيما يُحب أن تُحب وتوالي الإيمان والمؤمنين والإسلام والمسلمين .. أينما كانوا .. وكانت لغاتهم وجنسياتهم وأوطانهم وألوانهم .. وَبَعُدَتِ الشُّقَّةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ التوبة:71. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات:10. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ المائدة:56.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "كونوا عبادَ الله إخواناً؛ المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره" مسلم. وقال ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه" البخاري.

حكم موالاة ومظاهرة المشركين على الإسلام والمسلمين

لذا لا يُضمَر العداوة والكره والبغضاء للمسلمين .. كل المسلمين .. إلا كافر ظاهر الكفر .. أو زنديق

منافق؛ إذ لا يمكن أن يجتمع إيمان في القلب وكره وبغض للمؤمنين المسلمين.

قد يبغض المرء مسلماً أو مجموعة من المسلمين لأسباب دنيوية أو شخصية .. ولا يخرج ذلك

من الإسلام .. ولكن أن يكره ويبغض جميع المسلمين في الأرض فهذا لا يتحقق إلا لمن امتلأ قلبه غيظاً وحقداً وبغضاً لدين الله ﷻ.

لذا من شتم المسلمين كل المسلمين من دون استثناء .. أو لعنهم .. أو أظهر العداوة والبغضاء لهم

.. فهو دليل على طعنه وبغضه للإسلام .. دين الله الذي يتدينون به .. وهو بذلك كافر مرتد .. لا يجوز التوقف عن تكفيره.

ومن متابعة الله تعالى في بغضه أن تبغض وتسخط الكفر والكافرين، والشرك والمشركين حيثما

كانوا .. وكانت لغاتهم وجنسياتهم وأوطانهم وألوانهم .. ولو كانوا من أولي القربى، أو ينتمون لنفس الوطن،

أو القوم، أو القبيلة، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ

مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا

إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة:22.

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ

وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾

المتحنة:4.

وأيا مسلم يأبى إلا أن يوالي ويُظاهر المشركين الكافرين على الإسلام والمسلمين .. ولو كانوا من

ذوي القربى، وينتمون لنفس الوطن أو القطر .. فهو بذلك مباشرة يخرج من دائرة الإسلام ومن عداد

المسلمين المؤمنين ليصبح من عداد الكافرين المجرمين، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

المائدة:51. فقلوه ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي كافر مثلهم، حكمه حكمهم في الدنيا والآخرة.

حكم موالاة ومظاهرة المشركين على الإسلام والمسلمين

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ المائدة:81. أي لو صدقوا في دعواهم أنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ لما اتخذوا الكافرين أولياء .. ولما اتخذوهم أولياء كان ذلك دليل على كفرهم، وعلى كذب ادعائهم بأنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ .

قال ابن تيمية رحمه الله: فبين سبحانه الإيمان بالله والني وما أنزل إليه ملتزم بعدم ولايتهم، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم. وقال: فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ ، فإنه أخبر في تلك الآية أن متولهم لا يكون مؤمناً، وأخبر هنا أن متولهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً ا- هـ.

ومن الأدلة كذلك على كفر وارتداد من يتول الكافرين على المسلمين، قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ آل عمران:28. قال ابن جرير الطبري في التفسير: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ يعني بذلك فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ا- هـ.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ الكهف:102.

وهذا سؤال تقريعي يفيد التعجب والاستنكار واستحالة أن يقدر الكافرون على أن يتخذوا عباد الله المؤمنين أولياء من دون الله .. فإن قدروا على أن يتخذوا المؤمنين أولياء من دون الله .. يخرجون مباشرة من صفة ومسمى ﴿عِبَادِي﴾ ليكتسبوا صفة وحكم من والوهم من الكافرين المجرمين. فإن علمت ذلك يا عبد الله .. بقي أن نذكرك بما نهضت إليه طاغوت العصر " أمريكا " وما عزمت عليه من حرب صليبية صريحة ظاهرة مكشوفة . لا خفاء فيها ولا غموض . على الإسلام والمسلمين .. وعلى حرمتهم وديارهم وأوطانهم .. تحت زعم محاربة وملاحقة الإرهاب والإرهابيين .. زعموا .. وهم في

حكم موالاة ومظاهرة المشركين على الإسلام والمسلمين

حقيقتهم ما أرادوا إلا محاربة الإسلام والمسلمين .. وهذه حقيقة أضححت عند كل مراقب منصف من المسلمّات التي لا يجوز أن يختلف عليها عاقلان!

ومما تفعله هذه الدولة العاقلة لربها .. الطاغية بظلمها وكفرها .. في هذه الأيام .. أنها تجيش . بكل ما أوتيت من قوة وأموال ووسائل ترغيبية وترهيبية ضخمة . الجيوش .. والشعوب .. والبلدان .. والمرتزة .. في جميع أنحاء وأطراف الأرض .. في حربها المشؤومة هذه على الإسلام والمسلمين .. وعلى حرمتهم وأوطانهم .. ليطفئوا نور الله في الأرض، وأنى، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ التوبة:32.

وقال تعالى في أموالهم وإمكانياتهم الضخمة التي يُنْفِقُونَهَا في حريمهم المعلنة على الإسلام والمسلمين .. ليصدوا العباد والبلاد عن سبيل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ الأنفال:36.

وعليه نقول محذرين ومُشفقين: أيما مسلم يرضى لنفسه أن يدخل في موالاة ونصرة هذه الدولة الطاغية العاقلة المستكبرة في حربها المعلنة على الإسلام والمسلمين .. ولو أن يعمل عند جنودها وجيوشها طَبَاحاً .. أو كَنَاساً .. فقد رضي لنفسه الكفر والمروق من الإسلام .. وإن صلى وصام، وحج البيت .. وقال إنني من المسلمين .. فواقع حاله يُكذِّبُ زعمه وادعاءه بأنه من المسلمين .. ويدمغه بالكفر والردة عن الدين .. كما تقدم بيان ذلك في الأدلة الآتفة الذكر أعلاه.

اللهم إِنِّي قد بَلَغت فاشهد .. اللهم إِنِّي قد بَلَغت فاشهد.

وصلّى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1425/04/23هـ

2004/06/11م

الجوار آدابه وضوابطه

الجوار آدابه وضوابطه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد تأملت كثيراً من منتديات الحوار المنتشرة عبر شبكة الإنترنت .. وغيرها من المناظرات الصوتية والمرئية .. فوجدت مشكلة في طريقة الحوار التي ينتهجها كثير من المتحاورين .. وفي لهجة الحوار التي تنتهي . في كثير من الأحيان – بالمتحاورين إلى التلاعن .. والتنافر .. والتباغض .. وإغارة الصدور .. والتراشق بالقول المشين .. فيأتي الحوار بخلاف النتائج المرجوة منه؛ فبدلاً من أن يُقرب بين طرفي أو أطراف الحوار وبين وجهات نظرهم .. تراه يُباعد بينهم .. وبين وجهات نظرهم .. ويزيد الشقة فيما بينهم ابتعاداً وفرقة أكثر مما كانوا عليه قبل الحوار .. كما ويزيد المراقبين لهم ولطريقتهم في الحوار .. وما يتحاورون حوله من مواضيع .. تشوشاً وغموضاً وشبهة!

لذا وجدت نفسي مشدوداً لتسجيل بعض آداب وضوابط الحوار .. التي تعين على توجيه وترشيد الحوار والمتحاورين .. بما يحقق النفع المرجو من الحوار .. وكهدية مني لمنتديات الحوار .. راجياً من الله تعالى السداد، والقبول.

نجمل ذكر بعض وأهم تلك الآداب والضوابط في النقاط التالية:

1- أن يكون همُّ وغاية كل طرف من أطراف الحوار إنصاف الحق .. ومعرفته .. واتباعه .. والانتصار له .. ولو كان عند الطرف الآخر من المتحاورين .. وأن تنعقد هذه النية – في إنصاف الحق – قبل الشروع في الحوار .. وأن تُراقب وتُتابع أثناء الحوار وبعده!

المشكلة تبدأ وتتضخم عندما يكون هم وغاية كل طرف من أطراف الحوار كيف يغلب الطرف الآخر، وكيف يظهر عليه في الحوار والمحااجة .. ويعلو صوته على صوته .. وكيف يحقره ويصغره .. ولو كان في الباطل أو الزور!

الجوار آدابه وضوابطه

المشكلة تتضخم وتتضاعف عندما يكون همُّ وغاية أطراف الحوار أو بعضها .. هو مجرد التحدي

والمباهاة والمفاخرة .. وكيف يصرفون إليهم وجوه وإعجاب الناس .. ولو كان ذلك في الباطل والزور!

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من ابتغى العلم ليُباهي به العلماء، أو يُماري به

السفهاء، أو تُقبل أفئدة الناس إليه، فإلى النار" [1]. فهو إلى النار وإن كان محقاً لفساد مقصده، فكيف

إذا اجتمع عليه فساد المقصد وبُطلان ما يُنافح عنه ويُجادل؟!

وعن عمر بن الخطاب ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "يظهر الإسلام حتى تختلف التجار في البحر،

وحتى تخوض الخيل في سبيل الله، ثم يظهر قومٌ يقرؤون القرآن، يقولون: من أقرأ منا؟ ومن أعلم منا؟ ومن

أفقه منا؟"، ثم قال لأصحابه: "هل في أولئك من خير؟"، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "وأولئك منكم من

هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار" [2].

2- أن يتولد لكل طرف من أطراف الحوار الاستعداد النفسي قبل وأثناء الحوار .. أن يعترف بالخطأ

إن أخطأ .. وأن يقر لمخالفه بالإصابة إن أصاب .. وهذا من تمام العدل والإنصاف والرقى في الحوار ..

وضده الكبر والظلم والجحود، والاستعلاء في الباطل .. فالكبر يقوم على ركنين: رد الحق .. واحتقار الخلق ..

وأما امرئٍ يقع في هذين الخلقين المذمومين .. فهو من المتكبرين الذين تأخذهم العزة بالإثم .. ويطالهم

وعيد التكبر والعياذ بالله.

فقد أثر عن الفاروق عمر بن الخطاب ؓ أنه قال لامرأة راجعته في قضية تحديد المهور: أخطأ

عمر .. وأصابت امرأة .. وما عد ذلك انتقاصاً من قدره .. بل عد من جملة مزاياه الحسنة والعظيمة .. وما

أكثرها.

3- الاتفاق على المرجعية التي يتم التحاكم والرجوع إليها فيما قد تم الخلاف والنزاع فيه .. والتي بها

تقوم الحجة الدامغة على المخالف .. وفي حال عدم الاتفاق على مرجعية ثابتة يتم الرجوع ورد النزاعات

¹ أخرجه الحاكم، والبيهقي، صحيح الجامع: 5930.

² أخرجه الطبراني، والبزار، صحيح الترغيب: 131.

الجوار آدابه وضوابطه

إليها .. يعني استحالة حصول الاتفاق أو التقارب فيما بين المتحاورين .. وفيما اختلفوا وتنازَعوا فيه؛ إذ من الممكن حينئذٍ لكل طرف من أطراف الحوار أن يرد النزاع إلى مرجعيته وقانونه ودستوره وقناعاته الخاصة به التي تختلف عن مرجعية وقانون ودستور وقناعة الطرف الآخر.. وبالتالي فإن زاوية الخلاف والتنازع تتسع أكثر فأكثر.. وينفض المتحاورون وهم أكثر تفرقاً وتنافراً مما كانوا عليه قبل الحوار!

هذه المرجعية التي نؤكد عليها والتي يجب التحاكم والرجوع إليها تكمن في الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:59.

فهذه الآية الكريمة أكدت على معانٍ عدة:

منها: أن الرد إلى الله والرسول يكون بالرد إلى الكتاب والسنة بعد وفاة الرسول ﷺ.

ومنها: قوله ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من الصيغ التي تفيد العموم؛ أي أي شيء - من شؤون الدين والدنيا - يتم النزاع فيه يجب رده إلى الكتاب والسنة.

ومنها: أن الكتاب والسنة فيهما جواب شافٍ كافٍ لكل نزاع يمكن أن يقع؛ إذ يستحيل على الرب ﷻ أن يأمر برد النزاع إلى شيء ثم لا يوجد في هذا الشيء حلاً حاسماً وشافياً لما تم النزاع فيه.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "والذي نفسي بيده ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا أمرتكم به، وما تركت شيئاً يقربكم من النار، ويباعدكم عن الجنة إلا نهيتكم عنه".

ومنها: أن من لوازم الإيمان وشروط صحته رد النزاع - أي نزاع - إلى الكتاب والسنة .. ينتفي الإيمان بانتفاء الرد إلى الكتاب والسنة ولا بد، لذا قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

فإن قيل: ولكن قد يكون الطرف المحاور المقابل لا يؤمن بمرجعية الكتاب والسنة .. ولا يرضى

بالتحاكم ورد النزاع إليهما!؟!

أجيب عن هذا الاعتراض من أوجه:

الجوار آدابه وضوابطه

منها: أقول: دعوه يُعرب عن اعتقاده هذا صراحة .. فهذا مما يُنفر عنه الناس .. ويُضعف حجته وقوله.

ومنها: إن أعرب عن رفضه صراحة لمرجعية الكتاب والسنة .. يُطالب بالمرجعية البديل التي توازي الكتاب والسنة .. وأنى!

ومنها: تسخيف مرجعيته .. وأنها — مهما تنوعت وقيل عنها — لا تعدو أن تكون حكم الجاهلية .. ومرجعية الجاهلية .. التي لا تهدي إلا إلى العمى والضلال والشقاء، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر:20. وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:50.

ومنها: أن عدم إيمانه بمرجعية الكتاب والسنة .. لا يسلبنا حقنا في التحاكم ورد التنازع إليهما، والاستدلال بهما على المخالف الجاحد؛ لأن الحجة الدامغة تقوم بنصوص الكتاب والسنة على المؤمن والجاحد سواء .. وكان النبي ﷺ يستدل بالقرآن الكريم على المؤمنين والكافرين الجاحدين سواء .. ويُخاطب الجاحدين الكافرين بنصوص الوحي .. كما يُخاطب المؤمنين المصدقين .. وهذا منهج في الدعوة والحوار مع الآخرين لا يمكن أن نحيد عنه^[1].

ومنها: أن من كان هذا وصفه؛ لا حرج من الاستدلال عليه . إضافة للاستدلال بأدلة الكتاب والسنة . بالأدلة العقلية الصحيحة .. وبالواقع المشاهد والثابت .. فالنقل الصحيح لا يتعارض مع العقل الصحيح، ولا مع الواقع الصادق والثابت؛ فالأدلة النقلية، والعقلية، والواقعية كلها تصدق بعضها البعض، والله الحمد.

¹ مما أذكره يوم أن كنت معتقلاً في سجون طواغيت النظام البعثي النصيري في سورية وكان ذلك سنة 1976م، أنني ابتليت بمجالسة سجين شيوعي ملحد في نفس الزنزانة التي كنت فيها .. وعند الحديث معه كان يشترط علي أن لا أسمع أي نص من القرآن الكريم .. لما يجد في النص القرآني من تأثير وقوة، ومتانة حجة لا يمكن بحال أن يرقى إليها كلام البشر أياً كان هذا البشر .. كما لا يمكن لذوي العقول والأفهام السديدة إلا أن يرضخوا له!

الجوار آدابه وضوابطه

4- انتقاء العبارة الأسلم في الخطاب التي تؤلف به قلب محاورك، وتشد سمعه لما تُحاوره عنه، أو

تدعوه إليه، وهذا مما يدخل في معنى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل:125.

ومن ذلك أمر الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام بأن يقولوا للطاغية فرعون – وهما يُحاورانه .

قولاً ليناً، أي قولاً رقيقاً رقيقاً لطيفاً؛ لأنه أوقع في النفس، وأشد أثراً، وأكثر نفعاً، كما قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ طه:43-44.

وكذلك الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: أن رهطاً من اليهود

استأذن على النبي ﷺ، فقالوا: السَّام عليك! فقالت عائشة رضي الله عنها: بل عليكم السَّام واللَّعنة، فقال ﷺ: "يا عائشة، إن الله رقيق يحب الرفق في الأمر كله". قلت : أولم تسمع ما قالوا؟! قال: "قلت: وعليكم".

تأمل كيف أن النبي ﷺ يوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى الرفق في الرد على الطاعنين

المخالفين، في موضع يُنال فيه من جناب سيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه .. حيث كان الرفق حينئذٍ يتجسد في جواب النبي ﷺ لهم، والذي اقتصر فيه على كلمة واحدة فقط: "وعليكم": أي عليكم يرتد الموت .. والدعاء بالموت!

واعلم – يا عبد الله – أن اللجوء إلى السب والطعن، واللعن .. والصخب .. ورفع الصوت .. عند

محاورة الآخرين .. هو سلاح الضعيف المهزوم المفلس الذي لا يملك حجة ولا برهاناً فيما يدعو إليه .. فتراه

– ومن أول الحوار – يغطي عيبه وجهله .. وعورته .. بالشتم، والطعن، والصراخ .. والتنقيص من الطرف الآخر!

واعلم كذلك أن إغارة صدور الآخرين من المخالفين بالشتم .. والطعن .. والانتقاص .. الكل يتقنه

.. وهو سهل لا يحتاج إلى مهارات .. ولا إلى علم .. وإنما استمالة الطرف الآخر إلى قولك ورأيك .. وإرغامه .

بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة – على أن يستمع إليك وإلى قولك باحترام .. هو الذي لا يتقنه إلى المهرة

العلماء!

الجوار آدابُه وضوابطُه

وقولنا هذا لا يعني — كما قد يظن البعض — أن تغيب أو تكتم من الحقيقة شيئاً .. أو تجامل أهل الباطل على باطلهم .. أو تداهنهم فيداهنوك .. أو أن لا تسمي الأشياء بمسمياتها الشرعية .. فهذا المعنى لا نعينه ولا نقصده .. ونبرأ إلى الله تعالى منه!

5- قراءة أفكار ومبادئ وعقيدة ونفسيات الطرف المخالف جيداً قبل البدء في الحوار .. لتحسن محاورته والتعامل معه، ولتعطيه الخطاب أو الأسلوب الذي يستحقه .. والذي يجدي معه .. ولتعرف ما يحتاجه من الحجج والبراهين مما لا يحتاجه؛ إذ أن جهل المحاور بنظيره .. يقلل من قيمة وجودة وفعالية الحوار .. وربما سار الحوار في اتجاه لا يعني الطرف المقابل المحاور شيئاً .. وما أكثر ما يحصل ذلك!

كما أن جهل كل طرف بنظيره قد يؤدي إلى الوقوع في الظلم والعدوان بغير حق؛ فيطلق كل طرف على الآخر قائمة من الاطلاقات والأحكام لا يستحقها أحد منهما .. فتجد أحدهما - لأدنى خلاف مثلاً - يُطلق على الآخر حكماً بأنه جهمي، أو مرجئ، أو جامي، أو من الخوارج الغلاة .. وغير ذلك من الاطلاقات والأحكام .. وبشيء من التأمل والتتبع .. تجد أن الطرفين على اعتقاد صحيح .. وأن أصولهما أصول أهل السنة والجماعة .. ولكن جهل كل طرف بالآخر .. وبأصول وقواعد الآخر .. هو الذي أوقعهما بهذا النوع من الظلم والعدوان!

6- قراءة موضوع الحوار جيداً .. وقراءة كلمات الطرف المقابل ذات العلاقة بموضوع الحوار جيداً .. فهذا مما يُعين على التركيز على موضوع الخلاف من غير شرود .. ولا شطط .. وعلى حصر الردود فيما تم الخلاف عليه، لا غير.

لا بد من تحديد مناط الخلاف عند إجراء أي حوار راشد هادف؛ إذ لا يليق بطرفي الحوار أن يكون موضوع الحوار أو الخلاف حول حكم تارك الصلاة مثلاً .. ثم أحد الطرفين يأتي بأدلة .. ونقولات لبعض أهل العلم تتكلم عن حكم تارك الزكاة .. أو حكم الجهاد مع أئمة الظلم والفجور .. أو غير ذلك من المسائل .. ثم يقول له هاقد أقيمت عليك الحجة فيما اختلفنا فيه .. وذكرت لك طائفة من الأدلة والبراهين .. وأقوال أهل العلم .. فردها علي إن استطعت!

وأحياناً يكون الخلاف على الصين وعدد سكانها .. فيأتي الجواب عن الهند والسند .. وعدد قرودها!

الجوار آدابه وضوابطه

مشكلة حقاً .. عندما يكون أحد طرفي الحوار قماشاً .. كحاطب ليل .. يحتطب ما يعنيه ومالا

يعنيه!

7- عدم السماح للطرف المخالف بأن يطرح مسألة ثانية أو ثالثة أو أكثر قبل أن تُحسم المسألة

الأولى، ويحصل عليها اتفاق معين.

فإن إقحام عشرات المسائل بعضها فوق بعض، ومن دون أن تُعطى كل مسألة حقها من البحث

والنقاش، يترتب عليه محاذير عدة:

منها: عدم إنصاف المسائل المطروحة .. فينتهي المجلس وينفض المتحاورون .. من دون أن تُحسم

أية مسألة من المسائل التي طُرحت!

ومنها: أن طرح عشرات المسائل المختلفة .. يؤثر سلباً على موضوع الحوار الذي انعقد الحوار لأجله!

ومنها: أن طرح المسائل العديدة بعضها فوق بعض .. يشوش على طرفي الحوار أو أحدهما .. ويفقده

التركيز على الجواب الصحيح!

كما ويشوش على السامعين أو المراقبين للحوار .. ويفقدهم القدرة على التركيز على موضوع معين ..

أو الموضوع الذي انعقد لأجله الحوار!

ومنها: أن من علامة المحاور المفلس المراوغ أن تراه يُقحم عشرات المسائل في جلسة واحدة أو

موضوع واحد؛ كأن يكون . مثلاً. موضوع الحوار حول " كيفية إثبات شهر رمضان"، وقبل أن يُجيب الطرف

الأخر عن هذه المسألة بالصورة الكافية والصحيحة .. تراه يبادره السؤال الآخر: وهل الإفطار في رمضان

يكون على حسب غروب الشمس أم التوقيت الفلكي .. وماذا عن التقيؤ للصائم هل يُفسد صومه .. وهل

الصلاة خلف الجنائز واجبة أم مستحبة .. وهل الكحول في العطور نجسة أم لا .. وماذا عن الصلاة خلف

أئمة الجور .. وهل يُشترط استئذان الوالدين للجهاد .. وهكذا تراه يسرد عليك المسائل سرداً .. وقبل أن

تجيبه عن أي مسألة من تلك المسائل تراه يوجه إليك طائفة أخرى من المسائل .. فينفض المجلس ..

وينتهي وقت الحوار .. بين طرح عشرات المسائل المختلفة التي لم تجد جواباً شافياً .. وبين إجاباتك

الجوار آدابه وضوايظه

المتقطعة المجزأة الناقصة .. والتي لا تغني ولا تُسمن من جوع .. ومن دون أن تكون قد أُجبت عن موضوع الحوار الأساسي وهو " كيفية إثبات شهر رمضان "؟!

فإن ابتليت بمحاور هذا وصفه — وما أكثرهم — فاحذره .. ولا تسمح له بأن يتلاعب بك وبأفكارك ووقتك من خلال طرح عشرات المسائل المختلفة .. فتخرج من الحوار وأنت في أعين الآخرين المراقبين فاشل وضعيف .. وعلى باطل .. وأن نظيرك .. هو الذكي .. الذي استطاع أن يتلاعب بك .. وبأفكارك .. ومن دون أن يُعطيك الفرصة التي تمكنك من الجواب عن أي مسألة من المسائل التي طُرحت في الحوار .. وهذا الذي يريده مخالفك!

8- عدم الانشغال فيما تم الاتفاق عليه من موضوع الحوار؛ لأن الانشغال في المتفق عليه مضيعة للأوقات والطاقات من دون فائدة، ولا حاجة .. ويكون ذلك — في الغالب — على حساب المختلف عليه من الموضوع .. الذي يحتاج إلى بحث ونقاش .. وعندما يُحاول أحد طرفي الحوار أن يُشغل نظيره في ترداد المتفق عليه .. والوقوف عنده .. لا بد للطرف الآخر من أن يذكره بمواطن الخلاف والنزاع .. وأن مواطن الاتفاق لا تحتاج إلى بحث ولا نقاش .. وبالتالي لا بد من تجاوزها إلى مواطن النزاع والخلاف .. ويحصل التركيز عليها!

9- اجتناب الحوار في مواطن الريبة والخوف؛ إذ لا يمكن للمحاور الخائف المرتاب من أن يُظهر كل ما يعتقد، فإن كان الذي يعتقد أو الطرح الذي يمثله يمثل جانب الحق من الموضوع المراد بحثه ونقاشه .. فإنه بذلك يُظهر جانباً من الحق أو بعضه .. وهو بذلك يُظهر الحق ضعيفاً منقوصاً .. مشوهاً .. على غير صورته الكاملة الحقيقية التي تليق به!

وهو بغنى عن هذا الموقف .. الذي يُسيء فيه للحق وهو يدري أو لا يدري!

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "ليس بمؤمنٍ من أذَلَّ نفسه؛ يُعرِّض نفسه للبلاء ليس له به طاقة".

وقد صدق من قال: واحذر مُناظرةً بمجلسٍ خيفةٍ ... حتى تُبدَل خيفةً بأمانٍ

الجوار آدابه وضوابطه

10- لا تغضب .. واحذر محاورك من أن يُثير غضبك .. فالغضب — في مواطن الحوار — يفقدك الاعتدال .. والتوازن .. ويغلق على ذهنك .. ويخرجك عن حدود اللباقة والأدب .. ويحملك على أن تقول ما لا تود قوله في حالة الرضى والاعتدال .. فتندم .. ولات حين مندم!

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: "لا تغضب"، فردد مراراً؟ فقال: "لا تغضب".

هذه جملة من الآداب والضوابط التي ترشد عملية الحوار .. وتهض به — بإذن الله — إلى المستوى المنشود والمرجو من الحوار .. ما رُوِعت وُعومِلَ بها .. وددنا التذكير بها .. سائلاً الله تعالى القبول .. وأن ينفع بها العباد .. وأن تكون لهم مفتاح خير مغلق شرٍ .. إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1425/12/27هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/02/06م

تعريف الإرهاب

تعريف الإرهاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

في كل مرة - لغاية في نفوسهم - يأتُر المؤتمرون .. ثم ينفضون وهم أشد تحاملاً وحنقاً على الإرهاب

والإرهابيين زعموا .. ومن دون أن يحددوا معنى وصفة الإرهاب .. الذي ينبغي أن يكافحوه أو يُحاربوه ..!

مصطلح الإرهاب هو المصطلح الأكثر إثارة وجدلاً في هذا العصر .. ومع ذلك فالقوم إلى الساعة لم

يُحددوا تعريفاً واضحاً للإرهاب يُلزمون أنفسهم به .. كل هذا وغيره .. يجعلنا نضع عشرات إشارات

الاستفهام حول غايات ومقاصد القوم من حرهم المعلنه على الإرهاب[1]!

وفي الجهة المقابلة: في الصف الإسلامي .. يوجد من يؤيد استخدام مصطلح الإرهاب على الإطلاق

بصيغة المدح على اعتبار وروده في بعض نصوص الشريعة بصيغة الحض والمدح .. ويوجد من لا يرى

استخدامه إلا على وجه الذم، والاستهجان؛ لاعتبار أنه يدل على معانٍ لا تنسجم مع تعاليم ورحمة الإسلام

للعالمين.

هذا الاضطراب وغيره .. يضطرنا لبيان تعريف محدد ومنضبط - من منظور الشرع - لمعنى مصطلح

الإرهاب .. والذي يعيننا على تحديد الموقف من هذا المصطلح ودلالاته بصورة أفضل، وأكثر وضوحاً، وبما

لا يدع مجالاً لاستغلاله في معارك مشبوهة لها مآرب أخرى[2].

¹ ذكرنا في أكثر من موضع أن القوم يرفضون تحديد معنى الإرهاب الذي يريدون أن يُحاربوه، حتى لا يدينوا أنفسهم بأنفسهم:

لأنهم كيفما عرّفوا الإرهاب سيجدون أن هذا التعريف يطالهم، وأنهم يدخلون فيه دخولاً كلياً .. وكذلك لكي يُعطوا لأنفسهم

الحرية والمساحة الكافية في أن يُمارسوا جميع ضروب وأنواع الإرهاب، ومن دون أن يُدانوا بتهمة الوقوع في الإرهاب .. ولمزيد

من الفائدة راجع مقالنا: "لماذا المماثلة في تحديد معنى ومفهوم الإرهاب!"

² فإن قيل: هذا التعريف للإرهاب سيكون من منظور الشرع كما ذكرتم .. وهذا يعني أنه لن يكون ملزماً لغير المسلمين ..؟!

أقول: وإن كان غير ملزم لغير المسلمين .. فإننا في بيان هذا التعريف المنضبط للإرهاب نجتهد في أن نوحده. إن شاء الله .

رؤية الصف الإسلامي نحو هذا المصطلح الأشد إثارة في هذا العصر .. وهو مقصدنا الأهم هنا .. وبنفس الوقت نقول

تعريف الإرهاب

فأقول: الإرهاب لغة يعني: العمل الذي يحدث الإخافة، والفرع، والذعر.. والإرهابي هو الذي يحدث

الخوف والفرع والذعر عند الآخرين، بعمل مفرع ومخيف.

قال ابن منظور في كتابه " لسان العرب ": رَهَبَ، بالكسر، يَرْهَبُ رَهْبَةً وَرُهْبًا بِالضَّمِّ، وَرَهَبًا

بالتحريك؛ أي خاف. وَرَهَبَ الشَّيْءُ رَهْبًا وَرَهْبَةً: خافه.

وفي حديث الدعاء: "رغبة ورهبة إليك"، الرهبة: الخوف والفرع.

وترهَّبَ غيره: إذا توَعَّدَه. وأرهبه ورهَّبه واسترهبه: أخافه وفرَّعه ا- هـ.

وفي " النهاية " لابن الأثير: الرَّهْبَةُ: الخوف والفرع. وفي حديث بهز بن حكيم: "إني لأسمع الرَّاهِبَةَ

" هي الحالة التي تُرهب: أي تُفزع وتُخوِّف. وفي رواية: "أسمعك راهباً" أي خائفاً ا- هـ.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال:60.

قال ابن كثير في التفسير: قوله ﴿تُرْهِبُونَ﴾ أي تخوِّفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي من الكافرين ا-

هـ.

وقال تعالى في سحرة موسى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزْهِبُوهُمْ وَجَاءُوا

بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ الأعراف:116.

قال ابن الجوزي في زاد المسير: ﴿وَاسْتَزْهِبُوهُمْ﴾ أي: خوَّفوهم. وقال الزجاج: استندعوا رهبتهم حتى

رهبتهم الناس ا- هـ. أي خافهم الناس.

وقال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحشر:13.

للآخرين، وبكل وضوح: هذا معنى الإرهاب في ديننا .. وثقافتنا وعقيدتنا .. وهذا موقفنا منه .. فأخرجوا لنا تعريفكم له ..

ومن ثم وضعوا موقفكم منه .. إن كنتم فعلاً جادين في محاربة الإرهاب!

تعريف الإرهاب

قال ابن كثير في التفسير: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله - هـ.

هذا المعنى المتقدم للإرهاب لا يختلف عما تقرره اللغات الأخرى لمعنى هذه الكلمة، فقد جاء في "المورد" عن معنى الإرهاب: terror رعب، دُعر، هول، كل ما يوقع الرعب في النفوس. و terrorism إرهاب، دُعرناشي عن الإرهاب. و terrorist الإرهابي. و terrorize يُرهب، يُرَوِّع، يُكرهه على أمرٍ بالإرهاب. و terror-stricken مُرَوِّع، مذعور.

أما اصطلاحاً لا يمكن أن نُصدر في مصطلح الإرهاب تعريفاً واحداً، ويكون منضبطاً؛ لاستحالة استخدامه في معنى واحد لا غير، فهو مصطلح حمّال أوجه يمكن حمله واستخدامه في مجالي الخير والشر سواء، وبالتالي. لضبط التعريف. لا بد أولاً من تقسيم الإرهاب إلى قسميه المتغايرين والتمايزين: الإرهاب المذموم الدال على معنى الشر، والإرهاب الممدوح الدال على معنى الخير.. ومن ثم تعريف كل منهما على حده، وبصورة مستقلة عن الآخر.

أولاً: الإرهاب المذموم شرعاً، هو: "تعمُّدُ إحداثِ الخوفِ والفرعِ، والرعبِ، عند من لا يجوز إخافته شرعاً؛ ممن صان الشرع حرمتهم، ومنع من قصد قتالهم".

والذين صان الشرع حرمتهم هم: المسلمون، وأهل الذمة، وأهل العهد والأمان المؤقتين من غير المسلمين.

أما الذين منع الشرع من قصد قتالهم فهم إضافة للأصناف الأربعة الذكر أعلاه: نساء وأطفال وشيوخ، ورهبان المشركين وغيرهم ممن لا شأن لهم بشؤون الحرب والقتال، ممن لا عهد ولا أمان، ولا ذمة لهم مع المسلمين.. وهؤلاء وإن لم يكونوا مُصانِي الحرمة تماماً كالمسلمين، وأهل الذمة، وأهل العهد والأمان.. بحيث يجوز سبهم واغتنام أموالهم.. إلا أنه لا يجوز قصدهم بقتال أو ترويع أو تخويف.

تعريف الإرهاب

واشترطنا في التعريف " التعمُّد "؛ لنخرج من الدم من يقع في نوع إرهابٍ للآخرين . ممن لا يجوز إرهابهم . خطأ، عن غير قصد، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ الأحزاب:5.

ولقوله ﷺ: "إن الله تجاوز لي عن أمتي: الخطأ، والنسيان، وما استكروها عليه".

ومثال هذا النوع من الإرهاب المذموم شرعاً وعقلاً في الواقع كثير وهو يتمثل في كل اعتداء يروع ويخيف الأمنيين ممن تقدم ذكرهم، كما فعل ولا يزال يفعل الغزاة المعتدين المجرمين من مجازر وترويع للأمنيين في العراق مع أهل العراق .. وفي فلسطين مع أهل فلسطين .. وفي أفغانستان مع أهل أفغانستان .. وفي الشيشان مع أهل الشيشان .. وغيرها من البلدان والأمصار .. وما أكثر الشواهد من واقعنا المعاصر على هذا النوع من الإرهاب المذموم شرعاً لو أردنا الاستطراد والإحصاء!

ونحوه الإرهاب الناتج عن تسابق الدول على التسلح النووي .. وبخاصة منها الدول الكبيرة المالكة لهذا السلاح .. هذا السلاح التي تكون ضحاياه الأبرياء ممن صان الشرع حرماهم .. قبل غيرهم! ومنه كذلك هذا الإجرام والظلم والقهر، والكبت الذي تمارسه تلك الأنظمة الفاشية الفاسدة الحاكمة في بلاد المسلمين بحق شعوبها .. والتي تربيهم على الخوف والرعب من كل شيء ..

ولأدنى شيء .. بل ومن لا شيء!

ومن الإرهاب المذموم شرعاً كذلك قطع الطريق على الأمنيين ممن تقدم ذكرهم .. والاعتداء على حرماهم .. وأموالهم، وأمنهم، وترويعهم .. فهؤلاء ممن يسعون في الأرض فساداً .. وهم ممن عناهم الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

المائدة:33.

تعريف الإرهاب

ثانياً: الإرهاب الممدوح شرعاً، هو: "إحداثُ الخوفِ والفزعِ عند من يجوزُ إخافته

شرعاً، بالقدر الذي يردعه عن العدوان والظلم".

ويمكن أن يُقال في تعريفه كذلك أنه: "إرهاب الإرهاب؛ أي إرهاب المشروع الممدوح للإرهاب

المذموم غير المشروع؛ بالقدر الذي يُبطل إرهابه وعدوانه".

فالإرهاب هنا يُعتبر قوة ردع لقوى الشر والعدوان، ولكل من يُحاول أن يُفسد في الأرض، أو يخرج

عن قوانين الشرع، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ

اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ . أي تخوفون بهذه القوة أعداء الله وأعداءكم

من الكافرين المجرمين .. الذين يمكرون ضدكم .. فيخافونكم فلا يتجاسرون على الاعتداء عليكم ولا على

حرمانكم.

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ﴾ الأنفال:39. فشرع الله تعالى القتال حتى لا تكون فتنة وفساد في الأرض .. وإلى أن ينتهي الفتانون

المفسدون عن فتنهم وفسادهم.

والإرهاب في هذا الموضوع له فوائد عدة إضافة إلى كونه يمنع العدو ويخوفه من التجاسر على

الاعتداء، منها: أنه يوفر على الأمة حروباً كثيرة .. إذ يكبح جماح العدو ويحقق عنده الهزيمة .. والنصر عليه

.. من دون أن تُشن معه الحروب .. وتُزهق الأنفس، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ الأحزاب:26. فهم هُزموا

بالرعب .. ووقعوا بالأسر .. بما أصابهم الله تعالى من خوف ورعب .. إذ الخائف المرعوب لا يصلح للقتال في

ميادين المنابذة والقتال ..!

وقال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي

الْأَبْصَارِ﴾ الحشر:2. فهم يخربون بيوتهم بأيديهم .. لما تحقق عندهم من الهزيمة النفسية والمادية بسبب

تعريف الإرهاب

ما قُذِفَ في قلوبهم من الخوف والرعب .. ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ .

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "نصرت بالرعب شهراً، يُرعب مني العدو مسيرة شهر". أي نصرت بخوف العدو مني قبل أن أواجهه بمسيرة شهر .. حيث كان العدو يُصاب بالرعب والخوف لمجرد علمه أن جيش النبي ﷺ متوجه إليه .. وقبل أن يتوجه إليه بمسيرة شهر كامل .. فهذا إرهاب للعدو .. ويدخل في معنى الإرهاب؛ لكنه إرهاب محمود ومشكور ومطلوب .. إذ لولاه لتجرأ الأعداء على الاعتداء فاتهمكوا حرمت العباد والبلاد !..

ونحو ذلك القصاص الشرعي، وإقامة الحدود الشرعية؛ فإن فيه إرهاباً لذوي النفوس الخبيثة والضعيفة التي تميل للإجرام والعدوان، وارتكاب المخالفات المخلة بأمن المجتمع، فيزجرها ويردعها عن الإقدام على ارتكاب الجريمة .. وإنزال الأضرار بالآخرين .. فيتحقق بذلك الحياة الآمنة لجميع الناس .. كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة:179.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "حدٌ يُعمل به في الأرض خيرٌ لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً". وذلك لما يترتب على إقامة حدود الله من أمن وأمان ينعكس على البلاد والعباد. فإن قيل كيف يكون في القصاص حياة، والقاتل . بغير حق . يُقتل ويفقد حياته، والسارق تُقطع يده وغير ذلك ..؟!

أقول: عندما يُقام الحد على قاتل النفس بغير حق فيُقتل .. فإن في ذلك إرهاباً وتخويفاً لكل من تحدته نفسه بارتكاب جريمة القتل .. فيندرع وينكمش على نفسه خوفاً من القصاص وإرهاباً منه .. فيُكتب بذلك الحياة لعشرات وربما مئات الأنفس التي كان من الممكن أن تُقتل لولا وجود إرهاب القصاص .. فبذلك يكون القصاص فيه حياة للناس، والله تعالى أعلم.

تعريف الإرهاب

وكذلك قصاص قطع يد السارق .. فإنه يُرهب كل من تحدثه نفسه بالسرقة والاعتداء والسطو على أموال وحرمات الآخرين .. فيمتنع .. فيكتب بذلك الأمن والأمان والحفاظ على أموال وحرمات الآخرين!..

هذا الوجه الحسن والمشروع للإرهاب .. هو إرهاب تمارسه جميع الدول والشعوب .. على مر العصور والأزمان وإلى يومنا هذا .. وإلى أن تقوم الساعة!

فما من دولة إلا ولها جيشها وعتادها التي ترهب به أعداءها .. فتخوفه به وتمنعه من التجرؤ على الاعتداء على حدودها، وحرماتها، ومصالحها!..

وما من دولة إلا ولها قوانينها الجنائية . بغض النظر عن فاعليتها وصوابها . التي تخوف بها ذوي النفوس المريضة التي تجنح للإعتداء على أمن وحرمات الآخرين!

هذا التسابق للدول على التسلح .. وعلى اقتناء وشراء الأسلحة المتطورة المتقدمة أولاً بأول .. ما هو إلا من قبيل إرهاب بعضها البعض .. وإرهاب كل دولة لأعدائها من الدول الأخرى .. فهذا النوع من الإرهاب الكل يمارسه ويفعله .. فعلام لا يسمونه باسمه الصحيح .. الإرهاب!

هذا الاستعراض العسكري السنوي لكل دولة .. فتظهر فيه قوتها وعتادها العسكري على مرأى ومسمع من الناس .. هو إرهاب .. وهو من قبيل إرهاب وإخافة أعداء تلك الدولة الداخليين المعارضين . إن وجدوا . والخارجيين سواء!..

وما أكثر صور وشواهد هذا النوع من الإرهاب في واقعنا لو أردنا التوسع في الاستدلال .. والشاهد مما تقدم أن هذا النوع من الإرهاب .. تمارسه جميع الدول والمجتمعات .. المتقدمة والمتخلفة منها سواء .. وهو إرهاب ممدوح ومشروع للجميع لا يمكن أن يُدرج تحت طائلة الإرهاب المذموم الذي ينبغي أن

تعريف الإرهاب

يُحارب .. كما لا يُمكن أن يُقال أن هذا النوع من الإرهاب مسموح لجهة معينة دون أخرى .. أو دولة معينة دون أخرى!

لا بد من الإعراف بهذا النوع من الإرهاب الممدوح والمشروع .. وتسميته باسمه .. هذا إذا أردنا أن نُعرّف الإرهاب تعريفاً صحيحاً ومنضببطاً .. لا نقص فيه ولا عوج .. ونُعرّف الوجه المضئي منه من الوجه القاتم الكالح!

من خلال هذا التعريف المتقدم للإرهاب .. والتميز بين نوعي الإرهاب الممدوح والمذموم .. ندرك كذلك خطأ بعض الإطلاقات الدارجة على ألسنة بعض الناس، والتي **منها**: الإسلام دين الإرهاب .. يدعو ويأمر بالإرهاب .. والمسلم إرهابي .. أو أن من أنكر الإرهاب أو عاد الإرهاب فهو كافر .. أو أن الإسلام بريء من الإرهاب .. ونحوها من الإطلاقات العامة .. التي لا تميز بين الإرهاب الممدوح المشروع من الإرهاب المذموم غير المشروع!

لا بد . إن أردت أن تتوخى الدقة في حديثك عن الإرهاب . عندما تريد أن تثني على عمل إرهابي معين، من أن تضيف إليه عبارة " الممدوح شرعاً" ، وإن أردت أن تذم عملاً إرهابياً معيناً من أن تضيف إليه عبارة " المذموم شرعاً"؛ ليتضح المراد من المدح والذم .. وحتى لا يكون المدح عاماً لمطلق الإرهاب، فيدخل فيه الإرهاب المذموم، وكذلك لا يكون الذم عاماً لمطلق الإرهاب فيدخل فيه الإرهاب الممدوح المشروع.

وقولنا في التعريف أعلاه: " **بالقدر الذي يردعه عن العدوان والظلم** "؛ لأن الزيادة . عن المشروع . في الردع ظلم وفيه نوع تعدي .. ربما يؤدي للوقوع في الإرهاب المذموم .. والإسلام لا يرضى بذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ الإسراء:33. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام:164.

تعريف الإرهاب

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَانْقُوا اللَّهَ ﴾ البقرة:194. وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ الأنفال:61.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه، ولا بجريرة أخيه".
فديننا . والله الحمد . جاء بالعدل المطلق .. ويأمر بالعدل والإحسان .. ويرغبُ بهما .. وينهى عن الظلم .. والعدوان .. والبغي .. والفسوق والعصيان.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/01/12هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/02/10م

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

مما ابتليت به الأمة في هذا العصر انحراف كثير من دعائها عن منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى.

فريق من هؤلاء الدعاة المنحرفين تراهم يبدؤون مع الآخرين ممن لا سابقة عهد لهم بالإسلام بالدعوة إلى فروع الدين .. بعيداً عن أصل أصوله .. منشغلين معهم في الجدل حول مسألة تعدد الزوجات .. أو مسائل اللباس والحجاب .. أو ما يتعلق بحقوق المرأة في الإسلام .. وغيرها من المسائل .. التي لا يمكن الاستجابة لها إلا بعد الاستجابة إلى أصل الأصول؛ إلى توحيد الخالق والدخول في عبادته ﷻ.

المرء قبل أن يعرف الله تعالى ويعرف حقه عليه .. قد يسهل عليه الجدل والتعقيب حول أي مسألة فقهية من مسائل الدين .. ويستغرق في ذلك الزمن الطويل .. لماذا فرض الله خمس صلوات في اليوم واللييلة وليس أكثر أو أقل .. لماذا الصلاة .. وكذلك الحج .. والصيام .. تؤدي بهذه الكيفية دون سواها .. ولماذا .. ولماذا .. فتكثر أسئلته واعتراضاته .. وفي كثير من الأحيان يصعب إقناعه .. لأنه لا يعرف الله .. ولا يعرف له حقاً .. ولا يرجو له وقاراً!

بينما لو بُدئ معه بالأصل .. وعرف الله بأسمائه وصفاته وخصائصه .. وعرف حقه عليه .. سهل اقتناعه والتزامه بأي فرعية أو مسألة من مسائل الدين؛ لأنه يكون قد أدرك ابتداءً مقام الألوهية والربوبية لله ﷻ التي من مقتضاها الأمر والنهي .. وأن لا يُعقب عليه .. وأن لا يُسأل عما يفعل .. وأدرك في المقابل كذلك قصوره ومقامه كعبد، والذي من مقتضاه الخضوع والقبول والطاعة والاستسلام لكل ما يصدر عن الخالق ﷻ .. لأنه يكون قد أدرك أن من مقتضيات أسماء الله الحسنى وصفاته العليا أن لا يصدر عنه إلا الحق المطلق .. والعدل المطلق .. والحكمة المطلقة.

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

وفريق آخر من هؤلاء الدعاة .. لا يتورع أن يُطالب المسلمين . وبخاصة منهم المقيمين في بلاد الغرب . بأن ينخرطوا في أحزاب القوم العلمانية .. ويُشاركوهم نشاطاتهم الحزبية .. ويُقارفوا باطلهم وجاهليتهم .. من قبيل استثمار نفوذ تلك الأحزاب في مجتمعاتها بما يرتد بالنفع على الجالية الإسلامية .. زعموا!

فبدلاً من أن يكونوا دعاة إلى الله .. وإلى توحيده .. يتحولون إلى دعاة إلى برامج وأفكار وعقائد وقادة الأحزاب التي انتموا إليها وانخرطوا فيها .. وهؤلاء في كثير من الأحيان يكونون شاهد زور على الإسلام .. ومثلاً سيئاً ومنفراً .. ولو حاولوا أن يدعوا الآخرين إلى شيء من معاني الإسلام وعقيدته .. وقيمه .. سهل على الآخرين أن يُخرجوا من مواقفهم وسلوكياتهم .. وأقوالهم .. ما يناقض ما يدعون إليه؛ فيكون مثلهم مثل من يأمر بالشيء ويأتي بضده، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف:2-3.

وفريق ثالث آخر من هؤلاء الدعاة المنحرفين تراهم منشغلين ومهمومين بقضية حوار الأديان، والذي يعني في ذهن المتحاورين المداهنة .. وتقارب وجهات نظر الحق والباطل في نقاط مشتركة .. ليتم التعايش بينهما .. واعتراف كل منهما بالآخر .. وبشرعية الآخر .. وكأن الحق بحاجة إلى استجداء ذلك الاعتراف من الباطل!

فالأرض رغم أنها تعجُّ بالأوثان والآلهة والأرباب المزيفة التي تُعبد من دون الله ﷻ .. إلا أن هذه الأرباب والآلهة لا تدخل ضمن جدولة المواضيع التي تستحق النقاش والحوار والبحث .. في نظر أولئك المتحاورين .. فهذا مما لا يعني القوم .. ولا يجوز بحثه .. ولا التحاور حوله!

وهؤلاء كلهم قد خالفوا منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله ﷻ .. والذي كان يتمثل أولاً في دعوة الآخرين إلى عبادة الله تعالى وتوحيده .. والانخلاع من الشرك والأوثان والأنداد .. والبراء من ذلك كله .. فإن دخلوا في ذلك .. وأجابوه إلى ما دعاهم إليه .. شرع . بعد ذلك . في بيان ما يجب عليهم الالتزام به من فرائض وواجبات وطاعات.

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

هذا المنهج النبوي في الدعوة إلى الله ﷺ يظهر بوضوح في جملة من النصوص الشرعية، من هذه النصوص قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:64.

هذه الآية العظيمة على قلة كلماتها إلا أنها تناولت بشمولية ووضوح تام للمنهج النبوي في الدعوة إلى الله تعالى .. لذا فهي تحتاج منا إلى أن نقف على بعض معانيها ودلالاتها بشيء من التفصيل .. وأن نعيد قراءة كلمات الآية كلمة كلمة .. وعبارة عبارة.

﴿قُلْ﴾ : فالأمر الإلهي هنا موجه للنبي ﷺ .. ولكل من اتبعه من المؤمنين .. وهو يعني المؤمنين جميعاً .. وبالتالي ما تلى هذا الأمر الإلهي من بيان وتفصيل للمنهج في الدعوة إلى الله .. لهو دليل على أنه المنهج الأسلم الذي ارتضاه الله ﷺ لعباده المؤمنين الموحدين.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ : والخطاب هنا وإن كان موجهاً لأهل الكتاب من اليهود والنصارى .. إلا أنه يدخل فيه كل من لم يؤمن بالله .. وكل ملة غير ملة الإسلام .. وما تلى هذا الخطاب من دعوة يشمل كل من لم يدخل الإسلام من ملل الكفر والشرك في الأرض؛ وهذا يعني أننا كما نتوجه بهذا الخطاب لأهل الكتاب نتوجه به كذلك لغير أهل الكتاب من الأمم الكافرة المشركة التي ارتضت لنفسها أن تتدين بالكفر والشرك .. وأن تعبد غير الله!

وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ : فيه تذكير لأهل الكتاب بأصولهم التي انحرفوا عنها والتي تنتهي بهم إلى التوحيد والبراء من الشرك والأنداد الذي أنزله الله تعالى في الكتب السماوية التي خصهم بها .. والتي أوحى الله بها إلى أنبيائهم .. ومن كان كذلك لا يليق به .. أن يُشرك بالله .. وأن يعبد غير الله .. وأن يؤمن بالأوثان والأنداد!

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ النحل:36.

وفيه كذلك نوع ترغيب، ورفق، وتشويق .. لتأليف قلوبهم وسمعهم على الاستماع لنداء الدعوة إلى الله .. وما كان كذلك فهو أمر محمود ومشروع .. لا حرج للدعاة في أن يُمارسوه إن شاء الله .. فهو من الحكمة

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن التي أمر الله تعالى بها الدعوة إليه، كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل:125.

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ : لا فضل لأحدنا على الآخر ولا تمايز أمام هذه الكلمة .. البشرية كلها، أبيضها وأسودها، وعربها وعجمها، وشريفها ووضيعها .. يستوون أمام هذه الكلمة .. فهم سواء لا فضل لأحد على الآخر.

نحن لا ندعوكم إلى أمر لا نلتزمه ولا نتخلق به .. كما أننا لا ندعوكم إلى أمر يكون مطية لنا لأن نستعلي أو نسود عليكم .. أو لنستعمركم به .. كما تفعلون أنتم عندما تريدون أن تصدروا شيئاً من مفاهيمكم وثقافاتكم وعاداتكم للآخرين .. كلا .. ليس شيئاً من ذلك .. فنحن ما أردنا من دعوتكم إلى هذه الكلمة سوى أن تحظوا بخيري الدنيا والآخرة ... فهذا تمهيد ضروري ومهم .. لا بد للداعية من أن يمهد به بين يدي دعوته للآخرين .. وهو يدعوهم إلى تلك الكلمة السواء.

ما هذه الكلمة التي ندعوكم إليها ..؟

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ؛ أي ألا نعبد أحداً أياً كان هذا الأحد .. وأياً كانت صفته وماهيته .. في أي نوع من أنواع العبادة؛ سواء كانت عبادة الركوع والسجود، والنسك، والدعاء .. أم عبادة الطاعة، والمحبة، والانقياد والخضوع .. أم عبادة التحاكم .. إلا .. أداة استثناء تفيد الحصر والقصر .. الله .. المعبود بحق .. والمستحق من العباد أن يصرفوا له ﷻ جميع معاني العبادة الظاهرة منها والباطنة.

هذا الطلب المحصور في هذه الكلمة الطيبة .. هي دعوة الأنبياء والرسل لأقوامهم من قبل؛ قد تكررت على ألسنتهم جميعاً، حيث ما من نبي إلا وقال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ، كما قال تعالى عن نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ الأعراف:59. وقال تعالى عن هود: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الأعراف:65. وقال تعالى عن صالح: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ الأعراف:73. وقال تعالى عن شعيب: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ الأعراف:85. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل:36. وبالتالي لا بد من

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

أن تتكرر هذه الدعوة مراراً على السنة ورثة الأنبياء والرسل من العلماء .. عبر ممر العصور والزمان .. وإلى أن تقوم الساعة .. وهم يدعون الآخرين إلى الله.

﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً﴾ : أي نهاكم وأنفسنا عن الشرك ظاهره وباطنه، كبيره ودقيقه، فلا نتخذ . من دون أو مع الله . الأنداد والشركاء .. فنصرف لهم مالا يجوز صرفه إلا لله ﷻ .. ونصفهم بما لا يجوز أن يوصف به إلا الله ﷻ .. لأن الشرك ظلم عظيم .. لا يغفره الله لمن مات عليه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء:48.

وقوله ﴿شَيْئاً﴾ : جاء بصيغة النكرة التي تفيد العموم؛ أي مطلق الشرك أيّاً كان نوعه، وكان حجمه. ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ : تأكيد النهي على معنى من معاني الشرك التي نهينا عنها؛ لاستفاضة هذا المعنى بين العباد وفي الأمصار .. ولخفائه على كثير من الناس .. فحُص بالذکر للتنبُّه له، والتحذير منه، واجتنابه.

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ : أي لا يتخذ بعضنا بعضاً مشرعين، نُحل ونُحرم، نُحسن ونُقبح بغير سلطان من الله تعالى.

لا يُعبد بعضنا البعض الآخر لنفسه من خلال التشريع، والتحليل والتحريم لهذا البعض بغير سلطان من الله تعالى.

فمن زعم خاصية التشريع، والتحليل والتحريم لنفسه . من دون أو مع الله . فقد زعم الربوبية، وجعل من نفسه نداً لله ﷻ، ومن رضي له هذه الخاصية أو أقره عليها، واتبعه فيما يُحلل ويُحرم، ويُشرع . من دون أو مع الله . فقد أقر له بالربوبية .. وجعل منه نداً لله ﷻ في أخص خصوصياته ﷻ.

هذا التفسير لمعنى الربوبية قد أشار إليه النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ التوبة:31.

قال ﷺ: "كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه؛ فتلك عبادتهم" [1].

¹ السلسلة الصحيحة: 3293.

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

وفي رواية عن عدي بن حاتم أنه جاء إلى النبي ﷺ . وكان قد دان بالنصرانية قبل الإسلام . فلما سمع النبي يقرأ هذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ، قال: يا رسول الله إنهم لم يعبدوهم؟ فقال ﷺ: "بلى: إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم" [1].

وفي رواية، قال: فقلت له: إنا لسنا نعبدهم؟ قال ﷺ: "أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه، قال: قلت: بلى، قال: فقلت عبادتهم".

وفي رواية: "حرّموا عليهم الحلال، وأحلوا الحرام، فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم إياهم".

وفي الأثر، عن أبي البختري قال: سئل حذيفة ؓ عن هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ : أكانوا يصلون لهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا يحلون لهم ما حرم الله عليهم فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما أحل الله لهم فيحرمونه، فصاروا بذلك أرباباً.

فإن علم ذلك .. نقول: تأملوا واقع الناس في هذا الزمان .. تأملوا جميع الأنظمة الوضعية الأرضية الديكتاتورية والديمقراطية منها سواء .. تأملوا واقع الأحزاب والجماعات العلمانية المنتشرة والمتنفذة في الأمصار .. ثم تأملوا من الذي يحكم .. ومن الذي يُشرّع .. ومن الذي يحلل ويُحرم .. ويُحسِّن ويُقبح .. ستجدون أن الذي يفعل ذلك كله هو الإنسان .. زاعماً . وبكل وقاحة وجرأة . أن هذا من حقه وحده لا أحداً سواه!

ستجدون كيف أن سياسة تعبيد العبيد للعبيد .. واتخاذ من العبيد أرباباً من دون الله .. تمارس بوقاحة .. وبصورة فاضحة وواسعة النطاق .. لم يعرفها التاريخ من قبل!

ستجدون عشرات الآلاف .. بل ومئات الآلاف من الأرباب المزيفة .. الذين تعج بهم الأرض .. والذين يستشرفون ويزعمون . وبكل وقاحة! . خصائص الربوبية والألوهية لأنفسهم من دون الله ﷻ!

لذا فإن هذه الدعوة الخالدة ﴿ وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ لا بد من أن تتجدد على ألسنة الدعوة إلى الله .. وبخاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الآلهة والأرباب!

¹ أخرجه الترمذي وغيره، وقال عنه الشيخ ناصر في غاية المرام/6: حديث حسن.

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

لا بد للدعاة إلى الله من أن يصدعوا . وبكل وضوح وصراحة ورباطة جأش . بهذه الدعوة أمام وجوه الطغاة الأثمين .. ويقولوا لأولئك الأرباب الكثيرة: أنتم عبيد .. والعبد لا يجوز له أن يكون رباً .. يُعبد العبيد لذاته ولشرعه، وهواه!

ليس من الأمانة الملقاة على عاتق الدعاة أن يعضوا الطرف . رهبة أو رغبة . عن هؤلاء الأرباب الكثيرة .. منشغلين عنهم وعن فتنهم للعباد بالمندوبات والمباحات .. ثم بعد ذلك يصنفون أنفسهم . زوراً! . أنهم من الدعاة إلى الله!

الجاهليون .. كل الجاهليين .. وما أكثرهم .. قد لا ينازعونك بأن يكون الله ﷻ هو الرب والإله في السماء يسير الكون بمشيئته .. ولكنهم ينازعونك ويخاصمونك أشد الخصام في أن يكون الله .. هو الإله في الأرض .. يُشرع لأهل الأرض، ومن ثم يُطاع فيما يُشرع!

لكن لا بد للدعاة إلى الله .. من أن يقولوا لهؤلاء الجاهليين .. وبكل وضوح: أن الله تعالى كما في السماء إله .. هو كذلك في الأرض إله .. وكما أن الله تعالى يُعبد ويُطاع فيما يأمر في السماء .. كذلك يجب أن يُعبد ويُطاع فيما يأمر في الأرض .. كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ الزخرف:84.

لا بد من أن نقول .. وبأعلى أصواتنا .. لهؤلاء الجاهليين .. ما قاله نبي الله يوسف ﷺ لصاحبيه في السجن: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يوسف:39.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ؛ أي إن أخذتهم العزة بالإثم .. فأعرضوا ونأوا .. وأبوا إلا أن يعبدوا غير الله .. وإلا أن يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .. حينئذٍ ينبغي أن يكون جوابنا لهم واضحاً لا لبس فيه ولا غموض . ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ؛ قد آمننا بربنا واستسلمنا لحكمه وشرعه، ودينه، نعبده ولا نكفره، ولا نُشرك به شيئاً .. لا نقارفكم شرككم وكفركم .. ولا نشارككم في شيء من جاهليتكم وطقوسكم .. وتجمعاتكم وأحزابكم .. بل نفاصلكم ونتبرأ منكم ونعتزلكم وما تعبدون من الأرباب من دون الله .. ونقول لكم ما أمرنا ربنا ﷻ أن نقوله لكم: ﴿إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

الْعِدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ» الممتحنة:4. «وَأَعْتَرِكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» مريم:48.
«قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي . فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ» الزمر:14-15. «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» الكافرون:6.
هذا هو البديل عندنا إن لم يستجيبوا لدعوة التوحيد .. وهذا هو المنهج النبوي الذي يجب أن
نتمسك به وأن لا نحيد عنه إلى ما سواه من المناهج.

هذا المنهج النبوي في الدعوة إلى الله تعالى توضحه نصوص عديدة أخرى إضافة للتي تقدم ذكرها، كما في
كتابه ﷺ الذي وجهه إلى هرقل عظيم الروم، والذي جاء فيه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من محمد عبد
الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام،
أسلم تسلم، وأسلم يوتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين، و: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى
كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» متفق عليه. كلمات قليلات؛ لكنها تحمل في طياتها معاني تُسطر في
مجلدات.

وعن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً على اليمن، قال: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب،
فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في
يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاةً من أموالهم وتُردُّ على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها
فخذ منهم وتوقَّ كرائم أموال الناس" متفق عليه.

فتأمل كيف أن النبي ﷺ وجه معاذاً لهذا التسلسل في دعوة الآخرين إلى الله؛ "فليكن أول ما تدعوهم
إليه عبادة الله"؛ أي توحيدهِ وإفراده بالعبادة ﷻ، والانخلاع والبراء من الشرك والأنداد، "فإذا عرفوا الله
" بأسمائه وصفاته التي لا تقبل الشرك والأنداد .. وحقه على عباده .. ثم هم أقرؤا لك بذلك .. بعد ذلك
وليس قبله " أخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم"، فإن هم أقرؤا، وصدقوا،
والتزموا .. بعد ذلك وليس قبله " فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاةً من أموالهم وتُردُّ على فقرائهم".

هذا التسلسل في الدعوة إلى الله تكمن أهميته في أن العمل التالي لا يمكن أن يستجيب له المرء إلا
بعد أن يستجيب للذي قبله، وأن العمل التالي لا يُقبل إلا إذا أُتي بالعمل الذي قبله، لقوله تعالى: «وَلَوْ

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام:88. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الزمر:65.

كم يلفت نظري أولئك " الدعوة " الذين تراهم ينشغلون مع الآخرين في دعوتهم إلى تقصير الثوب .. أو استخدام السواك .. أو حرمة الدخان .. ونحو ذلك من الفروع .. بينما هؤلاء الآخرين يشركون مع الله آلهة أخرى .. وهم ممن يتخذون بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .. ومع ذلك لا يسمعون كلمة واحدة حول ذلك من أولئك الدعوة!

ومن جملة الأدلة كذلك على هذا المنهج النبوي في الدعوة إلى الله .. موقف وسيرة النبي ﷺ في المرحلة المكية من مشركي وكفار قريش وغيرهم .. حيث كان ﷺ لا يتجاوز أن يُطالبهم أولاً بالتوحيد والانخلاع من الشرك والأوثان والأنداد .. فإن أجابوه إلى ذلك .. أخبرهم بعد ذلك بما يجب عليهم من صلاة وغير ذلك من الواجبات .. وإن لم يُجيبوه إلى ذلك .. لم يتعد مطالبتهم بالتوحيد .. وأن يُجيبوه إلى شهادة التوحيد .. لا إله إلا الله.

تُعرض على النبي ﷺ الدنيا كلها .. مقابل أن يتخلى عن دعوتهم إلى لا إله إلا الله .. ويبدأهم بما شاء من تعاليم غير لا إله إلا الله .. ولكن النبي ﷺ يأبى إلا أن يُجيبوه أولاً إلى لا إله إلا الله . مهما استغرق زمن الدعوة أو كانت التكاليف . والتي تعني البراء والانخلاع من الشرك والأوثان والأنداد .. وألا يتخذ البشر بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .. والإقرار بأن المعبود المطاع بحق في الوجود هو الله تعالى وحده.

وفي ذلك عبرة لأولئك الدعوة الذين يجعلون التوحيد من آخر أولوياتهم واهتماماتهم .. والذين يتخلون عن مصلحة التوحيد .. وعن دعوة الآخرين إلى التوحيد .. لأدنى مصلحة دنيوية ترمى إليهم من قبل الأرباب من طواغيت الحكم الظالمين.

ومن منهجه ﷺ كذلك في الدعوة إلى الله، الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية؛ إذ الخالق لهذا الكون العظيم وما فيه، المتصرف به وفق مشيئته وحكمته وإرادته، المتفضل على العباد والخلق بالنعم العظيمة التي لا تُحصى، ولا يُمكن أن تُكافأ .. هو الإله الحق الذي يجب أن يُتأله ويُعبَد، وتُصرف له وحده جميع أنواع العبادة مما يدخل في معنى ومسمى العبادة، وهو الإله الذي له الأمر فيُطاع تعبداً فيما يأمر،

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

لا أحد سواه ممن لا يقدر على أن يخلق شيئاً، ولا أن يجلب . لنفسه فضلاً عن غيره . نفعاً، ولا أن يدفع ضرراً، إلا ما شاء الله.

فالمعبود بحقٍ في هذا الوجود هو الله الخالق المصور، المالك المتصرف بما خلق كيفما يشاء، من غير منازعة ولا ممانعة، أما من لا يخلق وهو يُخلق، ولا يقدر على أن يخلق شيئاً .. فهذا عبد مخلوق ومربوب، لا يجوز له أن يدعي لنفسه خصائص الإلهية، ولا أن يُعبدَ في شيء.

فالخالق المالك لهذا الكون وما فيه ومن فيه هو الذي له الأمر، وهو الذي يجب أن يُطاع فيما يأمر .. أما المخلوق العاجز. وهو كل ما سوى الخالق ﷻ. الذي لا يقدر على أن يخلق شيئاً، لا يجوز له أن يأمر، ولا أن يُطاع فيما يأمر .. إلا في المعروف وما كان فيه طاعة لله الخالق ﷻ .. إذ كيف يأمر من لا يخلقه ولا يملكه أصلاً، وهو عبد مخلوق ومملوك مثله؟!

هذا المنهج في الدعوة إلى الله تعالى الذي يرد الأمور إلى حقيقتها، ويضع الأشياء في موضعها الصحيح، ويستنهض العقول من غفوتها وغفلتها .. ويشدها للتأمل والتحرر من قيود العبودية للعبيد .. يظهر بوضوح في آياتٍ عديدة من كتاب الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ . أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ . أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ النمل:60-64.

وقوله ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ ؛ أي أمالوه تتألهونه وتعبدونه مع الله، مع علمكم أن المتفرد بهذا الخلق، المتفضل عليكم بهذه النعم العظيمة هو الله تعالى وحده؛ فالمعبود بحق الذي يُفرد بالعبادة هو الخالق المتفرد بالخلق والرزق والهداية، فعلام عدلتم عن عبادة الخالق الرازق، الذي بيده الضر والنفع، إلى عبادة من لا يخلق شيئاً .. ولا يقدر على أن يفعل لكم شيئاً .. أفلا تعقلون؟!

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

وقال تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ الأعراف:191. أي أيعبدون آلهة مع الله أو من دونه، مع علمهم أن هذه الآلهة لا تقدر على أن تخلق شيئاً، بل هم من جملة من خلق؛ وهم مخلوقون مربوبون مُعَبَّدُونَ للخالق الواحد ﷻ...؟!

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ النحل:17. لا يستويان مثلاً .. وإذا كانا لا يستويان مثلاً من جهة الربوبية لهذا الخلق .. فلا يجوز كذلك أن يستويان من جهة الألوهية وصرف العبادة لهما؛ أي لا يجوز أن يُعبد ويُتأله ويُطاع من لا يخلق .. ولا هو قادر على أن يخلق شيئاً .. كما يُعبد ويُتأله ويُطاع من يخلق؛ الذي خلق كل شيء في هذا الوجود .. وهو قادر على أن يخلق ما يشاء.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ النحل:52. أي أتعبدون وتخشون غير الله .. والله تعالى له ما في السماوات والأرض .. وله الدين خالصاً .. وهذا الغير ليس له شيء .. أليس لكم عقول تتفكرون بها؟!

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ . لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ الزمر:62-64. أي أغير الله خالق كل شيء، الذي له مفاتيح وخزائن السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير .. ﴿تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾ ؛ أي أعبد هذا الغير الذي لم يخلق شيئاً، ولا يملك شيئاً، ﴿أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ؛ أي الجاهلون بما يستحقه الله تعالى الخالق من عبادة وتوحيد، وتعظيم وتوقير .. وما تستحقه آلهتكم العاجزة المزيفة . التي تدعون إلى عبادتها . من كفر وبراء، وازدراء؟!

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام:14. أي قل يا محمد للمشركين بأن الإله الذي أعبدته، وأتخذته ولياً ونصيراً، وأسلم وجهي إليه فلا أشرك به شيئاً، هو الله الذي خلق السماوات والأرض، وهو الذي يرزق العباد؛ فيُطعم ولا يُطعم .. أما آلهتكم المزيفة المزعومة فهي لا تقدر على شيء من ذلك .. وأنا بريء منكم ومما تُشركون.

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْثِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف:54. الذي له الأمر هو الذي له الخلق؛ الذي خلق السماوات والأرض، أما من لا يخلق شيئاً. وهو يُخلق . فليس له الأمر، ولا أن يُطاع فيما يأمر ويُشَرِّع بغير سلطانٍ من الله.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ الأعراف:158. أي فالذي لا إله إلا هو؛ فلا يُعبد بحق سواه، هو الإله الذي يُحيي ويميت، الذي له ملك السماوات والأرض، فأنا رسول هذا الإله الخالق القدير إليكم جميعاً.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرراً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الرعد:16. أي قل يا محمد بأن الإله المعبود بحق الذي يجب أن تتخذوه ولياً ونصيراً ومعبوداً، هو رب السماوات والأرض، خالق كل شيء، الواحد القهار الذي يُقهر ولا يُقهر .. أما ما تدعون من دونه من أولياء فهم لا يقدرُونَ على أن يخلقوا شيئاً، بل ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، فضلاً عن أن يملكوه لغيرهم .. وآلهة عاجزة ضعيفة هذا وصفها .. كيف تعبدونها وتتخذونها من دون الله تعالى أولياء؟!!

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ النحل:73. أي لا هم يملكون لكم رزقاً من السماوات والأرض، ولا هم يستطيعون على أن يفعلوا لكم شيئاً من ذلك .. ومن كان كذلك كيف تتخذونه إلهاً وتعبدونه من دون الله تعالى خالق السماوات والأرض، الذي بيده الرزق والأمر كله .. الذي يرزقكم ويمن عليكم بالخير والفضل، والنعم التي لا تُحصى ..؟!!

وقال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطاً﴾ الكهف:14. وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام:1. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

سِتَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يونس:3. وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ الزمر:6. وقال تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ الزمر:38. وغيرها كثير من الآيات التي تناولت توحيد الربوبية كدليل على توحيد الألوهية، وعلى بطلان عبادة غير الله ﷻ .. وهذا منهج لا بد للدعاة من أن يتبنوه وهم يُمارسون مهمة الدعوة إلى الله تعالى، ومهمة أطر العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ومن منهجه ﷻ في الدعوة إلى الله، الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات على توحيد الألوهية، وبطلان عبادة ما سوى الله تعالى؛ فالرب الذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا الدالة على كماله، والتي لا يُشركه فيها أحد من خلقه .. وليس له فيها شبيه ولا مثل .. هو الرب الذي يجب أن يُعبد ويُتأله ويُطاع .. أما من ليس له الأسماء الحسنى .. وصفاته كلها دالة على ضعفه وعجزه ونقصه .. لا يجوز أن يُعبد ويُتأله ولا أن يُطاع في شيء بغير سلطان من الله.

كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ طه:8. أي هو الله الذي لا معبود ولا مألوه بحق في الوجود إلا هو ﷻ الذي له الأسماء الحسنى؛ فهو المعبود المألوه بحق الذي يجب أن يُفرد بالعبادة والتأله لأن له الأسماء الحسنى الدالة على كماله، وكمال صفاته.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ البقرة:255. فهو ﷻ (لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) : أي لا معبود ولا مألوه بحق في الوجود إلا الله .. لأنه ﷻ هو (الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ . فهذه الآية .
آية الكرسي . أعظم آية في كتاب الله تعالى . كما ورد في الحديث الصحيح . لتضمنها اسم الله الأعظم .. وغيره
من الأسماء والصفات .. ولاشتمالها على بيان التوحيد، والدعوة إليه.

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الحشر:22. أي
هو الله المألوه المعبود الذي لا معبود بحق في الوجود إلا هو ﷻ .. الذي من أسمائه الحسنی، وصفاته العلیا
أنه تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ . فالذي له هذه الأسماء الحسنی والصفات العلیا هو
الذي يجب أن يُعبد ويُتأله .. ويُفرد بالعبادة.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
غافر:65. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ص:65. فالذي لا إله إلا هو،
الذي يجب أن يُفرد بالعبادة وأن يُخلص له الدين؛ هو الحي الذي لا يموت، الواحد القهار، رب العالمين.

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الحشر:23-24. أي هو الله الذي لا معبود ولا مألوه بحق في الوجود إلا هو ﷻ
.. الذي له الأسماء الحسنی .. ولأن له الأسماء الحسنی والصفات العلیا، والتي منها أنه تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ
السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ .. الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ .. الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .. إله هذه بعض
أسمائه وصفاته .. كيف يليق بالعباد أن ينصرفوا عنه وعن عبادته وتوحيده .. ويُشركوا معه في العبادة
والتأله آلهة أخرى .. ضعيفة عاجزة قاصرة .. لا يملكون نفعاً ولا ضراً .. وليس لها من تلك الأسماء والصفات
شيء .. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فتعالى الله وتقدس وتنزه عما يُشركون!

وقال تعالى: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ مَتَفَرِّقُونَ خَيْرًا مِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ يوسف:39. أي أرباب
متعددة ضعيفة عاجزة .. لا تملك نفعاً ولا ضراً .. وليس لها من صفات الكمال شيء .. بل ينتابها الضعف

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

والعجز والقصور في جميع صفاتها وخصائصها .. عبادتها وطاقاتها خير أم عبادة وطاعة الله تعالى الذي من أسمائه الحسنی وصفاته العلیا أنه «الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ»؟!

ونحو ذلك قوله تعالى: «قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» المائدة:76. أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين، كيف تعبدون آلهة عاجزة ضعيفة لا تملك لكم جلب نفع ولا دفع ضرر .. وتركون عبادة الله تعالى الذي من أسمائه الحسنی أنه تعالى «السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»؟! وقال تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا» الأعراف:180. أي فاعبدوه بها. وغيرها كثير من الآيات الدالة على هذا المعنى العظيم .. الذي غفل عنه كثير من الدعاة وهم ينتهجون طريق الدعوة إلى الله.

لا بد للدعاة . مهما اشتدت عليهم الغربة . من أن ينتهجوا نهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله .. فهو أكثر بركة ونفعاً .. وأدعى للاستجابة والقبول.

قال ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية: "وهذه الطريق . أي طريق الاستدلال على توحيد الله ﷻ بأسمائه وصفاته . قليلٌ سالكها، لا يهتدي إليها إلا الخواص، وطريقة الجمهور الاستدلال بالآيات المشاهدة؛ لأنها أسهل تناولاً وأوسع، والله سبحانه يفضل بعض خلقه على بعض "ا- هـ. فالمرء كلما ازداد علماً ومعرفة بأسماء الله الحسنی، وصفاته العلیا كلما ازداد تألهاً وتعبداً، وتوقيراً، وتعظيماً، وحباً لخالقه ﷻ، وازداد تعلقاً به .. وشوقاً إليه ﷻ .. وكلما شقَّ عليه عصيانه ومخالفة أمره، كما قال تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ» فاطر:28. أي العلماء بأسماء الله الحسنی، وصفاته العلیا، وما تقتضي تلك الأسماء والصفات من تأله وتعبد، وإخلاص، وخشية، وتوحيد من قبل العبد نحو ربه.

كذلك لا يتجرأ المرء على اقتحام المعاصي إلا لنوع غفلة أو جهل بأسماء الله الحسنی، وصفاته العلیا .. إذ لو كان يستحضر لحظة فعله للمعصية . معاني أسماء الله الحسنی وما تقتضيه من سلوكيات ومواقف عند العبد .. لما تجرأ على العصيان أياً كانت المعصية وكان نوعها، لذا قد جاء في الحديث الصحيح: "لا يزيني

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

الزاني حين يزني وهو مؤمن .. ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن "؛ أي وهو مؤمن مدرك متذكر بأن الله تعالى يراه، ويسمعه، ويعلم عنه سوء معصيته وذنبه، وأنه تعالى قادر عليه، فهذا المعنى يغيب عنه لحظة مغامرته واقتحامه الذنب، فإن أقلع عن الذنب عاد إليه إيمانه وبقينه.

فإن قيل: هذا منهج النبي ﷺ في دعوة غير المسلمين .. فكيف كان منهجه ﷺ في دعوة المسلمين بعد

أن أسلموا وأجابوه للتوحيد؟

أقول: كان ﷺ يربهم وينشئهم على معاني التوحيد والإخلاص .. ويزيدهم علماً و يقيناً بالتوحيد ..

ليتمكنوا فيما بعد من تحمل تبعات الرسالة وأعبائها .. ويكونوا كفاً لها .. والمرحلة المكية كانت كلها شاهداً على ذلك؛ حيث كان جل التركيز الدعوي النبوي في تلك الحقبة على التوحيد والعقيدة ولوازمها ومقتضياتها .. وهذا لم يكن مانعاً من أن يبين ﷺ ما يجب على المسلمين من شرائع وفرائض وأحكام، وفي أوقاتها المناسبة! كما في الأثر عن جندب بن عبد الله، قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيانٌ، فتعلمنا الإيمان. أي التوحيد . قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فزددنا به إيماناً" [1].

التوحيد يمثل جهاز المناعة على مستوى الفرد والجماعة والأمة .. لذا لا بد من أن يُعنى . على مدار

الوقت، وفي جميع مراحل الطلب . بالرعاية .. والتنمية والتجديد.

من دون التوحيد لا يمكن أن تفهم شيئاً مما يدور حولك .. فهماً جيداً وصحيحاً .. ولا أن تفرق بين

الحق والباطل .. ولا أن تحدد أين تقف ومع من تقف، وضد من تقف ..!

لذا قلنا ونقول: التوحيد أولاً .. والتوحيد آخرًا!

هذا هو المنهج وهذا هو الطريق .. ولا بد من الثبات على هذا المنهج وهذا الطريق .. والصبر على

الثبات .. وعدم الالتفات إلى الطرق والسبل الباطلة المنحرفة .. وما أكثرها .. مهما كانت إغراءات الانحراف

كثيرة .. وبدا للعيان أن تكاليف الثبات على المنهج الحق باهظة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام:153.

¹ صحيح سنن ابن ماجه:170.

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

نسأل الله تعالى الثبات على التوحيد .. وأن يفقهنا بالتوحيد .. وأن يزيدنا فقهاً وعلماً بالتوحيد ..
وأن يجعلنا من العاملين بالتوحيد .. ومن الدعوة إلى التوحيد .. ومن أنصار وأولياء أهل التوحيد .. وأن
يميتنا على التوحيد .. وأن يحشرنا يوم القيامة مع أهل التوحيد .. وفي زمرة أهل التوحيد .. إنه تعالى سميع
قريب مجيب.

وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/01/07هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/02/15م

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد لاحظت في الآونة الأخيرة كثرة أولئك الذين يتكلمون عن صفات وأسس وركائز الدولة الإسلامية عندما تحكم في قطر من الأقطار، وبشيء من التأمل والمتابعة تراهم يضيفون على دولتهم الإسلامية المنشودة صفات وخصائص وركائز لا تمت للإسلام وقيمه بصلة، وهي ألصق ما تكون بصفات الدولة العلمانية التي تُغيب عقيدة الولاء والبراء في الله، وعقيدة الحكم بما أنزل الله، ويسود فيها مبدأ تعبيد العبيد للعبيد.

لذا وجدت نفسي مشدوداً لكتابة هذا المقال " **ركائز الحكم في الدولة الإسلامية** " ناصحاً، ومبيناً ومذكراً فيه بأهم الأسس والركائز والقيم التي يقوم عليها الحكم في الدولة الإسلامية المنشودة، والتي من دونها تفقد الدولة صفة الإسلامية، بل وتفقد مبررات ومقومات وجودها .. مهما قيل عنها - زوراً - بأنها دولة إسلامية!

أهم هذه الأسس والركائز، والقيم، هي:

1- أن تكون السيادة فيها لحكم الله تعالى وحده: وليس لحاكم، ولا ملك، ولا حزب، ولا لعالم، ولا لأكثرية، ولا لشعب من الشعوب .. بل الناس كلهم — حاكمهم ومحكومهم، كبيرهم وصغيرهم، شريفهم ووضيعهم - محكومون بحكم الله تعالى وشرعه المبين في الكتاب والسنة .. وهم جميعهم تحت حكم وقانون الشرع، لا تفاضل لأحد على أحد، ولا تمايز بينهم في ذلك .. وهذا حق خالص لله ﷻ لا يُشركه فيه أحد؛ لأنه تعالى هو الخالق المالك والمتفضل على الخلق بالنعمة التي لا تُحصى .. وبالتالي فمن حقه تعالى وحده أن يأمر من خلق، وأن يُطاع فيما يأمر ويُشَرَّع، وهذا من كمال ولوازم ربوبيته وألوهيته ﷻ على خلقه، فالله تعالى كما هو الإله المعبود في السماء، فهو كذلك الإله المعبود المطاع في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ الزخرف:84. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

الأنعام:57. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف:40. وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف:26. وقال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ المائدة:48. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة:44. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الرعد:41. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف:54. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:59. وغيرها كثير من الآيات والنصوص الشرعية الدالة على أن الحكم والتشريع لله تعالى وحده وهو من أخص خصائصه ﷻ .. وهذا المعنى مما هو معلوم من ديننا بالضرورة، لا يجوز الجدل فيه ولا الخلاف.

فالدولة الإسلامية هي الدولة التي تُفرد الله تعالى في الحكم والتشريع والتلقي والخضوع، كما تفرد به ﷻ في العبادة والتوجه، والنسك.

الدولة الإسلامية هي الدولة التي تنضبط وتلتزم في جميع حركتها وسياساتها الداخلية والخارجية .. وجميع مواقفها وأنشطتها الاجتماعية والاقتصادية .. والقضائية .. والسلمية والحربية .. بالحكم بما أنزل الله، فلا تحيد عن شرع الله تعالى في قليل ولا كثير.

أما الدولة التي ترتضي لنفسها شرعاً آخر .. ومشرعاً آخر غير – أو مع – الله تعالى – أياً كانت صفة وماهية ومكانة هذا المشرع – يُشرع ويقنن، ويحلل ويحرم، ويُحسن ويُقبح لها من دون – أو مع – الله، وبغير سلطان من الله تعالى .. فهي بذلك تكرر ألوهية وربوبية هذا المشرع المخلوق على مواطنها ورعاياها .. وتكرر عبودية المخلوق للمخلوق .. وعبودية العبيد للعبيد .. وأن يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، مهما زعموا – باللسان – أنهم أحرار، كما قال تعالى عن أهل الكتاب لما وقعوا بشيء من ذلك: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُءُوبًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ التوبة:31. وذلك لما شرعوا لهم؛ فأحلوا لهم الحرام فأحلوه، وحرّموا عليهم الحلال فحرّموه !!

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

كما أمر الله تعالى نبيه بأن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء، وأن يقول لهم: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:64.

وبالتالي هذه الدولة التي ترتضي أن يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً ومشرعين من دون . أو مع . الله .. ففي ذلك ترتضي سيادة العبيد على العبيد، وتعبيد العبيد للعبيد .. ولها حينئذٍ أن تسمي نفسها الاسم التي تشاء .. وتدعي الانتماء للدين التي تشاء .. لكن لا يُقبل منها بحال أن تُسمي نفسها دولة إسلامية .. أو أنها تنتمي إلى دين الإسلام .. أو أن الإسلام هو الدين الرسمي لها التي تلتزم به .. فزعمها هذا أثقل وأقبح من الذنب ذاته .. وهو كمن يسمي الكفر إسلاماً وإيماناً!

2- الشورى: من أهم ما تتميز به الدولة الإسلامية العمل بمبدأ الشورى على وجه الوجوب والإلزام، وعلى جميع المستويات العامة والخاصة، وفي جميع مرافق الحكم والحياة .. وبخاصة في الزمان الذي تُفقد فيه الأمانة .. ويُقال في بني فلان رجل أمين .. ونحن في هذا الزمان!

لا بد للمجتمع الإسلامي من أن تكون الشورى فيه هي الثقافة الراجحة .. التي يتحلى ويتزين بها الجميع .. والجميع - سواء كانوا حكاماً أم محكومين - يمارسونها ويُطبقونها في حياتهم العملية .. وفي واقعهم المعاش وعلى جميع المستويات.

كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ الشورى:38.

وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران:159. وهذا الأمر بالشورى موجه من رب العالمين إلى المسدد سيد الخلق الذي لا ينطق عن الهوى .. فيكون من دونه أولى بالالتزام والعمل بالشورى.

عندما يسود العمل بمبدأ الشورى في دولة من الدول .. تكون هذه الدولة دولة الجميع .. وحماتها ورعايتها مسؤولية الجميع .. وما يُصيها يعني الجميع .. بخلاف الدولة التي تُغيب العمل بمبدأ الشورى .. ويسودها حكم الفرد .. وقرار الفرد .. وهوى الفرد .. فهي حينئذٍ تكون دولة هذا الفرد .. وما يصيها وينتأجها

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

لا تعني سواه .. ولا يتحمل مسؤوليته أحد سواه .. ودولة هذا وصفها لا تقوى على مواجهة الصعاب والتحديات .. ثم ما أسرع انهيارها وسقوطها!

العمل بالشورى أقرب إلى روح العمل الجماعي .. والتكافل الجماعي .. والترابط والتوحد الجماعي الشامل لجميع المسلمين، الذي أثنى الله ورسوله عليه خيراً، كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران:103. هذا الاعتصام بحبل الله جميعاً، ومن دون تفرق بين المسلمين لا يمكن أن يتحقق من غير شورى .. وتشاور بين المسلمين .. ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُومٌ﴾ الصف:4. وهذا لا يمكن أن يتحقق من غير شورى .. ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الأنفال:46. ومن الأسباب الرئيسية التي تُذهب التنازع بين المسلمين العمل بالشورى .. كما أنه لا شيء يجلب التنازع بين المسلمين ويوغر صدور بعضهم على بعض كتغيير العمل بالشورى .. وإذا كان الأمر كذلك .. وهذه الأهمية والخطورة .. فإن العمل بالشورى واجب؛ لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله يرضى لكم أن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا" مسلم.

وقال ﷺ: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة" [1]. وقال ﷺ: "الجماعة رحمة والفرقة عذاب" [2]. وهذا كله لا يمكن تحقيقه على الوجه المطلوب شرعاً من دون العمل بمبدأ الشورى.

وفي الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه: تَغَرَّةٌ أَنْ يُقَاتِلَا" متفق عليه.

¹ صحيح سنن الترمذي: "1758".

² السلسلة الصحيحة:667.

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

والناظر إلى أسباب تفرق الأمة في هذا العصر وضعفها .. يجد من أهمها تغييب وإهمال العمل بمبدأ الشورى فيما بين المسلمين .. كما أن الناظر في أسباب توحيد الأمم الكافرة في هذا العصر — على ما بينها من اختلاف وتنوع . يجد من أهمها العمل بمبدأ الشورى فيما بينهم!

فإن قيل: ما هي حدود وصلاحيات وضوابط الشورى في الإسلام ..؟!

أقول: للشورى ضوابط:

منها: أن لا تكون الشورى في أمر فيه نص محكم من الكتاب أو السنة؛ إذ لا شورى مع النص المحكم في ثبوته ودلالته، كما لا اجتهاد عند مورد النص.

أما في موارد الاجتهاد .. وموارد الاستنباط والترجيح .. وعند خفاء المسائل والدليل عليها .. يجوز العمل بالشورى بين ذوي الاختصاص من أهل العلم والفقهاء، للنظر في مجموع الأدلة والقرائن لمعرفة المحكم منها من المتشابه، والراجع من المرجوح .. ويكون حينئذٍ ترجيح جمهور أو أكثرية أهل العلم والفقهاء لقول دون قول أو فهم دون فهم .. معتبر في الفقه الإسلامي عند القبول أو الرد، أو تقديم قول على قول، من هنا تجد أقوال أهل العلم والفقهاء عندما يريد أحدهم أن ينتصر لقول دون قول، فتراه يقول: وهذا الذي عليه الجمهور أو جمهور أهل العلم أو أكثر أهل العلم.

ومنها: أن لا تؤدي الشورى إلى مخالفة نص من نصوص الكتاب والسنة، أو إجماع متفق عليه بين علماء الأمة.

وما سوى ذلك من ساحات وميادين .. واختصاصات .. وأعمال .. فهي كلها خاضعة للشورى .. والعمل الشوري .. ويجوز إعمال الشورى فيها، والله تعالى أعلم.

فإن قيل: متى تكون الشورى واجبة .. فهل مطلق الشورى واجبة .. وفي أي أمر أو عمل؟!

أقول: أيما عمل يترتب على ترك الشورى فيه إلى حدوث فتنة بين المسلمين، وتفرق وتنافر وتباغض فيما بينهم فالشورى والتشاور مع ذوي الشأن من أهل الاختصاص والفقهاء والعلم في هذا العمل يكن واجباً؛ لأن دفع الفتنة عن المسلمين وكل ما يؤدي إلى تفرقهم واجب، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

ويقال كذلك: كلما كان الأمر أو العمل يعني عامة المسلمين أو شريحة منهم، وله مساس بمصالحهم. كما في مسألة اختيار الحاكم المسلم أو إقالته – كلما كانت الشورى والتشاور في شأن هذا العمل أقرب إلى الوجوب أو واجباً .. والله تعالى أعلم.

3- العدل: من أهم وأعظم الركائز والأسس التي يقوم عليها نظام الحكم في الدولة الإسلامية "

العدل "؛ لأن الله تعالى من أسمائه الحسنی وصفاته العليا " **العدل** "، وهو **العدل** يحب العدل، ويأمر بالعدل، ويجازي عليه خيراً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء:58.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل:90.

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ النحل:76.

وقال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الحجرات:9.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المائدة:42.

ولأن الله تعالى يسخط الظلم والظالمين .. وقد حرمه **الله** على نفسه وعلى عباده، وتوعد الظالمين منهم بالعذاب الأليم، فقال تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا﴾ الكهف:87. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة:258. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران:57. وقال تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَدِّنْ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف:44. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ هود:18. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إبراهيم:22. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ الحج:53. وقال تعالى: ﴿فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المؤمنون:41. وقال تعالى:

رِكَائِزُ الْحُكْمِ فِي الدُّوَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ غافر:52. وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ الشورى:45.

وفي الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمتُ الظلمَ على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا" مسلم.

وقال ﷺ: "اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة" مسلم.

وقال ﷺ: "أشدُّ الناس عذاباً للناس في الدنيا، أشدُّهم عذاباً عند الله يوم القيامة" [1].

وقال ﷺ: "أشدُّ الناس يوم القيامة عذاباً، إمام جائر" [2].

ولأن الأمم والدول لا يدوم لها سلطانها وملكيها مع الظلم والطغيان؛ فمن أعظم أسباب زوال الدول وسلطانها وملكيها الظلم .. وغياب العدل .. كما قال تعالى عن الأمم الظالمة التي استعدت الأنبياء والرسل، وتعاملت معهم بالظلم والعدوان، والطغيان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ إبراهيم:13. وقال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا مِنْهُ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظُرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ القصص:40. وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّتْهُنَّ قَالَ إِيَّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة:124.

قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى 146/28: أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويُقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال ﷺ: "ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم"؛ فالباغي يُصرَع في الدنيا وإن كان مغفوراً له مرحوماً في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم

¹ أخرجه أحمد، والبيهقي، صحيح الجامع:998.

² أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى في مسنده، صحيح الجامع:1001.

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الآخرة -هـ.

ومن خصائص العدل في نظام الحكم الإسلامي العدل مع النفس ومع الآخرين من الشانين المعادين سواء، وإنصاف المظلوم من الظالم وإن كان المظلوم كافراً والظالم مسلماً، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة:8.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"، فقال رجل: يا رسول الله! أنصره مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: "تمنعه من الظلم؛ فذاك نصرٌك إياه" متفق عليه.

4- الأمانة ونزاهة يد الحاكم قبل المحكوم: من خصائص الحكم الإسلامي في الدولة الإسلامية

أمانة الحاكم ونزاهته، وترفعه عن النهب والغش، والتخوض في الأموال العامة .. فإن وقع في شيء من ذلك تعرض للمحاكمة والمساءلة ولا بد.

يجوع قبل أن تجوع رعيتيه .. ويخصمهم بالعطاء قبل أن يخص نفسه وأهله وحاشيته .. حقه من بيت مال المسلمين قصعتان: قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يُطعمها لأضيافه، كما في الحديث عن عبد الله بن زُرير الغافقي، قال: دخلنا على علي بن أبي طالب يوم أضحى فقدّم إلينا خزيرة^[1]، فقال يا أمير المؤمنين لو قدّمت إلينا من هذا البطّ والوزّ، والخير كثيرٌ، قال: يا ابن وزيرٍ إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "لا يحلُّ للخليفة إلا قصعتان: قصعةٌ يأكلها هو وأهله، وقصعةٌ يُطعمها"^[2].

¹ الخزيرة: لحم يُقَطَّعُ صغاراً ويُصَبُّ عليه ماءٌ كثير، فإذا نضج دُرُّ عليه الدقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة." النهاية".

² أخرجه أحمد، وابن أبي الدنيا في الورع، السلسلة الصحيحة:362.

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

وقال ﷺ: "من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجةً، فإن لم يكن له خادمٌ فليكتسب خادماً، فإن لم يكن له مسكنٌ فليكتسب مسكناً، من اتخذ غير ذلك فهو غالي" [1]. أي من تعدى من عمال الدولة وولاتها أكثر من ذلك فهو سارق ومعتدٍ على مالٍ ليس له فيه حق.

وقال ﷺ: "إن رجلاً يتخوضون [2] في مال الله بغير حق؛ فلهم النار يوم القيامة" البخاري.

وكان عمر بن الخطاب ؓ إذا بعث عماله ولاة على الأمصار شرط عليهم أموراً: "أن لا تركبوا بزُدوناً [3]، ولا تأكلوا نقياً [4]، ولا تلبسوا رقيقاً [5]، ولا تُغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئاً من ذلك فقد حلت بكم العقوبة، ثم يُشعِّبهم" [6].

وعمر ؓ إذ كان يأمر الولاة بذلك كان هو أكثرهم التزاماً بما يأمرهم به؛ فلم يكن يخص نفسه وأهله بخلاف ما كان يأمر به الولاة وغيرهم من الناس، لذا سهل على الولاة الالتزام بما كان يأمرهم به الخليفة ابن الخطاب ؓ .. ولو زاغ . حاشاه . لزاغوا!

لذا نقول: عندما يجوع الحاكم قبل شعبه .. ويخصهم بالعطاء - مهما كان قليلاً - قبل نفسه وأهله وحاشيته، ويسهر على رعايتهم وخدمتهم وراحتهم - كما كان يفعل الفاروق عمر بن الخطاب ؓ وكثير غيره من ولاة المسلمين الأوائل - لا يمكن لهذا الشعب أن يفكر بالثورة على حاكمه مهما عانى من الفقر وظروف المجاعات .. كما أنه يقوى على مواجهة التحديات أو أي حصار اقتصادي يشنه العدو عليهم .. مادام الحاكم ذاته يتحمل قبلهم معاناة وآثار هذا الحصار، ويتقدمهم في الصبر على البلاء والجوع والفقر!

¹ أخرجه أبو داود، وصححه الشيخ ناصر في المشكاة: 3751.

² أي يتصرفون في الأموال العامة للدولة التابعة لعامة المسلمين نهياً وسلباً، وإسرافاً وتبذيراً .. فهؤلاء لهم النار يوم القيامة.

³ هو الفرس الأعجمي؛ لما يمكن أن يحصل لراكبه من خيلاء وتكبر .. فيفسد طبعه، فيستعذب الطغيان!

⁴ هو الطعام المنقى مرة بعد مرة .. وهذا لا يحصل لعامة شعبه ورعيته .. وقد يفسده فيجعله يألف الترف، وهذا يؤثر على مهمته، والأمانة الملقاة على عاتقه نحو شعبه ورعيته.

⁵ لما في ذلك من التنعم والإسراف الذي قد يُشغله عن واقع رعيته، وحاجتهم.

⁶ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، المشكاة: 3730.

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

أما إن كان الحاكم يتمتع بثروات طائلة نهبها من أموال الأمة .. ويعيش قمة البذخ والإسراف والتبذير .. ثم هو يُصنَّف كأول أو ثاني أو ثالث أغنى رجل في العالم – كما هو حال كثير من طواغيت الحكم العرب في هذا الزمان – وفي المقابل ترى شعبه يتضور الجوع والحرمان والفقر .. وهو يرى بأمر عينيه كيف تُنهب خيرات وثروات بلاده الطائلة على أيدي الطغمة الحاكمة .. لتصرف على موائد الشهوات والأهواء .. وتُصب في جيوب الأعداء .. فشعب هذا وصفه وحاله وواقعه .. لا يمكن أن يقوى على مواجهة التحديات ولا الحصارات الاقتصادية .. ولا توجد بينه وبين حاكمه المفسد الظالم أي ترابط أو تفاهم أو علاقة دفاع مشترك .. بل ترى همه الأكبر كيف يتخلص من هذه الطغمة الحاكمة، ومن نظامهم وحكمهم وظلمهم .. ولو كان ذلك على يد أعداء الأمة ذاتهم .. كما حصل ولا يزال يحصل في عديد من الأمصار!

عندما الحاكم لا يحوط رعيته بالنصح والرعاية والحماية من كل ما يهددهم .. وهو لا يهتم من شؤون الحكم والملك إلا نفسه .. وملكه .. وخصائصه ومستحقاته الباطلة من ثروات الدولة .. ومستحقات حاشيته المقربين التي تُثقل كاهل عامة الناس .. وكيف يُنبت عرشه وملكه ونظامه .. ولو كان ذلك على حساب جماجم وأمن شعبه كله .. حاكم هذا وصفه وحاله لا يمكن أن يُسمى حاكماً مسلماً، كما أن حكمه لا يمكن أن يُسمى حكماً إسلامياً .. كما لا يمكن أن يستمر له حكم .. ولا أن تقام له دولة .. ولو قامت فهي سرعان ما تأفل وتزول.

قال رسول الله ﷺ: "ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيَّةً، فلم يُحِطْها بنصحها لم يجد رائحة الجنة" متفق عليه.

وقال ﷺ: "ما من والٍ يلي رعيَّةً من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجنة" متفق عليه.

وقال ﷺ: "ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة" مسلم.

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

وقال ﷺ: "ما من إمامٍ أو وائلٍ يُغلق بابَه دون ذوي الحاجة والخَلَّةِ – أي الفقر – والمسكنة، إلا أغلق

الله أبوابَ السماء دون خَلَّتِه وحاجتِه ومسكنتِه" [1].

وقال ﷺ: "ما من رجلٍ يلي أمرَ عشرةٍ فما فوق ذلك، إلا أتى الله مغلولاً يدهُ إلى عنقه، فكَّه بَرُّهُ أو

أوثقَه إثمُه، أولها – إي الإمارة – ملامةٌ، وأوسطها ندامةٌ، وآخرها خزيُّ يوم القيامة" [2]. هذا فيمن لم يَقم

بحق الإمارة وواجبها حق القيام، أما إن قام بحقها وواجبها حق القيام، وكان أميناً على أمته ومقدراتها

وثرواتها، وحرمتها .. يحكم بين العباد بالسوية والعدل فهو عند الله يوم القيامة على منبر من نور، كما في

الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن المقسطين عند الله على منابر من نورٍ عن يمين الرحمن؛

وكلنا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم، وأهلهم، وما ولُّوا" مسلم.

5- العلم: وأعني بالعلم: العلم بشقيه ونوعيه: العلم الشرعي، والعلم الدنيوي، حيث أن الحكم في

الدولة الإسلامية لا يمكن أن تقوم له قائمة من دون هذين النوعين من العلم.

أما العلم الشرعي: فهو العلم الذي ينظم ويرشد وينمي علاقة الفرد بخالقه، وعلاقته بنفسه،

وعلاقته بمجتمعه .. ويُعرِّفه بما يجب عليه نحوربه، ونحو نفسه، ونحو أهله، ونحو المجتمع الذي يعيش

فيه، ونحو الناس أجمعين .. كما هو مبين في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

هو العلم الذي يُعرف الفرد بما يجب له وما يجب عليه .. ويُعرف الجماعة بما يجب لها وما يجب

عليها .. ويُعرف الحاكم بما يجب له وما يجب عليه.

هو العلم الذي يوضح الغايات من الوجود .. والوسائل التي تؤدي إلى تلك الغايات.

هو العلم الذي تنتظم به الحياة العامة والخاصة سواء .. فتُصبغ بالصبغة الشرعية التي يحيا

ويريدها الله ﷻ من عباده.

هو العلم الذي به يستبين الواجب من المحظور، والمستحب من المكروه.

¹ أخرجه أحمد وغيره، صحيح الجامع: 5685.

² أخرجه أحمد، صحيح الجامع: 5718.

رِكَائِزُ الْحُكْمِ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

هو العلم الذي يُعرّف العبد بخالقه ﷺ وبأسمائه الحسنى، وصفاته العليا .. وبحقه عليه .. وما

للعبد من جزاء حسن إن وفى بهذا الحق.

من دون هذا النوع من العلم تفقد الدولة هويتها .. وعقيديتها .. وانتماءها .. ومناعتها .. واستقلالها

.. والغاية من وجودها .. وكذلك المجتمع والأفراد .. من هنا تأتي أهمية هذا النوع من العلم، وأهمية طلبه،

وفضل الحرص عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ

لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة:122. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الزمر:9. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ

مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر:28. وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل:43. وقال

تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

يوسف:108. وهذا لا يتأتى إلا بالعلم.

وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "طلب العلم فريضةً على كلِّ مسلمٍ" [1].

وقال ﷺ: "من سلك طريقاً يلتمسُ فيه علماً، سهَّلَ اللهُ له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضعُ

أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع" [2].

وعن صفوان بن عسَّال المرادي، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو في المسجد مُتَكئٌ على بُرْدَةٍ له أحمر، فقلتُ

له: يا رسول الله إني جئتُ أطلبُ العلمَ، فقال: "مرحباً بطالب العلم؛ إن طالب العلم تحفُّهُ الملائكةُ

بأجنحتها، ثم يركبُ بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماءَ الدنيا من محبتهم لما يطلب" [3].

وقال ﷺ: "فضلُ العالمِ على العابدِ، كفضلي على أدناكم؛ إن الله وملائكتهُ، وأهل السماواتِ والأرضِ

حتى النملةُ في جحرها، وحتى الحوتُ ليُصلون على معلمي الناس الخير" [4].

1 أخرجهُ ابن ماجه وغيره، صحيح الترغيب:70.

2 أخرجهُ أبو داود وغيره، صحيح الترغيب:68.

3 أخرجهُ أحمد وغيره، صحيح الترغيب:69.

4 أخرجهُ الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

وقال ﷺ: "من يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين" متفق عليه.

وقال ﷺ: "أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه" البخاري.

وأما العلم الدنيوي: وهو العلم الذي به تستقيم حياة الناس المادية من ملبس، ومأكل، ومشرب، ومركب، وغير ذلك من الصناعات الحربية التي تقي المؤمنين بأس أعدائهم .. وهو علم لا يمكن تجاهله، أو التهاون به، بل لا يمكن للدولة الإسلامية أن تقوم لها قائمة من دونه؛ لذا كثير منه — مما يدخل في حكم الضروريات — يكون تعلمه واجباً، وفرضاً كفائياً لا بد من أن ينفر من المسلمين من يكفي الأمة حاجتها من تلك الضروريات، وإلا وقع الإثم والحرج على الجميع ممن يقدر على سد النقص في تلك المجالات من العلوم والفنون ثم هم لا يفعلون.

هذا النوع من العلم هو الذي به تحافظ الدولة الإسلامية على استقلالها، واكتفائها الذاتي، وتحفظ هيبتها ومكانتها بين الدول والأمم التي لا تعترف إلا بالقوي، ولا تحترم إلا القوي، ولا وجود بينها إلا للقوي، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال:60. ولكي نتمكن من الإعداد ما استطعنا من قوة يستلزم العلم بجميع أنواع وأدوات القوة المعاصرة المتاحة .. وجميع فنون القتال .. التي تكافئ قوة العدو ومهاراته .. والتي تردعه وترهبه وتمنعه من التجرؤ على الاعتداء .. وإذا كان هذا الإعداد واجباً وهو لا يمكن أن يتحقق إلا بالعلم بأدواته وأسبابه دل أن هذا النوع من العلم واجب كذلك؛ للقاعدة الشرعية التي تقول: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحديد:25.

فالدولة الإسلامية لا يمكن أن تقوم لها قائمة إلا بالكتاب والحديد معاً .. ومتى أخذت بأحدهما

دون الآخر، وقعت في التقصير والتفريط، وحكمت على نفسها بالفشل والزوال!

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

وقد أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى أهل الشام: "علموا أولادكم الكتابة، والسباحة، والرمي، والفروسية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً".

وقوله رضي الله عنه: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"، يشمل هذا النوع من العلم كذلك، والله تعالى أعلم.

6- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من أبرز الخصائص والأسس والركائز والمقومات التي يقوم

عليها الحكم في الدولة الإسلامية، "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

إذ لا قيام ولا حياة ولا وجود للدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي من دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن دون أن تكون ثقافة وعقيدة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، ثقافة الدولة والفرد سواء، بل وثقافة المجتمع برمته.

فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان" مسلم.

فقوله " مَنْ "؛ من صيغ العموم؛ أي كل من رأى منكم منكراً وكان قادراً على إنكاره يتعين عليه إنكاره، إذ لا يقتصر إنكار المنكر على فئة دون فئة، أو شخص دون شخص .. فالجميع يجب عليهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، كل بحسب استطاعته وموقعه.

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

التوبة:71. فلام التعريف في قوله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ تفيد العموم والاستغراق؛ أي كل المؤمنين والمؤمنات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقافة وسلوك وأخلاق جميع المؤمنين والمؤمنات .. وإن كان يجوز أن تتخصص فئة من هؤلاء المؤمنين تكون مهمتها ووظيفتها الأساسية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. والسهر على حماية المجتمع من التلوث بالمنكرات، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران:104.

رِكَائِزُ الْحُكْمِ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

كذلك من غايات ومقاصد قيام الدولة الإسلامية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ الحج:41. فمن غايات التمكين للمسلمين في الأرض أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.. فإن لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر.. فَوَتُوا الغاية التي لأجلها منَّ الله تعالى عليهم بالتمكين والاستخلاف في الأرض.

والمعروف الذي أمرنا أن نأمر به هو جميع ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهو يشمل جميع شعب وخصال الإيمان التي أعلاها " لا إله إلا الله"، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق.

والمُنْكَر الذي أمرنا أن ننهي عنه هو جميع ما يبغضه الله تعالى ويسخطه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهو يشمل جميع شعب الكفر والفسوق والعصيان، والتي أعلاها " الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وأدناها إلقاء الأذى في الطريق.

فأمة الإسلام عُرِفَتْ خَيْرِيَّتِهَا على غيرها من الأمم وفضلها عليها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ آل عمران:110. فعلى قدر ما تحافظ الأمة على خاصية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر ما تُحافظ على خيريَّتها وتمايزها وفضلها على غيرها من الأمم والدول.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو صمام الأمان في المجتمع، وهو بمثابة جهاز المناعة فيه؛ إذ هو الجهاز الذي يُطارِد المنكرات وأثارها الفتاكة في المجتمع كما تُطارِد الكريات البيض في الدم الجراثيم والفيروسات التي تُداهم الإنسان وتتسرب إلى داخل جسده.. وكما أن الإنسان لا يقوى أن يعيش من دون جهاز مناعة يُقاوم الأمراض والجراثيم التي تُداهمه، كذلك المجتمعات لا يمكن أن تعيش أو أن تسود وتبقى سليمة من الأمراض والانحرافات الضارة والقاتلة.. من دون جهاز مناعة يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رِكَائِزُ الْحُكْمِ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "مثلُ القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء فمروا على من فوقهم فتأذوا به، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقالوا - أي الذين في أسفلها -: لو أننا خرقتنا في نصيبنا خرقتنا فاستقيننا منه، ولم نُؤذِ مَنْ فوقنا، فأخذ - أي أحدهم - فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا مالك؟! قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا وأنجوا جميعاً" البخاري.

وهكذا مثل الأمرين بالمعروف النَّاهين عن المنكر القائمين على حدود الله مع أهل المنكر والفسوق والفجور الذين يريدون أن ينشروا منكراتهم وضلالاتهم وكفرياتهم في المجتمع وبين الناس ليفتنوهم عن دينهم، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وهلك المجتمع ومن فيه، وإن أخذوا على أيديهم بالضرب والزجر والمنع نجوا ونجوا جميعاً، وسلم المجتمع. ومن فيه. من الغرق والهلاك، والدمار.

ومن حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله! أتهلكُ وفيْنَا الصالحون؟ قال ﷺ: "نعم؛ إذا كَثُرَ الخَبَثُ" متفق عليه.

لا حرية في الدولة الإسلامية للمنكر والفسوق والعصيان والظلم؛ لأن ذلك يعني أن تُعطى الحرية للتخريب والخبث، والدمار والهلاك والفساد.. وهذا لا يستقيم أبداً في دين الله تعالى، كما أنه لا يستقيم مع غايات ومقاصد الحكم في الدولة الإسلامية.

قال ﷺ: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه. أي بالنهي والزجر والمنع. أوشك أن يعمهم الله بعقابٍ من عنده" [1].

وقال ﷺ: "ما من رجلٍ يكونُ في قومٍ يُعْمَلُ فيهم بالمعاصي، يقدرُونَ على أن يُغَيروا عليه، ولا يُغَيروا؛ إلا أصابهم الله منه بعقابٍ قبل أن يموتوا" [2].

¹ أخرجه أبو داود وغيره، صحيح الترغيب: 2317.

² أخرجه أبو داود وغيره، صحيح الترغيب: 2316.

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

وقال ﷺ: "لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا أوشك أن يعمهم الله بعقاب" [1].

وقد لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام؛ حيث كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة:78-79.

وهذا مثال ضرب للمسلمين؛ فإنهم إن وقعوا فيما وقع فيه كفار بنوا إسرائيل .. فلا يتناهون عن منكر فعلوه .. يُلعنون كما لعنوا .. ويحل بهم السخط والعذاب كما حل ببني إسرائيل من قبل .. فليس لهم كل مرة، ولنا كل حلوة!

وقد أخبرنا النبي ﷺ أن الساعة تقوم على شرار الخلق الذين من خصالهم أنهم لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، كما في الحديث: "يبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً". فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان. وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم، ثم يُنفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتها ورفع ليتها، وأول من يسمعه رجل يلوطُ حوضَ إبله — حرية شخصية على مبدأ ومذهب الديمقراطيين!! — قال: فيصعق، ويصعق الناس ... " مسلم.

ومنه نعلم أن هؤلاء الذين يُمتنون — نفاقاً ومداهنة — الشعوب والطوائف والفرق والأحزاب بكل أطيافها وانتماءاتها الباطلة .. بالحيات المطلقة — عملاً بشعار ومبدأ الديمقراطية — بما في ذلك حرية الفساد والفجور والكفر والإلحاد .. والزندقة .. والمجاهرة بالارتداد عن الدين .. إذا ما قامت دولة الإسلام على أيديهم . زعموا! . ثم هم مع وزرهم الثقيل هذا يزعمون بأنهم مسلمون .. ومصالحون .. وأنهم يعملون من أجل مستقبل الإسلام والمسلمين ومستقبل دولتهم المنشودة .. فهؤلاء يكذبون .. وهم يصطدمون بعشرات

¹ أخرجه أحمد، وقال عنه ابن حجر في الفتح 203/10: سنده حسن.

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

النصوص المحكمة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .. كما أنهم لم يفهموا مقاصد وغايات الإسلام بعد، والغاية من قيام دولته في الأرض .. وعليهم أن يُعيدوا من جديد قراءتهم لبداهيات وأساسيات تعاليم هذا الدين الحنيف .. قبل أن يُنظِّروا لمستقبل الإسلام ومستقبل دولته المنشودة!

وهؤلاء حظهم من كتاب الله تعالى — إلا من رحم الله منهم فتاب وأناب — قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ التوبة:67.

7- الأمان: لتعلقه بكثير من ركائز وأسس الحكم في الدولة الإسلامية الألفية الذكر؛ إذ لا يمكن للحكم — في أي دولة من الدول — أن تقوم له قائمة في أي مجال من مجالات الحياة من غير أمن وأمان؛ فالمجتمع الذي تحكمه الجريمة وتسيطر عليه العصابات الإجرامية التي تهدد الناس في أمنهم ومعاشهم وحياتهم .. وتعتدي على حرمتهم المصونة .. من دون أن تجد القوة التي تردعها عن غيها وإجرامها، وتأخذ على يد المجرمين منهم بالقصاص الشرعي العادل .. هو مجتمع لا يصلح لأي عمل مثمر بناء .. بل لا يصلح للسكنة والإقامة فيه .. وهو أقرب ما يكون إلى الغاب التي تسودها وتحكمها شريعة الأقوى والأشطر!

لذا نجد أن الإسلام شرع الحدود والقصاص التي تردع المجرمين وأصحاب النفوس المريضة من الاعتداء على أمن وحرمات الآخرين .. واعتبر ذلك فيه حياة للمجتمع والناس أجمعين. كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة:179.

فإن قيل: كيف يكون في القصاص حياة، وقد يترتب على تنفيذ الحد أو القصاص الشرعي موت أو بتر عضو من أعضاء الجاني المعتدي؟

أقول: بموت أو بتر هذا العضو من جسد المجرم الجاني يكون سبباً في سلامة الآلاف من الناس من أن يُعتدى عليهم وعلى حرمتهم في شيء .. فيكون بهذا الاعتبار حياة لهم.

ويكون حياة كذلك باعتبار الازدهار الاقتصادي والحضاري الذي يتحقق في المجتمع بسبب

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

انعدام الجريمة، وفشو الأمن والأمان .. وما كان ذلك ليكون لولا العمل بالحدود الشرعية، والأخذ

على يد المجرم الجاني بالقصاص العادل.

وقال تعالى في حد الحراية بخصوص الذين يقطعون الطريق على الناس، ويسطون على حرمتهم،

ويتمنعون بقوة السلاح: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ

يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة:33.

لذا لم يعرف التاريخ مجتمعاً آمناً يخلو من الجرائم أكثر من المجتمع الإسلامي الذي تُطبق فيه

الحدود الشرعية .. ولمن يُخالفنا الرأي حول هذا الأمر، نقول له: أحصِ عدد الجرائم التي حصلت في عهد

النبي ﷺ، وعهد الخلفاء الراشدين من بعده طيلة عقود حكمهم .. وعدد الجرائم التي تحصل في أمريكا في

يوم واحد فقط .. فستجد أن الجرائم التي تحصل في أمريكا في يوم واحد – رغم ضخامة جهاز الرقابة فيها.

أضعاف الجرائم التي حصلت في عدة عقود في المجتمع الإسلامي!

لكن رغم أهمية " الأمن " في نهضة وتقدم الدول .. وحياة الناس .. إلا أنه ينبغي التعامل معه

باعتدال وعدل من غير إفراط ولا تفريط .. وبصورة لا تؤثر سلباً على ركائز وأسس الحكم الأنفة الذكر!

إذ لا يجوز أن يكون الأمن ذريعة للسطو على حقوق وأمن وحرمت الناس .. وترويعهم .. والتجسس

عليهم .. وعلى خصوصياتهم .. وفرض الأحكام العرفية، وحالة الطوارئ .. كما يحصل ذلك في كثير من

الدول المعاصرة التي تهتم بأمن الحاكم ونظامه على حساب أمن الناس والمجتمع .. وهي عندما تتكلم عن

الأمن .. تعني أمن الحاكم وحكمه وعرشه، وحاشيته .. أكثر مما تعني أمن الناس والمجتمعات .. فهذا المعنى

الخاطئ لا نريده من حديثنا عن الأمن .. بل نسخطه .. وننزله الإسلام منه.

عن معاوية ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ

أَنْ تُفْسِدَهُمْ".

ركائز الحكم في الدولة الإسلامية

قال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها [1].

وقال ﷺ: "إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم" [2].

وفي ذلك عظة - لو كانوا يعقلون! - للأنظمة الطاغية الفاسدة القائمة على التجسس وابتغاء الريبة في الناس؛ والتي تضع على كل فرد من أفراد المجتمع جاسوساً يتجسس عليه ويتتبع عورته، وعلى الجاسوس من يتجسس عليه وعلى أدائه التجسسي .. إلى أن يتحول المجتمع إلى سلسلة من الجواسيس .. الكل يتجسس على الكل .. وكل ذلك بحجة الحفاظ على الأمن .. زعموا!

هذه هي أهم ركائز وأسس وقيم الحكم في الدولة الإسلامية .. وبالتالي أيما دولة إسلامية تقوم في المستقبل نتوقع منها .. ويتوقع منها كل مسلم .. أن تلتزم بهذه الركائز والأسس والقيم .. فإن لم تلتزم بها .. ولم تقم على أساسها .. فلتسمي حينئذٍ نفسها الاسم التي تشاء .. وتنتسب إلى الدين التي تشاء .. إلا أننا لا نقبل منها بأن تسمي نفسها دولة إسلامية أو أن نظام الحكم فيها هو نظام إسلامي .. فتسيء إلى عظمة الإسلام ونقائه وهي تدري أو لا تدري!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/01/25هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/03/05م

¹ صحيح سنن أبي داود: 4089.

² صحيح سنن أبي داود: 4089.

” تَكْفَلُ اللَّهُ لِي بِالشَّامِ ”

” تَكْفَلُ اللَّهُ لِي بِالشَّامِ ”

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

لم ولن نفقد الأمل بالشام .. فمهما طال ظلام الليل في الشام .. فإن فلق الفجر الساطع قادم لا محالة .. ومهما علت ظلمة السحاب الداكن سماء الشام .. فإنها ستنجلي وتأفل ولو بعد حين .. وتنكشف أرض الشام لنور الشمس الساطع .. ونحن على موعدٍ بذلك، بإذن الله.

مر على أرض الشام غزاة كثر؛ مر التتار بجهلهم وتخلفهم وهمجيتهم .. ثم تبعهم الصليبيون بحقدهم وإجرامهم وأطماعهم .. فاندحر الغزاة .. وانقلبوا إلى جحورهم خاسئين خاسرين .. وبقي الشام بأهله ودينه عزيزاً كريماً.

وهاهي الشام في هذه الأيام ترزح أسيرة - منذ عقود - تحت وطأة حكم زنادقة العصر من القرامطة العملاء؛ النصيريين .. البعثيين .. العلمانيين .. الإباحيين .. المجرمين .. الحاقدين فأفسدوا في البلاد، وأذلوا العباد ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ .. وإنهم . بإذن الله . سيندحرون صاغرين .. ويزولون عن أرض الشام كما اندحروزال من قبلهم من الغزاة المجرمين .. وسيعود للشام عزها ومجدها .. وسؤددها .. ودورها الريادي في قيادة الأمم والشعوب .. كما كانت دهرماً من الزمان.

هذا وعد صادق لا نشك بميقاته .. ولن نُخَلِّفَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ .. ولو بعد حين.

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "عليكم بالشام .. فإن الله ﷻ قد تكفل لي بالشام وأهله". أي تكفل الله ﷻ لنبية ﷺ بنصرة دينه ودعوته .. والذود عن بيضة الإسلام وحرماته .. بالشام وأهل الشام .. ومن تكفل الله به . فهو محفوظ . فلا ضيعة ولا خوف عليه.

قال ربيعة: سمعتُ أبا إدريس يُحدث بهذا الحديث، يقول: ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه.

وعن زيد بن ثابت الأنصاري ؓ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "يا طوبى للشام! يا طوبى للشام!

يا طوبى للشام!"، قالوا يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: "تلك ملائكة الله باسطوا أجنحتها على الشام".

“ تَكْفَلُ اللَّهُ لِي بِالشَّامِ ”

وقال ﷺ: "إني رأيتُ عمودَ الكتابِ انْتزع من تحتِ وسادتي، فنظرتُ فإذا هو نورٌ ساطعٌ عُمِدَ به إلى الشامِ، ألا إن الإيمانَ إذا وقعتِ الفتنُ بالشامِ".

وقال ﷺ: "إذا فسدَ أهلُ الشامِ فلا خيرَ فيكم، ولا تزالُ طائفةٌ من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقومَ الساعةُ".

قلت: هذا الفسادُ النسبي الذي أصاب أهلَ الشامِ بسببِ سياساتِ طواغيتِ الكفر والردة الحاكمين في الشامِ .. قد انعكس سلباً على خيرية الأمة وعطائها في العالمِ .. كما هو ملاحظٌ .. فالحديثُ أفاد أن عزَّ الشامِ هو عزُّ للأمةِ .. وأن ذلَّ الشامِ وفسادها .. هو ذلُّ وفسادٌ للأمةِ .. فعزُّ الأمةِ وذلُّها .. وخيرها صعوداً وهبوطاً .. زيادةً ونقصاناً .. مرتبطٌ بعزِّ الشامِ وذلُّها، وخيرها.

لذا كانتِ الشامُ - ولا تزالُ - هدفَ الغزاةِ المستعمرين .. ومحطَ اهتمامهم وأنظارهم .. ومؤامراتهم .. لعلمهم بأهمية هذه المنطقة الحساسة .. وخطورتها عليهم .. فسلطوا عليها حكماً من بني جلدتنا أشدَّ منهم كفراً وحقداً وإجراماً، وفساداً .. وزرعوا في قلبِ الشامِ - في فلسطين - عصاباتِ بني صهيون .. ليسهلَ عليهم التدخلَ بشؤونِ الشامِ ساعة ما يشاءون بحجةِ الدفاعِ عن تلكِ العصاباتِ الصهيونية، وعن دولتهم!

وقال ﷺ: "لن تبرحَ هذه الأمةُ منصورينَ أينما توجهوا، لا يضرهم من خذلهم من الناسِ حتى يأتي أمرُ الله؛ وهم بالشامِ".

وقال ﷺ: "لا يزالُ أهلُ الغربِ ظاهرينَ على الحقِّ حتى تقومَ الساعةُ".

وفي رواية: "لا يزالُ أهلُ الغربِ ظاهرينَ لا يضرهم من خذلهم حتى تقومَ الساعةُ"; وأهلُ الغربِ هم أهلُ الشامِ.

قال أحمد بن حنبل: أهلُ المغربِ هم أهلُ الشامِ.

أفادت الأحاديثُ أموراً:

منها: أن هذه الطائفة المنصورة الظاهرة؛ الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم من الناسِ،

هي موجودة في الشامِ أو أن الشامِ لا تخلو منها.

” تَكْفَلُ اللَّهُ لِي بِالشَّامِ ”

ومنها: دوام وجود هذه الطائفة المنصورة على ممر الأزمان، وإلى يوم القيامة، فلا تخلو حقبة من وجودها، بما في ذلك زماننا الذي نعيشه .. أي أن هذه الطائفة المنصورة موجودة الآن في الشام عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها!

ومنها: أن هذه الطائفة محفوظة منصوره بالله، بها تكفل الله لنبيه نصره الدين وحفظه.

ومنها: أن من سمات هذه الطائفة المنصورة أنها تجاهد في سبيل الله .. وأنها تصدع بالحق، ولا تخشى في الله لومة لائم.

وعن عبد الله بن حوالة أنه قال: يا رسول الله اكتب لي بلداً أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أختار على قريك. قال ﷺ: "عليك بالشام، عليك بالشام، عليك بالشام!"، فلما رأى النبي ﷺ كراهيته للشام، قال: "هل تدرون ما يقول الله ﷻ؟ يقول: أنتِ صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرتي من عبادي .. ورأيت ليلة أُسري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤ تحمله الملائكة، قلت: ما تحملون؟ قالوا: نحمل عمود الإسلام، أمرنا أن نضعه بالشام".

وقال ﷺ: "عليك بالشام؛ فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده".

وعن عبد الله بن عمر، قال: قال لنا النبي ﷺ يوماً: "إني رأيت الملائكة في المنام أخذوا عمود الكتاب، فعمدوا به إلى الشام، فإذا وقعت الفتن فإن الإيمان بالشام".

وقال ﷺ: "سيكون هجرة بعد هجرة؛ فخير أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم". ومهاجر إبراهيم

الصلوات هي فلسطين، وفلسطين من الشام^[1].

¹ المراد بالشام الشام الكبرى؛ وهي تضم سورية، والأردن، وفلسطين، ولبنان، وتبوك. من أرض الجزيرة. وما تلاها من جهة الأردن .. كل هذه المنطقة تُسمى الشام؛ لكن عقر الشام ومركزها دمشق وما حولها، كما أفادت بذلك الأحاديث.

والحديث فيه بشرى خير لأهل فلسطين الصامدين المرابطين الملتزمين بمهاجر إبراهيم ﷺ .. رغم كل المضايقات والسياسات التعسفية الإجرامية التي يمارسها الصهاينة اليهود من أجل تهجيرهم وإخراجهم من ديارهم؛ ديار ومهاجر إبراهيم

الصلوات!

“ تَكْفَلُ اللَّهُ لِي بِالشَّامِ ”

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ستخرج نازراً في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس"، قلنا فماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: "عليكم بالشام".

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "فسطاط المسلمين - أي مدينتهم - يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يُقال لها: دمشق؛ من خير مدائن الشام".

وفي رواية عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "يوم الملحمة الكبرى، فسطاط المسلمين بأرض يُقال لها: الغوطة، فيها مدينة يُقال لها: دمشق؛ خير منازل المسلمين يومئذ".

وقال ﷺ: "إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثاً من الموالي أكرم العرب فرساً، وأجودهم سلاحاً يؤيد الله بهم الدين".

وقال ﷺ: "عقردار المؤمنین بالشام". أي مركزهم الذي يأوون إليه — عند الشدائد والمحن والفتن. هو بالشام!

من هذه الأحاديث وغيرها عُدت الشام أرض رباط إلى يوم القيامة، والمقيم فيها — إن صلحت نيته. له أجر المرابط في سبيل الله [1].

هذه هي الشام فأين أنتم يا أهل الشام .. انفضوا غبار الخوف والذل عنكم .. هبوا في وجوه الطواغيت الحاكمين الظالمين الجبناء هبة رجل واحد ..!

لكم — يا أهل الشام — دور نهضوي حضاري ريادي .. تنتظره الأمة منكم .. ومنذ زمن ليس بالقليل .. لا بد من أن تنهضوا إليه .. وتأخذوه بقوة!

هاهو نبيكم — يا أهل الشام — يزكيكم .. ويستنهضكم .. ويحرضكم على القتال والجهاد .. والصدع بالحق .. ويعقد الآمال عليكم .. فصدقوه بالفعال قبل الأقوال .. وأنتم أهل لذلك إن شاء الله.

¹ جميع الأحاديث الأنفة الذكر صحيحة أو حسنة الإسناد والله الحمد، وهي مخرجة في كتاب " فضائل الشام ودمشق للربيعي"، تحقيق الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

“ تَكْفَلِ اللَّهُ لِي بِالشَّامِ ”

قدركم - يا أهل الشام - بأن تكونوا الحماة لهذا الدين .. والمادة التي يُنصر بها الدين وتُعلى كلمته ..
والجند الذي يحفظ الله بهم الملة والأمة .. وأن تكونوا المأوى والمنجاة من الفتن .. ولا بد من أن تتقبلوا هذا
القَدْر. وتكاليفه . بنفس راضية مؤمنة طائعة .. وأجركم على الله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ
الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ التوبة:38.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/02/05 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/03/15 م

موقف أمريكا من النظام السوري

موقف أمريكا من النظام السوري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد كثُرَ الكلام عن عملية التغيير للنظام الحاكم في سورية، وعن موقف أمريكا الضاغِط عليه .. وكثير من الناس — فيما يُحَلِّلون ويُخَمِّنون — بين مُشَرِّقٍ ومُغَرِّبٍ .. لذا وجدت نفسي مشدوداً لكتابة هذه الكلمات؛ مجلياً فيها بعض الحقائق . الظاهرة الخفية . حول هذا الموضوع.

وقبل أن نتعرف على موقف أمريكا من النظام الحاكم في سورية .. لا بد من أن نقف — ولو بشيء من الإيجاز . على الوضع والظروف الآنية للنظام السوري، وهي كالتالي:

1- على المستوى الداخلي؛ فإن النظام الحاكم يُعاني من عزلة كبيرة .. ومن نفور شعبي عارم؛ حيث وُضع للنظام — بسبب سياساته القمعية والمتخلفة والباطلة — في نفوس الشعب السوري أقصى معاني البغض والكره والسُّخْط .. وبالتالي فإن الشعب وآلامه وآماله في وادٍ .. والنظام الحاكم — بفئته الطائفية القليلة — في وادٍ آخر .. فلا الشعب يهمله من أمر النظام الطاغوي الحاكم شيء .. مهما حلَّ به ودارت عليه الدوائر .. والشعب محقٌّ في ذلك .. ولا النظام الحاكم — الممثل بفئته الطائفية الحاكمة — يهمله من مصالح الشعب السوري شيء .. مهما كثرت معاناته وآلامه ومشاكله .. ونظام بلا رصيد داخلي .. ولا شعبٍ يركن إليه عند الشدائد والمحن .. نظام ضعيف خاوٍ .. لا يقوى على مواجهة التحديات .. وتراه يخافُ من أي نسمة هواء تأتي من الخارج .. مهما انتفش وانتفخ وظهر للعيان بأنه نظام قوي ومتماسك!

2- النظام السوري لا تحكمه المؤسسات، ولا يقوم على نظام مؤسساتي .. كما هو سائد في المجتمعات المدنية المتقدمة .. وإنما هو نظام طائفي قائم على حكم الفرد .. تحكمه مجموعة أفراد؛ قد لا يتجاوزون أصابع اليد .. أكثرهم ينتمي للطائفة النصيرية .. يزول النظام بزوالهم .. وزوال مكاسيمهم .. وأصنامهم!

3- الفساد بكل أبعاده ومعانيه: الأخلاقي، والإداري، والاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، والإعلامي، والتعليمي .. من سمات وثمار النظام الطائفي الحاكم في سورية .. وهو منتشر بصورة تستعصي

موقف أمريكا من النظام السوري

على الإصلاح .. إذ لا ينفع معها سوى الاستئصال .. وهذا واقع ظاهر يعرفه الجميع .. ويُقر به الجميع .. لا يحتاج منا إلى استدلال أو ذكر للبراهين .. نسودّ بها الصفحات ..

ونؤذي بها أعين القراء!

4- الجيش السوري .. مُهمل وضعيف .. وفقير .. وذليل .. فاقد للروح القتالية الفعّالة .. لا يقوى على أي مواجهة خارجية .. مُربي تربية طائفية وبعثية ومبرمج عليها .. مهمته الأساسية بل والوحيدة .. حماية الطاغوت الحاكم ونظامه .. وحزب البعث .. ومكاسب الطائفة النصيرية الحاكمة التي حققتها . بالسطو والسوط والنهب . طيلة فترة حكمها لسورية .. الممتدة لأكثر من أربعة عقود!

فهو جيش خاملٌ مُهملُ الإعداد والتدريب .. إلا كيف يُرَوِّع الأمنين .. وكيف ينقضُّ على الشعب السوري المقهور – المحكوم بالحديد والنار – إذا ما بدا منه أيُّ تدمّرٍ أو اعتراضٍ على سياط الجلاد .. فهذا يتقنه وبكل جدارة وهمة - كما فعل في مجزرة حماه وغيرها - هذه رسالة الجيش وهذه غايته من الوجود .. وللأسف!!

5- لا يُقدّر النظام الطائفي الحاكم على إجراء أية مُصالحة جادة وفاعلة وصادقة مع الشعب السوري؛ لأنّ مصالحة النظام لشعبه . المقهور والمغلوب . تعني خسران مكاسب الطائفة النصيرية الحاكمة .. وخسران مكاسب حزب البعث المنبوذ .. وخسران مكاسب العناصر الحاكمة المتنقّذة .. التي اكتسبتها . خلال عدة عقود – على حين غفلة من رقابة الشعوب .. وهذه خطوط حمراء لا يُمكن للنظام الحاكم أن يتهاون بها أو يتجاوزها .. وعلى دُعاة الإصلاح أن يفهموا ذلك!!

لذلك فالنظام السوري .. يستحلي ويستعذب .. كل ذلٍّ وانبطاح للقوى الخارجية .. ودفع كل ضريبة – مهما كانت باهظةً ومُكلِّفةً – تُطلَب منه من قبل المجتمع الدولي .. مقابل أن يُحافظ على مكاسبه الأنفة الذكر .. ومُقابل أن لا يُجري تلك المصالحة والمصارحة مع شعبه المقهور .. والتي تعني فقدان المكاسب الأنفة الذكر!!

6- يقوم النظام الحاكم . ومنذ أربعة عقود . بكل جد وإخلاص ، بدور كلب الحراسة الوفي على حدود دولة الصهاينة اليهود .. يحرس أمنها وشعبها ومصالحها من سهام المجاهدين .. والشعوب الراغبة في الثأر

موقف أمريكا من النظام السوري

لفلسطين .. وتحرير فلسطين .. فطيلة فترة حكم البعث لم تُسجَل حالة اختراق أو تسلل واحدة ضد قوات الصهاينة اليهود عبر الحدود السورية الفلسطينية .. وهذه خاصية ينبغي أن تُذكر عند الحديث عن موقف أمريكا من النظام السوري!

7- يقوم النظام السوري الحاكم بكل جد وإخلاص بعرض خدماته المجانية لأمريكا في حملتها المزعومة ضد الإرهاب .. كما أنه يقوم بحراسة الحدود العراقية السورية بكل ما أوتي من قوة وإمكانيات؛ حرصاً منه على حراسة الحدود، ومنع أي تسلل للمجاهدين عبر حدودها للأراضي العراقية .. واعتقال النظام لمئات من الشباب العرب المتواجدين على الأراضي السورية ولأدنى شبهة، ومن ثم تسليمهم إلى بلدانهم .. لهو أمر معلوم للجميع .. وهذه خاصية ينبغي أن تُذكر كذلك عند الحديث عن موقف أمريكا من النظام السوري!

8- معاناة النظام الحاكم — لأسباب عدة — من عزلة عربية ودولية قاتلة، تزيده وهنا على وهن .. وضعفاً على ضعف!

هذا الوضع والواقع للنظام السوري تعرفه أمريكا جيداً .. وربما تعرف أكثر منه .. وعلى ضوء معرفتها هذه بواقع النظام السوري .. فهي تُحدد موقفها، وتتعامل معه!

فما هو موقفها من النظام السوري ..؟!

قبل أن نجيب عن هذا السؤال .. ولكي نتعرف على الموقف الأمريكي جيداً من النظام السوري .. لا بد من أن نسلط الضوء — بعض الشيء — على العقلية والسياسة التي تحكم أمريكا في تعاملها مع الآخرين، وذلك من خلال النقاط التالية:

1- أمريكا — بحكم قوتها العسكرية، وشعورها كأقوى دولة في العالم — ذات نفوذ وأطماع توسعية واستعمارية لا تقف عند حد؛ فهي تتدخل في كل شيء .. ولو استطاعت أن تبني في كل دولة قواعد عسكرية لها . تهدد بها من يعترضها أو يُنكر عليها سياساتها أو لا يدخل في حلفها . لما قصرت ولا ترددت!

2- الذي يُحدد السياسة الخارجية لأمريكا هي مصالحها الذاتية والمنتشرة في أنحاء العالم، ومصالح دولة الصهاينة اليهود في فلسطين؛ فهي — مقابل تحقيق مصالحها ومصالح دولة الصهاينة — على

موقف أمريكا من النظام السوري

استعداد أن تتحالف وتضع يدها مع الأنظمة الطاغية الديكتاتورية، وأن تدعم الطغاة المتسلطين على رقاب شعوبهم بالحديد والنار.. وأن تتجاهل مصالح ورغبات وتطلعات الشعوب المقهورة والمغلوبة.. وما أكثر الأمثلة والشواهد الدالة على ذلك لو أردنا الاستدلال!

فأمريكا التي تتظاهر بعنائها للنظام السوري — هذه الأيام — هي أول من أرسلت وزيرة خارجيتها السابقة " مادلين أولبرايت"، ومعها زير خارجية بريطانيا، وولي العهد السعودي.. يوم هلاك الأسد الأب.. ليجددوا لنظامه الولاء.. وليقولوا وبكل وضوح للأسد الابن نحن معك، ومع نظامك الفاشي، رغم ديكتاتورية أبيك.. ودكتاتورية نظامك.. ورغم ما ارتكبتموه من مجازر جماعية بحق الشعب السوري!

فأمريكا لا يمكن أن تقف مع الشعوب إذا كان موقفها مع الشعوب ضد الطغاة الديكتاتوريين سيكون على حساب مصالحها وأطماعها وسياساتها التوسعية الأنفة الذكر.. كما أنها لا يمكن أن تقبل بديمقراطية — في أي دولة من الدول — لا تصب تلك الديمقراطية في خدمتها وخدمة مصالحها وأطماعها وأهدافها التوسعية في المنطقة.. أو تأتي — هذه الديمقراطية — بعناصر واتجاهات لا تروق لأمريكا، ولا تعمل على تنفيذ مخططاتها.. وما أكثر الشواهد الدالة على ذلك لو أردنا التوسع والاستطراد!

3- رغم قوة أمريكا العسكرية، وشعورها بأنها أقوى دولة في العالم؛ إلا أنها تحب أن تسبح في المياه السهلة التي لا يكلفها العوم فيها كثيراً، وهي قبل أن تُمارس أي ضغط على أي نظام آخر تنظر إلى مدى قوته وتماسكه، وحجم ردة الفعل عنده لو هاجمته؛ فإن وجدته ضعيفاً يسهل السطو عليه، تجرأت عليه.. وزارت بوجهه.. واستعرضت قوتها.. ورفعت ضده أقصى درجات التهديد والتدخل في شؤونه الداخلية.. كما فعلت مع نظام البعث العراقي، ومن قبله نظام دولة الطالبان في أفغانستان.. واليوم تمارس نفس الضغوط والأسلوب مع النظام السوري المريض.. والمتآكل!

أما إن وجدت ذلك النظام التي تريد أن تمارس الضغوط ضده قوياً و متماسكاً، وردة فعله ستكون عنيفة لو صعدت من ضغطها أو لهجتها ضده.. اتخذت معه أقصى درجات الحيطة والدبلوماسية.. بعيداً عن أي تصعيد عسكري، كما هو موقفها من الصين الشيوعية الديكتاتورية، ومن كوريا الشمالية الشيوعية الديكتاتورية؛ لامتلاك الدولتين على أسلحة ردة نووي..!

موقف أمريكا من النظام السوري

4- من أهداف السياسة الخارجية الأمريكية الرئيسية، الوقوف — وبكل ما أوتيت من قوة ومكر ودهاء .. ومهما كانت التكاليف والتضحيات . ضد أي عمل أو مشروع إسلامي . في أي بقعة من بقاع الأرض . يهدف إلى قيام دولة إسلامية تحكم بالإسلام، أو استئناف قيام خلافة إسلامية راشدة غير منحازة إلى شرق ولا غرب .. وإن كانت هذه الدولة مطلباً أجمعت عليه الشعوب والجماهير!

هذه أبرز معالم السياسة الخارجية الأمريكية .. فإن علم ذلك، نأتي إلى الجواب عن السؤال الذي كتبنا هذا المقال لأجله: ما هو موقف أمريكا الحالي من النظام السوري .. وهل هي فعلاً جادة في الخلاص منه، وتريد تغييره واستبداله بنظام آخر؟!

الجواب: فهي تريد ولا تريد .. وترغب بتغييره ولا ترغب .. كيف؟!

فهي تريد وترغب بتغييره للأسباب التالية:

- 1- نظام البعث الحاكم في سورية امتداد لنفس ديكتاتورية ومنهجية نظام البعث البائد في العراق؛ فالذي يزعم عدم رضاه بديكتاتورية نظام البعث العراقي، ويغزو العراق من أجل ذلك — كما يزعمون! — لا يمكن أن يتظاهر برضاه بديكتاتورية نظام البعث السوري، وبخاصة أن نظام البعث السوري أشد ظلماً وطغياناً، وإجراماً، وطائفية، وديكتاتورية من النظام البعثي العراقي ..!
- 2- رغم استعداد النظام السوري على التعاون الكامل مع أمريكا .. في حربها ضد الإرهاب — زعموا!.. وغزوها للعراق .. وغير ذلك من المجالات .. كما ظهر في توصيات مؤتمر حزب البعث الأخير؛ حيث أوصى بضرورة توسيع وتكثيف الاتصالات مع الإدارة الأمريكية الحالية .. ودخولها في ذلك عملياً كما تقدمت الإشارة إلى ذلك .. إلا أن النظام السوري لم يعد يلي حاجيات وطموحات الدولة الأمريكية في المنطقة، وبخاصة بعد غزوها واحتلالها لأرض العراق!
- 3- نظام الحكم في سورية .. نظام متلون وذو أوجه، يتقن النفاق والابتزاز؛ فهو من جهة — وحتى لا يفقد مطلق مصداقيته — تراه يرفع شعاراته القديمة الجوفاء: الوطنية والبعثية والقومية ضد الاستعمار المحتل .. وأن مقاومة المحتل حق مشروع .. ومن جهة أخرى تراه يدخل في موالاته هذا المستعمر المحتل، وفي نصرته، ويمد له يد العون .. ويحرسه .. ويضرب هذه المقاومة المشروعة .. وأمريكا لم يعد يعجبها هذا

موقف أمريكا من النظام السوري

التلون .. وهذا النفاق، فقد صرحت على لسان رئيسها مراراً: إما أن تكون معي ومع أهدافي ظاهراً وباطناً، وإما أن تكون ضدي، وكل من لم يكن معي ولم يدخل في حلفي صراحة، فهو ضدي .. وهو هدف من أهدافي!

فسورية دولة متاخمة للعراق .. وهي تستطيع — لو صدقت في المقاومة ودعم المقاومة — أن تعكر استقرار وصفو الغزاة الأمريكان في العراق .. وتخرب عليهم أهدافهم ومشاريعهم الاستعمارية الضخمة التي جاءوا من أجلها .. وهذا ما يُخيف أمريكا ومن معها من الغزاة .. لذا فهي ترغب بنظام يحكم سورية يكون أكثر وضوحاً .. وأكثر طواعية لها على مصالحها وأهدافها في العراق والمنطقة كلها!

4- تقاطع المصالح الطائفية للنظام السوري في لبنان، والداعمة لحزب الله الشيعي الموالي لإيران .. والذي يعمل لصالح إيران .. مع مصالح أمريكا، ورببتها دولة بني صهيون .. وهذا لا يمكن أن تقبل به أمريكا! ..

5- النظام السوري نظام منبوذ .. وضعيف بكل ما تعني هذا الكلمة من معنى .. قد انتهى بريقه .. وانتهى دوره .. وهو في مرحلة الشيخوخة رغم صغر سن حاكمه .. وهذا ما يشجع أمريكا على أن تمارس ضده سياسة الاستقواء والبلطجة كما تقدم .. ولا يُستبعد أن تقوم ضده بعمليات جزئية محدودة يحمله على مزيد من الانبطاح والتنازلات، والعمالة!

6- سقوط النظام السوري مطلب شعبي وجماهري .. وقد ازداد وقوي هذا المطلب .. للأسباب الأنفة الذكر .. وأمريكا تخشى أن يأتي هذا التغيير عن غير طريقها .. ومن دون سابق ترتيب معها .. فتفقد حينئذ الهيمنة على القديم والجديد .. فيحصل المكروه والخيار الأسوأ لأمريكا، ولرببتها إسرائيل، وهذا ما لا تريده .. لذا فهي ترغب بأن يأتي التغيير عن طريقها، وبعد الترتيب معها، والاتفاق على المغانم والمصالح، والسياسات!!

7- تفكيك وإضعاف الجبهة الطائفية — رغم عمالتها — الإيرانية السورية .. فأمريكا لا ترضى بعمل قوي، قد يهدد بعض مصالحها وسياساتها. في العراق والمنطقة. في مرحلة من مراحل التمرد والاستعصاء! لأجل هذه الأسباب مجتمعة فأمريكا تريد وترغب بتغيير النظام السوري!

أمّا أنها لا تريد ولا ترغب بتغييره، فلأسباب التالية:

موقف أمريكا من النظام السوري

1- فهي إلى الساعة لم تُعدّ البديل الأنسب لها .. فتخشى أن تستعجل بإزالته وتغييره .. فيأتي من لا

تريد مجيئه .. أو لا يُحقق لها مصالحها بصورة أفضل من النظام الحالي!

لذا فأمريكا أعلنت منذ أشهرٍ عن رغبتها في الاتصال بالمعارضة السورية بكل أطرافها، بما في ذلك

الاتجاه الإسلامي المعتدل - كما يسمونه! - الممثل في الإخوان المسلمين .. من أجل إعداد البديل المناسب لها

ولسياساتها في المنطقة .. والذي يمكن أن يحكم كبديل عن النظام الحاكم في سورية!

2- النظام السوري - كما تقدم - ليس شراً محضاً لأمريكا ولسياساتها في المنطقة .. بل هو يحقق لها

كثيراً من المصالح والمكاسب .. وهي تخشى أن تستعجل زواله فتزول معه تلك المصالح والمكاسب!

3- خشيتها من أن يكون البديل عن النظام الحاكم الحالي هو النظام الإسلامي؛ وبخاصة أن شعب

سورية غالبية ينتمي للطائفة السنية، ويطوق لأن يُحكّم بالإسلام .. وهذا ما لا يمكن أن ترضى به أمريكا!

4- النظام السوري النصيري .. عدو شرس للإسلام والمسلمين .. ولفكرة قيام دولة إسلامية على

ثرى الشام .. وهذا وصف ترضاه أمريكا من النظام الحاكم، وهو يلتقي مع سياساتها وأهدافها وتوجهاتها

في المنطقة!

5- خشيتها من أن تستعجل زواله وتغييره .. فتظهر ضدها مقاومة إسلامية شرسة كالمقاومة

الموجودة الآن في العراق .. يصعب السيطرة عليها .. وبخاصة أن سورية على حدود فلسطين .. وهذا ما

تخشاه أمريكا ولا تريده أن يحصل ويتكرر!

هذه أهم الأسباب التي تجعل أمريكا تتردد في العمل على تغيير النظام وإزالته .. وتتذبذب في

تصريحاتها نحوه .. وهي في حقيقتها تتنازعها الأسباب الداعية لإزالته، والأسباب الداعية للبقاء عليه .. ولم

تحسم أمرها على خيار منهما بعد .. لكن أعتقد لو أن أمريكا استطاعت أن تجد البديل القوي، والأنسب

لها .. الذي يستطيع أن يحمي لها مصالحها ومصالح الدولة العبرية في المنطقة .. ويسهر على حمايتها

بصورة أفضل من النظام الحالي .. فإن أمريكا لن تتردد لحظة في العمل على تغييره؛ وحينئذٍ سترجع الكفة

لصالح الأسباب الداعية لتغيير النظام وإزالته، على الأسباب المانعة من ذلك .. وهي إلى أن تجد ذلك

البديل ستمارس مزيداً من الضغوط على النظام المريض .. لتحظى منه على مزيدٍ من العمالة والتنازلات!

موقف أمريكا من النظام السوري

هذا هو موقف أمريكا .. فما هو الموقف الذي ينبغي أن يقفه الشعب السوري المسلم من هذه الطغمة الحاكمة المجرمة .. هل ينتظر أمريكا إلى أن تقتنع بإزالة ذلك النظام الطاغي الفاسد، لتستبدله بنظام طاغٍ فاسدٍ آخر .. يهتم بمصالح ومخططات أمريكا في المنطقة أكثر مما يهتم بمصالح شعبه وبلده .. كما حصل ولا يزال يحصل في العراق!؟

أقول: جميع الأدلة النقلية والعقلية توجب على الشعب السوري المسلم بأن ينتفض في وجوه تلك الطغمة الحاكمة الظالمة .. ويُعلن الخروج عليها وعلى نظامها الطائفي الفاسد .. ويتحرر من الخوف والجبن .. وأن يسترد حريته وحقوقه المسلوقة بيده لا بيد غيره!

الاستعانة بالغير الأجنبي — سواء كان هذا الغير أمريكا أو غيرها — يعني أن هذا الغير من حقه أن يتدخل في سياسات وشؤون البلاد والعباد .. وفي مستقبلها وسياساتها .. وأنظمة حكمها — كما حصل ويحصل في العراق وأفغانستان وغيرهما — ويعني أن الاستقلال والتحرر من هيمنة الطغاة الظالمين سيكون منقوصاً ومجتزأً .. لا طعم له ولا رائحة .. وهذا مالا نرضاه ولا نقبله لأهلنا وشعبنا في سورية الأبية! الحرُّ لا يجعل دينه .. وأهله .. ورقبته .. وقراره .. وبلده وخيراتها .. رهينة عند المستعمر الكافر الأجنبي .. يتصرف بها كيفما يشاء!

كفانا استجداءً وفراراً من ظلمٍ إلى ظلمٍ .. ومن طاغوتٍ إلى طاغوتٍ .. ومن كفرٍ إلى كفرٍ، ومن لصٍ إلى لصٍ .. ومن حلفٍ إلى حلفٍ .. وكأنَّ الأمة مُصابة بالشلل .. عاجزة عن استرداد حقوقها بيدها!

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "لا أستعين بمشركٍ على مشركٍ".

أيها الناس .. أيها المسلمون: قد ذهب الكلُّ؛ الدينُ، والعرضُ، والمالُ، والولدُ، والعزةُ، والكرامةُ، والوطنُ .. فلم يُبقِ النظامُ الطاغي لكم شيئاً يعزُّ عليكم إلا وقد سلبكم إياه وأنتم كارهون .. فماذا تخافون .. وتخشون فواته لو انتفضتم في وجوه الطغاة المجرمين .. ونظامه .. وقد فقدتم كلَّ شيء؟!؟

جرَّبْتُم ضريبةَ الذلِّ .. والركونَ للظالمين .. فكانت مُراً علقماً .. فجربوا ضريبةَ العزة والكرامة .. والثأر للحق .. فستجدونها — على شدتها بإذن الله — حلوة المذاق .. وحلوة المآل .. وإني والله لكم من النَّاصحين.

موقف أمريكا من النظام السوري

في الخروج على الطغاة المجرمين الظالمين الكافرين، أنتم في خيارين لا ثالث لهما، وكلاهما خير: إما نصرٌ وعزٌ وسؤددٌ ومجدٌ في الحياة الدنيا، وإما شهادةٌ في سبيل الله .. بينما في الركون إلى الطغاة المجرمين وأنظمتهم فأنتم تتقلبون في عشرات الخيارات؛ كلها تُفضي إلى الذل، والقهر، والفقْر، والضياع، والضلال! أذكركم بقوله ﷺ: "سيدُ الشهداء حمزةُ بن عبد المطلب، ورجلٌ قامَ إلى إمامٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله".

وقال ﷺ: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذنابَ البقر، ورضيتم بالزَّرع، وتركتم الجهادَ، سلَّط اللهُ عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم".
وقال ﷺ: "إذا رأيتم أمتي تهابُ الظالمَ أن تقولَ له: أنت ظالمٌ؛ فقد تُودَّعَ منهم". وإني أُعيدُك يا شامُ أن يُتودَّعَ منكِ ..!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/05/06 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/06/12 م

إخفاقات الحركة الإسلامية المعاصرة

الأسباب، والدوافع، والعلاج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فإن الذي أعنيه وأقصده من عبارة " الحركة الإسلامية "؛ ليس كل العاملين من أجل الإسلام، ومن أجل إعلاء كلمته وغاياته .. وإنما الذي أعنيه كل الشخصيات، والجماعات، والأحزاب الإسلامية المعاصرة التي ارتضت لنفسها الاعتراف بشرعية الأنظمة الطاغية الحاكمة في بلاد المسلمين، والتعامل معها كأنظمة مشروعة تجب طاعتها، والتعايش معها بسلام ..!

أعني كل من تسمى بالإسلامي .. ثم هو تخلى عن طريق الجهاد في سبيل الله .. أو رفعه كشعارٍ عاطفي فقط ليستميل إليه قلوب الناس .. وسلك طرق الديمقراطية والانتخابات، والمشاركة في الأعمال النيابية التشريعية .. يستجدي الاعتراف بوجوده وحقه في الوجود من الطاغوت!

أعني كل من تسمى بالإسلامي – أفراداً وجماعات – ثم هو في المقابل رضي لنفسه ودينه أن يكون جزءاً من الحل، وليس كلَّ الحل لما تعاني منه الأمة وتحتاجه .. وكأنَّ دين الله تعالى ناقصٌ لا يُلي حاجيات الأمة كلها، ولا يقدر على ذلك!

هذا الذي أعنيه في مقالي هذا من عبارة " الحركة الإسلامية " .. وهو جزء ضخم يُمثل – وللأسف! . الجزء أو الجانب الأكبر – من حيث الكم – من الحركة الإسلامية العامة المعاصرة الشاملة لجميع العاملين من أجل الإسلام وباسم الإسلام!

فإن عُلِم ذلك، **أقول:** هناك سؤال كبير يتكرر في وسائل الإعلام .. وعلى ألسنة كثير من الناس والمراقبين .. لماذا هذه الحركة الإسلامية المعاصرة لا تزال تُراوح في مكانها .. وربما إلى الوراء .. لماذا أخفقت في قيادة الأمة .. وحل مشاكلها .. لماذا فشلت في قيام دولة إسلامية راشدة .. تحكم البلاد والعباد بالإسلام

إخفاقات الحركة الإسلامية المعاصرة "الأسباب، والدوافع، والعلاج"

.. ولا يزال الفشل يُلاحقها .. لماذا جهدها ونشاطها ينتهي عند حد الإثارة والتهيج، والتضحية، ليأتي غيرهم .. من غير الإسلاميين ليقطف ثمار تلك الجهود والنشاطات لصالحهم ولصالح برامجهم الباطلة!؟

هذا سؤال كبير .. نجيب عنه . بإذن الله . في النقاط التالية:

1- غياب القناعة والثقة بالنفس على أن تكون الحركة الإسلامية هي البديل، وهي القائد للأمة على

مستوى الدولة والمجتمع؛ ويظهر ذلك من أوجه:

منها: استجداء الحركة الإسلامية — الطويل والذليل — من الطاغوت لكي يعترف بها وبشرعيتها في

الوجود، كطرف يستحق العيش .. فتضع بذلك الحق في موضع الاتهام والشك وكأنه هو الذي يحتاج من الباطل أن يعترف به، وبوجوده، وبحقه في الوجود .. وليس العكس!

ومنها: تحالفاتها المشبوهة مع الأحزاب العلمانية المحلية لتعمل باسمها وتحت مظلتها .. وهي بهذا

الفعل الخاطئ . عن قصد أو غير قصد . تكون قد أصبغت الشرعية على الطاغوت ونظامه .. وعلى الأحزاب العلمانية وبرامجها .. وأمدتها بالقوة والحياة .. وزينت ذلك في أعين عوام الناس، بل وخواصهم!

ومنها: طرحها لنفسها على أنها جزء من الحل .. وليس كل الحل .. وكفريق من الفرقاء المتعددة

الباطلة الموجودة على الساحة .. والتي تكمل بعضها البعض .. فيجعلون لدين الله الحق نفس النصيب والقدر الذي يستحقه أي حزب جاهلي باطل متواجد على الساحة .. كما ويُظهرون — بذلك — دين الله الحق والكمال بمظهر الضعف والعجز والقصور الذي يحتاج إلى الأحزاب الوضعية الأخرى الباطلة وإلى مناهجها ليكتمل ويتقوى بها!

ومنها: أن أقصى طموحات الحركة الإسلامية تقتصر على المراكز والمناصب الخدمانية والتربوية في

المجتمع .. إذ لا يمكن أن يفكروا برأسه الدولة .. أو استلام الحكم في أي دولة من الدول .. فهم دون هذا الطموح .. ومن أزهى الناس بذلك .. كما يصرحون بذلك مراراً!!

2- تخلي الحركة عن كثير من ثوابت العقيدة والدين، والتي منها عقيدة الولاء والبراء، وعقيدة

الجهاد في سبيل الله، وعقيدة الحكم بما أنزل الله .. والشروع في علمنة الحركة، وإفسادها وخروجها عن

إخفاقات الحركة الإسلامية المعاصرة " الأسباب، والدوافع، والعلاج "

المنهج الرباني؛ ويتمثل ذلك في اعتراف الحركة وتحاكمها إلى دساتير الأنظمة الطاغية التي تحكم بلاد المسلمين .. وبرفعها شعارات الديمقراطية، وحاكمية الشعب، والوحدة الوطنية التي تُكرس عقيدة الولاء والبراء .. وتقسم الحقوق والواجبات على أساس الانتماء إلى الحدود الجغرافية للوطن بغض النظر عن الدين أو العقيدة أو مبدأ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات:13. ومبدأ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات:10. وضرورة المصالحة مع القومية العربية على اعتبار أن الخلاف الدائرين العروبة أو القومية والإسلام خلاف مفتعل لا حقيقة له .. وغير ذلك من الشعارات والرايات التي تجعل الحركة الإسلامية المعاصرة أقرب للعلمانية منها إلى الإسلام!

لقد بتنا نسمع مؤخراً من يصرح من قادة الحركة الإسلامية المعاصرة – بكل وقاحة ووضوح – أن شعار " القرآن دستورنا " الذي رفعناه طيلة أكثر من سبعين عاماً .. إنما هو شعار عاطفي فقط غير واقعي ولا عملي .. أردنا منه استعطاف الناس واستمالة قلوبهم لحزبنا وتجمعنا .. وقد صدق هذا القيادي وهو كذوب!

ونحن نسأل: الذي يرفع شعار " القرآن دستورنا " على مدار سبعين عاماً كاذباً كشعار عاطفي فقط .. فما الذي يمنعه من أن يرفع بقية الشعارات الأخرى – الذي ظل يرفعها لأكثر من سبعين عاماً كذلك :- "الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا .."، كشعار عاطفي فقط .. يُدغدغون بها . نفاقاً . مشاعر الناس نحوهم وحسب!؟

والعجيب في الأمر أن الحركة إذ تمارس أقصى درجات الانفتاح والتفاهم والتودد والمداهنة والمجاملة مع الأحزاب والجماعات من ذوي التوجه العلماني واللاذيني .. فهي تمارس أقصى درجات الانغلاق والجفاء مع الفصائل أو الجماعات التي لا ترى رؤيتها، ولا تسلك مسلكها .. وبخاصة منها الجماعات السلفية السنية الجهادية .. فهم أذلة ورحماء على الكافرين .. أعزة وأجلاف على المؤمنين الموحدين المجاهدين .. فهم وجه شبه بالخوارج الأوائل الذين يتركون أهل الأوثان ويقتلون أهل الإسلام .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

إخفاقات الحركة الإسلامية المعاصرة "الأسباب، والدوافع، والعلاج"

والذي يصف الحركة الإسلامية المعاصرة بأنها حركة متلونة متذبذبة؛ لا هي إلى العلمانية قولاً

واحدًا، ولا إلى الإسلام قولاً واحداً .. وإنما هي متذبذبة بينهما .. فقد أصاب الحق وصدق!

3- مما يؤخذ كذلك على فريق كبير ممن ينتمي للحركة الإسلامية المعاصرة أنهم عندما ينطلقون

نحو أهدافهم ومشاريعهم العامة .. تراهم أول ما يضعون في حساباتهم وأولوياتهم: ماذا تريد منا أمريكا ..

والمجتمع الدولي .. لكي نتمكن من تحقيق تلك الأهداف والمشاريع .. ماذا نفعل .. وماذا نقول .. وماذا

نجنب .. حتى ترضى عنا أمريكا .. وعملاؤها من طواغيت الحكم في بلاد المسلمين .. وحتى يعترفوا بنا ..

ويتفاوضوا معنا .. ويسمحوا لنا بالوجود والعيش؟!!

وكان الصواب يقتضي منهم أن يضعوا نصب أعينهم، ويجعلوا ذلك أولى أولوياتهم: ماذا يريد الربُّ

ﷻ منا، لكي نستحق نصره وتأييده وعونه .. ماذا نفعل .. وماذا نقول .. وماذا نجنب حتى يرضى الله تعالى

عنا .. فنحن عباد الله .. لا عباد أمريكا ولا سواها من البشر .. أو الأصنام والأوثان؟!!

كان ينبغي أن يضعوا نصب أعينهم مبدأ: مرضاة الله تعالى أولاً وأخراً .. وإن سخطت علينا أمريكا ..

والمجتمع الدولي .. بل والعالم كله .. فما عند الله تعالى لا يُطلب بمعصيته .. ولا بمرضاة أعدائه، فقد صح

عن النبي ﷺ أنه قال: "من التمس رضا الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن

التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس".

وقال ﷺ: "من أرضى الله بسخط الناس، كفاه الله الناس، ومن أسخط الله برضى الناس، وكَّله الله

إلى الناس".

ورغم أن الحركة الإسلامية المعاصرة مشت شوطاً بعيداً في تلمس مرضاة أمريكا ودول الغرب .. إلا

أن أمريكا لا تزال تأنف وترفع .. وتشترط مزيداً من التوسط والاعتدال والانفتاح — الذي يعني عندهم

الانسلاخ من الدين وقيوده وثوابته . عسى أن تحظى بمزيد من التنازلات والعمالة والخنوع!!

صدق الله العظيم: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ

الهُدَىٰ وَلَئِنْ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة:120.

إخفاقات الحركة الإسلامية المعاصرة " الأسباب، والدوافع، والعلاج "

مشكلة أمريكا الآن – وعملائها من طواغيت الحكم في المنطقة – هم أهل التوحيد والجهاد .. أينما كانوا .. لذا فهي تبحث – منذ فترة – عن التيار المتنور والمنفتح من الحركة الإسلامية المعاصرة الذي يرضى لنفسه أن يكون تلك الأداة الطيبة بيد أمريكا التي ترضى أن تُحارب تلك الطائفة المؤمنة المجاهدة .. تحت مسمى محاربة التشدد .. والعنف .. والإرهاب .. والتكفير .. والتكفيريين – كما يزعمون! – وقد بتنا نسمع ونرى مؤخراً من كثير ممن ينتسبون للحركة الإسلامية المعاصرة .. يرفعون شعار ضرورة محاربة التشدد .. والعنف .. والتكفير .. والتكفيريين .. والعمل من أجل التنوير .. والوسطية والاعتدال .. وهم في حقيقتهم يريدون بذلك أن يقولوا لأمريكا: هاقد وجدت ضالتك .. نحن نكفيك شر هؤلاء الموحدين .. نحن دعاة الاعتدال والوسطية .. والانفتاح .. أطلقوا أيدينا .. نحن من أهل البيت نعرف كيف نحارب هذه المجموعات .. وكيف ننفر الناس عنها .. بإمكانك أن تضعي يدك معنا، وتعتمدي علينا في محاربة هذه الفئة المارقة!!

وإني أعيذ وأحذر الحركة الإسلامية من أن تسير في هذا الطريق الوعر .. وأن تصل لهذا الموصل الدنيء .. فإن أبت إلا أن تفعل .. وأن تكون حُرْبَةً وبلعام أمريكا في محاربة أهل التوحيد والجهاد .. فحينئذٍ تسمى حركتها أي اسم شاءت .. لكن لا تنسب نفسها للإسلام .. ولا تسمى نفسها زوراً " بالإسلامية "!

وفي الحديث القدسي: "إن الله تعالى قال: من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب"، فلحوم المجاهدين مسمومة يا قوم .. حذار أن تقتربوا منها بسوء!

4- غياب القدوة .. والقيادة المميزة والقوية الشجاعة .. والحرّة .. التي ترتفع إلى مستوى الأمانة والأحداث .. والمسؤولية .. وتعيش - بصدق وإخلاص - همّ الأمة والامها .. وكذلك قصور الحركة عن مواكبة تطورات واهتمامات وحاجيات الأمة والشعوب .. إلى درجة الإهمال والاستهتار .. والغفلة .. مما يجعل كثيراً من هذه الشعوب . وللأسف! . تنصرف عنها إلى أحزاب وتجمعات غير إسلامية .. عسى أن تجد عندها بعض ما تحتاجه وتريده!

5- غلبة التعصب الحزبي، والسلوك الأناني على غالب المواقف والأنشطة التي تقوم بها الحركة

الإسلامية المعاصرة

إخفاقات الحركة الإسلامية المعاصرة "الأسباب، والدوافع، والعلاج"

هذه هي أهم الأسباب التي أدت ولا تزال تؤدي إلى تخلف وإخفاقات الحركة الإسلامية المعاصرة في إحداث أي نقلة نوعية نحو التغيير المنشود والمأمول .. والتي تجعلها تراوح في مكانها .. وأحياناً إلى الوراء .. وتجعل يومها المنصرم خيراً من يومها الحاضر، والقادم!

فإن قيل: هذه هي الأسباب .. هذا هو الداء .. فما هو الدواء .. والعلاج .. وكيف السبيل للخلاص ..

إذ لا يكفي تشخيص الداء من دون تحديد الدواء لذلك الداء!؟

أقول: الدواء والعلاج سهلٌ لمن سَهَّلَ الله عليه .. وصدق في طلبه .. وهو معلوم بكل أدلته وتفصيله.

وهو باختصار: أن تُحافظ الحركة الإسلامية بكل أطرافها وأطرافها، وأفرادها – مهما اشتدت عليها

الظروف والمحن – على عقيدة وثوابت الدين الإسلامي ومبادئه .. وأن تسير بكل ثبات وصبرٍ وتجلدٍ ومنهجية

وإخلاص نحو أهداف وغايات وثوابت هذا الدين .. وفق صراط الله المستقيم .. الذي سار عليه جميع

الأنبياء والرسل .. ومن سار على نهجهم ودرهم من الصديقين والشهداء والصالحين .. مع الأخذ بالأسباب

اللازمة .. واعتبار السنن التي خلق الله الخلق عليها .. والتي لا تُحابي أحداً .. ومن دون أن يلتفتوا إلى السُّبُل

والطرق الباطلة الملتوية .. مهما كانت قصيرة ومغرية وبرّاقة .. وكان عبورها سهلاً .. فإن وصلوا .. وحقق

الله على أيديهم النصر والتمكين أو شيئاً من ذلك .. فالحمد لله .. وإن لم يُقدِّر الله لهم شيئاً من ذلك ..

وأراد أن يكون النصر والفتح على يد الجيل التالي .. فهم لا يُسألون .. ولا يُستعتبون – ما داموا قد أخذوا

بالأسباب والسنن والتزموا صراط الله المستقيم . لماذا لم تنتصروا .. أو تصلوا إلى تلك الغايات والأهداف!؟

بينما سَيُسْتَعْتَبُونَ .. ويُسألون .. ويُشَدَّد عليهم في السؤال .. إذا ما انحرفوا عن صراط الله المستقيم

.. ونشدوا الطرق والسبل الملتوية الباطلة .. حتى ولو أوصلتهم تلك الطرق الباطلة إلى نوع من الظفر أو

التمكين؛ فالغايات لا تُبرر الوسائل!

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ

وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام:153.

إخفاقات الحركة الإسلامية المعاصرة "الأسباب، والدوافع، والعلاج"

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً، ثم قال: "هذا سبيلُ الله"، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: "هذه سُبُلٌ؛ على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه"، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف:108.

ثم إن من الأنبياء من لم يؤمن به إلا الرجل الواحد، كما في الحديث: "ما صدَّق نبيٌّ من الأنبياء ما صدِّقتُ، إن من الأنبياء من لم يُصدقه من أمته إلا رجلٌ واحد" مسلم.

ومع ذلك هذا النبي الذي لم يُصدقه - طيلة دعوته وفترة نبوته - من أمته إلا رجل واحد .. لم يكن ليلتفت - حاشاه! - عن صراط الله المستقيم .. إلى السُّبُل والطرق الملتوية الأخرى .. ليكثر سواد أتباعه .. أو من أجل غنائم وحظوظ دنيوية، ونوع تمكين في الأرض!

وكذلك نبي الله نوح عليه السلام حيث ظلَّ ألف عامٍ إلا خمسين وهو يدعو قومه إلى الإيمان والإسلام، ومع ذلك لم يؤمن به إلا قليل من الناس؛ قد لا يتجاوزون العشرين نفرًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هود:40. ومع ذلك لم يكن نوح عليه السلام - حاشاه - يستعجل النصر والتمكين أو استمالة قومه للإيمان به من خلال الطرق والمناهج الملتوية، وإنما ظلَّ صابراً على أمر الله وصراطه المستقيم إلى أن أتاه اليقين.

فإذا كانت الحركة الإسلامية المعاصرة لم تستطع أن تُحرر أرض فلسطين من أيدي الصهاينة اليهود .. فهي غير مطالبة شرعاً ولا عقلاً .. أن تعترف للصهاينة المغتصبين بحقهم فيما اغتصبوه من أرض فلسطين .. بذريعة لا يمكن إلا ما كان .. وقليل من الغنائم خير من لا شيء .. ولا يمكن الاعتراف بنا كحزب أو جماعة لها حقوقها إلا بعد التوقيع والموافقة على كذا وكذا من صفقات البيع والخيانة .. فإن عجزت الحركة اليوم عن تحرير الأرض واسترداد الحقوق .. فلتدع مهمة التحرير للأجيال القادمة، عسى الله تعالى أن يمن عليها بالفتح والنصر، والتمكين .. وإن ذلك لكائن بإذن الله ولو بعد حين!

إخفاقات الحركة الإسلامية المعاصرة "الأسباب، والدوافع، والعلاج"

العجز يُسقط التكليف إلى حين توفر القدرة .. لكن لا يُبرر الخيانة .. والعمالة .. والبيع .. والدخول

في صفقات مشبوهة تمد العدو بالقوة والحياة، وتُصبغ على عدوانه ووجوده الشرعية والقانونية!

المطلوب من الحركة الإسلامية المعاصرة بكل أطرافها وأفرادها .. أن لا تستعجل زمن النصر، وأن

لا تقلق لو تأخر عنها النصر ظرفاً من الزمان .. قد يكون لسبب من عند أنفسنا .. وإنما عليها أن تجتهد قدر

طاقاتها في أن تتقي الله ما استطاعت .. وأن تتفكر في أسباب تأخر النصر؛ لتصلح ما أفسدته .. وتكمل ما

يجب عليها إكماله .. وأن تقلق أشد القلق لو لم تنصر الله ﷻ في موقف من المواقف يستدعي منها النصرة

والتأييد؛ لأن نصر الله تعالى ينزل على من ينصره، ويتأخر ويتخلف عمن يخذل دينه ولا ينصره.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد:7. أي إن لم

تنصروا الله لا ينصركم ولا يثبت أقدامكم!

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الطلاق:2-3. وقال

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو

الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الأنفال:29.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/05/14هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/06/20م

حُبُّ التَّشْفِي .. أَمِ الحُكْمُ الشَّرْعِي

حُبُّ التَّشْفِي .. أَمِ الحُكْمُ الشَّرْعِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

ما إن نشرتُ بياني " حول التفجيرات التي حصلت في مدينة لندن"، إلا وانهمرت علي رسائل عدة، يصعب نقلها بنصها، لكن خلاصة كثير منها مفاده العتاب؛ فبعضهم يتساءل: هل هذا مراجعة أم تراجع .. هل هو تغير وتبدل في المنهج .. وهل .. وهل .. وبعضهم طرح أسئلة حول العهد والأمان في بلاد الكفر، ومدى شرعية الذي قررناه في البيان .. وبعضهم تمادى في إساءة الظن .. وبعضهم يُحيلني لبعض الروابط في الإنترنت .. وما يقوله بعض الناس حول البيان .. وعلى صاحب البيان؟! فوجدت نفسي ملزماً . من قبيل النصح والتواصي بالحق . في أن أجيب عن هذه التساؤلات .. وأن أوضح بعض الحقائق التي قد يجهلها البعض .. وذلك في النقاط التالية:

أولاً: هناك فريق من الناس من أهل البدع والأهواء .. وذوي النفوس المريضة والمغرضة .. لشدة حقدهم وتحاملهم علينا وعلى منهجنا .. عندهم استعداد أن يحولوا حسناتنا إلى سيئات .. والحق إلى باطل .. والعدل إلى ظلم .. والأمانة إلى خيانة .. وما يحملهم على ذلك سوى حب الانتقام والتشفي .. وسوء الأخلاق .. وهؤلاء لا يمكن أن نقف عندهم كثيراً ولا قليلاً .. ولا أن ننشغل في الرد على كلماتهم العامرة بالحقد والجهل؛ لأن المحاولة معهم عبث ومضيعة للأوقات .. وما يعترني صدورهم من الحقد والكراهية لنا ولمنهجنا وعقيدتنا .. يحيل بينهم وبين أن يفهموا الحق .. إلا أن يشاء الله!

ثانياً: بفضل الله تعالى ومنته لم أراجع ولم أتراجع .. ولا غيرت ولا بدلت .. فالذي أنا عليه منذ أكثر من ثلاثين عاماً أنا عليه الآن .. لا أعرف متى بدأت الصلاة؛ لأنني . بفضل الله تعالى . لا أعني وجودي في الحياة إلا وأنا من أهل الصلاة .. ولا أعرف متى اعتقدت والتزمت منهج التوحيد والاجتهاد والجهاد؛ لأنني — بفضل الله تعالى — لا أعني وجودي في هذه الحياة إلا وأنا من أهل هذا المنهج الرباني .. وعيت الحياة — ومنذ نعومة أظفري — وأنا مطارِد من طواغيت الأرض .. لا أعرف التذبذب .. ولا التنقل من منهج إلى منهج .. ولا من

حُبُّ التَّشْفِيّ .. أَمِ الحُكْمِ الشَّرْعِيّ

طريق إلى طريق .. وما ورد في البيان المذكور أعلاه لا يعني مطلقاً خلاف ذلك .. وأنا لا أزي نفسي على الله .. وإنما أسأله تعالى دائماً الثبات وحسن الختام.

ثالثاً: عندما أقولُ أو أكتبُ .. لا أضع نصب عيني ماذا يريد المستمعون .. أو المشاهدون .. أو الجماهير .. أو الأنظمة الطاغية الحاكمة .. أقبل الناسُ أو أدبروا .. وإنما أضع نصب عيني فقط ماذا يريد رب الناس مني .. وما هو القول الحق الذي يحبه ويرضاه .. فمرضاة الناس غاية لا تُدرَك .. ومرضاة الحق غاية سهلة تُدرَك لمن سهلها الله له .. ومن أَرْضَى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأَرْضَى عنه الناس ولو بعد حين!

رابعاً: عُرف عني — ولله الحمد والمنة والفضل — ولا أزال، تأييدي ومباركتي للجهاد في فلسطين، وأفغانستان، والعراق، والشيشان .. وفي البلدان التي تحكمها أنظمة الكفر والظلم والردة .. وهذا لا يعني بالضرورة أنني أؤيد وأبارك كل عمل يقوم به المجاهدون أو غيرهم في تلك البلاد والديار بغض النظر عن مدى شرعيته وإصابته للحق .. وعندما أشير — أنا أو غيري من قبيل النصح أو التنبيه أو التحذير — إلى عملٍ خاطئ قام به المجاهدون في هذه البلدة أو تلك .. لا يعني مطلقاً أننا ضد الجهاد والمجاهدين في هذه البلدة أو تلك .. أو أننا خذلنا — والعياذ بالله — الجهاد والمجاهدين .. كما يُحاول أن يُصور بعض المغرضين ممن يهونون الصيد في المياه العكرة!

خامساً: أعتزُّ أن لي بعض الاجتهادات قد خالفت فيها بعض الإخوان أو الشيوخ المعاصرين — منها العمليات التي تُسمى بالاستشهادية أو الانتحارية .. ومنها قصد قتل أطفال ونساء، وشيوخ المشركين، ومن كان على شاكلتهم ممن لا شأن لهم بأمور الحرب والقتال، ولو على وجه ردة الفعل أو المقابلة — لكن عزائي أنني بذلت قصارى جهدي في طلب الحق، ومعرفة النصوص الشرعية ذات العلاقة فيم تم عليه الاختلاف .. وهذا وارد بين أهل العلم من قبل، واليوم، وغداً .. فمن استراح لاجتهادي وأدلتني فله ذلك، وليحمد الله .. ومن لم يسترح لاجتهادي وأدلتني .. فله أن يدع ويجتهد في البحث عن الحق ويطلبه من مظانه .. ولكن بأدب .. وخلق .. ومن دون صخب أو أذى أو فجور .. أو يُحدث فتنة بين الإخوان!

حُبُّ التَّشْفِيّ .. أَمِ الحُكْمُ الشَّرْعِيّ

سادساً: لكل عالم كلام محكم ومتشابه .. والعدل يقضي برد متشابهه إلى محكمه ليفهم ويُحسن تفسيره، وليس العكس .. أو يُنظر إلى متشابهه من دون الالتفات إلى محكمه .. ومن ثم تُبنى الأحكام، وتُحدد المواقف بناء على متشابهه .. وكأنه ليس له سوى هذا المتشابه!

سابعاً: حذرت مراراً .. وأعيد التحذير هنا بأن لا يُمارس الإخوان سياسة وأسلوب الإرهاب الفكري مع كل فكرة لم ترق لهم .. أو لم يفهموها .. أو لم يقتنعوا بها .. وبخاصة عندما تصدر هذه الفكرة أو المشورة .. عن إخوانٍ أو دعاة لهم سابقة علم، وبلاء، وجهاد .. فهذا يضر بالحركة الإسلامية المعاصرة . وبخاصة المجاهدين من أبناء هذه الأمة — كثيراً، ويحرمها، من آراء، وخبرات، وعلوم لا غنى لها عنها .. وهي بحاجة إليها أكثر من حاجتها إلى أي شيء آخر!

أعرف عدداً من الدعاة والشيوخ الصادقين لا يجرون أن يُعربوا عن قناعاتهم وآرائهم في كثير من المسائل، بصورة كاملة وصريحة .. حرصاً على أعراضهم وسمعتهم .. وخوفاً من هذا النوع من الإرهاب الذي يُمارسه الجماهير والعامة من الناس .. وقد ساءني جداً هذا الصخب الذي أحدثه بعض الناس . لسوء فهمهم وجهلهم - ممن يُحسنون ممارسة هذا النوع من الإرهاب عقب مقابلة أجزاها أخونا الشيخ أبو محمد المقدسي . فك الله أسره . مع قناة الجزيرة .. إلى درجة أن منهم من أخذ يخوض في عرض الأخ، ونيته، وإخلاصه، وجهاده ..؟!!

هناك محاولات حثيثة وخبيثة .. ينشط لها أكثر من طرف .. ترمي للفصل والتفريق بين المجاهدين وبين شيوخهم ومرجعياتهم العلمية .. وتشكيك كل طرف بالآخر .. وعلى مبدأ فرق تسد .. ومبدأ تجفيف الينابيع .. فإن نجحوا في ذلك . لا قدر الله . فلا تسأل عن آثار وعواقب ذلك!

ثامناً: في كثيرٍ من قضايا الجهاد يتزاحم حُبُّ التَّشْفِيّ، والرغبة في الانتقام، مع الحكم الشرعي؛ فمن قدم الحكم الشرعي على حب التشفي فهو المجاهد بحق .. ومن قدم التَّشْفِيّ والرغبة في الانتقام على الحكم الشرعي .. فقد خاب وخسر .. وارتدت النتائج على رأسه!

حُبُّ التَّشْفِيّ .. أَمِ الْحُكْمُ الشَّرْعِيّ

كما في الحديث عن المقداد بن الأسود قال: يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلني فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: "لا تقتله"، قال: فقلت يا رسول الله إنه قد قطع يدي ثم قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله؟ قال رسول الله ﷺ: "لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال" متفق عليه.

فإن قيل: هل يجتمع التشفي مع الحكم الشرعي؟

أقول: نعم؛ إذا كان تبعاً للحكم الشرعي، وضُبط بضوابط الحكم الشرعي!

تاسعاً: الذي أنكرته وأنكره من أحداث وتفجيرات مدينة لندن أمران، كلاهما أنكرهما الشرع أشد الإنكار، أحدهما: قصد قتل المسلمين، والأطفال، والنساء، والشيوخ العجّز، وغيرهم من الأبرياء الذين صان الشرع حرمتهم. بغض النظر عن هوية الفاعل. لأن وسائل النقل لا يُمكن أن تخلو من هذه الأصناف .. وتبرير ما حصل قياساً على مسألة الترس أو التترس قياس فاسد، لا يُمكن أن يُسلم به!

ثانياً: أن يكون الفاعل. لا قدر الله. واحداً من الجالية الإسلامية البريطانية ممن يربطه مع المجتمع البريطاني والدولة البريطانية عهد، وعقد، وأمان؛ لأن ذلك من الغدر الصريح الذي لا يرضاه الله، ولا رسوله، ولا المؤمنون!

هذا الموقف مني. إضافة إلى كونه موقف الشرع. لم أظهره اليوم وحسب، حتى يأتي من يقول: "قد راجعت وتراجعت .. وغيرت وبدلت"، بل قلته قبل أكثر من عشر سنوات .. وألّفت حول المسألة ومتعلقاتها كتاباً قبل أكثر من خمس سنوات، بعنوان: "حكم استحلال أموال المشركين لمن دخل في أمانهم وعهدهم من المسلمين"، وهو منشور في موقعنا على الإنترنت لمن شاء الاطلاع عليه!

ثم إذا كنت أحرم على من يدخل من المسلمين في أمانهم وعهدهم في ديارهم. سواء كانت هذه الديار بريطانيا أم غيرها — من أن يعتدي على أموالهم أو شيء من حرمتهم .. أترون أنني أحل له أن يروعهم ويسفك دماءهم؟!!

حُبُّ التَّشْفِيّ .. أَمِ الحُكْمِ الشَّرْعِيّ

فإن قيل: هم يغدرون بنا .. ويقتلون أطفالنا ونساءنا .. فعلام لا نقابلهم بالمثل؛ فنغدربهم ونقتل

أطفالهم ونساءهم ..!؟

أقول: المقابلة والمعاملة بالمثل لا تجوز على إطلاقها .. ولو فعلنا نكون قد غلبنا حب التشفي

والانتقام على الحكم الشرعي .. وهذا لا يجوز كما تقدم.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إِدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك".

قد قلت مراراً، وأعيد فأقول هنا: إذا أردنا أن يتنزل النصر على أمة الإسلام .. ويُرفع عنها ما حلَّ بها

من ضيم .. لا يمكن أن نقاتل العدو ونعامله بأخلاقه .. وإنما لا بد من أن نقاتله ونعامله بأخلاق الإسلام ..

وأخلاق وتعاليم نبينا محمدٍ صلوات ربي وسلامه عليه.

عاشراً: ألحظ في كثير من الأحيان — تحت عنوان الحماسة الزائدة وحب التشفي والانتقام.

استخفافاً واستهتاراً بمسألة العهد والأمان .. حتى صار من يتكلم عن ضرورة مراعاة واحترام العهد والأمان

عرضة للتهكم والاستهزاء .. وسوء الظن .. رغم تشديد الشارع على حرمة العهد والأمان .. ووفرة النصوص

الشرعية الدالة على ذلك .. وتشديد السلف الصالح على ذلك .. واعتبارهم شبهة الأمان أمان ..!

فيا من تريد أن ترفع عدوان العدو عنك وعن أمتك أذكرك بقول حبر الأمة ابن عباس ؓ: "ما خترَ

قومُ العهدِ إلا سلطَ اللهُ عليهم العدو"؛ فإن أبيت إلا أن تنقض العهد، ولم تُراع له حرمة .. ثم سلطَ اللهُ

عليك العدو .. ومكَّنه منك .. فلا تلومنَّ إلا نفسك!

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/06/05 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/07/11 م

البُعدُ الوطني عند الوطنيين

البُعدُ الوطني عند الوطنيين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

أعني بالبعد الوطني عند الوطنيين؛ أي الذين يزعمون الوطنية من طواغيت الحكم والظلم في منطقة الشرق الأوسط ومن يدخل في موالاتهم ونصرتهم من العلمانيين بكل تشعباتهم ومذاهبهم ومسمياتهم .. فالوطن والوطنية عند هذا الفريق من الناس .. شعار أجوف لا طعم له ولا رائحة .. ولا وجود له على الحقيقة .. أرادوا منه تمييع وتغيب عقيدة الولاء والبراء في الإسلام وحسب!

البعد الوطني عند هؤلاء الوطنيين .. لا يتعدى أن يكون ولاءً للحاكم .. ولنظام الحاكم .. وأيما شخص يُعارض الحاكم .. والنظام الحاكم .. فهو عند هؤلاء الوطنيين غير وطني .. وضد الوطن، ومن أعداء الوطن!

البعد الوطني عند هؤلاء الوطنيين .. يعني الراتب الشهري الذي يتقاضونه من الحاكم ونظامه .. والامتيازات التي يخصصهم بها دون غيرهم .. مقابل وطنيتهم .. وولائهم له .. ولنظامه الحاكم .. ولو توقفت الرواتب، وتوقف العطاء .. توقفت الوطنية .. ولعنوها .. وباعوا الوطن ومن فيه بثمن بخس!

البعد الوطني عند هؤلاء الوطنيين .. يعني أن الوطن وما فيه .. ومن يعيش فيه .. ملك للحاكم ولعائلة الحاكم سواء كان هذا الحاكم رئيساً أم ملكاً .. والإنسان في هذا الوطن وما يملك ما هو إلا من جملة ممتلكات وعقارات الرئيس أو الملك .. يحق لهذا الرئيس أو الملك .. أن يتصرف بها بيعاً وشراءً وهبةً .. وتنازلاً .. كيفما يشاء .. ومن دون أن يُسأل عما يفعل؛ لأن الملك أو الحاكم فوق المساءلة والمحاسبة .. والدستور والقانون يُجرّم مُساءلته ومُحاسبته .. وكيف يُسأل ويُحاسب والدولة شعباً وأرضاً وثروة .. من ملكه .. وملك أبيه!

وعندما يرفع ملك من الملوك شعاراً .. كما في بعض البلاد العربية . " الإنسان أغلى ما نملك "، ويُرفع على مباني ومؤسسات الدولة والمجتمع .. إنما هو يعني كل ما تقدم ذكره .. وأن الإنسان في دولته ومملكته ملك يمينه .. وعبد ومملوك له!

البعدُ الوطني عند الوطنيين

لذا نجد الحاكم أو الملك في تلك البلاد .. لا يمكن أن يقبل فكرة التخلي عن مقاليد الحكم والملك لغيره . مهما مضى على حكمه للبلاد والعباد . ما دام في جسده عرق ينبض بالحياة .. وما ذلك إلا لاعتقاده . وذلك كله وفق القانون والدستور كما يزعمون . أن البلاد والعباد من ملكه .. لا يحق لهم أن يخرجوا عن طاعته، وملكيته، وحقه في التصرف بهم كيفما يشاء .. كما لا يحق لأحد أن يُخرجهم عن طاعته، وملكيته، وتصرفه بهم كيفما يشاء!

البعد الوطني عند هؤلاء الوطنيين .. يعني سلامة عرش الملك أو الرئيس .. وسلامة مصالحه الخاصة .. فلو دُمّر الوطن كله .. وبقي عرش الملك أو الرئيس سالمًا فالوطن بخير .. وهو عامر بالمسرات والانتصارات!

هذا البعد الوطني عند هؤلاء الوطنيين .. هو الذي يجعلنا نُحسن تفسير هجرة كوادروطاقات الأمة خارج البلاد .. باحثة عن أرض أمان تشعر أن لها فيها حقاً تملكه .. وتتصرف به بحرية .. بعيداً عن محاولات السطو .. والنصب والنهب .. والاستعباد!

هذا البعد الوطني عند هؤلاء الوطنيين .. هو الذي يجعل كثيراً من الشعوب لا تفكر بجذ وإخلاص كيف تعمل على تحسين مستوى اقتصاد وقوة الوطن الذي تنتمي إليه .. ومستوى معيشة المواطن .. لاعتقادهم المسبق أن الوطن ليس وطنهم رغم أنهم هم أهله وأصحابه وسكانه أباً عن جد .. وأن كل ما يقومون به من مشاريع وأعمال نافعة ستصب في خدمة الحاكم وزمرته .. وأهوائه وشهواته .. وإلا ستبوء بالفشل والخسران .. وأن الوطن والمواطن لن ينالهما من ذلك الخير شيء إلا بقدر ما يتساقط من فُتات يُرمى من على موائد الحاكمين المترفين!

هذا البعد الوطني عند هؤلاء الوطنيين .. هو الذي يجعلنا نُحسن تفسير انهماك جيوش العرب من أول طلقة تُطلق عليها من أعداء الأمة .. لاعتقاد الجند وشعورهم أنهم جند عند الطاغوت .. وأنهم يُدافعون عن وطن الملك أو الرئيس .. وعن حكمه ونظامه .. وليس عن أوطانهم وأوطان المسلمين الذي يُعتبر الذود عنها ورد العدو الصائل عنها من أهم فروض الأعيان في الإسلام!

البُعدُ الوطني عند الوطنيين

هذا البعد الوطني عند هؤلاء الوطنيين .. هو الذي يجعل كثيراً من الشعوب العربية والإسلامية لا تبالى ولا تكثرث للكوارث والمصائب التي تحل بالبلاد والعباد .. لعدم شعورهم أن البلاد بلادهم .. وأن ما يملكونه هو لهم .. قد وهمهم الله إياه!

أيما مصاب أو بلاء أو ضرر ينزل في أي بلدٍ من بلاد الغرب تتفاعل معه الشعوب قبل الحكام .. وقبل الجهات الرسمية .. لاعتقادهم وشعورهم أن البلاد بلادهم .. وليس بلاد الحكام وحسب .. وأن لهم في البلاد مثل ما للحكام وزيادة .. بينما في عالمنا الشرق أوسطي كما يسمونه . وللأسف . نرى الشعوب تتجاهل ما ينزل في البلاد من ضرر وبلاء .. بل وكثير منهم يتمنى نزول البلاء في البلاد .. ليس حباً في إضرار البلاد والعباد .. وإنما لشعورهم أنهم لا يملكون شيئاً حتى يتضرروا فيه .. فقد فقدوا كل شيء .. ومن يفقد كل شيء .. فأى شيء يحزن أو يقلق عليه أو لأجله .. ولشعورهم كذلك أن هذا الضرر ينزل بساحة الحكام الممتلكين المتسلطين .. وعائلاتهم والمقربين منهم .. وهو يطالهم وحدهم دون غيرهم .. وهذا مطلب مرغوب لدى هذه الشعوب المقهورة!

هذا البعد الوطني عند هؤلاء الوطنيين .. هو الذي يجعلنا نحسن تفسير سهولة تخلي وتنازل . هؤلاء الوطنيين — عن البلاد وخيراتها وثرواتها .. لصالح الغزاة المستعمرين .. كما في فلسطين والعراق وغيرها من البلاد .. عندما تتعرض ملكيتهم العامة .. وحقوقهم العامة للخطر أو الزوال!

وعندما تعترض عليهم العُصبة المؤمنة .. المجاهدة .. التي بها يحفظ الله الدين .. وحرمات البلاد والعباد .. بأن ليس لهؤلاء الوطنيين — مهما تشدقوا بالوطنية — أن يبيعوا البلاد وثرواتها .. وخيراتها .. ومقدساتها .. لأعداء الأمة من الغزاة .. أو أن يُباركوا غزو الغزاة لأوطان المسلمين .. أو أن يتنازلوا عن حقوق الشعوب في بلادهم من دون استئذانهم ومراجعتهم .. عندئذٍ يأتي الحديث مباشرة عن الشرعية؛ لمن له الشرعية في الملك والزعامة والرياسة .. وهذه البلاد من يملكها ومن يحكمها .. ومن ثم من له شرعية حق التفاوض .. ومن ثم من له شرعية حق البيع .. والتنازل عن حقوق البلاد والعباد .. لصالح الغزاة من أعداء الأمة .. لو شاء!!

البعد الوطني عند الوطنيين

والجواب عن هذا كله – عند هؤلاء الوطنيين – أن الشرعية المطلقة للحاكم وحده .. أما الشعوب المقهورة .. والمكبوتة .. والمهجرة .. والمستعبدة – إلى آخر قائمة التنكيل والإذلال – فلا شرعية لها، ولا حقاً .. يجوز لها أن تسأل عنه!

ومن يُزاحم هذه الشرعية في ملكيتها للبلاد والعباد .. أو يسائلهم ويُحاسنهم .. فيما يتصرفون فيه من حقوق الشعوب بغير وجه حق .. فهو الخارج على الشرعية .. والوطن والوطنية .. وليس له عند الوطنيين هؤلاء سوى السجن .. والقتل .. والتهجير!

على سبيل المثال لا الحصر. وحتى لا نبقى في ساحة العموميات . هل تجرؤ الشعوب في السعودية .. أو أي دولة من دول الخليج المصدرة للنفط .. أن يسألوا حكامهم .. عن كيفية تحديد سعر البترول .. وعن كيفية بيعه .. والجهة التي ينبغي أن يُباع لها .. وأين يذهب دخله وثمرته .. وفي جيوب من يُوضع .. وعلى من يُنفق .. وكيف يُنفق؟!

عندما يُجري هؤلاء الحكام صفقات الخيانة والعمالة مع أعداء الأمة .. ضد الوطن وأهل الوطن وخيرات الوطن، ومقدسات الوطن، وما أكثر هذا النوع من الصفقات .. هل تجرؤ الشعوب أن تُسائلهم .. فضلاً عن أن تُحاسنهم؟!

ولو تجرأ أحد ففعل .. سرعان ما تجد كلاب الوطن والوطنية تنبح عليه .. ويتهمونه بالخروج على الشرعية .. والتدخل فيما لا يعنيه .. وأنه صاحب فتنة، ومن الخوارج .. والفئة الضالة .. وربما يسحبون منه الجنسية الدالة على انتمائه لموطنه ومسقط رأسه!

هذا هو مفهوم الوطن والوطنية عند هؤلاء الوطنيين .. وبالتالي من حقنا أن نضع عشرات إشارات الاستفهام عندما نجدهم يتكلمون ويتشددون . من دون أدنى حياء . عن الوطن والوطنية .. ومصصلحة الوطن والمواطن .. وحقوق المواطنة!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/06/10هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/07/16م

محاذير العمليات الاستشهادية أو الانتحارية

محاذير العمليات الاستشهادية أو الانتحارية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد تكلمت مراراً عن حكم العمليات الاستشهادية أو الانتحارية - قبل أكثر من خمس سنوات - وفي مواضع عدة من المسائل المتفرقة .. وإلى الساعة لا تزال تتكرر علي نفس الأسئلة من الإخوان .. وعذرهم أنهم لا يستطيعون أن يقفوا على قولي في المسألة المتناثرين أكثر من ألف سؤال وجواب .. لذا رأيت أن أعيد ما قلته في تلك الفتاوى المتناثرة المتفرقة في مقال واحد .. وبشيء من التفصيل، ليسهل مراجعته والوقوف عليه لمن يشاء.

فقد قلت، وأقول: هذه العمليات هي أقرب عندي للانتحار منها للاستشهادية .. وهي حرام لا تجوز ..

للمحاذير التالية:

1- أهمها أنها تعني بالضرورة قتل المرء لنفسه بنفسه .. وهذا مخالف لعشرات النصوص الشرعية المحكمة في دلالتها وثبوتها، التي تُحرم على المرء أن يقتل نفسه بنفسه أيّاً كان السبب الباعث على فعل ذلك، والتي منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ النساء:29-30. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة:195.

ولقوله ﷺ في الحديث الصحيح: "مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحِدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بطنه فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا" مسلم.

وقال ﷺ: "من قتل نفسه بشيء في الدنيا عُدِّبَ به يوم القيامة" مسلم.

وقال ﷺ: "كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جرحٌ، فجزعَ، فأخذَ سكيناً فحزَّ بها يده، فما رقا الدمُ حتى

مات، قال الله تعالى : بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة" البخاري.

مخادير العمليات الاستشهادية أو الانتحارية

وما استُدل به على جواز أن يقتل المرء نفسه بنفسه لغرض إنزال النكاية بالعدو .. كالأدلة الدالة على جواز الإقدام والانغماس في صفوف العدو .. وقصة الغلام مع الملك .. ومسألة قتل الترس .. فهي أولاً لا تعني أن يقتل المرء نفسه بنفسه .. وإنما تعني أن يُقتلَ على يد عدوه أو غيره لا بيد نفسه .. وهي ثانياً متشابهة في دلالتها على جواز قتل المرء لنفسه بنفسه لغرض النكاية بالعدو .. حمالة أوجه ومعانٍ .. يُمكن صرفها إلى أكثر من معنى .. وإلى أكثر من وجه .. غير معنى ووجه قتل النفس بالنفس .. وما كان كذلك لا يصلح أن يكون دليلاً في المسألة .. ولا تُرد بمثله الأدلة المحكمة القطعية في دلالتها وثبوتها .. ولا يقوى على دفعها ومعارضتها .. وقد تقدم ذكر بعض هذه الأدلة.

2- العمل بمقتضى الأدلة المتشابهة في هذه المسألة .. يعني نسخ وتعطيل العمل بالأدلة المحكمة القطعية التي تُفيد تحريم قتل المرء لنفسه بنفسه .. وهذا لا يجوز اللجوء إليه، لأوجه عدة:

منها: أن المحكم في دلالاته وثبوتها لا يُرد ولا يُنسخ بالمتشابه.

ومنها: أن المتشابه يُفسَّر ويُفهم على ضوء المحكم، وليس العكس .. وأن المحكم حكّم على المتشابه وليس العكس.

ومنها: أن قواعد الشريعة تُلزم العمل بمجموع النصوص .. وعدم اللجوء إلى القول بالنسخ، أو التعطيل، أو تقييد المطلق إلا في حالة استحالة التوفيق بين مجموع النصوص .. وفي مسألتنا منعدمة هذه الاستحالة؛ إذ لا يوجد تعارض بين نصوصها .. ويُمكن التوفيق فيما بينها .. والعمل بمجموعها .. ومن دون تعطيل أي نص من نصوص المسألة؛ فمن وجه يُعمل بالأدلة والنصوص التي تُرغب بالشجاعة .. والافتحام .. والانغماس في صفوف العدو .. من غير تهور .. وإن أدى ذلك لأن يُقتل المرء على يد عدوه .. ما دام في انغماسه مصلحة راجحة للجهاد والإسلام والمسلمين .. ومن وجه آخر يُعمل بالأدلة والنصوص التي تمنع من أن يقتل المرء نفسه بنفسه .. فالتوفيق ممكن وسهل .. لا حاجة البتة للجوء إلى التقييد أو النسخ أو التعطيل!

محاذير العمليات الاستشهادية أو الانتحارية

خلاصة القول: أن قولي في المسألة مؤداه العمل بمجموع النصوص ذات العلاقة بالمسألة .. بينما العمل بقول المخالف مؤداه ولا بد إلى تعطيل العمل بالنصوص الشرعية المحكمة التي تفيد حرمة المرء أن يقتل نفسه بنفسه .. وهذه مجازفة لا تؤمن عواقيها!

3- ومن محاذير هذا العمل أنه في الغالب . كما هو مشاهد . مؤداه إلى قتل الأنفس البريئة المعصومة شرعاً وبغير وجه حق .. سواء كانت هذه الأنفس المعصومة من المسلمين أم من غيرهم .. وهذا محذور لا ينبغي الاستهانة به .. بل ينبغي الاحتراز له كثيراً كثيراً؛ فالمرء لا يزال دينه بخير ما لم يُصب دماً حراماً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ النساء:93. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الإسراء:33. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّأُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُم مَّعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ الفتح:25.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "اجتنبوا السبع الموبقات"، منها: "قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ...".

وقال ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" و "المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم": مفهوم المخالفة يقتضي أن الذي لا يأمنه المسلمون على أموالهم وأنفسهم، ولا يسلمون من لسانه ويده، فهو ليس بمسلم ولا مؤمن .. وهذا وعيد شديد ينبغي الحذر منه.

وقال ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه ..".

وقال ﷺ: "لقتل مؤمنٍ أعظم عند الله من زوال الدنيا!"

وقال ﷺ: "كل ذنبٍ عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً".

وقال ﷺ: "أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة!"

وقال ﷺ: "لا يزال العبد في فسحةٍ من دينه ما لم يصب دماً حراماً!"

مخادير العمليات الاستشهادية أو الانتحارية

وقال ﷺ: "من أذى مؤمناً فلا جهاد له"; هذا فيمن يؤدي مؤمناً - مجرد أذى - فكيف فيمن يقتله ..

ويتعمد قتله؟!

وقال ﷺ: "من قتل رجلاً من أهل الذمة، لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين

عاماً!"

وقال ﷺ: "من قتل نفساً بمعاهدة بغير حِلِّها، حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها".

هذه أدلة محكمة قطعية في دلالتها وفي ثبوتها .. لا يُمكن ردها أو تعطيلها .. أو الاستهانة بها بأدلة

متشابهة حمالة أوجه .. أو لذرائع واهية ضعيفة لا تقوى على الوقوف أمام تلك النصوص المحكمة الأنفة

الذكر؛ كذريعة التترس .. إذ يكثر الاستدلال بها في هذا الزمان!!

التترس - الذي يُبيح قتل الأنفس المعصومة - له صفات وشروط؛ لو انتقص شرط واحد منها، بطل

العمل بفقهِ التترس .. وكذلك الاستدلال بأدلة التترس!

منها: أن يستحيل رد عدوان العدو إلا من جهة التترس .. إذ لو وجد سبيلاً لرد عدوان العدو من

جهات عدة غير جهة التترس .. لا يجوز حينئذٍ قتل التترس وتعرضه للخطر .. ولا مواجهة العدو من جهة

التترس.

ومنها: أن يكون ترك العدو من أجل التترس .. أشد خطراً وضرراً على البلاد والعباد .. من قتال وقتل

العدو وورده من جهة التترس .. أما إن كان قتله وقتاله من جهة التترس أشد ضرراً وخطراً مما لو تُرك - كأن

تُقتل عشرات الأنفس المعصومة البريئة من أجل كافر محارب - لا يجوز حينئذٍ قتاله من جهة التترس .. أو

تعرض التترس للخطر؛ لأن قواعد الشريعة دلت وأجمعت على دفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر، وتقديم

أقل الضررين والمفسدتين في حين كان لا بد من أحدهما.

ومنها: أن تكون المصلحة الراجحة من قتل التترس قطعية ويقينية؛ أي غير ظنية محتملة .. فالظنُّ

لا يُغني من الحق شيئاً.

محاذير العمليات الاستشهادية أو الانتحارية

ومنها: أن يكون قتال العدو لا يحتمل التأخير ولا التواني .. أو التريص .. أما إن كان يحتمل التأخير أو التريص إلى حين نجاة المترس بهم .. أو ابتعادهم أو إبعادهم عن ساحات المواجهة — وبخاصة إن كان الترس متحركاً وهو لا يعلم أنه ترس كما هو مشاهد في كثير من الحالات — لا يجوز حينئذٍ قتال العدو واقتحامه من جهة المترس بهم .. وتعرض المترس بهم للخطر؛ فلأن يتريص المجاهد ساعات .. بل وأياماً حتى يظفر بعدوه مستقلاً عن الترس .. خير له ألف مرة من أن يستعجل المواجهة على حساب الأنفس المعصومة البريئة، وهذا مما يدخل في معنى قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن:16.

ومنها: إن تحققت الشروط الأربعة الذكر .. يجوز حينئذٍ للمجاهد أن يدفع العدو من جهة الترس .. ونيته وقصده العدو وليس الترس .. فإن أصيب الترس . بعد ذلك . بنوع أذى أو ضرر .. فلا حرج إن شاء الله .. وتكون إصابته حينئذٍ تبعاً لا قصداً!

قال القرطبي في التفسير 563/8: قد يجوز قتل الترس، ولا يكون فيه اختلاف إن شاء الله؛ وذلك إذا كانت المصلحة ضرورية كلية قطعية؛ فمعنى كونها ضرورية: أنها لا يحصل الوصول إلى الكفار إلا بقتل الترس، ومعنى أنها كلية: أنها قاطعة لكل الأمة؛ حتى يحصل من قتل الترس مصلحة كل المسلمين، فإن لم يفعل قتل الكفار الترس واستولوا على كل الأمة، ومعنى كونها قطعية: أن تلك المصلحة حاصلة من قتل الترس قطعاً، قال علماؤنا: وهذه المصلحة بهذه القيود لا ينبغي أن يختلف في اعتبارها؛ لأن الفرض أن الترس مقتول قطعاً؛ فإما بأيدي العدو فتحصل المفسدة العظيمة التي هي استيلاء العدو على المسلمين، وإما بأيدي المسلمين فهلك العدو وينجو المسلمون أجمعون، ولا يتأتى لعاقل أن يقول: لا يُقتل الترس في هذه الصورة بوجه؛ لأنه تلزم منه ذهاب الترس والإسلام والمسلمين ا- هـ.

والسؤال الذي يطرح نفسه ويحتاج إلى جواب منصف وجريء: هل العمليات التي تُسمى بالاستشهادية تُراعي هذه الشروط والقيود — الأربعة الذكر — حتى يصح الاستدلال عليها بفقهِه وأدلة الترس والتترس !!؟..

مخاطر العمليات الاستشهادية أو الانتحارية

4- من المخاطر التي تُذكر كذلك، أن الأخ المجاهد الذي يصل إلى درجة أن يضحي بنفسه وماله، وكل ما يملك في سبيل الله .. قيمة عظمى .. وعملة نادرة في هذا الزمان .. لا يُقدر بقيمة ولا ثمن، ولا بألف من العدو .. لا يصح أن يُحكم عليه بالإعدام . بعملية تفجيرية . من أول خطوة يخطوها نحو ساحات الجهاد .. فهذا . والله . أول ما يُثلج قلوب الأعداء!

لا يجوز التهاون والتساهل بأعظم طاقات وكوادر الأمة؛ وزجهم في عمل محدود متشابه غير مأمون النتائج والآثار .. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة:128. والنبي ﷺ يجب أن يكون قدوتنا في ذلك.

لا يجوز أن نستعجل - بأيدينا - قدوم هذا الشاب الفريد المميز - على الله .. خشية أن يُقال له يوم القيامة بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه وعلى من استعجل قدومه عليّ الجنة !!
لا بد من أن يُعطى هذا الشاب الفرصة الكافية ليمارس جهاده بصورة صحيحة ومحكمة بعيدة عن ساحات الشبهات والمتشابهات .. عسى أن يكتب الله له عمراً مديداً في الجهاد .. فيغيظ الله به الكفار .. ويحقق على يديه النكاية في العدو أضعاف أضعاف ما يُمكن أن يحققه من جراء عملياته الوحيدة التي تُسمى بالاستشهادية!

قد بلغني أن بعض ساحات الجهاد المعاصرة التي يقصدها الشباب المسلم المجاهد من جميع الأمصار .. أول ما يُخَيَّر الشاب الذي يصل إلى تلك الساحات بخيارين لا ثالث لهما؛ إما أن يرضى أن يكون مشروعاً استشهادياً تفجيراً .. جهاده كله بل وحياته كلها محصورة في عملية واحدة لا غير .. قد تصيب وقد تخيب .. وما أكثر العمليات التي تخيب .. وإما أن يعود من حيث أتى .. وذلك بعد أن يكون قد كابد قمة المخاطر والمعاناة لكي يصل إلى تلك الساحات!!

وهذا خطأ وفق جميع الاعتبارات والمقاييس؛ خطأ شرعي؛ لأن إكراه الأخ وحمله على أن يقتل نفسه بعملية التفجيرية الوحيدة .. وهو غير مقتنع بشرعيتها .. أو في نفسه نوع ريب أو شك حول مدى شرعيتها وجوازها .. أو أنها عنده أقرب للانتحار منها إلى الاستشهاد .. فحينئذٍ لو أطاعهم في تفجير نفسه .. يكون قد

محاذير العمليات الاستشهادية أو الانتحارية

أطاعهم في معصية الله .. وهذا لا يجوز؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .. ولو قُتِل وهو على هذا الاعتقاد والشك والريب .. حكمه حكم المنتحر القاتل لنفسه بنفسه .. وجميع نصوص الوعيد ذات العلاقة بكبيرة الانتحار تُحمل عليه.

وهو خطأ عسكري استراتيجي .. لأن ذلك معناه ذج المجاهد في معركة واحدة لا ثاني لها .. قد تصيب وقد تخيب .. ويعني كذلك تنفير عدد كبير من شباب الأمة ممن يودون اللحاق بساحات الجهاد في سبيل الله!

وهو خطأ كذلك بحق الأخ، وتفريط بقيمته، وأمنه وسلامته .. بعد أن جازف وكابد المخاطر .. وهذا لا يجوز!

مجموع هذه المحاذير الأربعة الأنفة الذكر – بعضها مع بعض – هي التي حملتني على القول بحرمة هذا العمل .. وأنه لا يجوز.

فإن قال جاهل أو مجهول: أنت تريد جهاداً وردياً .. فكيف إذا كنا لا نستطيع أن نصل إلى العدو إلا من خلال تلك العمليات الاستشهادية التفجيرية؟!

أقول: كذبت .. المجاهدون الذين يُحسنون التريص .. وأن يقعدوا للعدو كل مرصد .. يصلون إلى العدو بفضل من الله .. ويُنزلون به – من حيث الكم والنوع – أعظم نكاية وخسارة .. من تلك التي تحصل بسبب العمليات الانتحارية التفجيرية المتشابهة .. المثيرة للجدل بين المسلمين وعلمائهم!

ثم أن الغايات – في ديننا وشريعتنا – لا تبيح الوسائل الباطلة الغير مشروعة .. فالمباح لا يُدفع ولا يُجلب بالمعصية .. ولو حصل العجز فعلاً عن إدراك العدو .. فالبدل حينئذٍ الإعداد .. والصبر .. والتريص .. وأن يُقعد للعدو كل مرصد .. والتقوى .. والدعاء .. وإن طال الزمن .. لا أن يستعجل المرء قتل نفسه بنفسه .. أو أن يقتل من عصم الشارع دماءهم وحرماهم .. متدرباً بقلة الصبر ونفاد الحيلة .. فأمر الجهاد لا يُتقنه إلا الرجل المكيث .. قليل الأنفاس .. شديد الصبر!

فإن قيل: هل يفهم من قولك بعدم جواز تلك العمليات التفجيرية .. وأنها عندك أقرب للانتحار وقتل النفس منها للاستشهاد .. أن الذين فجرُوا أنفسهم – ولا يزالون يفجرون أنفسهم – في تلك العمليات

مخاير العمليات الاستشهادية أو الانتحارية

هم منتحرون وهم من أهل الوعيد والنار.. تُحمل عليهم النصوص الدالة على عقوبة المنتحر القاتل لنفسه بنفسه؟!

أقول: في المسألة قولان معروفان ومشهوران: فريق من أهل العلم يعتبر فاعليها — قولاً واحداً . منتحرين قاتلين لأنفسهم بأنفسهم .. وأنهم من أهل الوعيد والعذاب!

وفريق من أهل العلم يعتبرهم شهداء .. وأنهم . قولاً واحداً . من أهل الوعد، والنعيم والجنان! وكلا القولين عندي ضعيفان ومرجوحان، وبيان ذلك: رغم قولي بحرمة هذه العمليات .. وأنها لا تجوز .. وهي عندي أقرب للانتحار وقتل النفس بالنفس إلا أن صاحبها إن كان متوئلاً .. قد اعتمد على أدلة المجيزين لها .. واعتقد أنها هي الراجحة .. والتزم بشروطهم وقيودهم .. أرجو أن يكون شهيداً ومن أهل الوعد، والنعيم والجنان .. وأن يغفر الله له إن شاء الله.

أما إن كان يعلم بحرمتها .. وكان معتقداً بأن الأدلة التي تُفيد التحريم هي الراجحة .. أو كان في شك وريب من حلها وجوازها .. ثم هو مع ذلك أقدم على فعلها — لسبب من الأسباب — فهذا منتحر .. وقاتل لنفسه بنفسه .. وهو من أهل الوعيد والعذاب .. تُحمل عليه جميع النصوص ذات العلاقة بعقوبة المنتحر القاتل لنفسه بنفسه، والله تعالى أعلم.

هذا إذا كان فعله لا ينعكس إلا على نفسه .. أما إن أدى فعله إلى إزهاق الأنفس المعصومة البريئة بغير حق .. فحينئذٍ يمتد الحديث عن حقوق العباد .. وعن الكفارات ودفع الديات .. وتفصيل ذلك يطول .. وهو مدون في كتب الفقه لمن يريد مراجعتها.

هذا الذي قلته .. وهذا الذي أقوله وأفتي به .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/07/20هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/08/24م

“ الرضى بالشيء كفاعله ”

“ الرضى بالشيء كفاعله ”

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

اعلم أن الرضى بالشيء كفاعله؛ فمن رضى المنكر أو الذنب والإجرام وصفق وهلل وكبر له، فله وزره، ووزر من عمل به، وإن لم يعمل به، أو لم تكن له مشاركة في فعله .. وكان جالساً في بيته على أريكته .. ومن رضى المعروف أو الحسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها، وإن لم يعمل بها، وحال بينه وبين فعلها العجز أو الضعف.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ النساء:140.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى: إن معنى الآية على ظاهرها، وهو أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فجلس عند الكافرين المستهزئين من غير إكراه ولا إنكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فهو كافر مثلهم، وإن لم يفعل فعلهم لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر، والرضى بالكفر كفر.

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضى بالذنب كفاعله، فإن ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه؛ لأن الحكم على الظاهر وهو قد أظهر الكفر فيكون كافراً^[1].

وقال القرطبي في كتابه "الجامع" 418/5: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾، من لم يجتنبهم فقد رضى فعلهم، والرضى بالكفر كفر، فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية ا- هـ.

¹ مجموعة التوحيد:48.

“ الرضى بالشيء كفاعله ”

وقد رفع لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوم يشربون الخمر فأمر بجلدهم، فقيل له: إن فيهم صائماً! فقال: ابدؤا به، أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ .

فجعل حاضر المنكر كفاعله؛ لأن جلوسه معهم من غير إكراه ولا إنكار قرينة دالة على الرضى بحالهم وفعالهم، فعوقب بمثل ما عوقبوا به.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

الأنفال:25.

قال القرطبي في التفسير 391/7: قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكرين أظهرهم فيعصم العذاب -هـ- فيعصمهم بالإقرار والرضى .. عذاب من فعل المنكر والجرم .. وإن لم يفعلوه أو يُشاركوا في فعله!

وفي السنة، فقد صحح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تتخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقبله فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" مسلم.

فقوله صلى الله عليه وسلم "وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل": لأنه ليس وراء إنكار القلب سوى الرضى والإقرار؛ لذا ينعدم الإيمان.

قال ابن تيمية في الفتاوى 127/28: تغيير المنكر يكون تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارة باليد. فأما القلب فيجب بكل حال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن.

وقيل لابن مسعود: من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً -هـ-.

“ الرضى بالشئء كفاعله ”

وقال ﷺ: "إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها

فرضها، كان كمن شهدها" [1]. أي كمن شهدها وفعالها، وكان مقراً لها .. في الوزر والإثم، والجزاء!

فمرد الأمر في هذا الجانب إلى النية وما ينعقد في النيات، كما قال ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما

لكل امرئ ما نوى" متفق عليه.

وقال ﷺ: "إنما الدنيا لأربعة نفر؛ عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه،

ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو

أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط في

ماله بغير علم، ولا يتقي به ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم

يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء" [2].

فوزرهما سواء؛ علماً أنه لم يفعل فعله .. وإنما شاركه فقط في النية والرضى فيما هو عليه من وزر.. فكانا

سواء!

وقد لفتت نظري ظاهرة متفشية بين كثير من الناس . ممن هان عليهم دينهم . وهي أنهم يضعون

أنوفهم في المتشابهات .. بل وفي كثير من الأحيان يخوضون . بغير علم . في المحكمات الواضحات في الحرمة أو

الحل .. وينقسمون بين مؤيد ومعارض .. وبين المبارك والساخط الناقم .. يحسبون أن الأمر هيناً عند الله

تعالى!

كثير من الأعمال لها حكم الإجرام في شرع الله .. لا يمكن أن تُصنف إلا في خانة سفك الدم الحرام

.. ومع ذلك ترى فريقاً من الناس . تحت عناوين وذرائع شتى . وبكل ارتخاء وبساسة وجرأة .. يُغامرون

ويُقامرون بدينهم وحسناتهم فيصفقون ويكبرون لهذه الأعمال مباركين ومؤيدين لها .. ولمن فعلها!

¹ صحيح سنن أبي داود: 3651.

² صحيح الترغيب والترهيب: 14.

“ الرضى بالشيء كفاعله ”

وهؤلاء — سواء علموا أم لم يعلموا — وهم جالسون على أريكتهم في بيوتهم .. لهم نفس وزر هذه

الجرائم .. ونفس وزر فاعليها .. وإن لم يُشاركوا في فعلها!

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ

عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء:93.

أقول: نفس الوزر .. ونفس الوعيد والجزاء الوارد في هذه الآية الكريمة .. ينال من رضي قتل المؤمن

.. أو أقره وباركه .. وصفق له .. وإن لم يُشارك في ارتكاب الفعل والجرم!

وقال ﷺ: "لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا".

وقال ﷺ: "كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً".

وقال ﷺ: "أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة".

وقال ﷺ: "لا يزال العبد في فسحةٍ من دينه ما لم يصب دماً حراماً".

وقال ﷺ: "من قتل رجلاً من أهل الذمة، لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين

عاماً".

وقال ﷺ: "من قتل نفساً معاهدة بغير حلها، حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها".

أقول: نفس الوزر الوارد في هذه الأحاديث .. ونفس الوعيد المترتب على ارتكاب هذا الوزر .. الوارد

في هذه الأحاديث .. يطال من رضي وبارك أو أقر وصفق .. لقتل المؤمن .. أو النفس المعاهدة .. وإن لم

يُشارك بأي إجراء عملي أو فعلي في عملية القتل أو ارتكاب الجرم!

فالحذر الحذر .. عباد الله .. فلا يستخفنكم الشيطان فيحملكم على المغامرة والمقامرة بدينكم

وحسناتكم .. وأنتم جالسون على أريكتكم في بيوتكم .. فتهلكوا وتخسروا كل شيء .. وأنتم تعلمون أو لا

تعلمون .. فتندمون، ولات حين مندم!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/10/09هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/11/11م

مفهوم خاطئ شائع لا بد من تصحيحه

مفهوم خاطئ شائع لا بد من تصحيحه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد لاحظت منذ فترة ليست بقريبة .. توجهاً خاطئاً عند بعض الشباب المتحمس لقضايا الجهاد .. حيث تراهم - بدافع العصبية والتعصب والجهل - يردون كل قولٍ - ولو كان حقاً - يخالف بعض ما عليه بعض أهل الثغور والجهاد .. الحق عندهم هو ما عليه أهل الثغور والجهاد ولو كان مخالفاً لنصوص الكتاب والسنة .. لا يقبلون أن يُقال في مجاهد مقاتل أخطأ والصواب كذا وكذا .. لسان حالهم يقول بعصمة المجاهدين عن الوقوع في الخطأ .. وهم يعلمون أو لا يعلمون .. لا يقبلون قولاً ولا رأياً - وإن كان حقاً - لمن لا يُقاتل . وإن كان من أهل التقوى والعلم . فيمن يُقاتل وإن كان يغلب عليه الجهل والخطأ!

فالمجاهد .. ما دام يُجاهد ويُقاتل فهو دائماً على حق وصواب .. وما سواه ممن يُخالفونه . وإن كانوا من أهل العلم والفضل والتقوى . فهم دائماً على باطل وخطأ!

يردون - أحياناً - نصوص الكتاب والسنة - لهوى في نفوسهم .. ورغبة في التشويش على الحق - تحت

حجة أنهم على مذهب وقول المجاهدين وأهل الثغور!

وحجتهم في جميع ما تقدم ذكره، فهمم الخاطئ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت:69.

فقالوا: هذا دليل على أن الله تعالى تكفل بهداية المجاهدين المقاتلين إلى سبل الحق والهداية

والصواب دون غيرهم أو أكثر من غيرهم، فحصرنا الهداية للحق على المجاهدين المقاتلين دون غيرهم ..

وبالتالي لو اختلفوا مع غيرهم فالحق معهم على الإطلاق .. ومخالفهم على الباطل .. ومن دون أن يدققوا

النظر في أدلة الطرفين .. وأي القولين أو الفريقين أقرب لأدلة الكتاب والسنة ومقاصدها!

أقول: هذا فهم خاطئ للآية الكريمة وللمراد منها؛ فالذي عليه أكثر أهل العلم والتفسير أن المراد

من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ ؛ أي الذين جاهدوا - في طلب مرضاة الله - أنفسهم وحملوها على

مفهوم خاطئ شائع لا بد من تصحيحه

المتابعة، والطاعة، ومخالفة الهوى، وطلب العلم، فصدعوا بالحق، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر..

وقالوا: مما يدل على هذا المعنى أن الآية مكية؛ أي نزلت قبل أن يُشرع ويؤذن بالقتال.

وإليكم بعض أقوالهم:

قال ابن عطية الأندلسي في تفسيره: "فهي قبل الجهاد العُرَفي، وإنما هو جهاد عام في دين الله تعالى

وطلب رضائه.

قال السدي وغيره: نزلت هذه الآية قبل فرض القتال.

وقال الحسن: الآية في العبَاد.

وقال ابن عباس، والحسن، وإبراهيم بن أدهم: هي في الذين يعملون بما يعلمون.

وقال أبو سليمان الداراني: ليس الجهاد في هذه الآية قتال العدو فقط، بل هو نصرُ الدين، والرد

على المبطلين، وقمع الظالمين، وعُظُمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة

الله.

وقال الضحاك: معنى الآية: والذين جاهدوا في الهجرة لنهدينهم سبيل الثبوت على الإيمان " ا- هـ.

وقال ابن كثير في التفسير: " **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾** ؛ يعني الرسول ﷺ وأصحابه، وأتباعه إلى يوم

الدين.

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عباس الهمداني: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾** قال الذين يعملون بما

يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون " ا- هـ.

وقال الشوكاني في التفسير: " **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾** ؛ أي جاهدوا في شأن الله

لطلب مرضاته، ورجاء ما عنده من الخير لنهدينهم سبلنا؛ أي الطريق الموصل إلينا.

قال ابن عطية: هي مكية نزلت قبل فرض الجهاد العُرَفي، وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب

مرضاته .. " ا- هـ. ثم نقل بقية كلامه الذي ذكرناه أعلاه.

مفهوم خاطئ شائع لا بد من تصحيحه

وقال الألويسي في كتابه روح المعاني: "﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ في شأننا ومن أجلنا ولوجهنا خالصاً

.. وأطلقت المجاهدة لتعم مجاهدة الأعداء الظاهرة والباطنة بأنواعهما.

ومن الناس من أول ﴿جَاهِدُوا﴾ بأرادوا الجهاد، وأبقى ﴿لِنَهْدِيَهُمْ﴾ على ظاهره، وقال السدي: المعنى

والذين جاهدوا بالثبات على الإيمان لنهدينهم سبلنا إلى الجنة، وقيل: المعنى والذين جاهدوا في الغزو

لنهدينهم سبل الشهادة والمغفرة. وما ذكر أولاً أولى "ا- هـ.

وقال القرطبي في التفسير: "﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ ؛ أي جاهدوا الكفار فينا، أي في طلب

مرضاتنا، وقال السدي وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال. قال ابن عطية: فهي قبل الجهاد

العربي، وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته .. "ا- هـ.

ونحن هنا لا ننكر أن من أهل العلم والتفسير من أدخل مجاهدة العدو وقتاله في سبيل الله في معنى

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ . وأن من السلف من قال: "إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك

بالمجاهدين، وأهل الثغور"، ولكن الذي نرده ولا نقبله حصر المراد من الآية بجهاد القتال دون غيره من

أنواع المجاهدة والجهاد، وبخاصة بعد أن علمنا أن الآية مكية؛ أي نزلت قبل أن يُشرع الجهاد ويؤذن به.

مما يدل على هذا المعنى الذي ذهبنا إليه كذلك، قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة:282.

قلت: وتقوى الله تعالى أعم من مجاهدة العدو وقتاله .. حيث يدخل فيها جهاد العدو، وجهاد

النفس، وحملها على الانقياد والطاعة والمتابعة الظاهرة والباطنة لنصوص الشريعة .. وبالتالي فالمرء على

قدر ما يحقق التقوى بمعناها العام في نفسه على قدر ما يُعلِّمه الله تعالى ويزداد علماً وفضلاً .. ويكون

حجة على غيره.

ومما يستدل به كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ

طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة:122. فهذه الآية الكريمة

دللت أن الطائفة التي بقيت مع النبي ﷺ يطلبون العلم والتفقه في الدين منه صلوات ربي وسلامه عليه،

مفهوم خاطئ شائع لا بد من تصحيحه

ولم يخرجوا للقتال والغزو هم الذين يُعلمون ويفقهون من نفر للقتال والغزو إذا ما رجعوا إليهم .. ما كانوا قد تعلموه من النبي ﷺ؛ أي أن القاعد عن الجهاد لغرض طلب العلم يُعلم ويفقه من نفر للغزو والجهاد حينما يعود من جهاده.

ونقول كذلك: الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد - رحمهم الله تعالى - لم يكونوا من أهل الجهاد - الجهاد القتالي - ولا من أهل الثغور .. ومع ذلك كانوا مرجعاً للأمة في الفقه والعلم .. ولا تزال مذاهبهم وأقوالهم مرجعاً للأمة في جميع أمصارها .. والناس - بما فيهم أهل الثغور - عالة على فقههم وعلمهم .. ولم يقل أحد منهم: قولهم مردود لأنهم لم يكونوا يوماً من أهل الجهاد والثغور!

وفي المقابل الحجاج بن يوسف الثقفي .. كان من أهل الجهاد والثغور .. وقد فُتحت على يديه كثير من بلاد العدو .. ومع ذلك يُذكر بالسوء .. ويوصف بالظلم والطغيان .. ولا أحد يقول بأنه يؤخذ منه علم أو فقه .. فضلاً عن أن يقول: هو أفقه وأعلم ممن ليسوا من أهل الثغور كالأئمة الأربعة رحمهم الله .. وغيرهم!

ويقال كذلك: أن العصمة لنبيينا - صلوات ربي وسلامه عليه - فقط .. وما سواه سواء كان من أهل الثغور أم لا .. يُخطئ ويُصيب، يُؤخذ منه ويُرد عليه .. وفي حال وقوع التنازع والاختلاف بين الناس فما هو العاصم .. وما هو المرجع الذي يُتحاكم إليه ويُرد إليه النزاع والاختلاف..؟

الجواب: يعلمه الجميع؛ ألا وهو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .. كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:59. ولم يقل ﷺ فردوه إلى أهل الثغور .. أو إلى غيرهم، وإنما قال: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ أي إن كنتم صادقين في إيمانكم؛ فإن لم تردوا ما تنازعتم فيه ﴿إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فهذا دليل على كذب ادعائكم بأنكم مؤمنون، وأنكم ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ .

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ النساء:65.

مفهوم خاطئ شائع لا بد من تصحيحه

ويقال كذلك: من خلال تطوافنا في الأرض والأمصار وجدنا كثيراً من المجاهدين ومن أهل الثغور .. عندهم من العادات والسلوكيات الكثيرة التي تُخالف تعاليم الإسلام .. وقد قُدر لصاحب هذه الكلمات ولله الحمد أن يكون من أوائل - إن لم يكن أول - من يطؤون أرض الجهاد في أفغانستان - وكان ذلك أوائل عام " 1981 م - فكان مما رأيته أن من المجاهدين المقاتلين من يُعلق في رقبتهم التمامم والتعاويد المليئة بالصور، والرموز، والكلمات الشركية .. ويعتقدون - جهلاً - أنها تنفعهم وتحفظهم .. وترد عنهم الضرر .. وكذلك توجههم إلى القبور بالدعاء، والتمسح والتبرك .. وغير ذلك من السلوكيات الخاطئة .. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل يجوز . شرعاً . السكوت على هؤلاء وعلى منكرهم .. وعلى سلوكياتهم الخاطئة هذه .. بحجة أنهم من أهل الجهاد والثغور .. وأنهم هم الأعلم والأحكم .. لا يجوز للقاعدين .. أو من ليس له درجة جهادهم وقتالهم .. أن ينصحهم، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر؟!!

لا أظن عاقلاً يقول بذلك فضلاً عن عالم بدين الله وأحكامه .. يحترم نفسه ودينه وعقله .. وقد وجدنا أدلة الكتاب والسنة مطلقة في حضيها على التناصح، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ومن دون أن تخصص فريقاً من الناس دون آخر .. أو فريقاً من أهل العلم دون آخر؛ فالكل على ثغرة من ثغور الإسلام، وعلى كل امرئ أن يتقي الله في الثغر الذي استؤمن عليه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت:33.

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة:105.

خلاصة القول الذي نرجحه، والذي دلت عليه مجموع نصوص الكتاب والسنة: أن المرء بقدر ما

يلتزم جادة التقوى .. والعمل بما يعلم .. ويخالف هواه .. ويكون بعيداً عن الحرام وارتكاب الحرام .. ويحمل نفسه على المجاهدة الظاهرة والباطنة ليوافق الشرع في جميع سلوكه وحياته .. بما في ذلك مجاهدة العدو بالسنان إن استطاع .. وتكون حياته كلها لله رب العالمين .. ويكون أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر .. ناصحاً للمسلمين .. صداعاً بالحق .. بعيداً عن الطواغيت الظالمين وقصورهم .. ومجالسهم .. ومع كل ذلك فهو

مفهوم خاطئ شائع لا بد من تصحيحه

يحمل نفسه على طلب العلم من مظانه الموثوقة .. كلما كان هو الأعلم والأحكم .. وكلما كان له الحظ الأوفر من الفهم والفقہ والعلم .. عما هو دونه درجة أو درجات في تلك الصفات الأنفة الذكر، والله تعالى أعلم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/10/10هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/11/12م

التَّكْفِيرُ حُكْمُ اللَّهِ .. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ!

التَّكْفِيرُ حُكْمُ اللَّهِ .. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد تنادى مشايخ الإرجاء والإرجاف في عمَّان - الحلي، والهلاي، ونصر- الذين آثروا إلا أن يدخلوا في عبادة العجل، ونصرته، ومولاته .. والثناء عليه، والدعاء له: أن المشكلة الكبرى .. ومشكلة المشاكل التي تواجه البلاد وحكامها .. تكمن في ظاهرة التكفير والتكفيريين .. وإذا أراد الحكام الخروج من هذه المشكلة الكبيرة .. وأن يعيشوا في سلامة وهناء .. لا بد من أن تجتمع كلمتهم على محاربة التكفير .. ومبدأ التكفير .. وكل من يحمل عقيدة التكفير .. هذا التكفير الذي طالما قد جندوا أنفسهم وأقلامهم لمحاربته ومحاربة أهله .. كما زعموا .. وكأن الأمة خلت من المشاكل، وهي لا تعاني إلا من مشكلة التكفير .. وهؤلاء التكفيريين!

وبالفعل فقد لامس نداء بلاعمة عمَّان هؤلاء .. هوى العجول من طواغيت الحكم .. مما حمل الآخرين على أن يوصوا حكوماتهم بمحاربة ثقافة التكفير .. ومبدأ عقيدة التكفير .. ويجعلوا ذلك من أولويات أعمالهم ومهامهم .. وقد تمادى بعضهم بأن أوصى البلاعمة من أوليائهم بأن يصدروا حكم الكفر في شباب التوحيد والجهاد .. وكل من يحمل عقيدة التكفير .. وأن يخرجوهم من ملة الإسلام!

ولهؤلاء العجول من الطواغيت ومن دخل في مولاتهم ونصرتهم من البلاعمة، **نقول**: ثقافة التكفير .. وعقيدة التكفير .. عقيدة قرآنية نبوية .. قد دلت عليها مئات النصوص من الكتاب والسنة .. وقد تأملت كلمة " كفر " ومشتقاتها فوجدتها قد وردت في أكثر من ثلاثمائة موضع وآية من كتاب الله تعالى .. فأين تذهبون بهذه الآيات، وما دلت عليه؟!

فأنتم إذ تحاربون ثقافة وعقيدة التكفير .. تحاربون الله ورسوله .. وتحاربون الكتاب والسنة .. وأنتم

تعلمون!

التَّكْفِيرُ حُكْمُ اللَّهِ .. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ!

ونقول كذلك: علام تستسيغون أن يوصف من يقع في الزنى بأنه زانٍ، ومن يقع في السرقة بأنه سارق، ومن يقع في الربى بأنه مرابٍ .. بينما من يقع في الكفر البواح الذي لا يحتمل صرفاً ولا تأويلاً .. لا تريدون أن يُسمى كافراً؟!!

فإن كنتم صادقين في أنكم لا تريدون أن تكفروا .. ولا أن يكفركم أحد .. ولا يخوض فيكم الخائضون فاعتزلوا الكفر .. ولا تقترفوه .. وتبرؤوا منه .. وادخلوا في السلم كافة .. أمّا أنكم تمارسون . وبكل وقاحة . جميع أنواع الكفر البواح .. وتجاهرون العداة لله ولرسوله وللمؤمنين .. وتنصرون أعداء الأمة على الأمة .. وتشيعون الفواحش في الدين آمنوا لتفتنوهم عن دينهم .. ثم مع ذلك لا تريدون من أحدٍ أن يكفركم .. ولا أن يقترب منكم بسوء .. فهذا غير ممكن شرعاً ولا عقلاً .. والملام حينئذٍ أنتم لا الذين يكفرونكم ويحملون عليكم حكم الله الذي تستحقونه!

ونقول كذلك: الحكم على الأشياء تحسیناً وتقبيحاً .. مرده إلى الله تعالى وحده لا لأحدٍ سواه؛ فمن حكم الله تعالى عليه بالكفر لوصف وقع فيه .. نحكم عليه بالكفر ولا بد، ومن حكم عليه بالفسوق والظلم لوصف وقع فيه . نحكم عليه بما حكم الله عليه ولا نتجاوز .. فالمسلم يدور مع حكم الله حيثما دار، وليس له غير ذلك.

وبالتالي من يقع في الكفر البواح الذي لا يحتمل صرفاً ولا تأويلاً .. لا بد من تكفيره عملاً بحكم الله تعالى .. فمن أبى أن يكفره فقد رد حكم الله فيه .. ووصف الكفر بالإيمان .. والكافر بالمسلم المؤمن، وهذا بحد ذاته كفر كما نص على ذلك أهل العلم؛ فمن نواقض الإسلام المتفق عليها والتي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من جملة نواقض الإسلام العشرة: "من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر إجماعاً".

ونقول كذلك: عقيدة التكفير وعقيدة الولاء والبراء في الله عقيدتان متلازمتان كل منهما تؤدي للأخرى .. وانتفاء إحداها مؤداه ولا بد إلى انتفاء الأخرى؛ فمن لوازم العمل بعقيدة الولاء والبراء تكفير من يستحق التكفير؛ وإلا كيف تتبرأ من الكافر وكفره وأنت لا تعرف كفره ولا تحكم عليه بالكفر .. وكيف تخص

التَّكْفِيرُ كُمْ اللَّهُ .. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ!

المؤمنين المسلمين بالموالاة .. وأنت لا تميزهم عن غيرهم من الكافرين والمشركين .. وكذلك من لا يكفر الكافرين المشركين لا يكون قد حقق البراء المطلوب شرعاً؛ إذ التكفير صورة من صور البراء، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ الممتحنة:4. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الكافرون:1-2.

وبالتالي فإن من يُحارب عقيدة التكفير في الأمة فهو لزاماً يُحارب فيها عقيدة الولاء والبراء .. وعقيدة الجهاد .. وأمة بلا ولاء ولا براء ولا جهاد .. سهلة المنال والإذلال!

ونقول كذلك: نهيتهم عن التكفير الحق، ووقعتم في التكفير الباطل؛ نهيتهم عن تكفير العجول من طواغيت الحكم والكفر والظلم، وكفرتم شباب التوحيد والجهاد تزلفاً للطواغيت .. الأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصر .. كان من آخرها ما قاله الحلبي — قررة عيون الطواغيت — في خطبته العصماء في مسجد الهاشمية .. ونشرها في الأمصار فرحاً بما قال فيها، والتي عنون لها بعنوان "الخطبة السلفية في سحق التكفيرية" حيث قال: "ولكون أولئك السفهاء المارقين جاهلين ظنَّانين شكَّاكين: القوا بسواد قلوبهم على أطراف ألسنتهم، فصاروا يرمون عموم الأمة بالضلال الكبير، وحكامها بالكفر والتكفير... وهذه والله كلمات لو عكست على أولئك الجهلة ما وجدت لهم بدلاً" 1- هـ.

فهو إذ غاظه تكفير العجول التي تُعبد من دون الله .. فلا يتردد من تكفير أهل التوحيد الذين يصدعون بكفر الطواغيت الظالمين!

يكفرون أهل التوحيد ودعاته .. ويتركون بل ويندودون عن الطواغيت والعجول التي تُعبد من دون

الله!

ما ظلمناهم لما قلنا عن بلاعمة العصر هؤلاء: مرجئة على الطواغيت .. خوارج غلاة أشداء على

الدعاة الموحدين!

التكفير كُفُّ الله .. فأين تذهبون!

ويقول قرينه الهلالي في خطبة مماثلة منشورة معلومة: "نعم نهينا وتنهينا ولا زلنا ننبه على خطورة الفكر التكفيري .. هؤلاء يكفرون المجتمع بقده وقديده، يكفرون الأمة حكماً ومحكومين، دولاً وشعوباً يكفرونها، يأتون إلى آيات من كتاب الله نزلت في المشركين، ويطبّقونها على المسلمين، وأخطر ما عندهم هذا الأمر .. هؤلاء يأتون مثلاً على قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ فيقولون: إن حكام الدول الإسلامية يطبقون الدستور البريطاني، يطبقون الدستور الأمريكي فهم كفار، هكذا ضرب كلام دون فقه لهذه الآية ودون تدبر لمعناها، هذه الآية يا أخوة الإيمان نزلت في اليهود والنصارى؛ آيات المائة الثلاث.

هؤلاء الخوارج وأذناهم وأتباعهم هم شر الخليقة ... ولذلك لا زلنا نرد عليهم، ولا زلنا نناظرهم ونبين لهم أن مجرد الحكم بغير ما أنزل الله ليس كفراً ينقل من الملة وإنما يكون كفراً ينقل من الملة بالاستحلال، والاستحلال أمر قلبي لا يعلمه إلا الله!- هـ.

تأمل كيف حصر كفر الحاكم بغير ما أنزل الله بالاستحلال، والاستحلال — على قوله — أمر قلبي لا يعلمه إلا الله، وما دام الاستحلال أمر قلبي لا يعلمه إلا الله .. فهذا معناه أنك لا تستطيع أن تكفر حاكماً على وجه الأرض مهما كان معرضاً عن حكم الله تعالى، مستحلاً للحكم بغير ما أنزل الله، ومحارباً له ..؟! وبعد كل ذلك يأتي من المغفلين من يجادل عن هؤلاء البلاعمة بأنهم ليسوا من المرجئة .. وأنهم من الدعاة إلى السنة .. والسلفية!

أما قوله عن دعاة وشباب التوحيد والجهاد بأنهم يكفرون المجتمعات والشعوب .. فهذا عين الكذب والظلم .. وما حمله على إقحام هذا الافتراء والكذب إلا لكي يبرر دفاعه عن أوليائه من طواغيت الحكم والكفر والظلم .. إذ لو اقتصر كلامه عن مخالفته بأنهم يكفرون طواغيت الحكم وأنظمتهم الكافرة المرتدة وحسب .. لما وجد لحديثه رواجاً ولا قبولاً لدى مستمعيه .. ولوجد منهم معارضة وإنكاراً لا يقوى على مواجهته ولا رده!

التَّكْفِيرُ كُفْمُ اللَّهِ .. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ!

ونقول كذلك: الذي غاظهم ويُغيظهم من التكفير حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه، قال: "دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فيما أخذ علينا ... أن لا ننازع الأمرَ أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان". وعملاً بهذا الحديث - وغيره من النصوص الشرعية - أجمع أهل العلم أن الحاكم إذا طرأ عليه الكفر البواح .. ووقع في الردة، وجب على الأمة إقالته والخروج عليه، ونزع الطاعة منه.

فمشكلة العجول وبلاعتهم في حقيقتها مع النبي ﷺ الذي أوجب على أمته الخروج على طواغيت الحكم إذا ما رُئي منهم الكفر البواح .. وليس مع التكفير .. والتكفيريين .. وقوم خصمهم النبي ﷺ أنى لهم أن يُفلحوا!

ونقول كذلك: ما تقدم ذكره لا يعني أننا نقر ونبارك الغلو في التكفير .. فالغلو في التكفير شيء، والتكفير شيء آخر؛ فالتكفير حكم الله ومن شرع الله تعالى، بينما الغلو في التكفير خلق مذموم ومرفوض وهو أخو التفريط والتجهم والإرجاء ..!

ونحن — بفضل الله تعالى وحده — حرب على الغلو والغلاة .. كما أننا حرب على التجهم والإرجاء والتفريط وأهله .. وكلاهما شر على الأمة .. حذرنا — ولا نزال نحذر — منهما ومن مسالكهما .. وطريقتهما الملتوية الخبيثة.

فالحمد لله وحده الذي هدانا للمنهج الوسط من غير إفراط ولا تفريط .. ومن غير غلو ولا جفاء، ولا إرجاء!

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/10/25 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/11/27 م

دِرَاسَةٌ شَرَعِيَّةٌ فِي بَيَانِ حُكْمِ الْمَشَارَكَةِ فِي الْمَجَالِسِ التَّشْرِيْعِيَّةِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

السؤال: الحمد لله قاذف الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، والصلاة والسلام على نبي

الملحمة، ونبي الرحمة محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

طلبنا من الشيخ أبي بصير- حفظه الله وثبت خطاه - أن يكتب لنا نحن المسلمين في فلسطين الـ

" 48 " ملخصاً يبين فيه حكم الله، وحكم رسوله ﷺ في الانتخابات التشريعية - الكنيست - علماً أن

قسماً من الحركة الإسلامية في بلادنا؛ وهي امتداد للإخوان المسلمين، وقسماً آخرهم حركة إسلامية (

شمالية) تمتنع ليس قطعاً لحرمتها وإنما لضرورة معينة ترتبها لعدم الخوض في هذه الانتخابات،

وقولهم دائماً بعدم القطع بحرمتها، ويُطالبون أتباعهم بأن يصوت كل فرد منهم حسب ضميره الوطني ..

أفيدونا أفادكم الله، وجزاكم الله عنا كل خير.

علماً أننا سنسعى لنشر المادة لعموم المسلمين في البلاد صدعاً بالحق .. والله غالب على أمره.

أنصار الله، بيت المقدس . الناصرة.

اللجنة الشرعية

الجواب: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد وردني نحو هذا السؤال من أكثر من أخ، وطرف، وجهة .. وأنا أجيب هؤلاء جميعاً بما

أجيب الأخوة الأنصار عن سؤالهم هذا .. راجياً من الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه،

والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، إنه تعالى سميع قريب.

أقول: لمعرفة الحكم الشرعي في حدث أو نازلة من النوازل، لا بد أولاً من معرفة واقع وحقيقة

هذه النازلة .. ومن ثم إنزال الحكم الشرعي الذي يتناسب ويتطابق مع هذه النازلة.

فما هي مهام وصفة المجالس التشريعية النيابية .. وما هي مهام أعضائه .. كما هو معمول به في

ظل الأنظمة الوضعية الطاغوتية السائدة؟

المجالس التشريعية النيابية: هي المجالس التي تضم مجموعة من المشرعين، تنوب عمّن صوّت

لهم وانتخبهم، في سنّ القوانين والتشريعات، ومراقبة مدى تنفيذ وتطبيق هذه القوانين والتشريعات

دِرَاسَةٌ شَرِيعِيَّةٌ فِي بَيَانِ حُكْمِ الْمَشَارَكَةِ فِي الْقَبَالِسِ التَّشْرِيعِيَّةِ

من قبل السلطتين التنفيذية، والقضائية، معتمدة آلية التصويت، والاحتكام إلى أكثرية أصوات أعضاء المجلس، في جميع أنشطتها وما يصدر عنها من قوانين وشرائع وقرارات.

وهذا يعني أن مهام أعضاء المجلس التشريعي – لأي نظام وضعي – تنحصر في عمليتين أو أمرين،

هما:

أولاً: سن القوانين والتشريعات، والأنظمة التي تُحدد معالم سياسة الدولة الداخلية والخارجية:

فخاصية التشريع، والتحليل والتحريم، والتقييد والتحسين من خصائص وصفات هؤلاء المشرعين من دون الله .. فهم يمثلون السلطة التشريعية العليا للدولة والمجتمع التي يعلو حكمها كل حكم .. ولا يعلو حكمها حكمٌ .. ولا شرعها شرعٌ – بما في ذلك حكم الله وشرعه – وما على الآخرين إلا الدخول في طاعتهم فيما يُشرعون ويُقننون!

وهذا معناه وبكل وقاحة ووضوح أنهم بذلك قد رضوا لأنفسهم بأن يُمارسوا خصائص الربوبية والألوهية، وأن يجعلوا من أنفسهم أنداداً وأرباباً على العبيد يعبدونهم لأهوائهم وشرائعهم القاصرة من دون الله تعالى!

وهذا عين الكفر والشرك البواح لتضمنه الاعتداء على أخص خصائص الله تعالى: ألا وهي خاصية التشريع، والتحليل والتحريم، والتحسين والتقييد.

فمن المعلوم من الدين بالضرورة أن الذي يُشرع ويحق له أن يشرع للعباد هو خالقهم ومالكهم، والعالم بهم وبأحوالهم، وما ينفعهم وما يضرهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف:26. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف:40. وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:50. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر:20. وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ الشورى:10. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ الزخرف:84. فكما أن الله تعالى هو الإله المعبود المطاع بحق في السماء، فهو كذلك الإله المعبود المطاع بحق في الأرض. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

دراسة شرعية في بيان حكم المُشَارَكَةِ فِي الْمَجَالِسِ التَّشْرِيْعِيَّةِ

الأعراف:54. فالذي له الخلق هو الذي له الأمر، والذي له الأمر هو الذي له الخلق .. أما من ليس له الخلق .. فليس له الأمر .. ولا سمع له ولا طاعة.

وقال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ التوبة:31. وذلك عندما اتخذوهم مشرعين من دون الله، واتبعوهم فيما يُحلون ويحرمون ويشرعون بغير سلطان من الله .. فسماهم من أجل ذلك أرباباً من دون الله.

فربوبية الأُحْبَارِ والرهبان هنا لا تعني عبادتهم واتخاذهم أرباباً من دون الله من جهة الركوع والسجود لهم، فهذا لم يحصل، وإنما تعني اتخاذهم مشرعين يُطاعون فيما يشرعون ويحللون ويحرمون من دون الله تعالى، فذلك معنى اتخاذهم أرباباً من دون الله.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران:64. فقوله ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ؛ أي لا يتخذ بعضنا بعضاً مشرعين من دون الله، نشرّع، ونحلل ونحرم لبعضنا البعض من دون الله، وبغير سلطانٍ من الله .. فهذا تجاوز لمقام العبودية التي فُطر الإنسان عليها .. وتعدّ على مقام الربوبية التي هي من خصوصيات الله تعالى وحده.

والمسلمون عندما يشاركون في الانتخابات التشريعية .. ويرشحون منهم أرباباً يمارسون مهمة التشريع، والتحليل والتحریم .. ويدخلوا في لعبة الشرك والاعتراف بربوبية المخلوق على المخلوق .. لم يعد يستطيعون أن يقولوا لأهل الكتاب وغيرهم من المشركين: ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ؛ لأنه مباشرة سيُقال لهم: أنتم قد رضيتم بأن تتخذوا بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله .. وأن تقارفوا الشرك .. وتدخلوا المجالس التشريعية الشركية .. من أجل مغانم دنيوية زهيدة .. فكيف تهون عن خلق وتأتونه، وتأمرون الناس بالبر والتوحيد وتنسون أنفسكم، والله تعالى يقول في كتابكم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف:2-3.

دراسة شرعية في بيان حكم المُشَارَكَةِ فِي المَجَالِسِ التَّشْرِيعِيَّةِ

ثانياً: من مهام السلطة التشريعية كذلك الممثلة في أعضاء المجلس التشريعي، السهر على تنفيذ ما يصدر عنهم من قوانين وتشريعات، ومراقبة السلطتين: التنفيذية، والقضائية لمعرفة مدى التزامهما بما يُسن لهما من القوانين والتشريعات .. ومحاسبتهما لو بدر منهما أدنى تخلف أو تقصير في عملية تنفيذ وتطبيق القوانين والشرائع!

فهم إذاً لا يقتصر عملهم على سن التشريعات والقوانين التي تُضاهي شرع الله، واستشراف خصائص الربوبية والألوهية من دون الله وحسب .. بل يتعدى عملهم إلى السهر ومراقبة السلطات الأخرى في مدى التزامها بالقوانين والشرائع المضاهية لشرع الله تعالى التي تصدر عنهم! فهم يشرعون الكفر والشرك .. ويسهرون على حماية وتنفيذ هذا الشرك والكفر .. هذا هو عمل السلطة التشريعية في ظل جميع الأنظمة الوضعية السائدة اليوم .. والتي يتنافس بعض المسلمين - إلى درجة التقاتل وللأسف . لأن يكونوا بعض أعضائها وأفرادها!

هذان العملان لأعضاء المجالس النيابية التشريعية - إضافة لما تقدم ذكره - يترتب عليهما مزالق عدة أخرى لا يُمكن النفاذ منها أو اجتنابها، كما لا يجوز أن يُستهان بها أو أن يُغض الطرف عنها عند الحديث عن مدى شرعية الدخول على تلك المجالس التشريعية.

منها: أن العضو ملزم بأن يتقيد في مجموع نشاطه بدستور الدولة العلمانية القائم أصلاً على الكفر ومضاهاة شرع الله؛ فهو من جهة ملزم بالتحاكم إليه، ومن جهة ملزم بأن يقسم على احترامه وتقديسه والحفاظ عليه، ومن جهة لا يحق له أن يمارس أي نشاط أو أن يعمل على إصدار أي قانون يتعارض مع الدستور ومبادئه.

فالدستور بهذا المعنى طاغوت تُرد إليه المنازعات، ويُحتكم إليه من دون الله، وهذا مناف ومناقض للإيمان، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء:60. فاعتبر إيمانهم زعماً لا حقيقة له لمجرد إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت، وشرائع الطاغوت!

دِرَاسَةٌ شَرِيعِيَّةٌ فِي بَيَانِ حُكْمِ الْمَشَارَكَةِ فِي الْمَجَالِسِ التَّشْرِيْعِيَّةِ

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:59. والرد إلى الله والرسول يكون بالرد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛

فإذا انتفى هذا الرد انتفى معه الإيمان مباشرة.

وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الشورى:10. بينما دساتير الأنظمة

الوضعية العلمانية تقول فحكمه إلى الطاغوت، وإلى الدساتير الوضعية من دون الله .. والنائب المسلم .

الذي يأبى إلا أن يُشارك القوم باطلهم ومجالسهم — مهما حاول الفكك لا يمكن له أن يتفادى هذا

المزلق العقدي الخطير!

ومنها: أن من قوانين المجالس التشريعية المتفق عليها التي يجب على الجميع أن يلتزموا بها أن

أي شيء مهما سمت مكانته وقدسيته .. بما في ذلك حكم الله .. وشرع الله .. ودين الله .. لكي يُمرر يجب

أولاً أن يخضع للتصويت ولاختيار أعضاء المجلس .. ولرفع الأيدي وخفضها .. والحكم في النهاية لما

ترتئيه الأكثرية .. ولو كان هذا الذي ترتئيه كفراً ويتضمن التكذيب والرد لحكم الله تعالى وشرعه ..

وليس على الأقلية سوى الإقرار بشرعية وقانونية هذه النتيجة، ما دامت قد مرت على عملية التصويت

والاختيار .. وهذا مناقض لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ

لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ الأحزاب:36. وقوله تعالى: ﴿فَلَا

وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا﴾ النساء:65. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ

بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ الحجرات:1-2. فإذا كان مجرد أن يرفع المرء

صوته فوق صوت النبي ﷺ قد يُحبط عمله، ولا يُحبط العمل إلا الكفر والشرك، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ

أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام:88. فكيف بمن يرفع حكمه وقانونه فوق حكم وقانون

النبي ﷺ الذي يبلغه عن الله ﷻ .. لا شك أنه أولى بأن يحبط عمله، وأولى بأن يقع في الشرك والكفر،

والعياذ بالله!

دراسة شرعية في بيان حكم المشاركة في المجالس التشريعية

ومنها: أن المجالس التشريعية للأنظمة الوضعية — كما تقدم — يسودها الكفر، والاستهزاء، والظعن بالدين، ولو لم يكن من ذلك سوى إجراء عملية التصويت والاختيار والتعقيب على حكم الله ورسوله .. لكان كافياً لاعتزالها واجتنابها، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ فإن أبيت إلا الجلوس ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النساء:140.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام:68.

ومنها: من مقتضيات العمل النيابي التشريعي الاعتراف بشرعية الطاغوت الحاكم وحكمه ونظامه الفاسد الكافر.. والتعامل معه على أنه حاكم شرعي تجب طاعته .. وبخاصة إن جاء أو فرض هذا الحاكم عبر التصويت وصناديق الاقتراع .. وقد دلت قواعد ونصوص الشريعة على أن الرضى بالكفر كفر، فكيف بمن يتجاوز معنى الرضى القلي ليعترف طواعية بشرعية الطاغوت، وشرعية كفره وظلمه، وحكمه؟!

ويُضاف إلى ذلك فيما يتعلق بالمشاركة في الكنيست الصهيوني، فيقال: إن المشاركة من قبل المسلمين في الكنيست - إضافة إلى جميع ما تقدم - فإنه يعني الإقرار والرضى بشرعية الغزاة الصهاينة المحتلين لأرض فلسطين .. وشرعية دولتهم .. وشرعية جرائمهم التي ارتكبوها ولا يزالون يرتكبونها بحق أهلنا وإخواننا في فلسطين .. وهذا مزلق شرعي وسياسي .. لا يجوز الوقوع فيه .. أو الاستهانة به مقابل مصالح شخصية زهيدة!

مثل الذي يُشارك من المسلمين الفلسطينيين كنائب في الكنيست اليهودي .. مثل من يُغتصب بيته .. ثم يقول للغاصب المعتدي على بيته دعني أشاركك الرأي والمشورة في كيفية تنظيمك لهذا البيت .. وكيفية استثمارك له وتنعمك به .. ولا شك أن الغاصب المعتدي عندما يرى هذا الهوان والذل، والاعتراف الطوعي من قبل صاحب الأرض والمالك .. بحق المغتصب المعتدي فيما اغتصبه ونهبه وسطى عليه .. فإنه يرحب بذلك أيما ترحيب!

دراسة شرعية في بيان حكم المشاركة في المجالس التشريعية

وعليه - ومن خلال جميع ما تقدم ذكره من مزالق - نقول: لا يجوز للمسلمين أياً كانوا .. وحيثما كانوا .. وكانت بلادهم أن يُشاركوا في الانتخابات التشريعية النيابية لا تصويتاً ولا ترشيحاً، ولا في أي جهدٍ يُذكر، كما لا ينبغي لهم أن يختلفوا في ذلك، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة:2. وأي إثم وعدوان يعلو إثم وعدوان أن يعترف العبيد بالوهية وربوبية العبيد .. وربوبية المخلوق على المخلوق .. أو أن يعمل المرء على ترويج ثقافة الوهية وربوبية العبيد على العبيد.

فإن قيل: ما هو البديل...؟!

أقول: الاعتزال والبراء .. وأن نقف موقف العقيدة والتوحيد الذي يرضاه منا ربنا ﷻ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:64. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأبوا إلا أن يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .. فما هو البديل .. وما هو الخيار الذي ينبغي أن ننحاز إليه بكليتنا ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ موحدون لا يمكن أن نُشرك بالله شيئاً .. ولا أن نرضى مثلكم بأن يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله .. فلنا ديننا .. ولكم دين.

وقال تعالى عن نبيه إبراهيم: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحاً﴾ مريم:48. هذا هو البديل، وهذا هو الخيار الآخر لما يأبى القوم أن يدخلوا في التوحيد وفي سلم الإسلام كافة، ويأبوا إلا الشرك، وأن يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله!

ولنا في اعتزال شيخ الملة وإمامها إبراهيم عليه السلام لقومه وبراءته منهم ومما يعبدون من دون الله أسوة حسنة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ الممتحنة:4.

هذا هو الخيار .. وهذا هو البديل .. وهذا هو الطريق .. لا يتنكبه ويرغب عنه إلا من سفه

نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ البقرة:130.

دراسة شرعية في بيان حكم المشاركة في المجالس التشريعية

واني لأعجب أشد العجب عندما أسمع عن حزب من الأحزاب العلمانية .. أو شخصيات لا تمت للإسلام بصلة .. كيف أنهم يعتزلون المشاركة في نظام من الأنظمة الحاكمة لكون هذا النظام يتعارض مع بعض توجهاتهم ومصالحهم الحزبية أو الشخصية .. بينما في المقابل نجد من المسلمين .. ممن ينتسبون إلى بعض التجمعات والحركات الإسلامية المعاصرة .. من أجل سلامة العقيدة والتوحيد .. وخيري الدنيا والآخرة .. تراهم يشحون .. ويترددون .. ويستكثرون أن يعتزلوا باطل الأنظمة الطاغية الحاكمة ومجالسها .. وما يحملهم على هذا الشح والتردد سوى الطمع ببعض المكاسب الدنيوية الزهيدة التي لا يمكن أن ترقى إلى مستوى مكسب ومصالحة الحفاظ على سلامة العقيدة والتوحيد .. وسلامة دين وعقيدة الأجيال من بعدهم .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

بهذا المختصر المفيد أجيّب الأخوة الأنصار عما سألوا عنه .. وكل من سأل نحو سؤالهم .. وآخر

دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/10/29 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2005/12/01 م

النظام السوري .. والوطنية

النظام السوري .. والوطنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فإن الورقة الوحيدة المتبقية للنظام البعثي الطائفي السوري ليزاود عليها .. هي الورقة الوطنية

.. التغني والتماجد بالوطنية .. والتستر بالوطنية!

أكثر المفردات تردداً على ألسنة مسؤولي هذا النظام ووسائل إعلامه .. الوطن والوطنية .. حتى

بات . لكثرة تكرار هذه الكلمة . أن يصدق الناس أن النظام فعلاً يحب الوطن .. وتهمه شؤون الوطن

والمواطن .. ويحرص على سلامة الوطن .. وقوته .. وتماسكه!

فما هي الوطنية كما يفهمها ويمارسها النظام البعثي السوري .. وكيف ينظر النظام للوطن

والمواطنين؟!

الوطنية تعني . في عرف هذا النظام المتخلف . تمجيد الطاغوت الحاكم .. والتهتاف باسمه وحياته

.. وأيما نقد له ولسياسته ومواقفه .. فهو خروج على الوطن .. وإساءة للوطن والوطنية .. وخيانة للوطن!

الوطنية .. تعني تمجيد النظام الحاكم .. وتمجيد حزبه البعثي الطائفي .. وأيما نقد لهذا النظام

.. ولسياساته .. ولحزبه .. فهو خروج على الوطن .. وخيانة للوطن والوطنية!

الوطنية .. تعني حماية العصابة الطائفية الحاكمة . على قلة أفرادها . وحماية مكاسيها ونفوذها

ومصالحها .. ولو كان في ذلك دمار وخراب للوطن .. وقتل لكرامة وعزة المواطنين!

الوطنية .. تعني أن تسكت على ظلم وطغيان الطواغيت الظالمين .. وأن تعيش حياتك صمماً بكماً:

من غير سمع ولا بصر، ولا عقل ولا إحساس .. فبقدر ما تعطل وتُشَل حواسك هذه .. وتسكت على الضيم

.. فبقدر ما تكون . في عرف هذا النظام الطائفي المتخلف . وطنياً .. ومخلصاً للوطن .. وقائد الوطن ..

وحزب الوطن .. وبقدر ما تُعمل حواسك هذه .. وتستفيد منها .. وتسعى في تحصيل حقوقك وحقوق

غيرك من الناس .. وترد على الظالمين ظلمهم وطغيانهم .. بقدر ما تكون غير وطني .. وتُصنف كعدو للوطن،

وضد الوطن!

النظام السوري .. والوطنية

الوطنية .. تعني الانتماء والولاء للطاغية الحاكم .. ولحزبه .. وعصابته من المقربين .. وخلاف

ذلك فأنت غير وطني .. وتُصنّف كعدو للوطن، وخائن للوطن، وضد الوطن!

فإن قيل: قد بلغت في الوصف .. وكلامك هذا يعوزه الدليل والبرهان .. فأين الدليل على ما

تقوله؟

أقول: قد مضى على حكم هذا النظام الفاشي البعثي لسورية الشام .. أربعة عقود تقريباً ..

فتأملوا الحال والمآل الذي آلت إليه سورية . أرضاً وشعباً . على جميع مستويات الحياة الخاصة منها

والعامة:

على المستوى العسكري: الكل يعلم أنه نظام ضعيف متآكل المعنويات والعتاد سواء .. لا يملك

القدرة على استرداد ما قد ضيعه . بفعل الخيانة . من أراضي سورية وقعت تحت الاحتلال اليهودي

الصهيوني منذ عام " 1967 م، كما أنه لا يملك القدرة على الدفاع عن نفسه وعن الوطن تجاه أي

عدوانٍ أو خطر خارجي .. لذا فهو نظام سريع الاستجابة للضغوط الخارجية .. ولكل ابتزاز خارجي يتعرض

له .. لعلمه المسبق بأنه قد فقد الجبهة الداخلية التي تحميه .. وفقد رصيده من الشعب السوري .. فلا

يقدر على الاحتماء به .. وأن جيشه لم يُعدّ لحماية البلاد والعباد ضد أي عدوانٍ أو تهديد خارجي .. وإنما

لحماية شخص الطاغوت الحاكم .. وكرسيه .. ونظامه الفاسد .. وحزبه .. وطائفته .. والمقربين إليه من

اللصوص والمجرمين .. في مواجهة غضب الشعوب إذا ما نهضت ونفضت غبار الذل والخوف عنها يوماً

.. وأرادت أن تسترد حقوقها .. وعزتها وكرامتها .. وأن تقول للطاغوت: لا .. كفى!

والسؤال الذي يطرح نفسه: أهكذا تكون الوطنية التي يتشدقون بها .. ويكون حب الوطن ..

والوفاء للوطن .. والحفاظ على مصلحة الوطن وقوته .. والذود عن الوطن وحرماته .. وكرامته؟!!

أما على المستوى الاقتصادي: فرغم غنى سوريا بمواردها الطبيعية .. والبشرية العالية .. إلا أنها

من أكثر دول العصر تخلفاً وفقراً .. فالثروة الاقتصادية واستثماراتها تنحصر . ظلماً وعدواناً . في جيوب

أفراد قلة من الزمرة الحاكمة وحسب .. بينما عامة الشعب بملايينه يشكون الفقر والجوع والحرمان ..

ولا أدل على ذلك مما صرح به خدام مؤخراً . وهو شاهد منهم! . بأن غالب الشعب السوري يعيش تحت

حد مستوى الفقر .. ويقنات من القمامة والنفايات التي يلقيها اللصوص المترفون!

النظام السوري .. والوطنية

والسؤال الذي يطرح نفسه: أهكذا تكون الوطنية التي يتشدقون بها .. ويكون حب الوطن .. والوفاء للوطن .. والحفاظ على مصلحة الوطن والمواطن .. والذود عن الوطن وحرماته .. وثرواته؟! أما على المستوى الإداري: الرشاوي .. والابتزاز .. والمحسوبيات .. والسرقه والنهب .. واستغلال النفوذ .. والإهمال المتعمد .. ووضع المرء في غير موضعه المناسب .. وبما لا يتناسب مع الكفاءات المطلوبة .. فحدث ولا حرج .. فالأمور قد بلغت زروتها .. وإلى حدٍ لا يُطاق .. يصعب معه الإصلاح .. ولا أدل على ذلك مما صرح به خدام مؤخراً . وهو شاهد منهم . بأن شخصاً يعمل في مجال الأمن والمخابرات براتب لا يتعدى " 200 " مائتي ليرة سورية .. يتوفى عن ثروة تُقدر بأربع مليارات دولار!!

والسؤال الذي يطرح نفسه: أهكذا تكون الوطنية التي يتشدقون بها .. ويكون حب الوطن .. والوفاء للوطن .. والحفاظ على مصلحة الوطن والمواطن .. والذود عن الوطن وحرماته .. وكرامته؟! أما على المستوى الاجتماعي والأخلاقي: شيوع البطالة .. والفقر المدقع .. والفواحش والزنى .. ودور الخنا والدعارة .. والخمور والمخدرات .. وبيع الأعراس والشرف مقابل لقمة العيش .. فحدث ولا حرج .. فلم يعد الأمر سراً .. فوسائل الإعلام في كل يوم تُطلعنا بما يجري حول ذلك ما يشيب له شعر الولدان .. ويندى له الجبين!

والسؤال الذي يطرح نفسه: أهكذا تكون الوطنية التي يتشدقون بها .. ويكون حب الوطن .. والوفاء للوطن .. والحفاظ على مصلحة الوطن والمواطن .. والذود عن الوطن وحرماته .. وكرامته؟! ما قيمة الوطن بالنسبة للمواطن .. إذا كان هذا المواطن الذي يعيش في هذا الوطن .. مهدور الحقوق والحرمات .. فلا حقوق ولا حرية .. ولا عزة .. ولا كرامة له .. بل ولا لقمة عيش كريمة يتمتع بها؟! كيف ننشد إنساناً يحب وطنه .. ويخلص في الانتماء إلى وطنه .. ويخدم وطنه .. ويدافع عن وطنه .. وهو يشعر أنه غريب في وطنه .. محارب في دينه وعقيدته .. ومهان في كرامته وعزته وعرضه .. يعيش الفقر والخوف والإرهاب على مدار الوقت .. مُداس بأحذية الجلادين الظالمين ممن يزعمون زوراً أنهم من حراس وحماة الوطن .. لا قيمة ولا اعتبار له إلا بقدر ما يقترب من الطاغوت .. ويخدم الطاغوت!!

أهكذا تكون الوطنية .. أيها الوطنيون؟!

النظام السوري .. والوطنية

أما على المستوى السياسي: فالنظام لا هو اصطلاح مع محيطه من الدول .. وأحسن إدارة العلاقة والتعامل على المستوى العلاقات الخارجية .. ولا هو اصطلاح مع شعبه المرهوب والمقموع .. المحروم من أدنى مستويات الحقوق التي تتمتع بها الشعوب الأخرى .. فأوقع الوطن والمواطن في إقامة جبرية قسرية .. وعزلة تامة .. لا نزال نرتقب مزيداً من المضاعفات السيئة على الوطن والمواطن .. نتيجة لهذه السياسة المتبعة!

ولو أردنا أن نستطرد فقط في ذكر سياسة النظام السوري الطائفي في لبنان وتاريخه الحافل بالرعب والإجرام والنهب والفساد في ذلك البلد المجارو .. وما جرّته تلك السياسة من آثار سلبية على المجتمع السوري .. والعلاقة المتبادلة بين الشعبين المتجاورين .. لطال بنا المقام .. وهي قصة كاملة تُسطر بعشرات من المجلدات!

والسؤال الذي يطرح نفسه: أهكذا تكون الوطنية .. ويكون الحرص على الوطن .. وعلى سلامة وعزة الوطن والمواطن؟!

يفعل النظام السوري جميع الموبقات .. وعلى جميع المستويات .. ولكن باسم الوطن .. والوطنية .. والحمية الوطنية .. وهو كذوب!

أبما نظام . أو جماعة أو فرد . يفقد الانتماء لعقيدة ودين الأمة .. ويُعلن الحرب على دين الأمة وعقيدتها .. فهو مباشرة يفقد الشعور بالانتماء لوطن وأرض الأمة .. ويهون عليه التفريط بالأوطان وحقوقها وحرمتها .. وما أكثر الأدلة الدالة على ذلك لو أردنا الاستدلال والتوسع .. والنظام النصيري البعثي الحاكم في سورية هو من جملة هذه الأدلة الدالة على هذه الحقيقة المسلّمة التي لا ينبغي الجدل حولها!

الطائفة النصيرية المارقة على جميع الثوابت والمسلمات . وحكام سورية منها . الخارجة على دين الأمة وعقيدتها .. وعلى جماعة المسلمين .. لا يمكن أن تكون يوماً من الأيام وطنية .. أو يهملها شؤون الأوطان .. أو حريصة على سلامة وقوة أوطان المسلمين!

أصاح القراء . وما عودتهم إلا على كامل المصارحة والمفاتحة . أنني ممن عايش وخالط النصيريين في جبالهم وسهولهم .. وخبر خفاياهم وأسرارهم .. وعقائدهم الباطنية الخطيرة .. فالنصيري الباطني لا

النظام السوري .. والوطنية

يمكن أن يكون يوماً من الأيام وطنياً يحب الأوطان ويحرص عليها وعلى قوتها .. فوطن النصيري شهواته ونزواته وحسب .. لا وطن له سوى ذلك .. والوطنية عنده الحرص على إشباع شهواته ونزواته . وهي لا تشبع . ولو بالسطو والنهب والحرام .. لا يعرف من الوطنية معنى غير ذلك .. ولا أدل على ذلك من سيرتهم السيئة المخجلة في سورية ولبنان!!

فأحدهم يحرص على الوظيفة .. لا لكي يخدم الناس والوطن .. وإنما ليستغني بالظلم والحرام .. وبكل وسيلة مخجلة محرمة .. في أقرب وقت ممكن .. لاعتقاده بأنها فرصته التي قد لا تتكرر .. وحد استغناؤه وشبعه ليس له حدود .. فهو لو ملك مال الأرض كلها فلا يشبع .. ولا يشبع بطنه إلا التراب! في سورية ولبنان . مكان نفوذهم . قد نهبوا البلاد والعباد .. وعاثوا فيها فساداً وفجوراً .. وسرقوا كل شيء .. إلى أن أوصلوا البلدين وأهلها إلى هذا الموصل السيء من الفقر والضعف والتخلف الاقتصادي والإداري .. رغم غنى البلدين بالموارد الطبيعية والبشرية التي تجعل منهما في أوائل الدول المتقدمة والمزدهرة اقتصادياً لو وجدت اليد الأمينة العادلة المسؤولة!

النصيريون كانوا دائماً عبر تاريخهم كله .. حلفاء لأعداء الأمة على الأمة وأوطانها وأبنائها .. ولما دخلت فرنسا سورية مستعمرة وجدت لها في هذه الطائفة اللعينة العين الساهرة التي تتجسس على عورات المسلمين من أبناء البلد .. والحليف .. والنصير .. والمعين على الوطن .. وعلى أبناء الوطن .. ودين وعقيدة أهل هذا الوطن .. ومكافأة لهم على صنيعهم الخائن هذا حاول الفرنسيون بأن يُقيموا للطائفة النصيرية دولة مستقلة تمتد حدودها من مدينة اللاذقية مروراً بجميع المدن الساحلية إلى أن تصل مدينة حمص، يُضاف إليها جبال النصيرية . المسماة زوراً بجبال العلويين! . المطلة على المدن الساحلية! وهذا مشروع لو فقد النصيريون حكمهم في دمشق وتفلتت منهم المدن الشمالية في حلب وغيرها .. لا يُستبعد أن يُنشَط .. ويجد طريقه للوجود والتنفيذ من جديد .. ويجد من يدعمه ويؤيده من قوى الاستعمار والاستكبار العالميين كأمريكا وغيرها من الدول الغربية .. بذريعة حماية الأقليات .. التي تقوم سياساتها في بلاد المسلمين على تقسيم الدولة إلى دويلات متعددة .. متنافرة متناحرة .. وعلى مبادئهم القديم الجديد " فرّق تسد "!

النظام السوري .. والوطنية

وبالتالي على الذين يهتمون . من أبناء الأمة المخلصين . بالشأن السوري .. سوريا الشام .. وبهمهم الوطن والمواطن السوري .. لا بد من أن تتعدى اهتماماتهم . منذ الساعة . مرحلة ما بعد سقوط الحكم النصيري في دمشق .. لتشمل مرحلة قيام الدولة القرمطية النصيرية في الساحل السوري .. وكيف يُوقفون هذا المشروع الخبيث الخطير الذي قد يشترك فيه الثالوث: القرامطة النصيريون، والصهاينة اليهود، والمستعمر الصليبي .. وهذا مشروع أراه ماثلاً أمام عيني .. إن لم ينهض من مخلصي هذه الأمة من يوقفه ويُعطله .. كما نرى اليوم العراق تنقسم إلى دويلات عرقية وطائفية تحت مسميات مزيفة كلها تعني التقسيم .. وتقطع أوصال البلد الواحد إلى بلاد .. بعد أن كان ذلك مستحيلًا في نظر المراقبين والمحللين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/12/05 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2006/01/05 م

نظرة شرعية لمستقبل سورية الأبية

نظرة شرعية لمستقبل سورية الأبية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد كثر هؤلاء الذين يتكلمون عن حاضر سورية ومستقبلها المنشود . بعد أقول النظام البعثي الطائفي الحاكم . ومن جهات نظر متعددة ومختلفة ومتباينة؛ كلها تصب في إقصاء الإسلام عن سورية .. وإقصاء سورية . شعباً وأرضاً . عن الإسلام!

اختلفوا في كل شيء .. إلا إقصاء الإسلام . كشرعية وعقيدة ومنهجاً ونظاماً . عن ميادين الحكم والسياسة، ومواطن النفوذ والتوجيه .. فلم يختلفوا عليه .. بل اتفقوا عليه .. وتأمروا عليه .. وهو العامل المشترك الذي يجمعهم ويؤلف بينهم .. ثم بعد ذلك يزعمون زوراً أنهم يمثلون الشعب السوري المسلم المقهور والمغلوب على أمره!

يتكلمون عن حاضر ومستقبل سورية .. متجاهلين طبيعة البلد وهويتها الإسلامية .. وهوية وعقيدة شعبيها المسلم .. وكأن سورية . أرضاً وشعباً . قطعة من الولايات التابعة لموسكو أو الولايات المتحدة الأمريكية!

ثم بعد كل ذلك يزعمون زوراً أنهم يمثلون سورية .. ويمثلون شعبيها المسلم!

من هؤلاء الفرقاء . المشار إليهم أعلاه . الذين خاضوا ويخوضون في الحديث عن مستقبل سورية؛ الأخوان المسلمون السوريون، الممثلون بمراقبهم علي صدر الدين البيانوني وما يصدر عنه من بيانات وتصريحات .. كلها تصب فيما أشرنا إليه أعلاه!

فالرجل لا يتردد . في كل مقابلة أو بيان، أو دراسة تصدر عنه وعن جماعته . في أن يتماجد . وبكل جرأة على الله وعلى دينه . بالديمقراطية .. وبحاكمية الشعب .. والوطنية .. والولاء الوطني .. وبمؤاخاته للطائفة النصرانية . مغيباً بذلك عقيدة الولاء والبراء في الإسلام . وغيرهم من قادة الأحزاب العلمانية الشيوعية .. وحرية التعددية الحزبية، بما في ذلك الأحزاب العلمانية الشيوعية الملحدة .. ورد النزاعات وما يختلفون فيه إلى صناديق الاقتراع .. وغير ذلك من الاطلاقات العلمانية الإباحية الكفرية التي من

نظرة شرعية لمستقبل سورية الأبية

مقتضى العمل بها تغييب الحكم بما أنزل الله .. وتكفير المجتمع السوري، وسلخه من الإسلام .. وفتنة الناس وصددهم عن دينهم!

انظروا إن شئتم . على سبيل المثال لا الحصر . ما سطره وفرحوا به في بياناتهم ونشراتهم: "المشروع السياسي لسورية المستقبل"، و"الميثاق الوطني"، و"إعلان دمشق للتغيير الوطني والديمقراطي" وتأيد الإخوان المطلق، ومن دون أدنى تحفظ لما ورد في هذا الإعلان .. ففي كل فقرة من فقرات تلك النشرات الأنفة الذكر تجد الدليل على ما ذكرناه!

لم يدع الإخوان . ممثلين بمراقبهم علي البيانوني . حزباً شيطانياً .. ولا زنديقاً كافراً ملحداً . يُحسن الكتابة والقراءة . إلا وتحالفوا معه .. وأظهروه .. وعرفوا الناس عليه وعلى دعوته وحزبه .. وصنعوا له دعاية . بعد أن كان نكرة مجهولاً منبوذاً . ووضعوا أيديهم بيده .. كان آخرهم " عبد الحلیم خدام " أحد أركان الفساد والإجرام للنظام الحاكم .. بحجة توحيد المعارضة ضد النظام .. فتوحيد المعارضة غاية يرخص في سبيلها . عند الإخوان . كل شيء^[1]!

الإخوان . ممثلين بمراقبهم علي البيانوني . إذ لم يدعوا شيطاناً من شياطين الإنس .. ولا زنديقاً من زنادقة العصر إلا وتحالفوا معه .. ونسقوا معه .. وحاوروه .. وأظهروا له انفتاحاً وانشراحاً ومرونة وتحوراً . مرضاة لأمريكا ودول الغرب . فإنهم في المقابل يُحجمون .. ويُدبرون .. ويُجافون .. ويُعرضون .. عن جميع الفصائل والشخصيات الإسلامية السورية الفاعلة .. لمجرد هذه الفصائل أو الشخصيات .. تُخالفهم في بعض التوجهات .. أو السياسات .. أو الأفكار .. أو لا تدين لهم بالولاء المطلق!

فتحالفوا مع أهل الكفر والشرك، والإلحاد والأوثان .. واتفقوا فيما بينهم على نظام علماني جاهلي ديمقراطي كافر .. كبديل عن النظام الحالي .. وتركوا أهل الإسلام!

¹ تحالف الإخوان مع خدام وأسرعوا في مد أيديهم إليه .. علماً أن الآخر لا يزال إلى الساعة يتماجد بالطاغية الأسد الأب وبِعلاقته وتاريخه معه، والتي امتدت لأكثر من ثلاثة عقود .. وكأن المشكلة مع الأسد الابن دون الأسد الأب صاحب التركة الفاسدة .. والإجرام الأكبر بحق الإسلام .. وحق سورية وشعبها المسلم.

نظرة شرعية لمستقبل سورية الأبية

وهؤلاء مثلهم في كتاب الله تعالى، قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ التوبة: 67.

خانوا الأمانة التي حملها الإنسان .. فغيروا وبدلوا .. وجاملوا وداهنوا وناقوا .. لعلمهم يحظون برضى أمريكا عليهم .. ورضى عملائها في المنطقة .. ولو كان ذلك بسخط الله ﷻ .. وكان النصر سيأتيهم من عند أمريكا .. وليس من عند الله ﷻ.

خانوا تطلعات وآمال الشعب السوري المسلم . بعد أن حسن بهم الظن فترة من الزمن . الذي يتطلع وبشغف إلى دولة تحكمه بالإسلام .. وعقيدة الإسلام!

الشعب السوري المسلم .. جاهد النظام البعثي الفاشي الطائفي الحاكم .. وضحي في سبيل ذلك بالغالي والنفيس .. من أجل أن يُحكّم بالإسلام .. وبشريعة الإسلام .. وأن يعيش الإسلام في جميع مجالات حياته الخاصة والعامة سواء .. لا لكي يحكمه الكفر والإلحاد .. أو أن تحكمه قوانين الكفر والشرك المستمدة من أهواء البشر .. ولا لكي يستبدل طاغية بطاغية وظلم بظلم .. ولا لكي يستبدل نظام طاغ كافر بنظام طاغ كافر آخر .. ولا لكي يستبدل حزب البعث بالحزب الشيوعي .. أو أحزاب علمانية كافرة أخرى .. قد سامت البلاد والعباد . على مدار أكثر من سبعة عقود . الكفر والذل، والفقر، والجهل .. كلها . على اختلاف مسمياتها . تخرج من مشكاة واحدة؛ مشكاة العمالة .. والكفر .. والفسوق .. ومحاربة الله ورسوله والمؤمنين.

المشكلة الكبرى للشعب السوري المسلم مع النظام الحاكم الحالي .. ليست الأحزاب .. وعدم حرية الأحزاب .. ونحو ذلك من الشعارات المرفوعة .. وإنما تكمن بمحاولته إقصاء الإسلام عن الوجود .. وعن حياة الناس .. وعلى جميع المستويات .. ولجؤته إلى العنف .. والقتل .. والسجون .. من أجل تحقيق هدفه الخبيث هذا .. مما أدى إلى أن يثور الشعب في وجهه .. ويُعلن الجهاد ضده.

وأيما نظام بديل يسلك مسلك حكم حزب البعث الطائفي؛ فيقصي الإسلام عن حياة الناس ومواطن التأثير والتوجيه .. ويفصل الإسلام عن الدولة والسياسة والحياة .. ويُعلن الحرب على الله

نظرة شرعية لمستقبل سوربة الأربة

ورسوله .. فإنه لا محالة سبواجه ثورة وجهاد شعب مسلم بكامله .. وتتكرر نفس الفصول والمآسي التي حصلت ونظام البعث يحكم بالبعث والكفر البلاد والعباد!

وعليه . وحتى لا تتكرر نفس الفصول والمآسي التي تتكرر في عهد هذا الحكم البعثي النصيري . فإنه يتعين علينا أن نبين نظرة الإسلام والمسلمين للمستقبل السياسي لسورية الأربة، لهلك من هلك عن بينة، ويحيى من يحيى عن بينة، ويتلخص ذلك في النقاط التالية:

1- التسليم بأن السيادة المطلقة التي تعلق ولا يُعلى عليها هي لله ﷻ وحده، ولحكمه وشرعه، وليس لشعب أو حاكم، أو ملك، أو حزب، أو طائفة، أو أكثرية أو أقلية .. فالله تعالى كما له الملك والخلق، فله الحكم والأمر، كما قال تعالى: ﴿الْأَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف:54. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ أَمْرًا لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف:40.

والله تعالى كما هو الإله المعبود المطاع في السماء، فهو كذلك الإله المعبود المطاع في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ الزخرف:84.

وبالتالي لا بد من أن تُحكم سورية . المسلمة بأهلها . بالإسلام .. وبشرائع وقيم الإسلام لا غير .. وأن يكون الكتاب والسنة هما الحكم والمرجعية للدولة والشعب سواء عند حصول أي نزاع أو خلاف .. وليست صناديق الاقتراع . صنم الديمقراطية . أو الأكثرية أو الأقلية.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء:65.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:59. والرد إلى الله ورسوله يكون بالرد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب:36.

2- توسيع دائرة الشورى إلى أن تُصبح ثقافة الجميع .. وملزمة للجميع .. وتُمارس على جميع المستويات الخاصة والعامة، والحكومية والشعبية، وليتحمل الجميع مسؤولياته تجاه أي خطر أو حدث

نظرة شرعية لمستقبل سوريّة الأبيّة

ينزل بالأمّة، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى:38. وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران:159.

3- أن يتم اختيار أهل الحل والعقد من المسلمين العلماء العاملين .. ومن ذوي الاختصاصات المختلفة .. وتوضع قيود ومواصفات تحدد هوية وصفة وأخلاق ومستويات هذه المجموعة المصطفاة من الناس .. بحيث لا يمكن أن يتم اختيار كافر أو زنديق أو فاسق مجروح العدالة لهذا المنصب الهام والحساس .. يرفض أو يتحايل على ما تم ذكره وبيانه في النقطة الأولى .. ولا حرج شرعاً بعد ذلك أن يُشارك عامة الناس من المسلمين في اختيار وانتخاب هذه المجموعة القيادية من الناس .. والتي قد تُسمى فيما بعد بمجلس أهل الحل والعقد، أو مجلس الشورى، أو مجلس الشعب .. أو غير ذلك من المسميات .. فلا حرج ولا مشاحة في هذه المصطلحات.

4- أن يتم اختيار الحاكم المسلم الذي يلتزم بالحكم بالإسلام .. وبما تمّت الإشارة إليه في النقطة الأولى من هذا المقال .. وتتم له البيعة من أهل الحل والعقد، وعامة الناس، على هذا الأساس؛
أساس الحكم بما أنزل الله، وسياسة البلاد والعباد بالإسلام وتعاليم الإسلام.
ولا حرج حينئذٍ . وبعد التزام جميع المتنافسين على منصب الرئاسة بالحكم بالإسلام وشرائع الإسلام . أن تحصل عملية انتخابات يُشارك فيها الجميع تُفرز الأصلاح والأقوى والأتقى لحكم البلاد والعباد .. أو يتم اختياره من خلال الاقتصار على اختيار أهل الحل والعقد الممثلين للأمّة وحسب .. فكلتا الصورتين واردتين .. لو تم اختيار الحاكم من خلالهما أو إحداهما يكون الحاكم المنتخب مباحياً ببيعة شرعية تُلزم طاعته بالمعروف .. لا تنافي بينهما وبين شيء من تعاليم الإسلام .. بل كلا الصورتين والطريقتين يوجد في الشرع ما يدل عليهما، كما في طريقة اختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه وغيره من الخلفاء الراشدين، والله تعالى أعلم.

لا حرج شرعاً من الانتخابات إذا كانت ضمن المشروع الإسلامي الملتزم بعقيدة وشرائع الإسلام؛
ليتم فرز وانتخاب الأصلاح والأقوى، والأكثر أمانة .. فالانتخابات في هذا الموضوع والوصف لا حرج فيها إن شاء الله، وإنما الحرج كل الحرج يكون عندما تُشرع الانتخابات لاختيار الله أم الطاغوت .. شرع الله أم شرع الطاغوت .. الإيمان أو الكفر .. التوحيد أو الشرك .. المؤمن الموحد أو الكافر المرتد .. ومن ثم مباركة

نظرة شرعية لمستقبل سوربة الأبيّة

ما يقع عليه اختيار الأثرية أياً كان هذا الاختيار؛ ولو كان المختار هو الطاغوت، والكفر والشرك، والإلحاد .. والفسوق والفجور .. كما يدعو لهذا المنهج والأسلوب الخبيث من الانتخابات الإخوان المسلمون، ومن

تحالف معهم من الزنادقة العلمانيين .. وتحت مسمى العمل بالديمقراطية المزعومة!

5- إطلاق حرية النقد، والتعبير، والتقويم، والمناصحة، والمحاسبة، والمساءلة .. ليشترك الجميع في تحمل المسؤولية تجاه المجتمع وما تحتاجه البلاد وتواجهه من تحديات .. شريطة أن يُضبط ذلك بضوابط الشرع وآدابه .. ويشمل ذلك الحاكم والمحكوم؛ فلا شخص فوق المساءلة والمحاسبة والمناصحة أياً كان موقعه، وكان عمله، بما في ذلك الحاكم رئيس الدولة ذاته، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "الدين النصيحة"، قلنا لمن؟ قال: "الله، وكتابه، ورسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم". وعن عبادة بن الصامت ؓ قال: بايعنا رسول الله على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم".

وقال ﷺ: "لا يمتنع رجلاً هيبته الناس أن يقول بحق إذا علمه؛ فإنه لا يُقرب من أجل ولا يُبعد من رزق".

وقال ﷺ: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله". وقال ﷺ: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر". وغيرها من النصوص التي تحض على المناصحة والصدع بالحق، وعدم الخوف في الله لومة لائم، وما أكثرها.

6- تنشيط عملية التوعية والدعوة إلى الله .. وتوسيع دائرة الحوار مع جميع أطراف المجتمع السوري .. لتعريفهم بالمشروع الإسلامي وأهدافه وغاياته ووسائله .. وللإجابة عن تساؤلات الناس وما يجول في أذهانهم من أفكار ومسائل وخواطر. بعيداً عن الكبت أو الزجر أو الإكراه. وبيان ما يجب عليهم وما يجب لهم .. وإقالة عثراتهم .. وتوسيع ساحة الأعدار لهم، فالله تعالى يُحب العذر، ولا أحد أحب إليه العذر من الله؛ وبخاصة أن المجتمع السوري . أرضاً وشعباً . ظل محكوماً بالحديد والنار من قبل طغمة البعث الكافرة المجرمة لأكثر من أربعة عقود .. يُمارسون على الناس سياسات التجهيل .. والتكفير .. والتفسيق .. والفقر .. والقمع .. يُحاربون كلمة الله في الأرض .. والدعاة إلى الله والإصلاح من العلماء العاملين.

نظرة شرعية لمستقبل سورية الأبية

مجتمع هذا واقعه .. لا بد من أن يُعطى فرصة كافية ليستعيد عافيته ونفسه .. وهويته .. ووعيه .. قبل أن يُفاجأ بالإجراءات والأحكام، والحدود.

هذه نظرة سريعة للمستقبل السياسي لسورية الأبية كما يراها الإسلام والمسلمون .. وكما يريد الإسلام والمسلمون.

فإن قيل: فما هو موقف الإسلام من الأقلية غير المسلمة الموجودة على الساحة السورية .. وكيف سيتم التعامل معها؟

أقول: الأقليات غير المسلمة الموجودة على الساحة السورية نوعان:

أقلية من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى: وهؤلاء مقابل جزية سنوية يدفعها الأقوياء الأغنياء منهم كتعبير عن الولاء للبلد وأهل البلد من المسلمين .. والخضوع لحكمهم وسلطانهم .. ولهم مقابل ذلك ذمة الله وذمة رسوله والمؤمنين: تُحترم حرمتهم وتُصان، فلا يُعتدى عليهم في شيء، ويلتزم المسلمون بالدفاع عنهم والقتال دونهم .. والإنفاق على فقراءهم .. لا يُلزمون بالزكاة التي يُلزم بها المسلم، ولا بقتال أو جهاد، كما لا يُكرهون على ترك دينهم ومعتقداتهم .. بل لهم دينهم وللمسلمين دينهم .. وهم إضافة إلى ذلك سواسية مع المسلمين أمام القانون والقضاء الإسلامي: فلا فرق بين مسلم وغير مسلم^[1].

¹ هذا القانون في التعامل مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وغيرهم من الصابئة والمجوس .. هو الذي حافظ عليهم طيلة أكثر من " 1425 " عام، وإلى الساعة في ديار المسلمين آمنين غانمين محترمين .. وفي زمانٍ كانت الشعوب والأمم الأخرى لا تعرف حرمة ولا قيمة لإنسان ولا دين!

ومع ذلك يوجد من أهل الكتاب وغيرهم من ينكر ذلك الفضل، ويعتبر ذلك ظلماً لهم ...؟

ولهؤلاء وغيرهم نقول: إضافة إلى ما ذكرناه .. فإن شروط منح الإقامة والجنسية للمسلم في كثير من بلاد الغرب النصراني المعاصر .. تتضمن . وللأسف . كثيراً من الامتهان والإذلال والإحراج .. وإلى درجة إكراهه على ترك الدين .. وحمله على اعتقاد ما يتنافى مع مبادئ وقيم دينه، من ذلك: إلزامه بالقسم على الولاء والطاعة للدولة، وقوانينها، وملكيها .. وأن يجيب عن بعض الأسئلة والتي على أساسها يُقرر أن يُمنح الجنسية والفرصة للإقامة في بلادهم أم لا، من هذه الأسئلة على سبيل المثال: "كيف سيكون رد فعلك إذا قدم إليك ابنك الأكبر وقال إنه شاذ جنسياً، ويعتزم الإقامة مع رجلٍ آخر ... ما رأيك إذا تزوج رجل في ألمانيا بامرأتين في نفس الوقت ... ما رأيك في الاطروحة القائلة أن الديمقراطية هي أسوأ أشكال الحكم التي نعرفها لكنها أفضل الموجود ... الرياضة وتعلم السباحة من صلب التعليم، هل تسمح بمشاركة ابنتك فيها، وإذا كان الجواب لا، فلماذا .."، وغيرها من الأسئلة المخصصة للمسلمين فقط والتي

نظرة شرعية لمستقبل سورّة الأبيّة

وأقلية باطنية، كالنصيرية والدروز ونحوهم: وهؤلاء يدعون أنهم مسلمون .. يظهرون شهادة التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله " لو طلبت منهم .. ويشنعون أشد التشنيع على من يكفرهم وينسبهم لغير دين الإسلام!

وهؤلاء يُلزمون بصدق ما يدعون .. وإظهار الإسلام الذي ينسبون أنفسهم إليه .. وإن كانوا في باطنهم يضمرون الكفر والعداوة والبغضاء، فالمعاملة تكون لهم بحسب ما يظهرون لا ما يُبطنون؛ فإن أظهروا لنا الإسلام، والتزموا بشعائره . وإن كانوا في الباطن منافقين كافرين . عاملناهم معاملة المسلمين من حيث الحقوق والواجبات .. وأن أبوا إلا أن يُظهروا ما في باطنهم من كفر وزندقة وإلحاد، وعداوة وبغضاء، ويستعلنوا بذلك . ولا أحسبهم يفعلون . فهذا يعني أنهم حكموا على أنفسهم بالتناقض والكذب فيما يدعون من أنهم مسلمون .. ويعني كذلك إعلان الردة والحرب على الإسلام والمسلمين والمجتمع المسلم الذي يعيشون فيه .. وهؤلاء ليس لهم في الإسلام في هذه الحالة سوى المواجهة والقتال إلى أن يعودوا فيدخلوا في الإسلام صادقين، أو أن يعودوا ثانية إلى جحور النفاق صاغرين!

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ التوبة:52. وهذه آية نزلت في المنافقين، قال أهل العلم والتفسير: ﴿ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ أي إن أظهرتم ما في أنفسكم من الكفر والنفاق والإلحاد والعداوة والبغضاء .. وقامت البيئة القاطعة على ذلك .. قاتلناكم وقتلناكم بأيدينا.

هذا هو حكم الله وحكم رسوله ﷺ في هذه الشريحة المريبة من الناس ذات التاريخ الحافل بالغدر والخيانة والتآمر على الأمة والإسلام والمسلمين!

فإن قيل: فما يكون الموقف من الأحزاب .. هل الإسلام يسمح بالأحزاب في المجتمع المسلم؟

تتناول جوانب عديدة من اعتقاداتهم وقيمهم الدينية .. والتي على أساسها . إن جاءت الإجابة وفق ما يشتهون ويريدون ويتدينون . يمنح المسلم فرصة الإقامة والتجنس ... إضافة إلى ما هو معلوم للجميع من قيام بعض الدول الأوروبية بمنع النساء المسلمات . بقوة القانون . من حقهن في ارتداء الحجاب واللباس الذي يردنه ويرغبن به .. بدعوى ضرورة الاندماج والانصهار في المجتمع وعاداته وقيمه .. والسؤال الذي يطرح نفسه: أيهما فيه امتحان لكرامة ودين المرء وإنسانيته وحرية .. قانون الجزية كما هو مبين أعلاه .. أم هذه الإجراءات المتبعة حديثاً في كثير من الدول الغربية التي تزعم قمة التحضر والإنسانية .. واحترام الإنسان ومعتقداته!؟

نظرة شرعية لمستقبل سوربة الأبية

أقول: الأحزاب السائدة على الساحة . وبخاصة الساحة السورية . نوعان:

نوع من الأحزاب تقوم على أساس الكفر ومناقضة الإسلام مناقضة تامة: كالأحزاب العلمانية والشيوعية التي تدين بالولاء إما للغرب وإما للشرق، وإن كانت مؤخراً بعد تفكك وانهارت الدولة الشيوعية الروسية .. غالب هذه الأحزاب أصبحت تدين بالولاء للغرب .. ولأمريكا .. يعيشون بأجسادهم في الوطن .. وفي قلوبهم وعقولهم يعيشون في الأوطان التي تُعادي الأمة والوطن الذي يعيشون فيه بأجسادهم .. وهؤلاء خنجر مسموم في خاصرة الأمة .. عانت منهم أمة الإسلام الولايات والخراب والدمار وعلى مدار أكثر من سبعة عقود .. أتى للإسلام أن يجيز لمثل هذه الأحزاب الباطلة الكافرة التي توقع البلاد والعباد في الكفر والردة والفتنة والفرقة والتناحر .. والتبعية إما لشرق أو غرب .. فهذا أمر لا يُمكن للإسلام أن يقره فضلاً عن أن يُجيزه ويسمح به!

الإسلام الذي من أركانه وغاياته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. كيف يُفترض فيه أنه يقر ويجيز المنكر؛ وبخاصة إن كان هذا المنكر يرقى إلى درجة أحزاب تقوم على الكفر والإلحاد والشرك ومحاربة الله ورسوله والمؤمنين؟!

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ الحج:41. فمن غايات التمكين في الأرض الذي يمن الله به على عباده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وليس الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف .. كما يريد حزب الإخوان .. ومن معهم من الديمقراطيين الإباحيين!

ولما تهاون بنو إسرائيل فيما يجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه .. لعنهم الله تعالى على لسان داوود وعيسى ابن مريم، كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة:78-79. وهذا مثل ضرب للمسلمين؛ فإن وقعوا فيما وقع به بنو إسرائيل فلم يتناهوا عن منكر فعلوه .. لعنوا كما لعن الذين كفروا من بني إسرائيل من قبل.

نظرة شرعية لمستقبل سورّة الأبيّة

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" مسلم.

وقال ﷺ: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خرد" مسلم. وقوله: "وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خرد"؛ لأنه ليس وراء إنكار القلب سوى الإقرار والرضى، والرضى بالكفر كفر، ينفي مطلق الإيمان بلا خلاف.

وقال ﷺ: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء فمروا على من فوقهم فتأذوا به، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا. فقالوا: لو أننا خرقتنا في نصيبنا خرقتاً فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا مالك؟ قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا وأنجوا جميعاً" البخاري.

مثل القائم على حدود الله؛ هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ومثل الواقع فيها؛ هو صاحب المنكر والسيئات والمشاريع الهدامة.. ومثل السفينة: المجتمعات.. فإن ترك الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أصحاب المنكر والسيئات لينشروا فسادهم.. وكفرهم.. وفسوقهم.. وفجورهم في المجتمعات وبين الناس.. بزعم الحرية الشخصية، وأن الحرية حق من حقوقهم.. كما يريدونها الإخوان ومن معهم من الديمقراطيين الإباحيين.. هلكت المجتمعات وهلك جميع من فيها، وإن أخذوا على أيديهم بالزجر والإنكار والمنع.. نجت المجتمعات.. ونجا جميع من يعيش فيها، يصدق ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدَمْنَا مَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء:16.

وهناك نوع آخر من الأحزاب تقوم فكرتها ضمن المشروع الإسلامي العام؛ على أساس نصرة الإسلام وقضاياه، والعمل من أجل تقدم الأمة وقوتها.. والمنافسة في خدمة الناس.. وغير ذلك من المعاني الصالحة المشروعة.. هذا النوع من الأحزاب لا توجد مشكلة كبيرة لو وجدت في ظل الدولة

نظرة شرعية لمستقبل سورية الأبية

المسلمة ما أمنت فتنة الفرقة، أو أن تكون ذريعة لتفريق كلمة الأمة وإضعاف شوكتها .. وهو موضوع بشكل عام قابل للاهتمام، والقبول والرد .. بحسب ما تظهر من مصالح أو مفاصد تنعكس على مجموع الأمة جراء السماح بمثل هذه الأحزاب أو منعها .. وعلى العموم أرى أن يُرجأ هذا الموضوع إلى حين قيام الدولة الإسلامية ليرى العلماء العاملون من أهل الحل والعقد رأيهم فيه، وما يرونه حينئذٍ فلا حرج فيه إن شاء الله، والله تعالى أعلم.

فإن قيل: أنت تحلم .. هناك عقبات كأداء عدة أمام قيام دولة إسلامية تحكم بما أنزل الله في

سورية .. فلا تذهب بنا بعيداً عن الواقع؟

أقول: أجيب عن هذا الاعتراض من خلال النقطتين التاليتين:

1- غالبية الشعب السوري شعب مسلم .. من أعظم مطالبه التي جاهد وضحي من أجلها قيام دولة إسلامية تحكم البلاد والعباد بما أنزل الله .. وما ضاع حق وراءه شعب يُطالب به، ويُجاهد من أجله.

2- قدر الشام أن تكون دولة إسلامية تحكم بما أنزل الله .. وأن يصطفها الله تعالى لنصرة دينه .. وأن تكون مقراً للطائفة المنصورة الظاهرة التي لا تخشى في الله لومة لائم .. وأن تقود الأمة في كثير من معاركها ضد الغزاة الصليبيين .. فأرض الشام أرض رباط إلى يوم القيامة.

كما أن قدر أهل الشام أن يكونوا الحماة لهذا الدين .. والمادة التي يُنصر بها الدين وتُعلى كلمته .. والجنود الذي يحفظ الله بهم الملة والأمة .. وأن يكونوا المأوى والمنجاة من الفتن .. ولا بد من أن يتقبلوا هذا القدر. وتكاليفه. بنفس راضية مؤمنة طائعة .. صابرة وأجرهم على الله.

وإليكم بعض النصوص الشرعية الدالة على هذه الحقيقة الآتية ولو بعد حين:

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "عليكم بالشام .. فإن الله ﷻ قد تكفل لي بالشام وأهله". ومن

تكفل الله به فلا ضيعة عليه.

وعن زيد بن ثابت الأنصاري ؓ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "يا طوبى للشام! يا طوبى

للشام! يا طوبى للشام!"، قالوا يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: "تلك ملائكة الله باسطوا أجنحتها على

الشام".

نظرة شرعية لمستقبل سوربة الأبيّة

وقال ﷺ: "إني رأيتُ عمودَ الكتاب انْتزع من تحت وسادتي، فنظرت فإذا هو نور ساطع عمود به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام".

وقال ﷺ: "إذا فسد أهلُ الشام فلا خير فيكم، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة".

وقال ﷺ: "لن تبرح هذه الأمة منصورين أينما توجهوا، لا يضرهم من خذلهم من الناس حتى يأتي أمر الله؛ وهم بالشام".

وقال ﷺ: "لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة".

وفي رواية: "لا يزال أهل الغرب ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة"؛ وأهل الغرب هم أهل الشام. قال أحمد بن حنبل: أهل المغرب هم أهل الشام.

وعن عبد الله بن حوالة أنه قال: يا رسول الله اكتب لي بلداً أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أخترع على قريبي. قال ﷺ: "عليك بالشام، عليك بالشام، عليك بالشام!". فلما رأى النبي ﷺ كراهيته للشام، قال: "هل تدرون ما يقول الله ﷻ؟ يقول: أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرتي من عبادي .. ورأيت ليلة أُسري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤٌ تحمله الملائكة، قلت: ما تحملون؟ قالوا: نحمل عمود الإسلام، أمرنا أن نضعه بالشام".

وقال ﷺ: "عليك بالشام؛ فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده".

وعن عبد الله بن عمر، قال: قال لنا النبي ﷺ يوماً: "إني رأيت الملائكة في المنام أخذوا عمود الكتاب، فعمدوا به إلى الشام، فإذا وقعت الفتن فإن الإيمان بالشام".

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ستخرج نارٌ في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس"، قلنا فماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: "عليكم بالشام".

وعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "فسطاط المسلمين — أي مدينتهم — يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يُقال لها: دمشق؛ من خير مدائن الشام".

وفي رواية عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "يوم الملحمة الكبرى، فسطاط المسلمين بأرض

يُقال لها: الغوطة، فيها مدينة يُقال لها: دمشق؛ خير منازل المسلمين يومئذ".

نظرة شرعية لمستقبل سورية الأبية

وقال ﷺ: "إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثاً من الموالي أكرم العرب فرساً، وأجودهم سلاحاً يؤيد الله بهم الدين".

وقال ﷺ: "عقردار المؤمنین بالشام". أي مركزهم الذي يأوون إليه . عند الشدائد والمحن والفتن . هو بالشام^[1].

هذا هو قدر الشام .. وقدر أهل الشام الآتي بإذن الله .. وهو قدر لا يمكن أن يتحقق إلا في ظل بيئته؛ في ظل دولة إسلامية راشدة تحكم بما أنزل الله .. وبعد أفول عهد الزنادقة من العلمانيين الذين ساموا البلاد والعباد النذل والهوان دهرًا من الزمان .. وما ذلك ببعيد بإذن الله .. ﴿قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ الأنعام:158.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1426/12/17هـ

أبو بصير الطرطوسي

2006/01/17م

¹ جميع الأحاديث الأنفة الذكر صحيحة أو حسنة الإسناد والله الحمد، وهي مخرجة في كتاب " فضائل الشام ودمشق للربيعي"، تحقيق الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

الدِّيمقراطيَّةُ القَدِرَّةُ

الدِّيمقراطيَّةُ القَدِرَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

عندما تأتي الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . لتغيَّب مبدأ وعقيدة سيادة الخالق على خلقه . وهذا الكون وكل ما فيه ومن خلقه وملكه ﷻ . ومن ثم لتقرر مبدأ وعقيدة سيادة المخلوق الضعيف العاجز الفقير على هذا الكون ومن فيه .. فلا تعلق . في نظر الديمقراطية . سيادته سيادة .. ولا أمره أمراً .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها ديمقراطية قَدِرَّةٌ كافرة .. تأبأها النفوس السويَّة المؤمنة.

عندما تأتي الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . لتغيَّب وتُحارب عقيدة عبادة العباد لله تعالى وحده .. وإفراده ﷻ وحده بالعبادة .. لتقرر بدلاً منها عقيدة عبودية العبيد للعبيد، وعبودية المخلوق للمخلوق .. ليتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً ومشرعين من دون الله .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها ديمقراطية قَدِرَّةٌ كافرة .. تأبأها النفوس السوية المؤمنة.

عندما تأتي الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . لتغيَّب حاكمية الله تعالى، وعقيدة ومبدأ ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وتقرر وتفرض بدلاً منها حاكمية البشر .. حاكمية الأكثرية .. حاكمية صناديق الاقتراع .. حاكمية الطاغوت .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها ديمقراطية قَدِرَّةٌ كافرة .. تأبأها النفوس السوية المؤمنة.

عندما تأتي الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . لتغيَّب عقيدة الولاء والبراء في الله .. لتقرر بدلاً منها روابط ووشائج وثنية جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان .. تؤاخي وتساوي بين أكفر وأفجر وأفسق وأشر من في الأرض مع أتقى وأصلح من في الأرض .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها ديمقراطية قَدِرَّةٌ كافرة .. تأبأها النفوس السوية المؤمنة.

عندما تأتي الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . لتغيَّب عقيدة ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إلا في حدود ما تسمح به الديمقراطية ذاتها ... لتقرر شرعية المنكر .. وشرعية الكفر،

الدِّيمقراطيَّة القَدِرَّة

والشرك، والفجور، والفسوق، والفساد .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها ديمقراطية
قدرة كافرة .. تأبأها النفوس السويَّة المؤمنة.

عندما تأتي الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . لتغيَّب عقيدة ومبدأ الجهاد في سبيل
الله . كما يراه ويدعو إليه الإسلام . لتستبدل ذلك بمبدأ وعقيدة التداول السلمي؛ ولو أدى هذا التداول
السلمي لأن تضيع البلاد والعباد وتُحكم بالكفر والشرك، والردة، والفسوق والفجور، على أيدي أكفر
وأفجر الخلق .. بعد أن كانت البلاد والعباد دهرأً من الزمان محكومة بشرع الله .. عندما تكون
الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها ديمقراطية قَدِرَّة كافرة .. تأبأها النفوس السوية المؤمنة.

عندما تأتي الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . لتغيَّب مبادئ وقيم الأخلاق الحميدة
.. وتقرر شرعية قَمَّة الشذوذ والانحراف الجنسي، والأخلاق .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا
شك أنها ديمقراطية قَدِرَّة كافرة .. تأبأها النفوس السوية المؤمنة.

عندما تكون الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . مبرراً للطعن بالخالق ﷻ .. والطعن
والاستهزاء بسيد الخلق محمد ﷺ .. وبإخوانه من الأنبياء والرسل صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين ..
تحت ذريعة حرية التعبير .. وأن لا أحد في الديمقراطية فوق النقد، والتعقيب، والتهكم، والسخرية،
والاستهزاء .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها ديمقراطية قَدِرَّة كافرة .. تأبأها النفوس
السوية المؤمنة.

عندما تكون الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . ذريعة ومبرراً تبرر للغزاة المستعمرين
.. أن يغزوا البلاد والعباد .. أن يزيلوا دولاً بأكملها .. ويُحدثوا فيها الدمار والخراب بعد أن كانت آمنة
مطمئنة .. أن يدمروا المدن والقرى .. أن يُحاصروها ليموت من فيها جوعاً وحرماناً .. أن يهدموا البيوت
على رؤوس ساكنيها من الشيوخ والنساء والأطفال .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها
ديمقراطية قَدِرَّة كافرة .. تأبأها النفوس السوية المؤمنة.

عندما تكون الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . ذريعة ومبرراً لقتل الإنسان ..
وإحداث المجازر والجرائم .. وانتهاك حقوق وحرمات وكرامة الإنسان .. وزج الأبطال الأحرار في غياهب

الدِّيمقراطيَّة القَدِرَّة

السجون .. لتُسام قمة الظلم، والتعذيب، والامتهان لكرامة الإنسان .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها ديمقراطية قَدِرَّة كافرة .. تأبأها النفوس السوية المؤمنة.

عندما تكون الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . غطاء لأطماع الغزاة المستعمرين في بلاد المسلمين .. لنهب خيراتها وثرواتها .. والتدخل في شؤونها الخاصة والعامة .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها ديمقراطية قَدِرَّة كافرة .. تأبأها النفوس السوية المؤمنة.

عندما تكون الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . ذريعة لزرع العملاء المنافقين .. المجرمين .. في بلاد المسلمين .. وزرع أحزاب عميلة موالية للغزاة المستعمرين .. تفرق الأمة .. وتستقوي عليها بالمستعمر الأجنبي .. وتصبغ على تدخل الغزاة المستعمرين . في شؤون البلاد والعباد . الشرعية والقانونية .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها ديمقراطية قَدِرَّة كافرة .. تأبأها النفوس السوية المؤمنة.

عندما تصطلح الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . مع أطفى ديكتاتوريات الأرض .. وتتحالف معهم ومع أنظمتهم القمعية الفاسدة .. على حساب الشعوب المقهورة المظلومة، المرهوبة، والمغلوب على أمرها .. من أجل مصالح وأطماع ذوي النفوذ، ورؤوس الأموال في العالم الديمقراطي الحر .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها ديمقراطية قَدِرَّة كافرة .. تأبأها النفوس السوية المؤمنة.

عندما تقف الديمقراطية . كما هو شأنها وشأن القائلين بها . بعنف وشراسة .. تزيد على عنف وشراسة ديكتاتوريات الأرض مجتمعة .. كعقبة كأداء أمام أي مشروع إسلامي نهضوي . مهما كان هذا المشروع ممثلاً لرغبة وإرادة الأكثرية من الشعوب . يستهدف قيام دولة إسلامية راشدة .. وأن يُعيد للأمة مجدها ودورها الريادي الحضاري الذي يليق بها .. والتي فقدته منذ زمن .. عندما تكون الديمقراطية كذلك .. فهي لا شك أنها ديمقراطية قَدِرَّة كافرة .. تأبأها النفوس السوية المؤمنة.

هذه هي الديمقراطية .. وهذه هي قدارتها .. ونتنها .. وعفنها .. ومع ذلك . وللأسف . لا يزال من بني جلدتنا وديننا من يُحسِّن ويُزَيِّن هذه القدارة .. ويلوكها في فيه، غير مستطعم لقدارتها ونتنها .. مباحياً وممهوراً بها .. ثم بعد كل ذلك يحسب أنه ممن يُحسنون صنعاً .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

الدِّيمقراطيةُ القَدْرَة

فإن قيل: عرفنا الديمقراطية وقذارتها .. ولكن ما هو البديل؟!

أقول: قد قلت . وقال غيري من العلماء العاملين . مراراً، وتكراراً .. البديل ليست الديكتاتورية .. ولا حكم الفرد .. ولا شيئاً من ذلك أبداً .. وإنما هو حكم الإسلام وحسب .. والإسلام لم يدع سؤالاً إلا وأجاب عنه .. ولا مشكلة . أياً كان نوعها . إلا ووضع لها علاجاً ناجعاً .. كما أنه لم يدع شيئاً نافعاً إلا ودلنا عليه، وأمرنا به .. ولا شيئاً ضاراً إلا وبيّنه لنا وحذرنا منه، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة:3.

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:50.

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر:20.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ البقرة:120. وما سواه فهو الباطل .. والخراب .. والضلال المبين.

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1427/01/12هـ

أبو بصير الطرطوسي

2006/02/11م

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد.
ما من مخلوق في السماء أو في الأرض؛ سواء كان إنساً أم جنّاً، أم جماداً، أم ماءً، أم هواءً، أم حيواناً؛ دابةً كان أم طائراً، إلا وله وظيفتان وغاية.
أما الوظيفتان: وظيفة نحو نفسه ليحافظ على بقائه وتماسكه ما قدر الله له البقاء، ووظيفة نحو غيره؛ لأنه جزء من كل يتأثر ويؤثر؛ إذ لا يوجد مخلوق بإمكانه أن يعيش مستقلاً عن محيطه، وبقية العناصر الأخرى التي هي سبب في وجوده، وتكوينه، وبقائه على قيد الحياة ما قدر له.
وقد تكون للمخلوق. أيّاً كان هذا المخلوق. وظائف أخرى؛ كأن يكون سبباً في هلاك وموت مخالقي أخرى؛ موتها في مرحلة من المراحل سبب في عمران الأرض، ودوامها بصورة أفضل وأكمل، كما قد تكون سبباً في حياة مخالقي أخرى.. حياتها متطلب من متطلبات بقاء الحياة على هذه الأرض بصورة أكمل وأجمل.. وهذا أمر يدركه المرء بقليل من البحث، والتأمل، والتفكير.. وهو من تمام عظمة اتقان الخالق ﷻ لهذا الكون الفسيح!

إذ لا يوجد مخلوق قد خُلق عبثاً من غير وظيفة، ومنهاج، وغاية، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ المؤمنون:115-116. فالله تعالى منزّه عن العبث أو أن يخلق شيئاً. أيّاً كان هذا الشيء . عبثاً من غير وظيفة، ولا منهج، ولا غاية أو حكمة، علم هذه الحكمة من علمها، وجهلها من جهلها.

أما الغاية من خلق الخلق: فهي إفراد الله تعالى وحده بالعبادة، والتسبيح بحمده، والشكر له ﷻ على نعمائه وفضائله التي لا تُعد ولا تُحصى.

كما قال تعالى عن الإنس والجن: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: 56. نفي بعده أداة استثناء " إلا " يفيد الحصر والقصر؛ أي لم يخلقهم لشيء أبداً إلا لعبادته وتوحيده، وشكره. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البينة:5.

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

وقال تعالى عن بقية المخلوقات، كل المخلوقات: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ الإسراء:44. فقله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾ من صيغ العموم؛ أي كل شيء يعبد الله تعالى ويسبح بحمده بطريقته التي ألهمه الله إياها وارتضاها له، سواء فقهنا تسبيحهم أم لم نفقه!

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ النور:41. سبحان الله العظيم! كل كائن قد علمه الله تعالى صلواته وتسبيحه، وسجوده، وكيف يعبد الله تعالى ويوحده!

وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الحشر:24.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ الحج:18.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّ الْعَالِمَ لِيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحَيْتَانِ فِي الْمَاءِ..." [أخرجه أبو داود وغيره، صحيح الترغيب:68].

وقال ﷺ: "فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ: إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ، وَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحَوْتِ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ" [أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

يا سبحان الله .. هذا الكون كله وما فيه ومن فيه من خلائق وأشياء .. ونجوم وكواكب يسبحون ويسجدون، ويصلون .. ويوحدون الخالق ﷻ .. وإضافة إلى ذلك فإنهم يهتمون بالإنسان إلى درجة أنهم يستغفرون ويدعون لمعلمي الناس الخير[1]!

¹ هذا الاهتمام البالغ من الدواب والحيوانات والطيور، والجمادات بمعلمي الناس الخير، هو لسببين: أولهما لأن تعليم الناس الخير مؤداه إلى أن يتعرف الناس على حقيقة العوالم والأشياء المحيطة بهم .. وعلى حقوقهم .. وكيفية التعامل والتعايش معهم.

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

هذه النملة . على ضآلتها . التي قد يطؤها الإنسان بقدمه وهو لا يُبالي .. تقول: اللهم اغفر للعالم الذي يعلم الناس الخير^[1].

هذا الحوت الضخم المخيف وهو في أعماق البحار: يُسبح بحمد ربه .. ويُصلي لله ﷻ من أجل معلمي الناس الخير!

هذه الشجرة التي تستظل في ظلها لا تؤذيها في شيء .. فهي من جهة إذ تستخرج . بإذن ربها . خيرات الأرض لتعطيك إياها ثماراً ناضجة لذينة الطعم والمذاق . وهي راغبة راضية . فهي من جهة أخرى مشغولة بالتسبيح والتحميد .. وعبادة خالقها ﷻ .. ولا بد لك من أن تحترم لها ذلك .. فلا تقطع عليها صلاتها وتسبيحها بما يؤذيها ويُسخطها!

ثانياً: لأن تعليم الناس الخير ينعكس على جميع هذه العوالم المختلفة والمتعددة بالخير؛ لأن بتعليم الناس الخير تقل ذنوبهم ومعاصيهم . وتكثر طاعتهم لله ﷻ، وهذا يُجلب للأرض كلها ولكل من فيها الخير والرزق والسعادة . كما قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ هود:52. وقال تعالى عن نبيه نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾ نوح:10-11. فكما أن الفسوق والفجور والظلم يُجلب للأرض ومن فيها الدمار والخراب، والهلاك كذلك الطاعات والاستقامة على منهج الله فهي تجلب للأرض ومن فيها الخير، والرزق، والأمن، والسلامة. وقبل هذا وذاك: لأن الله تعالى أمرهم بالدعاء والاستغفار لمعلمي الناس الخير من قبيل شكرهم، وشكر معروفهم، ورد جميلهم بما هو أجمل!

¹ في إحدى سجون الطواغيت التي قُدر لي أن أدخلها؛ كان بجوار فراشي بيت للنمل .. فكنت أفتُّ لها الخبز وأنعمه ليسهل عليها حمله وإدخاله إلى سراديبها وبيتها .. وكنت أرهاها أشد الرعاية .. ويعلم الله كم كنت . في وحشة السجن رغم ظلم جلاديه . مستأنساً بتلك النملات .. كنت أشعر أن شيئاً هاماً وكبيراً وعظيماً يربطني بهذه النملات التي تروح وتعود أمامي .. أكثر بكثير مما يربطني بهؤلاء الطواغيت وجلاديتهم .. كنت أشعر بكل يقين أنهم . على الفارق الكبير بيني وبينهم . يُشاركني توحيد الخالق ﷻ .. يُشاركني التسبيح والتحميد والتكبير .. يُشاركني عبادة الله .. ولعلمهن يخصصني بالدعاء وأنا لا أعلم .. فهم إذاً يلتقون معي في أسمى شيء في هذا الوجود ألا وهو الإيمان، والتوحيد، وعبادة الخالق ﷻ .. إضافة إلى الاهتمام المتبادل والمشارك فيما بيننا .. بخلاف الطواغيت المجرمين وأزلامهم .. وكم كان يزعجني ويُربكني صوت السجن المزعج عندما كان يأمر فجأة بغسل المهاجع والزنازين؛ والذي يعني موت وقتل عدد كبير من هذه النملات!!

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

هذا الجبل الأشم الذي قد تمر عليه مرَّ الكرام .. إنه أخوك في الله .. فهو من جهة يُثَبَّت لك . بإذن الله . الأرض لكي لا تميد بك .. وتعيش عليها باستقرار وأمان .. فهو من هذا الوجه حارس مطيع أمين للأرض ومن عليها .. ومن جهة قد يعصمك . بإذن الله . من سهام وصواريخ وقنابل العدو .. فهو يُقاتل دونك وأنت لا تدري .. وما أخبار جبال " توري بوري " عن مسامع الخلق ببعيد .. حيث تشتتت على صخورها الشَّمَاء أعتى أسلحة الشر .. لتحمي قلة من الفِتيّة آمنوا برهم، وزادهم الله هدى .. وهو مع كل ذلك يُشاركك . يا عبد الله . التسبيح والتحميد .. وتوحيد الخالق ﷻ، كما قال تعالى:

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النحل:15.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾

الأنبياء:31.

وقال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَا بِالْعِثِيِّ

وَالْإِشْرَاقِ﴾ ص:17-18.

الفرق بينك وبين نبي الله داود . في هذا الأمر . أنه كان يسمع تسبيح الجبال .. وكانت تسبح مع تسبيحه .. وترجع بترجيعة .. وأنت لا تسمعها، قال ابن كثير في التفسير: "أي أنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار، كما قال ﷻ: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ ، وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعة، إذا مر به الطير وهو ساجح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب، بل يقف في الهواء ويُسبح معه، وتُجيبه الجبال الشامخات ترجع معه، وتسبح تبعاً له "أ- هـ.

اعلم يا عبد الله .. أنك تعيش وسط عوالم من الحيوانات، والدواب، والطيور، والخلائق، والنباتات، والجمادات . على اختلاف مسمياتها وأشكالها . لها حياتها الخاصة بها .. كلها تحس .. وتشعر .. وتفهم .. وتفقه .. وتفرح وتحزن .. وتألم .. وتحب وتكره .. وتدعو وتستغفر .. وتسبح بحمد ربها ..

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

ولا بد لك من أن تتعامل معها على هذا الأساس حتى لا تظلم شيئاً منها .. وحتى تُعطي كل شيء في هذا الوجود حقه الذي يستحقه^[1]!

إن كنت في شكٍ من ذلك إليك مزيد من الأدلة الدالة على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُمُّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام:38.

فقوله تعالى: ﴿أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ ؛ أي كما لكم حياتكم الخاصة بكم كأمم وشعوب .. فهذه العوالم من الدواب والطيور مثلكم لهم حياتهم الخاصة بهم كأمم مختلفة ألوانها وأشكالها .. كل أمة تتميز عن أختها بما خصها الله تعالى من الخصائص والصفات " وهي جماعات مماثلة لكم في الخلق والرزق، والحياة، والموت، والحشر". ينتابها ما ينتابكم من مسرة أو حزن وألم .. ومرض وشفاء .. وهي ستُحاسَب يوم القيامة إن طغى بعضها على بعض، وظلم بعضها البعض الآخر، كما أنكم ستُحاسَبون على أعمالكم، وما تقدمونه لأنفسكم من عمل.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب:72.

والأمانة يُراد منها هنا: الدين، والشريعة، والطاعة والإنقياد للتكاليف والأوامر والنواهي .. فإن وُفِّت هذه المخلوقات العظام ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ وأدت الأمانة كما يُراد منها أثبتت، وإن أساءت وقصرت عُوقبت .. فاعتذرت إشفقاً وتعظيماً لشأن الأمانة، وخوف حصول التقصير، ورضيت بأن تبقى مسخرة لمشينة الله، طائعة له لا تعصيه في شيء، مجردة من المشيئة والإرادة التي يترتب عليها الحساب والعقاب.

¹ لا شيء يُسَخَط، ويُحزن هذه العوالم من الحيوانات والدواب والجمادات والنباتات، كاستخدامها واستثمارها من قبل الإنسان في معصية الله .. ولا شيء يُرضيها ويفرحها كاستخدامها واستثمارها من قبل الإنسان في طاعة الله .. فاحرص يا عبد الله على أن تستثمر وتستخدم ما حولك من العوالم مما سخره الله لك في طاعة الله تعالى لا في معصيته.

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

وكون الأمانة . على ثقلها وعظمتها . تُعرض على «السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ» : فهذا يعني أن «السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ» لا تخلو من نوع فهم، وإحساس، وإدراك، وشعور .. وإلا لما عُرضت عليها الأمانة أصلاً.

وكذلك قوله تعالى: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمْتَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» الحشر:21. أي أن الجبال على غلظتها وشدتها تخشع بل وتتصدع خوفاً من الله لو أنزل عليها هذا القرآن وعقلت ما فيه .. فهي ليست عبارة عن جمادٍ مجردٍ من الإحساس والشعور، والعواطف .. كما يظن البعض!

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "أحدُ جبلٍ نُحِبُّهُ وَيُحِبُّنَا" البخاري. نعم الجبل يُحب .. وإذا كان يُحب فهو من جهة ثانية يكره؛ فما دام قد عرف الحب وذاق طعمه، فهو لا بد أنه قد عرف الكراهية والبغض والسخط وذاق طعمه .. أما أنه كيف يُحب ويكره .. وهل له قلب وعروق تنبض بالحب كما للإنسان .. فهذا ليس شأننا .. وإنما شأننا هنا أن نثبت أن الجبال تحب وتكره، شأنها شأن أي مخلوق له قلب ينبض بالحب والكراهية .. وهي مجموعة من المشاعر والعواطف، كما أنها مجموعة من الصخور العاتية السماء!

وقال تعالى: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» الأعراف:179.

وقال تعالى: «أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» الفرقان:44. فهم . أي الكفار والمشركون . كالأنعام من جهة أنهم ليس لهم عقول تفقه حقيقة الخطاب الشرعي الفقه الذي يحمل صاحبه على الإيمان والتصديق، وكذلك حواسهم وإن كانت تعمل وتميز الأشياء بعضها عن بعض .. إلا أنها لا تفقه حقيقة هذه الأشياء وما ينبغي أن يتبع هذا الفقه من إيمانٍ بالخالق ﷻ والإقرار له بالعبودية والطاعة .. فهم من هذا الوجه كالأنعام لا يفقهون ولا يعقلون الخطاب .. ومع ذلك فالأنعام أفضل منهم .. وهم أضل منها سبيلاً؛ لأن الأنعام بفطرتها

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

التي فطرها الله عليها تعبد الله تعالى وتوحده .. وتسبح بحمده وتشكره .. بخلاف الإنسان الكافر والمشرك فإنه لا يعرف شيئاً من ذلك .. حتى فطرته التي فطر عليها فقد أفسدها وحملها على الكفر والجحود والإلحاد!

ومن الأدلة الدالة على ما تقدم، وأن الكافر ليس له عقل . وإنما له ذهن يفقه ظواهر الأمور ويحللها . قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ الملك: 10. أي لو كنا نسمع السمع الذي يؤدي بنا إلى فقه حقيقة ما كنا نسمعه من الآيات المتلوة، أو لنا العقل الذي يفقه الأشياء على حقيقتها .. ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ .

ومن الأدلة كذلك قوله تعالى عن النمل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اتُّوا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النمل: 18.

نملة .. أضعف وأضال مخلوقات الله .. تحرس قومها وبني جنسها .. من أضخم جيش على وجه الأرض .. جيش قهر جبابرة وملوك الأرض .. إنه جيش سليمان عليه السلام!!

نملة .. لم يمنعها ضعفها وضآلة حجمها من أن تكون في الطليعة تحرس قومها في الخطوط الأمامية المتقدمة من الخطر .. خطر جيش وجند سليمان!!

لم يخفها سليمان وجنده .. لم يخفها جيش سليمان العرمرم الذي لم يُقهر من قوة على وجه الأرض!

نملة .. لم تفكر . على طريقة الأنانيين الانتهازيين . بنفسها .. كيف تنجو بنفسها من الخطر .. وليكن بعد ذلك لقومها وأهلها ما يكون .. لا .. هي لم تفعل شيئاً من ذلك .. كما يفعل ذلك كثير من بني البشر الأنانيين!

بل جعلت نفسها وروحها دون قومها .. وكأنها تقول لا نجوت إن لم ينجو قومي .. لا عشت إن لم يعيش بني قومي .. وأي حياة أعيشها وبني قومي وأهلي قد تحطمت بيوتهم .. وهم صرعى كالذرتحت أقدام جنود سليمان .. لا نجوت إن لم ينجو بني قومي وجنسي من النمل!

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

ثم هاهي ما إن ترى طلائع جيش سليمان قد ظهرت .. واقتربت من المنازل .. لم تنتظر أن تأتي قومها لتخبرهم خبر الجند والجيش .. فالوقت ليس لصالحها .. وجيش سليمان أسرع إليهم منها .. فما كان منها إلا أن صرخت بملء فيها: يا أيها النمل .. النجاة النجاة .. ادخلوا حصونكم ومساكنكم .. فإن لم تفعلوا .. يحطمنك سليمان وجنوده وهم لا يشعرون!!

تأمل حرف المد ومجيء الهمزة بعده في ﴿يَا أَيُّهَا﴾ مما يوحي بنداء .. وممدٍ في النداء .. وبكل ما أوتيت من قوة ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ﴾ .. لكي يسمعها قومها قبل أن يستشرفهم خطر جيش سليمان!

نملة لا قيمة ولا وزن لها في ميزان القوى .. لا تخشى أكبر قوة على وجه الأرض!!

نملة لا قيمة ولا وزن لها في ميزان القوى .. تفعل كل هذه الأفاعيل .. تفعل ما لا يفعله كثير من

الناس الانتهازيين الأنانيين في عصرنا!!

كم من إنسان يفر من مواجهة العدو .. ولا يُبالي بما يُصيب أهله وإخوانه وقومه من بعده .. فهو

في السلم والحرب لا يعرف إلا نفسه .. ولا يعرف مصلحة إلا مصلحة نفسه؟!

كم من حارس تُؤتى جماعته من جهته بسبب إهماله وتقصيره .. كم من حصنٍ أو مدينة تنتهك

حرماتها من قبل العدو بسبب إهمال وتقصير وأنانية الحراس؟!

هذه النملة . على ضعفها وضآلة حجمها . تعطي درساً كبيراً لأولئك الذين يؤثرون الراحة والدعة .

والفراش الوثير .. لا يهتمهم من أمر العامة شيء إلا أنفسهم وذواتهم!

هذه النملة . على ضعفها وضآلة حجمها . خير من أولئك الذين يقولون: الحمد لله أنها جاءت على

أخي وجاري .. ولم تحي علي .. وقد نجوت منها وإن هلك الآخرون .. أبيت شبعاناً .. وهذا المهم .. وإن بات

جاري وأطفاله وهم يتضورون جوعاً .. النملة لا تعرف شيئاً من هذه الأخلاق!

أقل ما يمكن أن يُقال في هذه النملة: أنها نملة شجاعة .. لا تعرف الخوف .. ولا الخوف يعرف

إليها سببلاً .. فقيمة لموارد الخطر .. لا تعرف الأنانية .. ولا الخمول أو الكسل .. أمينة على الثغور .. تؤثر

مصلحة الجماعة على مصلحة نفسها .. حريصة على بني قومها .. وتغار عليهم وعلى حرماتهم .. ووفية في

موالاتها لهم .. تسمع .. وتتكلم .. كل هذه المعاني والأوصاف قد دلت عليها الآية الكريمة الأنفة الذكر..

أي أن هذه النملة ليست عبارة عن نملة أو حشرة ضئيلة وحسب .. كما يظن البعض .. بل هي . رغم

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

ضعفها وضآلت جسمها . مجموعة من الصفات والعواطف النبيلة .. قد يخلو منها كثير من بني البشر في زماننا!

أما نبي الله سليمان عليه السلام قد سمع قولها ومناداتها لقومها .. وتحذيرها لهم من سليمان وجنده، فأنزل الله تعالى في ذلك آيات، فقال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ النمل:19. وكذلك قوله تعالى عن الهدهد صاحب المهمات الصعبة: وهو طير من الطيور .. وما دار بينه وبين نبي الله سليمان: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لِأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ النمل:20-28.

قال ابن عطية في التفسير: "قوله ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ إلى قوله ﴿الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ، ظاهر أنه من

قول الهدهد، وهو قول ابن زيد، وابن إسحق "أ- هـ.

قلت: لتعيد قراءة الآيات أكثر من مرة، ونمعن التأمل بها .. سنجد أنفسنا أننا أمام طائر صادق

.. أمين .. فقيه .. عالم من علماء التوحيد .. مبغض للشرك وأهله .. مستقبح لسوء صنيعهم .. علم ما لم

يعلمه نبي الله سليمان عليه السلام وجنده .. دقيق في وصفه للأشياء .. شجاع جريء لم يخف من وعيد سليمان

له .. قام بمهمة المراسلة . على أكمل وجه . بين نبي كريم وملكة من ملوك الأرض .. في مهمة عسكرية

دعوية انتهت بزوال ملك بلقيس .. ودخولها وقومها في دين الله مسلمين.

وكذلك قوله تعالى عن النحل .. هذا المخلوق رغم ضآلة جسمه إلا أنه عظيم في عمله ومهمته ..

عظيم في عطائه .. عظيم في نشاطه وهمته .. عظيم في تنظيمه وتعاونه .. عظيم في إثارة .. عظيم في

فهمه وتمييزه بين الأشياء .. وهو إضافة إلى ذلك كله يسبح بحمد ربه .. شأنه في ذلك شأن سائر المخلوقات.

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: 68-69.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّم عليَّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن" مسلم.

نعم حجر أصم قد لا تُلقى له بالاً .. فيه جميع المعاني والمشاعر والصفات التي حملته . بإذن الله . على أن يعرف للنبي ﷺ مكانته قبل أن يُبعث .. ويُسلم عليه .. سلام الصديق المحب .. وكأنه يقول له سيكون لك شأنًا عظيمًا فاستعد له .. وهو مع ذلك من جملة المخلوقات التي تُسبح بحمد ربها ﷻ.

وعن علي بن أبي طالب ؓ، قال: كنتُ مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها؛ فما استقبله جبلاً ولا شجراً إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله" [رواه الترمذي والدارمي].

يا سبحان الله الجبال والأشجار تُصدق رسول الله ﷺ .. وتثبته، وكأنها تقول له: لا عليك .. أنت رسول الله صدقاً وعدلاً وإن كذبتك قومك .. إمضي في سبيل دعوتك .. فالكون كله يصدقك .. حتى الجبال والأشجار .. فهي معك .. وتصدقك!

وقال ابن عمر: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فأقبل أعرابي، فلما دنا قال له رسول الله ﷺ: "تشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله؟"، قال: ومن يشهد على ما تقول؟ قال: "هذه السَّلْمَة". وهي شجرة من شجر البادية .. فدعاها رسول الله ﷺ وهو بشاطئ الوادي، فأقبلت تخذ الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت ثلاثاً أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها^[1]. نعم إنها شجرة يُسمع الله تسبيحها وتهليلها وتصديقها لرسول الله بأنه رسول الله .. وأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. فهي إذاً ليست مجرد أوراق وأغصانٍ وثمارٍ .. مجردة عن الصفاة والمعاني التي تجعلها في مصاف الموحدين العابدين لله ﷻ.

بل إن للشجر والحجر والدواب . في مرحلة من مراحل صراع الحق مع الباطل . دور مباشر في القتال في مصاف المسلمين الموحدين بقيادة المسيح ﷺ ضد الدجال ومن معه من اليهود يومئذٍ، كما

¹ رواه الدارمي، وقال عنه الشيخ ناصر في المشكاة "5925": إسناده صحيح.

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

في الحديث: "لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود؛ فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود" مسلم.

وفي رواية عند الحاكم وغيره: "قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيفٍ محلى وساجٍ، فإذا نظر إليه الدجالُ ذابَ كما يذوب الملحُ في الماء. وينطلقُ هارباً، فيدركه عند بابٍ لِدِّ الشَّرْقِيِّ، فيقتله، فهزم الله اليهود، فلا يبقى شيءٌ مما خلقَ الله عزوجل يتواقي به يهوديٌّ، إلا أنطقَ اللهُ ذلك الشيءَ؛ لا حجرٌ ولا شجرٌ ولا حائطٌ ولا دابةً، إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله ..!" [صحيح الجامع: 7875].

هذا التفاعل للشجر والحجر والدواب وغيرها من العوالم في نصرة الحق ضد الباطل .. يوحي بأن هذه العوالم ليست مجرد جمادات وأجسام مجردة عن المعاني والصفات والمشاعر. كما يظن البعض . التي تجعلها ترقى لأن تكون جزءاً من كل، خلقَ لعبادة الله تعالى، والتسبيح بحمده، والسير على منهاجه وحُكمه.

وعن جابرٍ، قال كان النبي ﷺ إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صُنِعَ له المنبر فاستوى عليه، صاحت النخلة حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمَّها إليه، فجعلت تننُّ أنين الصبي الذي يُسكَّتُ حتى استقرَّت، قال: "بكت على ما كانت تسمع من الذكر" البخاري.

يا سبحان الله .. نخلة تبكي من خشية الله .. وتئنُّ حينئذٍ لذكر الله أنين الصبي الذي يُسكَّتُ .. إذاً هي عبارة عن مجموعة من المشاعر، والعواطف، والأحاسيس . إضافة إلى خصالها المادية المعروفة . تحملها على الحزن، والأنين، والبكاء .. والتأمل والخشوع .. والتفاعل بمحيطها الذي تعيش فيه .. علم ذلك من علم وجهل ذلك من جهل.

وفي رواية عن البخاري كذلك، عن جابر بن عبد الله قال: "كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخلٍ، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقومُ على جذعٍ منها، فلما صُنِعَ له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوتِ العِشَارِ. وهي الناقة الحامل التي مضى على حملها عشرة أشهر. حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت".

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

وعن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يخطبُ إلى جذع نخلة، فلما اتخذ المنبر تحوّل المنبر، فحنّ الجذعُ حتى أتاه رسولُ الله ﷺ فاحتضنه، فسكن، فقال رسولُ الله ﷺ: "لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة" [1].

نعم الجذع وإن كان جماداً فإنه يحن ويشتاق، ويبكي، ويحزن .. ويشعر ويحس .. ويتألم .. ويحب ويكره؛ لأنه جزء من كل يوحد الله تعالى، ويُسبح بحمده.

وعن عبد الله بن جعفر قال: دخل رسولُ الله ﷺ حائطاً لرجلٍ من الأنصار، فإذا جملٌ فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراًه فسكت، فقال: "من ربُّ هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟! " فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسولَ الله، فقال: "أفلا تتقي الله في هذه الهيمة التي ملكك الله إياها؛ فإنه شكى إليَّ أنك تُجيعه وتُدئبه" [صحيح سنن أبي داود: 2222]. وقوله " وتُدئبه "؛ أي وتتعبه، وتكلفه من الأعمال فوق طاقته!

يا سبحان الله .. جمل يحن .. ويبكي بين يدي رسول الله .. ويشتكى إليه لينصفه من صاحبه .. إنه ليس مجرد دابة أو بهيمة وحسب .. كما يظن البعض .. وإنما هو كائن ومخلوق له صفات وخصائص أخرى غير تلك الصفات التي تصنفه كدابة أو بهيمة .. ترقى به إلى مقام العبودية لله ﷻ .. ولأن يكون جزءاً من كلٍ يسبح بحمد الخالق ﷻ.

ما أكثر الأدلة الدالة على هذه الحقيقة المطلقة لو أردنا الاستقصاء والإحصاء، ولكن حسبنا ما تقدم من أدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .. الدالة على أن هذا الكون كله بما فيه ومن فيه من الكائنات والمخلوقات . على اختلاف أنواعها ومسمياتها وصورها . تسير في فلك الخضوع والطاعة والعبادة لله تعالى وحده .. وأن الله تعالى أودع فيها من الخصائص والصفات والمعاني ما يؤهلها لأن ترقى إلى مستوى العبودية والخضوع والطاعة لله ﷻ.

ما أجمله وأعظمه من شعور عندما يعيش المرء في هذه الحياة وهو يفهم الوجود من حوله .. والغاية من وجود هذا الوجود، وبالصورة الأنفة الذكر.

¹ أخرجه أحمد في المسند، وقال عنه الشيخ شاكر في التخریح " 2400 "؛ إسناده صحيح.

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

ما أجمله وأعظمه من شعور عندما يشعر المرء أنه جزء من كل يسبح بحمد ربه، ويسير مع الجميع في فلك العبودية لله تعالى وحده.

هذه الوحدة الشعورية التي تجمع وتواخي بين جميع عناصر ومكونات ومخلوقات هذا الكون .. والتي تحمل المؤمن على أن يُصادق ويؤاخي كل ما يراه أو يُصادفه من الكائنات والمخلوقات في حياته .. ولما لا وهو يلتقي مع هذه الكائنات والمخلوقات في أعز شيء في هذا الوجود .. يلتقي معها في الإيمان .. والعبادة .. والتوحيد .. وفي الغاية التي خلقت لأجلها الحياة.

هذه الوحدة الشعورية في الإيمان والتصور .. تُذهب الغربة ووحشتها عند المؤمن .. فهو وإن عاداه ثلة من المشركين الكافرين المعاندين الذين أبوا إلا أن يشذوا عن النسق والمدار العام لهذا الكون .. وأن يخالفوا الإجماع الكوني .. إلا أنه يجد . أينما كان وحلاً وأقام . مقابل ذلك مئات بل وآلاف الأصدقاء من المخلوقات والكائنات الأخرى التي تُحيط به .. يستأنس بها .. وتستأنس به، والتي كلها تقول له، لا تحزن: نحن إخوانك في الله .. نحن أصدقاؤك .. نحن معك .. نحن نحبك في الله .. أنت الأصل؛ لأنك وقّقت وهُديت لما عليه إجماع الكون وما فيه ومن فيه .. يجمعنا بك ما لا يجتمع بسبب رابطة الرحم أو أي رابطة أخرى من روابط الأرض والتراب .. يجمعنا بك الإيمان بالله تعالى .. تجمعنا بك محبة الله تعالى .. تجمعنا عبادة الله وتوحيده، والاجتماع على طاعته وذكوره وتسبيحه!

هذا الشعور البديع الفريد .. وهذه النتيجة الجميلة لهذا الشعور والتصور .. يلزمنا الحديث عن نتيجة أخرى، وحقيقة أخرى، طالما جادل ومارى فيها شياطين الإنس والجن؛ ألا وهي أن هذا الكون وما فيه ومن فيه بما أنه من خلق الله تعالى وملكه، وأن الله تعالى هو خالقه ومالكة المتصرف فيه وفق مشيئته وأمره بلا معارض ولا ند مكافئ ولا مثل، لا يُشاركه أحد في ربوبيته على هذا الكون الفسح البديع .. وأن هذا الكون وما فيه ومن فيه مفطور على عبادة الخالق ﷻ وتوحيده وتسبيحه .. والكل يسير في فلك العبودية لله ﷻ .. هذه النتيجة التي تقدم الحديث عنها .. تلزمنا بتقرير حقيقة أخرى . دل عليها النقل والعقل . ألا وهي: أن هذا الكون وما فيه ومن فيه لا بد من أن يسير ويعيش وفق حكم الله الكوني والشرعي .. فلا يحكم إلا بحكمه .. ولا يسير في هذه الحياة إلا وفق أمره وحكمه وشرعه؛ لا شرع وحكم غيره؛ من لا يملك ولا يخلق شيئاً .. ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله.

كيف يليق بعقل الإنسان أن يُسلم . ولا بد له أن يُسلم . بأن الله تعالى هو خالقنا ومالكنا ورازقنا .. وخالق ومالك هذا الكون وما فيه ومن فيه .. ثم في المقابل الذي يمضي في هذا الكون .. في هذه المملكة

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

الواسعة الشاسعة التي تتسع لجميع المخلوقات .. حكم وشرع غيره، من لا يخلق ولا يملك شيئاً من هذا الكون؟! الكون!

الخالق المالك هو الذي يُشرع لما يخلق ويملك أما من لا يخلق ولا يملك لا يجوز له أن يُشرع أو يحكم ويأمر فيما لا يخلق ولا يملك، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف:54. فالذي له الخلق هو الذي له الأمر والحكم .. أما من ليس له الخلق فلا أمر ولا حكم له.

وقال تعالى: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ الأعراف:191. وهذا سؤال تقريعي استنكاري؛ أي كيف يليق بكم أن تتخذوا مع الله شركاء في العبادة والطاعة والتشريع وهم لا يقدر على أن يخلقوا شيئاً، بل ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾!!

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَدَّكَّرُونَ﴾ النحل:17. فإن كانا لا يستويان في الربوبية مثلاً فكيف يستويان في الألوهية .. أليست لكم العقول التي تجعلكم تميزون بين من يخلق وبين من لا يخلق مع وضوح الفارق الكبير بينهما؟!

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ يونس:34. وقوله ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾؛ أي كيف تُصرفون عن عبادة وطاعة الله تعالى وحده مع قيام الدليل القاطع على حقه عليكم؛ وهو أنه تعالى هو الذي ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، وتُصرفون إلى عبادة وطاعة من ليس له حق عليكم، رغم قيام الدليل القاطع على عجزه وبطلان إلهيته المزعومة، بدليل أنه لا يقدر على أن ﴿مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ أي بعد هذا الإقرار والتسليم بأن الله هو رب السماوات والأرض والذي يُسلم به الجميع ﴿قُلْ أَفَأَتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ تعبدونهم وتطيعونهم وتتبعونهم فيما يشرعون لكم من دون الله .. وهو في حقيقتهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الرعد:16.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يونس:31. أي ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فتقلعون عن الشرك .. وتدخلون في توحيد الله تعالى وعبادته وطاعته؟!

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُلُونَ . أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ . أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبًا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ النمل:60-64. أي إله معبود مطاع مع الله يفعل لكم شيئاً من ذلك .. فإن كان الجواب لا .. ولا بد من أن يكون لا .. يأتي دائماً السؤال التقريعي الكبير .. إذا كانوا هؤلاء الذين اتخذتموهم شركاء مع الله لا يستطيعون أن يفعلوا لكم شيئاً من ذلك .. وهم أعجز من أن يخلقوا جناح بعوضة .. فكيف تتخذونهم آلهة وأرباباً مع الله تعالى . أو من دونه . تقدمون لهم فروض العبودية، والطاعة، والمتابعة، والتحاكم؟!

خلاصة القول: من أقرب بالربوبية لا بد له من أن يقرب بالألوهية، ومن أقرب بأن الله تعالى هو الخالق المالك الرازق لهذا الكون وما فيه ومن فيه، لا بد من أن يقروا ويسلم بأن الله تعالى هو المعبود المألوه المطاع، وهو الحكم، وحكمه وأمره وشرعه وحده هو الذي يجب أن ينفذ في خلقه ومملكته وعباده .. لا حكم وشرع غيره.

أما من أبي . ممن أثر عبادة هواه والشيطان من الكافرين والمشركين . فأقر بالربوبية وكفر بالألوهية، أو كفر بهما معاً .. فهذا قد خالف المنقول والمعقول .. وعارض الفطرة السليمة التي فطر الله العباد عليها .. وشذ عن الإجماع الكوني .. واتجاه حركة الكون .. ليعلن الخروج والحرب عليه .. وليعيث في الأرض فساداً وخراباً .. وليسير في الاتجاه المعاكس والمضاد لحركة الكون، وللإجماع الكوني!

فهذا الصنف من الناس الذي أثر الجحود والإلحاد .. وأن يعيثر في الأرض فساداً .. وأن يخرج عن الإجماع الكوني .. ليدخل في عبادة الطاغوت .. لأجله شرع الله الجهاد والقتال .. وأمر عباده المؤمنين الموحدين أن يُقاتلوا ويُجاهدوا هذا الصنف . الشاذ عن الإجماع . من الناس .. حتى لا تكون فتنة في الأرض وفساد عريض، فيهلك من عليها جميعاً، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ البقرة:193.

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ﴾ الأنفال:39.

نظرة الإسلام إلى الكون والحياة

وفي الحديث: "فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا وأنجوا جميعاً"
البخاري.

ليس المهم هنا القتال .. مجرد القتال .. لا .. إنما المهم أن ينتهوا .. ويدخلوا في الإجماع الكوني
الذي يسير في فلك العبودية والطاعة لله تعالى .. فإن انتهوا .. ودخلوا في السلم والإجماع .. ﴿فَلَا عُدْوَانَ

إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1427/01/16هـ

أبو بصير الطرطوسي

2006/02/15م

قوافل زنادقة القصر " دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ "

قوافل زنادقة العصر

" دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ "

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

منذ زمن ليس بالقريب تردني الأسئلة عن الأشخاص التالية أسمائهم: المدعو " جمال البنا " الشقيق الأصغر لحسن البنا رحمه الله، والمدعو " حسن الترابي " السوداني، والمدعو شيخ الأزهر محمد سيد الطنطاوي .. بسبب ما يثرونه بين الفينة والأخرى . باسم الإسلام . من شغب وتصريحات وفتاوى مزعومة تضاد وتناقض ما هو معلوم من الدين بالضرورة .. وما نص عليه الكتاب والسنة .. يتطير بها الإعلام العلماني الفاجر فرحاً وطرباً لينشرها في الأمصار .. رغبة وحباً منهم في أن تشيع الفتنة والفاحشة في الذي آمنوا .. وليقولوا للناس: انظروا هاهم كبار الدعاة والمفكرين المسلمين .. يقررون ويدعون إلى ما كنا ولا نزال ندعو إليه: وبخاصة فيما يتعلق بالمرأة وتبرجها وتحريها من دينها وحشمتها وحجابها .. وما يتعلق بعلاقة الدين بالدولة والحياة .. وما يتعلق بالإباحية الفكرية العقدية التي تعني حرية الارتداد والانسلاخ عن الدين الإسلامي لكل من يرغب ويشاء!

فوجدت نفسي ملزماً بالجواب والبيان .. وبخاصة أن المذكورين أعلاه لم يعد يقف شرهم وفسادهم عند حدٍ؛ بل هم في غمهم وضلالهم يعمهون .. جعلوا من أهوائهم حكماً على دين الله وعلى النص الشرعي .. فحسنوا الباطل وقبحوا الحق .. وأحلوا الحرام وحرّموا الحلال .. وهم في حرب مسعورة ومستمرة ضد ثوابت هذا الدين، وما أجمع على صحته النقل والعقل؛ مثلهم مثل كلب عقور أجرب مسعور .. كيفما وجهته ينبج ويؤذي، ويلهث، وكما قال تعالى عن قذوتهم ومثلهم الأعلى: قذوة علماء السوء والفجور والخيانة " بلعام " الذي خان أمانة العلم وما آتاه الله من الآيات: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف: 176.

فأقول: منذ زمن وأنا أتابع أقوال وتصريحات ومواقف هؤلاء النفر الثلاثة الواردة أسماؤهم أعلاه

.. والتي يصدرونها باسم الإسلام، وعقيدة الإسلام زعموا .. والإسلام منهم ومن أقوالهم ومواقفهم براء ..

قَوَائِلُ زَنَادِقَةِ الْقَضْرِ " دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ "

وفي كثير من الأحيان كنا نجتهد في أن نجد لهم عذراً أو تأويلاً يجعلهم في خانة من اجتهد فأخطأ وله أجر واحد على ما اجتهد فأخطأ فيه .. إلا أنه من خلال المتابعة ومع الزمن فقد ظهر لي أن مرادهم ومُرامهم .. هدم الإسلام .. والتشكيك بإصوله وثوابته .. ونشر الفاحشة والفتنة في الدين آمنوا .. ليصدوهم عن دينهم الحق .. ابتغاء مرضاة أمريكا والغرب .. ومرضاة أسيادهم من طواغيت الحكم والكفر!

لم يكن غرضهم الاجتهاد والبحث عن الحق .. وإنصاف الحق .. ثم وهم في غمرات البحث اعترافهم خطأ غير مقصود .. كما يعتري غيرهم من أهل العلم والاجتهاد .. وإنما تبين أن غرضهم البحث عن قول شاذ وضعيف .. وغريب .. أو فهم سقيم .. أو ذلة لعالم .. وما أكثر زلات العلماء عبر التاريخ . لينتصروا بها .. وينصروا ما هم عليه من أقوال ومواقف باطلة شاذة لا يمكن أن تصب إلا في خانة الخيانة .. والزندقة .. والعداوة الصريحة لله ولرسوله وللمؤمنين!

ما من موقف مثير يقفونه .. إلا وتراه يصب في خانة خدمة أعداء الأمة على أمة الإسلام .. وأول من يفرح له هم أعداء الأمة .. فوجود هؤلاء وأمثالهم في جسد الأمة مطلب هام من مطالب أعداء الأمة؛ لأن الذي يتحقق عن طريقهم بأيام قد لا يستطيع العدو الصريح في عداوته للإسلام والمسلمين أن يحققه في سنوات وربما في عقود!

العدو الكافر لا يمكن أن تكون له موطئ قدم في أرض وبلاد الإسلام .. إلا بعد أن يتحقق له أمران .. طالما سعى لهما سعيهما، وتمناهما في الأمة:

أحدهما: أن تشيع الإباحية الفكرية الثقافية العقدية .. وتُتاح الفرصة للمسلمين بأن يتحللوا من عقيدتهم ودينهم .. ويرتدوا عنه إلى أي دين أو مذهب آخر شاؤوا .. ويُغيروا ولاءهم من أي ثقافة إلى أي ثقافة أخرى لو شاؤوا ومن دون أن يجدوا أي حرج أو مانع يمنعهم من ذلك .. لعلمهم المسبق أن المرء الذي يوالي ثقافة معينة أو ديناً معيناً فهو مباشرة وتلقائياً يوالي أهل تلك الثقافة وأهل ذلك الدين، ويُعادي أعداء تلك الثقافة، وأعداء ذلك الدين!

وهؤلاء الثلاثة المذكورة أسماؤهم أعلاه قد حققوا لهم هذا المطلب في الأمة؛ وذلك عندما جحدوا حكم الردة في الإسلام والنصوص الشرعية من الكتاب والسنة الدالة عليه .. وقالوا حد الردة ليس من الإسلام في شيء .. وشنعوا على من يقول به .. وقالوا: المسلمون لهم كامل الحق والحرية في أن يرتدوا

قوافل زنادقة القصر " دُعاة على أبواب جهنم "

عن دينهم لو شاؤوا .. وأن يعتقدوا ما شاؤوا .. ويتدينوا بالدين الذي يشاؤون .. وهذه من الحرية الشخصية والدينية .. إذ لا إكراه في الدين .. وهذا من ضمن حرية الاعتقاد والتعددية التي يُنادون بها! ومن حق النصارى . وغيرهم من أهل الأديان الأخرى . أن يمارسوا التبشير لدينهم بين المسلمين .. ليفتنوهم ويردوهم عن دينهم إن استطاعوا .. شريطة أن لا يمارسوا سياسة الإكراه على من يدعوهم .. فأعطوا بذلك المبرر والمسوغ لأعداء الأمة في أن يغزوا الأمة ثقافياً وفكرياً ودينياً .. كما أعطوا المسلمين المسوغ والمبرر في أن يتهاونوا بشأن دينهم وأن يتدينوا بالدين الذي يشاؤون؛ إذ لا يجوز الإنكار عليهم .. كما لا يجوز أن يُكرهوا على البقاء على دينهم!

ثانياً: أن تشيع الفاحشة في الدين آمنوا .. وأن يتحللوا من قيم وأخلاق العفة والحياء، والحشمة، والشرف .. ولكي يتحقق لأعداء الأمة هذا المطلب في الأمة وشباب الأمة .. لا بد أولاً أن تتحرر المرأة من حجابها وحيائها وعفتها وشرفها .. وتُحمل . وهي في زينتها وفتنتها . على مخالطة الرجال في جميع الميادين .. لعلمهم المسبق أن المرأة إذا فسدت فسد معها المجتمع كله، كما وأنها إذا صلحت صلح معها المجتمع كله!

وشيوخ السوء الثلاثة هؤلاء المذكورة أسماؤهم أعلاه قد حققوا . وعن سابق قصد . هذا المطلب لأعداء الأمة، فقال بعضهم: الحجاب ليس فرضاً ولا واجباً على المرأة .. ولا هو مشروع بل هو من العادات الموروثة السيئة .. والاختلاط مع الرجال واجب وضروري .. وفصل النساء عن الرجال تخلف وجريمة .. ويجب على المرأة أن تُخالط الرجال في جميع الميادين .. بما في ذلك الصلاة؛ فالمرأة يجوز لها أن تؤم المصلين من الرجال .. كما يجوز لها أن تقف بجوار الرجل في نفس الصف وتلتصق به لكن ليس كثيراً حتى لا تُثار الشهوة .. ومنهم من توسع . وهو جمال البنا . فأحل الزنى الصريح عندما رفض . مستهجنأ ومتهمأ . أن يكون من شروط صحة عقد النكاح بين الرجل والمرأة الشهود، والمهر، والولي بالنسبة للمرأة .. واكتفى بأن يتم الرضى والتوافق بين الطرفين الرجل والمرأة .. كشرط وحيد لصحة العقد والزواج .. ومن دون ولي للمرأة، ولا شهود، ولا مهر .. وهذا عين الزنى الصريح .. وعين ما يدعو إليه الإباحيون في أمريكا ودول الغرب!

قَوَائِلُ زَنَادِقَةِ الْقَضْرِ " دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ "

فشيوخ السوء والفسوق: لا يكتفون بأن يفسدوا على الناس دينهم وأخلاقهم في أسواقهم وجامعاتهم ومدارسهم .. وأماكن عملهم .. بل يريدون أن يفسدوهم ويُسيئوا إليهم حتى في عبادتهم وفي مساجدهم!!

هؤلاء لا يريدون للخنا والفجور والفسوق أن ينتشر في الأسواق والجامعات وأماكن عمل الناس وحسب .. بل يريدون كذلك أن ينتشر ويسود حتى في المساجد وأماكن العبادة!!
فأي خدمة تعلق هذه الخدمة تُقدم للشيطان .. ولأمريكا .. وحلفائها .. وعملائها من طواغيت الحكم والفسوق والفجور!

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور:19.

من أقوال ومواقف جمال البنا على سبيل المثال لا الحصر: جحود ونكران حد الردة، والأدلة الشرعية الدالة عليه .. جواز إمامة المرأة الرجال .. السنة النبوية تصلح لزمان النبي ﷺ وليس لزماننا .. الحجاب على المرأة غير واجب ولا مشروع .. وأن شعرها غير عورة .. وأن للمرأة أن تصلي وهي كاشفة عن رأسها وشعرها .. والحجاب يتنافى مع حقوقها كإنسان .. وأن الحجاب يمنع المرأة من المشاركة في الحياة العملية .. وجحد جميع النصوص الشرعية الواردة في الكتاب والسنة الدالة على وجوب الحجاب على المرأة .. وأن الكلام عن الحجاب هو كلام الفقهاء أو تقاليد بالية من أقدم العصور .. المقصود من الحجاب تحقير المرأة وعزلها عن المجتمع .. النقاب عار على المرأة أن تضعه .. الظروف تغيرت وبالتالي لا بد من أن تتغير المفاهيم الشرعية لتواكب الظروف المستجدة والمستحدثة .. على المسلمات في الغرب أن يعشن من دون حجاب ومن حماقة أن يثرن مشكلة من أجل الحجاب .. وأن الاختلاط بين الجنسين ضروري، والفصل بينهما عملية وحشية .. تحليله للزنى كما تقدم، وأن رضى الطرفين . الرجل والمرأة . وتوافقهما كافٍ لصحة الزواج .. وجحد الأدلة الدالة على شرطية الشهود، والمهر، والولي بالنسبة للمرأة .. تقديمه للعقل والهوى على النقل الصحيح .. لا يجوز للرجل أن يطلق زوجته إلا بموافقة زوجته .. وطلاق الرجل لزوجته من دون موافقتها ورضائها في منتهى الإجرام والظلم .. وأن الرجل لو طلق زوجته ألف مرة ومن الصباح حتى المساء فطلاقه لا يقع ولا يُعد طلاقاً إلا بعد موافقة المرأة .. تقديمه للعقل

قَوَائِلُ زَنَادِقَةِ الْقَضْرِ " دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ "

والهوى على النقل الصحيح .. وقوله بالديمقراطية بمعناها الإباحي المعمول به في بلاد الغرب تحت عنوان احترام الحريات .. يجب الفصل بين الدين والدولة، كما يجب حذف عبارة " الإسلام دين الدولة " من الدستور المصري لأنها تسبب حساسية للأخوة الأقباط الذين يجب أن يشعروا أن الدولة دولتهم .. كلام سيد قطب عن الحاكمية الإلهية وأن الجهاد شُرِعَ لإنقاذ البشر من حكم البشر لينقلهم إلى حكم الله تعالى، هذا كلام فارغ وحلم مستحيل لو طبق ستكون بلوى سوداء .. آية الجزية شَدَّتْ عن باقي الآيات ولم يطبقها الرسول ولا الخلفاء من بعده .. الأحاديث النبوية التي لا تتفق مع القرآن . بحسب فهمه وهواه . مرفوضة .. حد الردة لا وجود له في القرآن إذن لا وجود له في الإسلام .. الإسلام ليس دين ودولة، والإسلام لا يمكن أن يكون دولة .. كل فتاوى الأئمة عوائق لتحديث الفكر الإسلامي .. وغير ذلك من الاطلاقات والمواقف التي مفادها هدم الإسلام، ونقض أصوله وثوابته .. وفتنة الناس وصددهم عن دين الله تعالى!

من أقوال ومواقف " حسن الترابي " على سبيل المثال لا الحصر: حرية الاعتقاد بما في ذلك حرية الارتداد عن الدين .. وجحوده لحد الردة والأدلة الدالة عليه .. قوله بأن الديمقراطية وحي من السماء .. الحجاب على المرأة غير واجب .. والحجاب هو عبارة عن ستر الصدر وحسب .. يجوز للمسلة أن تتزوج من كفار ومشركي أهل الكتاب .. والقول بخلاف ذلك مجرد أقاويل وتجهيل وتخريصات وأوهام وتحنيط للعقول .. وجحوده للآيات والأحاديث التي تُحرم ذلك .. جواز اختلاط النساء بالرجال في جميع مجالات الحياة بما في ذلك إمامة المرأة للرجال .. وأن تقف مع الرجال جنباً إلى جنب وفي صف واحد .. وأن شهادة المرأة تساوي شهادة الرجل تماماً وتوازيه بل أحياناً تكون أفضل منه وأعلم وأقوى .. وجحد قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ البقرة:282. وعد القول بأن شهادة الرجل بشهادة امرأتين عبارة عن أوهام وأباطيل وتدليس أريد بها تغييب وسجن العقول في الأفكار الظلامية .. رده للسنن وتقديم عقله وهواه عليها وما أكثر ذلك لو أردنا الإحصاء والتتبع .. إنكاره لحد رجم الزاني المحصن .. تعطيله العمل بالحدود الشرعية أبان فترة حكمه للسودان والتي امتدت لأكثر من عشر سنوات .. جحوده للنصوص الشرعية الدالة على نزول عيسى عليه السلام، وظهور المسيح الدجال .. تهكمه بالنبي ﷺ وغيره من

قَوَائِلُ زَنَادِقَةِ الْقَضْرِ " دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ "

الأنبياء صلوات الله عليهم .. وطعنه بالصحابة .. وقوله بضرورة تجديد أصول الدين وقواعده وفق هواه لتواكب مستجدات العصر وحاجياته كما يزعم .. وفي حقيقة أمره يعني هدم الأصول المتفق عليها بين أهل العلم .. تمجيده للشيعنة الروافض، والخميني، والثورة الإيرانية .. تحالفه مع نصارى الجنوب المحاربين ضد مسلمي الشمال، ومن دون علم السلطات السوداني المسؤولة، والتي كانت وقتها لا تزال في حرب مع جون كرن وجماعته .. وهو من أكبر الأسباب في قوة شوكة نصارى الجنوب على مسلمي الشمال .. تغيير عقيدة الولاء والبراء في الله ودعوته إلى قيام جبهة المؤمنين بين المسلمين والنصارى واليهود، وقد سماها جبهة أهل الكتاب .. ومن خياناته لشعبه وبلده ما صرح به مؤخراً عن استعداده للوشاية إلى طاغية مصر ومخابراته عن بعض الشخصيات السودانية الكبيرة التي شاركت في محاولة اغتياله في أثيوبيا .. ليُحْيِي بذلك الفتنة بين البلدين والشعبين من جديد بعدما انتهت ونُسيت .. ولو أردنا أن نحصي ما يؤخذ على هذا الرجل من أقوال ومواقف لَطال بنا المقام، ولسودنا عشرات الصفحات وفيما تقدم كفاية لبيان ضلال الرجل وزندقته.

من أقوال ومواقف شيخ الأزهر " محمد سيد الطنطاوي " على سبيل المثال لا الحصر: من حق

المسؤولين الفرنسيين إصدار قانون يحظر ارتداء الحجاب على المسلمات في مدارسهم ومؤسساتهم الحكومية .. فرض الحجاب يُطبق على المرأة المسلمة في حال إقامتها في بلد مسلم وحسب .. وقوله إن فرض حظر على ارتداء الحجاب في مدارس فرنسا شأن داخلي، لا يحق لأحد التدخل فيه .. لا اعتراض لنا إذا أصدرت فرنسا قانوناً كهذا .. من حق كل دولة أن تصدر من القوانين ما يُناسها .. فنصر بذلك الكفار على المسلمين .. وقوله بجواز تولي المرأة منصب رئاسة الدولة الإسلامية الإمامة العامة .. وقوله بحل الربا صراحة وإباحة الفوائد البنكية .. إعرابه عن استعداده التدخل ليثني " وفاء قسطنطين " عن إسلامها، وليقنعها بأن تعود إلى نصرانيتها .. فهو ليس فقط يقر بحرية الارتداد عن الدين بل يسعى ليحمل المسلمين . ممن منَّ الله عليهم بنعمة الإسلام . على الارتداد عن الدين .. وقوله بحرية النصارى أن يبشروا لدينهم بين المسلمين ليصدوهم عن دينهم بشرط اجتناب الإكراه .. وقوله المتكرر المصريون جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات، ولا فرق بين مسلم ومسيحي .. واعترافه بالكيان الصهيوني وإعرابه عن استعداده لزيارة إسرائيل لو وجهت له دعوة بذلك .. وقوله بأن الإسلام لا يحرم التطبيع مع

قَوَافِلُ زَنَادِقَةِ الْقَضْرِ " دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ "

دولة إسرائيل طالما كان التطبيع في غير الدين .. إضافة إلى تمجيده لكثير من طواغيت الحكم والكفر الذين ابتليت بهم الأمة وإلى درجة الكذب الصريح؛ كثنائه على جهود طاغية تونس الساعية إلى إرساء وإعلاء قيم الدين الحنيف، ومبادئه السمحة في تونس .. وهو في كثير من مواقفه وفتاويه يدور مع سياسة وأهواء الطاغية الحاكم في مصر حيثما دار وتوجه .. لا يأمره بمعروف ولا ينهيه عن منكر، وما أكثر منكر الطاغية، ومن كان كذلك فهو لص لا يؤتمن على دين، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وعليه . ومن خلال ما تقدم . نقول جازمين غير مترددين ولا شاكين، أن المذكورين أعلاه " جمال

البناء، وحسن الترابي، ومحمد سيد الطنطاوي " : قد غيروا وبدلوا، وجحدوا، وأحلوا ما حرم الله، وحرّموا ما أحل الله .. وأظهروا الإسلام وضده معاً .. وهم بذلك كفار مرتدون، وزنادقة، بل ومن كبار زنادقة العصر؛ لإظهارهم الإسلام من وجه، والكفر والجحود والمروق من وجه آخر .. وهم دعاة على أبواب جهنم .. ينبغي الحذر والتحذير منهم ومن ضلالهم ومروقهم .. لا يُستفتون في شؤون الدين، ولا يؤخذ منهم علم .. تُجرى عليهم جميع الأحكام المتعلقة بالزندقة والزنديق .. ندعوهم للتوبة قبل أن يُقدّر عليهم .. أو يهلكوا على ما هم عليه من جحود وزندقة وكفر، فيطالهم عذاب الله تعالى الأليم، فيندمون ولات حين مندم، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِذْ إِيحْدَى الْحُسَيْنِيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ التوبة:52.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

1427/03/15هـ

أبو بصير الطرطوسي

2006/04/13م

لماذا الحُكْمُ بما أنزلَ اللهُ؟

لماذا الحُكْمُ بما أنزلَ اللهُ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

ما إن تُثار قضية الحكم بما أنزل الله .. وأن الحكم ينبغي أن يكون لله تعالى وحده؛ لا لأحدٍ سواه .. إلا وتثور ثائرة طواير الكفر والشرك، والنفاق والشقاق .. معترضين، ومستنكرين، ومتهكمين، وساخرين .. وما أكثر تلك الطواير^[1]!

أياً دولة تحاول أن تقوم على مبدأ الحكم بما أنزل الله .. ومبدأ التحاكم إلى شرع الله .. سرعان ما تُحاصر وتُحارب .. وتُشوّه صورتها .. وتُرمى بالقنابل المدمرة .. والصواريخ العابرة للقارات! فهاهي أمريكا ومعها دول الغرب . بدافع العداء الصليبي القديم الحديث . يُعلنون بكل صراحة ووضوح أن لا وجود في هذا العالم لدولة تقوم على أساس الإسلام .. وعلى أساس ومبدأ الحكم بشرائع الإسلام!

يُعلنون عن كامل استعدادهم لخوض المعارك والحروب . مهما كانت تكاليفها باهظة . من أجل استئصال أي دولة تقوم على مبدأ الحكم بما أنزل الله .. ومبدأ سيادة الخالق على المخلوق .. كما فعلوا مع الدولة الناشئة في أفغانستان .. وفي الشيشان .. ولا يزالون يترصدون كثيراً من التجارب والمحاولات الجادة .. ليفتنوا أصحابها عن دينهم .. ويصدوهم عما قد عزموا عليه .. قبل أن يشتد عودهم، أو تقوم لهم قائمة!

يعلنون وبكل صراحة ووقاحة أن السيادة، والحكم، والأمر .. والعلو .. للإنسان، وليس لرب الإنسان، وخالقه، وخالق السماوات والأرض .. كما تقرر ذلك ديمقراطيتهم الكافرة الماجنة .. حتى راجت هذه الفكرة الباطلة على الشعوب لتُصبح عندهم وكأنها من المسلّمات التي لا تقبل ردّاً ولا نقاشاً!

¹ أصل هذا المقال عبارة عن محاضرة ألقيت عبر شاشة " بالبتوك"، رأينا من الفائدة نسخها لتعم بها الفائدة إن شاء الله، مع وجود بعض التعديلات والزيادات الضرورية اقتضتها عملية النسخ والكتابة؛ إذ للبحث المكتوب خصائصه ومتطلباته المختلفة عن المقال الذي يُلقى مُشافهة .. نسأل الله تعالى السداد، والعون، والقبول.

لماذا الحكم بما أنزل الله ..؟

كل الشعوب .. وكل الملل والنحل . كما هو الواقع . لها كامل الحق والحرية في أن تقيم دولة وحكومة تمثلها، وتمثل أبنائها .. إلا الإسلام . دين الله تعالى . لا يحق له أن يُقيم دولة في الأرض تمثله وتُمثل أبنائه وأتباعه!

كذلك موقف الأنظمة الطاغية الحاكمة في بلاد المسلمين .. همها الأكبر . مرضاة لغرب أو شرق . كيف تُحيل بين الشعوب التي تحكمها بالحديد والنار، وبين سعيها لاستئناف حياة إسلامية راشدة، ودولة إسلامية تحكمهم بالإسلام.

فسجونهم ومشانقهم مُشَرَعَةٌ من أجل ذلك .. لا يتورعون عن ارتكاب أقصى الجرائم بحق شعوبهم مقابل أن يُحيلوا بينهم وبين مطلب قيام دولة تحكمهم بالإسلام وشرائع الإسلام! يقبلون منك أن تناقشهم في كل شيء .. أن تمارس أقصى حرية المجون والتحلل من القيم والأخلاق .. لا يُبالون من أجل ذلك؛ بل تراهم يشجعون ويُرغَّبون الشعوب بأن تسير في نفاق التحلل والمجون والفساد والفجور .. ولكنهم يُمانعون أشد الممانعة من أن تُطرح عليهم مسألة لمن الحكم .. من المطاع لذاته .. من له حق التشريع، والتحليل والتحريم .. والتحسين والتقبيح .. والحكم على الأشياء .. لله الواحد الأحد أم للطاغوت .. للخالق أم للمخلوق!

ونحوهم موقف العلمانيين . بكل تجمعاتهم ومسمياتهم وأحزابهم . زنادقة العصر .. والخنجر المسموم في خاصرة الأمة .. وعين قوى الكفر والاستكبار العالمي الساهرة على مصالحهم في بلاد المسلمين .. الذين تقوم فكرتهم على مبدأ فصل الدين عن الدولة والسياسة والحكم والحياة .. فالله بزعمهم له من هذه الحياة الدنيا .. المعابد والمساجد وحسب .. وحصته من عباده وهذه الحياة الدنيا من يدخل تلك المعابد لحظة أو ساعة دخوله وحسب .. أما ما سوى ذلك من شؤون الحياة المختلفة .. ومن شؤون الحكم والسياسة .. فللطاغوت .. والبُعول!

وهؤلاء يصدق فيهم قوله تعالى في المشركين: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ الأنعام: 136.
وقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة: 85.

لماذا الحُكْمُ بما أنزلَ اللهُ؟..

لا يُمانعون بأن يُعبدَ اللهُ في السماء .. وأن يكون له الحكم والأمر في السماء .. ولكنهم يُمانعون أشد الممانعة بأن يُعبدَ اللهُ في الأرض .. أو أن يكون له الحكم والأمر في الأرض .. أو أن يُطاع في الأرض .. ولكنهم يمكرون ويمكر اللهُ .. ويأبى اللهُ إلا أن يحق الحق .. وأن يكون هو الإله المعبود والمطاع في السماء وفي الأرض سواء، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ الزخرف: 84.

وكذلك موقف بعض الحركات والجماعات الإسلامية المعاصرة .. المحسوبة على العمل الإسلامي .. ممن يعبدون الله تعالى على حرف، وعلى استحياء .. ويزعمون أنهم يعملون من أجل الإسلام .. فتراهم تارة يُصرحون بأنهم أولاً يسعون ويناضلون لتحقيق الديمقراطية والحريات العامة في المجتمع .. وليس من أجل الحكم ما أنزل اللهُ وتطبيق شرع الله .. ثم بعد ذلك إن تمكنوا من تحقيق الحريات في بلدانهم يُطالبون بالحكم بما أنزل اللهُ زعموا .. وتارة تراهم يدخلون . سعياً وراء مصالح زهيدة وموهومة . في موالاته دساتير وقوانين الكفر والشرك، ويُقسمون الأيمان المغلظة على الدخول في طاعتها والتحاكم إليها .. ويحسنونها ويزينونها في أعين الناس برد النزاع إليها .. ومنهم من يحصل له نوع تمكين في الأرض .. ومع ذلك تراه يصبر . رغبة أو رهبة . على عدم الحكم بما أنزل اللهُ .. وأنه لا يطبق أحكام الشريعة .. ولن يجبر الناس عليها .. وإنما الأمر متروك إلى قناعاتهم ورغباتهم الشخصية .. وكأن الطاغوت عندما يحكم المسلمين بقوانينه الكافرة الماجنة يُراعي فيهم قناعاتهم ورغباتهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فقد غَفَلُوا أو تغافلوا عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ الحج:41.

من خلال ما تقدم ندرك أن المشكلة موجودة وقائمة، وهي كبيرة جداً .. والأمة الإسلامية منذ سقوط الخلافة العثمانية وإلى الساعة تُعاني من فتنة التحاكم إلى الطاغوت وشرائع الطاغوت .. وهي تعيش حالة من الانفصام بين الاعتقاد والشعور من جهة .. وبين الواقع الظاهر المعاش من جهة أخرى .. والمغاير كل التغاير عن عالم الاعتقاد والشعور!

من هنا تأتي أهمية الإجابة عن هذا السؤال الكبير: لمن الحكم .. ولماذا ينبغي أن يكون الحكم . بين العباد وفي البلاد . بما أنزل اللهُ .. وهل قضية الحكم بما أنزل اللهُ قضية ثانوية يُمكن تجاوزها من

لماذا الحكم بما أنزل الله ..؟

أجل غيرها من القضايا كما يصور البعض .. أم أنها قضية جوهرية ومركزية ومصيرية لا يمكن تعديلها أو تجاوزها والتغاضي عنها؟

فأقول ابتداءً: قد دلت جميع الأدلة النقلية والعقلية على أن الذي يجب أن يمضي في هذا الكون؛ كل الكون هو حكم الله تعالى وحده .. لا مناص للعباد والبلاد من أن تحكم إلا بما أنزل الله تعالى .. ولا تتحاكم إلا إلى شرع الله تعالى وقانونه .. وأن هذه الحياة الدنيا لا ينتظم أمرها ولا يستقيم حالها على العدل والحق إلا عندما تحكم بما أنزل الله .. وليس بغيره من أهواء وشرائع البشر!

لماذا .. وما هو البرهان والدليل على ذلك؟

أولاً: لأن الله تعالى هو الخالق المالك لهذا الكون وما فيه ومن فيه: فهو المتفرد بالخلق والمالك لا شريك له، وبالتالي لا بد من أن يتفرد في الأمر والحكم فيما يخلق ويملك .. كما أن لا بد لهذا الكون ومن فيه وما فيه من أن يسير وفق مشيئة وحكم خالقه ومالكة .. وليس وفق مشيئة وحكم غيره ممن لا يخلق ولا يملك شيئاً .. ولا يملك نفعاً ولا ضرراً!

فالله تعالى لم يخلق هذا الكون وما فيه ومن فيه عبثاً من غير شريعة توضح الغايات والوسائل .. والطريق المنجي والموصل إلى سعادة حياتي الدنيا والآخرة!

لم يخلق الله تعالى هذا الكون وما فيه ومن فيه عبثاً ليسير وفق مشيئة وحكم وشرع غيره ممن لا يخلق ولا يملك شيئاً، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ المؤمنون:115-116.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات:56.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ . أَيَحْسَبُ أَن لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا . أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ . أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ . وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ . وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ البلد:4-10.

فالذي يخلق ويملك هو الذي له كامل الحق في أن يشرع ويقنن لمن يخلق ويملك .. أما من لا يخلق ولا يملك لا يحق له أن يشرع ويقنن لما لا يملك ولا يخلق.

كم هو مستهجن ومستقبح أن يأتي جاهل بصناعة السيارات . مثلاً . ليقول لصانعتها تنحى جانباً فأنا الذي أحدد أنظمتها وقوانينها وسرعتها، لا أنت .. فكيف بهذا الجاهل الضعيف لو قال للخالق

لماذا الحُكْم بما أنزل الله ..؟

الذي خلق هذا الكون الفسيح وما فيه ومن فيه فأحسن الخلق على أجمل وأكمل صورة .. أنا الذي أشرّع وأقنن لهذا الكون وما فيه ومن فيه، لا أنت، وهذا الكون لا بد من أن يسير وفق شرعي وقانوني ومشيتي وليس شرعك وقانونك ومشيتك .. ألا ينبغي أن يكون أكثر استهجاناً .. ومعارضة للنقل الصحيح، والعقل السليم .. وكل منطق سليم!

كيف نستهن الأول ولا نستهن الآخر وهو أكثر من الأول معارضة لكل عقل أو منطق سليم؟! ونقول كذلك هذا الإنسان من جملة من خلقهم الله تعالى في هذه الأرض .. وبالتالي لا بد لهذا الإنسان من أن يعيش وفق أمر وشرع هذا الخالق ﷻ وحده .. يستأذنه في كل شيء .. يستأذنه فيما يفعل وفيما لا يفعل .. وفيما يُحل وفيما يُحرم .. وفيما يأكل ويشرب وفيما يدع من ذلك .. إذ لا يليق بالإنسان أن يكون مربوباً مملوكاً ومخلوقاً لرب واحد .. وهذا الرب له كامل الفضل عليه؛ يتفضل عليه بالنعمة التي لا تُحصى .. وهو يعيش في مملكته وعلى مائدته على مدار الوقت لا قدرة له على الاستغناء عنه ثانية واحدة .. ثم هذا الإنسان يكفر الفضل والنعمة ويجحدها ليعيش وفق مشيئة وشرع أرباب وآلهة مزيفة ضعيفة جاهلة لا تخلق ولا تملك شيئاً .. ولا تملك نفعاً ولا ضرراً .. وليس لها أي فضل عليه؟!

فالذي لا يخلق ولا يملك شيئاً .. بل ولا يملك لنفسه . فضلاً عن أن يملكه لغيره . نفعاً ولا ضرراً .. وهو مخلوق مربوب مملوك لله تعالى وحده .. فهو عبد ضعيف ينتابه النقص والضعف والعجز من كل جوانبه .. لا يستحق أن يكون رباً ولا مشرعاً .. كما لا يليق به أن يعلو قدر ومقام العبودية لخالقه ومالكة وسيده .. ليمارس . جهلاً وظلماً وعدواناً وطغياناً . خصائص الربوبية والألوهية .. ويُخاصم الخالق ﷻ في صفاته وخصائصه!

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف:54. فالذي له الخلق، فله حصراً وقصراً الحكم والأمر ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ ؛ أي تعاضم وتعالى شأنه ﷻ عن أن يكون له شريك في الخلق أو شريك في الحكم والأمر .. وهو ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ الأعراف:191. وهذا سؤال تقريبي استنكاري موجه لكل مشرك؛ كيف تتوجهون بالعبادة والطاعة والتحاكم إلى من لا يخلق شيئاً وهو مخلوق مربوب شأنه شأن أي مخلوق .. فهذا لا ينبغي، ولا يليق بالعقلاء، ولا بمن يحترم نفسه!

لماذا الحكم بما أنزل الله ..؟

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ النحل:17. هل يستويان مثلاً الذي لا يخلق فيُعبد ويُطاع، ويُرد له الأمر كمن يخلق وله الخلق كله ﷻ؟! ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أي تتنبهون فتعلمون أن المنفرد بالخلق، وهو الله تعالى وحده هو الذي يجب أن تفرده وتخصوه بالعبادة والطاعة والتحاكم دون أحدٍ سواه؟!!

وقال تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ الصافات:125. يا سبحان الله يعبدون بعلاً .. يُطيعون بعلاً .. يتحاكمون إلى بعلٍ .. يدعون ويستغيثون ببعلٍ .. ويذرون أحسن الخالقين؟! وبعلٌ هذا صنم كان يُعبد من دون الله .. وما أكثر البعول في زماننا التي تُعبد من دون الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضِعْفَ الطَّالِبِ وَالْمُطْلُوبِ﴾ الحج: 73. فقله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب من الله تعالى إلى كل الناس وإلى يوم القيامة مؤمنهم وكافرهم؛ فالؤمن يزداد بهذا المثل إيماناً وهدى، والكافر المعاند يزداد به كفراً وضلالاً إلا من شرح الله صدره للإسلام.

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ﴾: وافهموه، وتأملوه، وتدبروه .. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فتعبدونهم من دون الله؛ تتوجهون لهم بالدعاء، والطاعة، والتحاكم، وغير ذلك مما يدخل في معنى ومسمى العبادة .. فهؤلاء ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضِعْفَ الطَّالِبِ وَالْمُطْلُوبِ﴾ ومن كان بهذا العجز والضعف لا يصلح أن يكون مألواً معبوداً من دون الله .. كيف تتخذونه إلهاً ورباً من دون الله تُحلون ما يُحل، وتُحرمون ما يُحرم، وتُحسنون ما يُحسن، وتُقبحون ما يُقبح، وهو أضعف من أن يخلق ذبابةً أو أن يستنقذ ما يسلبه الذباب منه .. فهذا لعمر الحق هو عين الضلال المبين، وعين الظلم، والجهل، والجحود!

وقال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

لقمان:11.

لماذا الحكم بما أنزل الله ..؟

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ فكل هذا الكون الفسيح ومن فيه وما فيه من اتقانٍ وإبداعٍ وجمالٍ وعظمة هو من خلق الله .. وهو دليل على عظمة الخالق ﷻ .. وأنه الإله والرب المستحق للعبادة وحده .. ﴿فَأَرْوِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ لا شيء .. وهم أعجز من أن يخلقوا شيئاً .. وبالتالي كيف يُعبدون من دون الله تعالى .. كيف تتخذونهم آلهة وأرباباً وهم بهذا الوصف من العجز والضعف .. وتذرون أحسن الخالقين؛ الخالق لهذا الكون وما فيه ومن فيه .. المتفضل على عباده بالنعم التي لا تُحصى .. صدق الله العظيم ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ .

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ يعبدونهم ويُطيعونهم ويتحاكمون إليهم من دون الله .. رغم أن هذه الآلهة ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً﴾ الفرقان:3. وهذا عين الضلال، والجهل، والجور!

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ . وقوله تعالى ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ ؛ أي كيف تُصرفون عن عبادة وطاعة الله تعالى وحده مع قيام الدليل القاطع على حقه عليكم؛ وهو أنه تعالى هو الذي ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ، إلى عبادة وطاعة من ليس له حق عليكم، رغم قيام الدليل القاطع على عجزه وبطلان إلهيته المزعومة، بدليل أنه لا يقدر على أن ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ .

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الرعد:16.

فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ أي بعد هذا الإقرار والتسليم بأن الله هو رب السماوات والأرض والذي يُسلم به الجميع ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ تعبدونهم وتطيعونهم وتتبعونهم فيما يشرعون لكم من دون الله .. وهم في حقيقتهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً﴾ ؛ أي جلب نفع، ﴿وَلَا ضَرّاً﴾ ؛ أي ولا دفع ضررٍ، فضلاً عن أن يملكوه لغيرهم، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ المشرك الضال الذي ضل طريق التوحيد، وعبد آلهة عاجزة ضعيفة ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ ولا لغيرهم ﴿نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾ ، ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ المؤمن الموحد الذي يعبد الله تعالى . ربه ورب السماوات والأرض . على بصيرة

لماذا الضُّكْمُ بما أنزلَ اللهُ ..؟

وعلم ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلْمَاتُ﴾ ظلمات الشرك والكفر؛ والظلمات ذُكرت بالجمع لأن الشرك ليس نوعاً واحداً وصورة واحدة بل هو أنواع وأشكال وصور متعددة تعلق بعضها بعضاً فتزيد الظلمة ظلمات ﴿وَالنُّورُ﴾ التوحيد والإيمان؛ فأفرد في الذكر لأن طريق التوحيد واحد، ولأن الحق واحد، والمعبود بحق واحد، والطريق الموصل إليه واحد، ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أنداداً يُماثلونه في خصائصه وصفاته ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي هل من هؤلاء الأنداد الذين تعبدونهم وتطيعونهم من دون الله قد خلق شيئاً فشارك الله في الخلق فتشابه الخلق على المشركين فلم يحسنوا التمييز بين الذي خلقه الله تعالى وبين الذي خلقه هؤلاء الشركاء .. لو كان الأمر كذلك لوجد لكم عذراً أو تأويلاً .. أما أنه لم يحصل شيء من ذلك، وقد علم أن المتفرد بالخلق هو الله تعالى وحده فلا عذر لكم .. وحينئذٍ نقول لكم ما أمرنا الله أن نقوله لكم: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ صيغة عامة شاملة لكل شيء؛ فلا يخرج شيء في هذا الكون الفسيح عن كونه مخلوق لله ﷻ ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ .

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يونس:31. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي أفلا ينبغي أن يحملكم ذلك على أن تقلعوا عن الشرك .. وعبادة وطاعة الأنداد والشركاء .. وتدخلوا في توحيد الله تعالى وعبادته وطاعته!؟

وقال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ . أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَدَّكُرُونَ . أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . أي إله معبود مطاع مع الله يفعل لكم شيئاً من ذلك .. فإن كان الجواب لا .. ولا بد من أن يكون لا .. يأتي دائماً السؤال التقريعي الكبير .. إذا كان هؤلاء الذين اتخذتموهم شركاء مع الله لا يستطيعون أن يفعلوا لكم شيئاً من ذلك .. وهم أعجز من أن يخلقوا جناح بعوضة .. أو أن يجلبوا لأنفسهم نفعاً أو يدفعوا عنها

لماذا الحكم بما أنزل الله ..؟

ضراً .. فكيف تتخذونهم آلهة وأرباباً مع الله تعالى . أو من دونه . تقدمون لهم من فروض العبودية، والطاعة، والولاء، والمتابعة، والتحاكم؟!

خلاصة القول: من أقر بربوبية الخالق ﷻ لا بد له من أن يقر بألوهيته، ومن أقر وسلّم بأن

الله تعالى هو الخالق المالك لهذا الكون وما فيه ومن فيه، المتصرف به وفق مشيئته من غير ممانعة أو مدافعة من أحد .. لا بد من أن يقر ويسلم بأن الله تعالى هو المعبود المألوه المطاع بحق، وهو الحكم، وحكمه وأمره وشرعه وحده هو الذي يجب أن ينفذ في خلقه ومملكته وعباده .. لا حكم وشرع غيره.

وأن المستحق للعبادة والطاعة، والتحاكم إلى شرعه وقانونه هو الخالق المالك لهذا الكون وما فيه ومن فيه .. أما من لا يخلق ولا يملك شيئاً فلا يجوز أن يستشرف خصائص الربوبية والألوهية .. كما لا يستحق أن يُعبد أو يُطاع أو يُتحاكم إلى قانونه وشرعه.

هذه النقطة الأولى من جوابنا عن السؤال الكبير: لماذا الحكم بما أنزل الله ..؟

ثانياً: لأن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العليا: والتي من مقتضاها أن لا يصدر

عنه ﷻ إلا الكمال؛ العدل المطلق، والحق المطلق، والخير المطلق، والمصلحة المطلقة.

فالذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا هو الذي ينبغي أن يحكم، وحكمه وشرعه هو الذي يجب أن يمضي في البلاد والعباد، وليس حكم غيره؛ ممن لا يملك شيئاً من تلك الأسماء الحسنى، والصفات العليا .. بل تلاصقهم صفات النقص والعجز والضعف، والقصور والجهل مهما ظهر أنهم أوتوا من العلم .. ومن كان كذلك فإنهم لا محالة سيصدر عنهم النقص والخطأ والجهل والظلم .. والبلاد والعباد التي تخضع لحكمهم وشرعهم تكون عبارة عن حقل تجارب لقوانينهم وتشريعاتهم الخاطئة الجائرة والتي تتغير وتتبدل بين الفينة والأخرى بحسب ما تملي عليهم أهواؤهم وعقولهم القاصرة .. ومصالحهم الذاتية .. وكلما ظهر لهم خطؤهم وقصورهم!

فالأنظمة التي تحكمها القوانين الوضعية .. كل الأنظمة؛ الديمقراطية والديكتاتورية منها سواء .. تعيش عملية تغير وتبديل مستمرة لقوانينها وشرائعها؛ فما يستحسنونه اليوم يقبحونه ويجرمونونه غداً، وما يقبحونه ويجرمونونه غداً قد يستحسنونه ويجمّلونه بعد غدٍ . وهكذا إلى مالا نهاية ما داموا يتصدرون موقع الحكم ومهمة سن القوانين والتشريعات . بحسب ما يظهر لهم .. وبحسب ما تملي عليهم

لماذا الحُكْمُ بما أنزلَ اللهُ؟..

أهواؤهم وعقولهم القاصرة الجاهلة .. والإنسان الذي تحكمه تلك القوانين والشرائع الوضعية هو وحده الذي يدفع ضريبة جهل وقصور أولئك الأرباب والرهبان .. وجهل وقصور وظلم قوانينهم وشرائعهم .. وما أعظمها وأفدحها من ضريبة!

صدق الله العظيم إذ أمرنا أن نقول لهؤلاء المشركين ﴿قُلْ أَنْتُمْ﴾ : على قصوركم وجهلكم، وعجزكم، وضعفكم ﴿أَعْلَمُ﴾ : بمصلحة العباد وبما ينفعهم ويضرهم ﴿أَمِ اللَّهُ﴾ البقرة:140. الذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا!؛

يأتي الجواب في آية أخرى ليقرر حقيقة دامغة خالدة لا تقبل المراء ولا الجدل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:216.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ : أي لا مألوه ولا معبود ولا مُطاع ولا حاكم بحق إلا الله ﷻ .. لماذا؟ الجواب يأتي مباشرة لأنه ﴿الْحَيُّ﴾ : الذي لا يموت أبداً، وله دائم البقاء أزلاً وأبداً .. ولأنه ﴿الْقَيُّومُ﴾ : القائم على شؤون وتديير ورعاية خلقه .. يرعاهم بلطفه، وفضله، وعدله، ورحمته .. ومن تمام وكمال قيوميته أنه ﷻ ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ : أي لا يغلبه النعاس، ولا تعثره غفلة ولا سهو ولا نوم، بل هو القائم على خلقه بالحفظ والرعاية، لا يخفى عليه شيء .. ولا قيام للخلق إلا به ﷻ، وهو مع ذلك كله له ملك ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ البقرة:255.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل لهؤلاء الأرباب والمشرعين الذين يشرعون ويحلون ويحرمون بغير سلطان ولا إذن من الله تعالى .. شيء من تلك الأسماء والصفات والخصائص التي يختص بها الخالق ﷻ .. فإن كان الجواب لا .. ولا بد من أن يكون لا .. فكيف تُطاع فيما تُشرع وتحلل وتحرم .. ويُترك أحسن الخالقين الذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا!؛

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لماذا؟.. لأنه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ يعلم السر والعلن، ما خفي وما ظهر، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الحشر:22.

وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لماذا؟.. لأنه ﴿الْمَلِكُ﴾ : السيد المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة، ﴿الْقُدُّوسُ﴾ : الطاهر المبارك المتنزّه عن صفات النقص

لماذا الحُكْمُ بما أنزل اللهُ ؟..

والمخلوقين، ﴿السَّلَامُ﴾ : السالم من جميع العيوب والنقائص؛ لكماله في ذاته وأفعاله، ﴿المُؤْمِنُ﴾ : الذي يصدق الصادقين بما يُقيم لهم من شواهد صدقهم، والذي يؤمن خلقه من أن يظلمهم، ﴿المُهَيَّمِنُ﴾ : الشاهد على خلقه بأعمالهم، الرقيب عليهم، ﴿العَزِيزُ﴾ : القاهر الذي لا يُغلب ولا يناله ذل، ﴿الجَبَّارُ﴾ الذي جبر خلقه على ما يشاء، المصلح لأمر خلقه المتصرف فيه بما فيه صلاحهم، العظيم إذا أراد أمراً فعله، ﴿المُتَكَبِّرُ﴾ : الذي له الكبرياء والعلو، المتعالي عن كل سوء، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ : تنزه الخالق وتعالى وتعظيم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الحشر: 23[1]. فيتخذون معه .ومن دونه .أنداداً وشركاء فيعبدونهم ويطيعونهم، ويتحاكمون إلى شرائعهم وقوانينهم .. وهم لا يملكون شيئاً من تلك الصفات والأسماء الحسنى الأنفة الذكر والتي يختص بها الخالق وحده ﷻ .. بل صفات النقص والعجز والجهل تلاحقهم طيلة حياتهم!

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لماذا ..؟ لأن ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ طه: 8. ومن أسماء الله الحسنى: العليم، العالم، الخبير، القدير، الجميل، الحق، الحكيم، الحكم .. الذي لا يقضي ولا يحكم ولا يأمر إلا بالحق المطلق، والعدل المطلق، والخير المطلق .. والذين من دونه لا يقضون بشيء؛ لأنهم ليس لهم شيء من تلك الأسماء وتلك الصفات.

كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ : لأن له الأسماء الحسنى والصفات العليا، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ : فيعبدونهم ويطيعونهم ويتحاكمون على شرائعهم من دون الله .. ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ : ولو قضوا وحكموا فقضاؤهم وحكمهم ليس بشيء؛ لأنه صادر عن جهل وعجز وضعف وقصور ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر: 20.

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: 50. فلا أحسن من الله تعالى حكماً ولا قضاء؛ لأن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العليا والتي من مقتضياتها أن لا يقضي ولا يحكم إلا بالأحسن والأجمل والأفضل والأنفع .. وكل حكم غير حكم الله، ويكون مغايراً لحكم الله ﷻ فهو من حكم الجهل والجاهلية والهوى الذي يجب اعتزاله والبراء منه؛ لأنه لا يأتي بخير .. وفيه من القصور والنقص كقصور ونقص وعجز صاحبه ولا بد!

¹ انظر معاني وتفسير أسماء الله الحسنى الواردة في الآية تفسير ابن كثير.

لماذا الحُكْم بما أنزل الله ..؟

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ : حصراً وقصراً ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ : الذي ليس بعده إلا الضلال ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ : وهي كل ما يشرعونه ويحسنونه ويقبحونه ويرتأونه بغير سلطان من الله، وبعيداً عن هدى الله ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ : أي من الدين والتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة:120.

ثالثاً: لأن الحكم والتشريع من خصوصيات الله تعالى وحده: فمما اختص به الخالق ﷻ

دون خلقه: الحكم والتشريع .. والتحليل والتحريم .. والتحسين والتقبيح .. فله الحكم وحده لا شريك له .. وأيما إنسان يزعم لنفسه شيء من ذلك من دون . أو مع . الله فقد جعل من نفسه نداً للخالق ﷻ وخاصمه في أخص خصائصه .. ومن يقر لهذا الإنسان بهذه الخاصية: خاصية الحكم والتشريع فقد أقر له بالربوبية والألوهية واتخذة رباً من دون الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾ : أي ليس الحكم لأحدٍ ﴿إِلَّا﴾ : أداة استثناء جاءت بعد نفي تفيد الحصر والقصر ﴿لِلَّهِ﴾ : وحده لا شريك له ﴿أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ : أحداً ﴿إِلَّا﴾ : أداة استثناء جاءت بعد نفي تفيد الحصر والقصر ﴿إِيَّاهُ﴾ : أي إلا الله تعالى وحده .. فهذا التوحيد وهذا الأفراد للخالق ﷻ في الحكم وفي العبادة هو ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ : الحق والمستقيم الموصل إلى خيري الدنيا والآخرة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف:40. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقِصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الأنعام:57.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف:110. فالآية السابقة أعلاه دلت أن الخالق ﷻ

هو المختص بالحكم والتشريع، وفي هذه الآية ينفي الخالق ﷻ أن يكون له شريك في الحكم والتشريع. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَتَرُونَ﴾ يونس:59. أي كيف تتجرؤون على التحليل والتحريم من تلقاء أنفسكم، ومن دون أن تستأذنوا الخالق ﷻ صاحب الأمر والشأن .. وهو الذي أنزل لعباده الرزق وليس أنتم .. والذي له وحده حق التشريع والتحليل والتحريم فيما أنزل من رزق؟!!

لماذا الحُكْم بما أنزل اللهُ ؟

فالتحليل والتحریم ليس من اختصاصكم، وإنما هو من اختصاص الخالق الرازق المالك .. الذي ينزل الرزق .. وبالتالي لا بد من الرجوع إليه ﷺ فيما تحلون وتحرمون .. وتحسنون وتقبحون .. فإن لم تفعلوا فأنتم ﴿عَلَى اللَّهِ تَفَتَرُونَ﴾ .

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ ؛ من تلقاء أنفسكم، ومن دون أن تستأذنوا الخالق ﷺ فيما تحلون وتحرمون وترجعون إلى حكمه وشرعه .. فهذا عين الافتراء والكذب والتعدي ﴿لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ النحل:116.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله هو الحُكْم وإليه الحُكْم".

وعن الحُكْم بن سعيد قال: أتيت النبي ﷺ فقال: "ما اسمك؟" قال: أنا الحُكْم، قال ﷺ: "بل أنت عبد الله"، قلت: فأنا عبد الله.

فحتى مجرد التسمي بـ"الحُكْم" فكان النبي ﷺ ينكره، ويعمل على تغييره واستبداله باسم آخر؛ لأن "الحُكْم" اسماً ومعناً هو مما يختص به الخالق وحده دون أحدٍ من خلقه. وفي سنن أبي داود، عن هاني أنه لما وفد على رسول الله ﷺ، مع قومه سمعهم يكتفون بأبي الحُكْم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: "إن الله هو الحُكْم، وإليه الحُكْم، فلم تكتفِ أبا الحُكْم .. فما لك من الولد؟" قال: لي شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: "فمن أكبرهم؟" قلت: شريح، قال ﷺ: "فأنت أبو شريح" [صحيح سنن أبي داود:4145].

ولما قال القائل من بني تميم للنبي ﷺ: إن حمدي زين، وذمي شين، قال له: "ذاك الله" [1]. فالحُكْم على الأشياء بالمدح أو الذم من خصوصيات الله تعالى وحده؛ فالله تعالى وحده هو الذي يكون مدحه زين على الإطلاق، وذمه شين على الإطلاق، وليس أنت ولا أي مخلوق غيرك أياً كان هذا المخلوق.

أما من يأبى إلا أن يستشرف خاصية التشريع، والتحليل والتحریم، والحُكْم على الأشياء بالتحسين والتقبيح من تلقاء نفسه وبغير سلطانٍ ولا إذنٍ من الله تعالى .. فقد جعل من نفسه نداً لله ﷻ في أخص خصائصه .. وزعم الألوهية والربوبية من أوسع أبوابها .. وقال ما قاله فرعون من قبل،

¹ ذكره ابن تيمية في الفتاوى: 164/28.

لماذا الحكم بما أنزل الله ..؟

كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ القصص:38. أي ما علمت لكم من مشرع ومرجع ترجعون إليه في شؤون الدين والدنيا غيري .. فأنا المألوه المطاع .. فالذي أراه حلالاً فهو الحلال، والذي أراه حراماً فهو الحرام .. وليس لكم سوى اتباعي وطاعتي والدخول في عبوديتي .. ولا رأي لكم إلا الذي أريكم إياه .. ولا رشاد تسلكونه إلا الذي أهديكم وأدلكم عليه، كما قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر:29.

وقال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ النازعات:23-24. أي أنا الرب الذي أريكم على ما أشاء من قوانين وشرائع وعقائد .. فلا رب أعلى مني تتربون وتنشأون على دينه وتعاليمه وقانونه غيري ... ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ النازعات:25. فأهلكه الله تعالى بالغرق عقوبة الأولى؛ وهي قوله ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ، والآخرة وهي قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ .

وما أكثر الفراعنة والطغاة في زماننا الذين يزعمون هذا الزعم الكبير الذي زعمه فرعون من قبل .. فيقولون لشعوبهم: نحن المرشعين .. نحن الذين نحلل ونحرم .. فحق التشريع والتحليل والتحريم لنا لا لغيرنا .. فلا مشرع ترجعون إليه غيرنا .. وما علمنا لكم من مشرع تحتكمون إليه في جميع شؤون حياتكم أفضل وأحسن منا .. نحن الذين نريكم على ما نريد ونهوى من الشرائع والقوانين .. وليس لكم أيها الشعوب .. أيها العبيد . سوى طاعتنا واتباعنا .. ومن يعصينا منكم فهو خارج على القانون .. وعلى شرعية فرعون .. والويل له!

ومع ذلك . وللأسف . فكثير من الناس لا يرون حرجاً من الدخول في طاعتهم واتباعهم فيما يشرعون، ويحللون ويحرمون .. ويحسنون ويقبحون .. وهؤلاء سواء علموا أم لم يعلموا فقد دخلوا في عبودية هؤلاء الطغاة الأثمين، وأقروا لهم بالربوبية من دون الله ﷻ.

كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ التوبة:31. وذلك عندما اتبعوهم وأطاعوهم فيما يشرعون، وفيما يحللون ويحرمون بغير سلطان ولا إذن من الله تعالى .. فتلك كانت ربوبية الأحرار والرهبان .. وبذلك اتخذوهم أرباباً من دون الله ﷻ.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:64.

لماذا الحُكْمُ بما أنزلَ اللهُ ..؟

فقلوه تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ؛ أي لا يتخذ بعضنا بعضاً مشرعين؛ نشرع لبعضنا البعض، نحلل ونحرم لبعضنا البعض .. نعبُد بعضنا لبعض بتشريع بعضنا لبعض .. من دون الله وبغير سلطان ولا إذن من الله .. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ؛ أي أعرضوا وأبوا إلا أن يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .. ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ، ونقول لهم كذلك: ﴿أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خِزْيَ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يوسف:39.

ما أحوج البشرية في هذا العصر إلى هذا الخطاب .. إلى هذا النداء الرباني الخالد ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾

جميع الأنظمة المعاصرة على اختلاف مسمياتها سواء الديمقراطية منها أم الديكتاتورية، الملكية أم الجمهورية .. يتخذون بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .. وهي جميعها تقوم على مبدأ تعبيد العبيد للعبيد .. ولو ظهرت هذه العبودية أحياناً بصورة لبقة متحضرة كما في بعض الأنظمة الديمقراطية .. لكنها في النهاية لا تخرج عن كونها أنظمة تقرر عبودية العبيد للعبيد .. عبودية تحتقر من كرامة وحرية وقدّر الإنسان الذي كرمه الله تعالى بتوحيده وعبادته.

رابعاً: لأن الحكم بما أنزل الله إيمان وتوحيد، وخلافه كفر، وردة، وظلم وفسوق:

وجحود وخروج من الدين .. فالمسألة من هذا الجانب لا تقبل عند المسلمين الاستهانة أو التراخي أو التأخير أو أنصاف الحلول .. أو التفاوض .. فإما الحكم بما أنزل الله فحينئذ يكون الإيمان والإسلام .. ويكون العباد داخليين في توحيد وعبادة الله تعالى وحده .. وإما الحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم إلى الطاغوت وشرائع الطاغوت .. فحينئذ يكون الكفر والظلم والفسوق، والشرك، والردة، والخروج من الإسلام .. وتكون العبودية للطواغيت.

كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ النساء:65.

قال ابن القيم رحمه الله: "أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع، وأحكام المعاد وسائر

لماذا الحكم بما أنزل الله ..؟

الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الانفساح وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة، وانتفاء المعارضة والاعتراض "أ- هـ.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:59.
أفادت هذه الآية الكريمة معانٍ عدة:

منها: وجوب طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ طاعة مطلقة؛ لأن النبي ﷺ يبلغ عن الله ﷻ، وهو لا ينطق عن الهوى كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم:3-4.
ومنها: وجوب طاعة أئوي الأمر من المسلمين طاعة مقيدة في طاعة الله تعالى، وفيما ليس فيه معصية؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﷻ.

ومنها: في حال حصول النزاع مع أولي الأمر، أو أولي الأمر بعضهم مع بعض .. يجب رد النزاع والتحاكم إلى الله والرسول؛ أي إلى الكتاب والسنة بعد وفاة الرسول ﷺ.

ومنها: أن السنة محفوظة كحفظ الله تعالى لكتابه، وأن السنة من الذكر الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر:9. إذ يستحيل أن يأمر الخالق ﷻ عباده بأن يردوا نزاعاتهم إلى شيء غير محفوظ .. ولا موجود.

ومنها: أن الكتاب والسنة فهما حل لكل نزاع أو تنازع يقع فيه البشر .. إذ يستحيل أن يأمر الخالق ﷻ عباده بأن يردوا نزاعاتهم إلى شيء ثم لا يجدوا في هذا الشيء حلاً لما قد تنازعوا فيه.

ومنها: أن من لوازم وشروط صحة الإيمان رد التنازع إلى الكتاب والسنة، فإذا انتفى الرد، انتفى معه الإيمان مباشرة، وهو المستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ . فمن علامات صدق الإيمان بالله واليوم الآخر رد التنازع إلى الكتاب والسنة .. وليس إلى شيء سواهما.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء:60.

لماذا الحُكم بما أنزل الله ..؟

فاعتبر القرآن إيمانهم زعماً لا حقيقة له في الصدور .. وذلك بعدولهم عن حكم الله ﷻ وعن التحاكم إلى شرعه .. إلى التحاكم إلى الطاغوت؛ وكل حاكم لا يحكم بما أنزل الله .. أو شرع غير شرع الله ﷻ فهو طاغوت .. يجب الكفر به والبراء منه كما قال تعالى ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ .

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ .. فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .. فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة:44-45-47.

خامساً: لأن الحكم بما أنزل الله فيه حياة: حياة حقيقية للروح والمادة معاً .. حياة آمنة

سعيدة مطمئنة تحقق التوازن للروح والجسد معاً .. حياة للفرد، والجماعة، والشعوب، والأمم. الحكم بما أنزل الله .. يعني تحرير العبيد من عبادة العبيد ومن العبودية للعبيد .. وأطهرهم إلى مكمن عزهم وسعادتهم وكرامتهم، ونجاتهم؛ إلى عبادة الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

الحكم بما أنزل الله تعالى .. يعني إخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد والإيمان .. ومن ظلم الأديان وجورها إلى عدل الإسلام ورحمته.

الحكم بما أنزل الله .. يعني العدل المطلق في الأرض .. يعني إنصاف المظلوم من الظالم مهما كان الظالم شريفاً ورفيعاً وكان المظلوم وضيعاً وضعيفاً.

الحكم بما أنزل الله .. يعني تحقيق السلام الحق في الأرض .. السلام الذي يقوده .. ويرعاه .. ويفرضه الحق وأهله .. أما الباطل ومعه أهله لا يملكون السلام الحقيقي والعدل .. ولا مقوماته .. وفاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه!

الحكم بما أنزل الله .. يعني إيقاف هذا الدمار، والخراب، والفساد، والظلم، والعدوان الذي يضرب في أطناب الأرض وجميع أطرافها وأقطارها.

الحكم بما أنزل الله .. ضرورة ملحة لا منجاة للأرض ومن عليها إلا بالحكم بما أنزل الله .. فإما الحكم بما أنزل الله وإما الدمار والغرق والهلاك.

مُعول الخراب والفساد والإجرام والتدمير يعمل عمله في الأرض والمجتمعات .. ومنذ زمن .. ولا بد من إيقافه .. ولن يقف إلا بالحكم بما أنزل الله .. والسهر على تطبيق شرع الله تعالى في الأرض، وقد ضرب

لماذا الحُكْمُ بما أنزلَ اللهُ ..؟

النبي ﷺ لذلك مثلاً فقال ﷺ: " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقال الذين في أسفلها: لو أنا خرقتنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" البخاري.

لا بد من أن يؤخذ على أيدي المجرمين المفسدين المخربين. أيّاً كانوا وكان موقعهم السيادي. بالمنع والزجر، والقصاص الشرعي .. وإلا غرقت السفينة، وهلكوا جميعاً .. وهلكت معهم البلاد والعباد!

وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة:179. فالقصاص الشرعي وإن بدت منه نوع قساوة وشدة. لا بد منها. على فرد أو مجموعة أفراد آثروا إلا أن يسيروا في طريق الخطأ والجريمة .. إلا أن فيه منجاة وحياة حقيقية للمجتمعات والجماعات، وملايين الناس.

تأملوا النتيجة المفزعة التي آلت إليها المجتمعات بسبب غياب العمل بالقصاص الشرعي .. تأملوا كم هي جرائم القتل، والسطو والنهب، والاعتصاب .. التي تحصل في اليوم الواحد، بل في الساعة الواحدة، بل في الدقيقة الواحدة .. وبصورة لم تعرفها البشرية من قبل!

تأملوا حجم الفساد والخراب والمجون المنتشر في الأرض كل الأرض .. وفي البر والبحر والجو سواء! تأملوا حجم الظلم المنتشر على الرجال والنساء سواء .. تأملوا السجون وحجم الانتهاكات لحرمان وحقوق الإنسان!

تأملوا كم طفل يموت في العالم في الدقيقة الواحدة بسبب الجوع أو المرض أو عدوان المعتدين الظالمين .. بسبب سطو القوي على الضعيف .. بينما فريق آخر من المسرفين قِطْطهم وكلاهم تموت بسبب التخمّة والإسراف والتبذير!

تأملوا كيف أن شرائع الطاغوت تنتصف وتنتصر للقوي الظالم المعتدي .. لأنه قوي .. وتهمل وتخذل الضعيف المظلوم .. لأنه ضعيف .. إذ لا حياة للضعفاء في أرض تحكمها شريعة الغاب .. تحكمها شريعة الطاغوت!

هذا كله وغيره يحصل .. بسبب غياب القصاص الشرعي .. وغياب الحكم بما أنزل الله على جميع الميادين والمستويات.

لماذا الحكم بما أنزل الله ..؟

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الشورى:52. فالعمل بالقرآن والحكم به .. فيه روح وحياة للبشرية .. وإذا كان الأمر كذلك فإن مفهوم المخالفة يقتضي أن عدم الحكم بالقرآن وبالشريعة التي نزل بها القرآن الكريم .. يعني الموت والخراب والدمار والهلاك .. وكل ما هو مضاد للحياة الحقيقية.

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ : من كل داء وبخاصة منها الأدوية المعنوية الروحية، الأخلاقية ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ : لأنهم قابلوا التنزيل بالتصديق والإيمان فانتفعوا به ، ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾ الإسراء:82. لأنهم قابلوا التنزيل بالجحود والإعراض فلم يستفيدوا منه، بل زادهم . تكذيبهم بالتنزيل وإعراضهم عنه . خسارة إلى خسارتهم بكونهم ظالمين.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إقامة حدٍّ من حدود الله خيرٌ من مطرٍ أربعين ليلة في بلاد الله ﷻ" [صحيح سنن ابن ماجه:2056].

وقال ﷺ: "حدٌ يعمل به في الأرض، خيرٌ لأهل الأرض من أن يُمطروا أربعين صباحاً" [صحيح سنن ابن ماجه:2057]. فرغم أن الماء والمطر حياة للأرض وأهل الأرض .. وأن الله تعالى جعل من الماء كل شيء حي .. إلا أن العمل بحد من حدود الله خير لأهل الأرض من أن يُمطروا أربعين يوماً .. وإذا كان الأمر كذلك مع حدٍّ واحد من حدود الله .. فما يكون القول لو تم العمل بمجموع حدود وأحكام الله .. لا شك أن الخير حينئذٍ يتضاعف، لا يمكن أن يُقدَّر ولا أن يُحصى، كما قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقاً﴾ الجن:16.

وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ هود:52.

وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ نوح:10-12.

وبعد، لأجل مجموع ما تقدم ذكره في النقاط الخمسة الأتفة الذكر قلنا ونقول: يجب الحكم بما أنزل الله .. ففضية الحكم بما أنزل الله قضية محورية وأساسية في العقيدة الإسلامية .. قضية كبيرة

لماذا الحكم بما أنزل الله ..؟

وعظيمة لا يمكن التغاضي أو التغافل أو الانشغال عنها .. أو التفريط بها من أجل مكاسب ومصالح ذاتية أو شخصية أو حزبية زهيدة!

فقضية الحكم بما أنزل الله غاية عظمى ترخص في سبيلها الغايات والمقاصد .. والتضحية .. وكل غالٍ ونفيس.

لا عزة ولا سؤدد للأمة إلا بالحكم بما أنزل الله .. والكفر بالطاغوت، وحكم وشرع الطاغوت. جربت الأمة دهرًا وقرونًا الحكم بما أنزل الله فأعزها الله ونصرها وأعلى شأنها .. وسادت وحكمت البلاد والعباد بالحق والعدل .. ولما تخلت عن الحكم بما أنزل الله أذلها الله .. وشتت شملها وقوتها وكلمتها، وسلط عليها عدوها .. فإذا أرادت الأمة أن يُعادَ إليها عزها ومجدها .. فلا بد لها من أن تبتغي ما أعزها الله به أولاً؛ ألا وهو الحكم بما أنزل الله.

لا منجاة للشعوب، والأمم من الضياع والهلاك والدمار والعذاب المحقق إلا بالحكم بما أنزل الله .. فإما الحكم بما أنزل الله وإما الدمار .. وإما الحكم بما أنزل الله وإما الكفر والشرك، والظلم، والفسوق .. والطغيان .. والعذاب.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1427/05/13هـ

أبو بصير الطرطوسي

2006/05/11م

وَجَاءَ رَجُلٌ يَسْعَى

وَجَاءَ رَجُلٌ يَسْعَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ . وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنقِدُونَ . إني إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ . قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ يس: 20-27.

هذه الآيات تحكي قصة رجل صالح ندب نفسه لنصرة رُسل الله ودعوتهم .. تتكرر نماذجه في كثير

من الأزمنة والأمصار.. التي يُحارب فيها شرع الله تعالى، ويسود فيها حكم الطواغيت الظالمين!

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ : أي من أطرافها .. ومن أقصى وأبعد بابٍ من أبوابها .. قاصداً وسط

المدينة ومركزها .. المكان الذي يجتمع فيه المملأ وأتباعهم .. عند حصول أي أمر هام ينزل بساحتهم ومدينتهم، يقتضي منهم الاجتماع.

﴿رَجُلٌ﴾ : إنه الحبيب .. فهو رجل لكن لا كالرجال .. رجل فيه كل معاني الرجولة والشجاعة

والصدق والإقدام .. لا يخشى في الله لومة لائم .. رجلٌ صادقٌ في لهجته ودعوته .. صادق مع نفسه، وعقيدته .. وما يدعو إليه .. فباطنه كظاهره، وظاهره كباطنه .. لا يتخلف قوله عن فعله، ولا فعله عن قوله.

﴿رَجُلٌ﴾ : كفر بالطواغيت؛ كل الطواغيت التي تُعبد من دون الله .. اعتقاداً وقولاً وعملاً ..

فترجم التوحيد في جهاده وصدعه بالحق أحسن ترجمة وبيان.

﴿رَجُلٌ﴾ : حمل على عاتقيه همّ أمته وقومه .. كيف يُغيثهم .. كيف ينقذهم من الهلاك .. كيف

يحميهم من أذى وشَرِّ الطواغيت .. ويخرجهم من ظلمات الكفر والشرك إلى نور وعدل الإسلام .. ولو أدى ذلك به إلى القتل والاستشهاد.

﴿رَجُلٌ﴾ : صدقَ الله في البيع .. فصدقه الله في الشراء والجزاء.

وَجَاءَ رَجُلٌ يَسْعَى

﴿يَسْعَى﴾ : فهو لم يَجِئْ ماشياً بل جاء ساعياً يركض ويهرول بأقصى ما أوتي من قوة وعزيمة وإرادة .. لأن الأمر هام لا يحتمل التأخير .. أو التريث .. والتردد .. وبالتالي لا بد من أن يأتيه سعياً قبل أن يفوته القطار .. ويقع التفريط والندم، ولات حين مندم.

﴿يَسْعَى﴾ : خشية أن يفوته موقف فيه نصرة لله ولرسول الله.

وكونه قد جاء يسعي؛ فهذا دليل على أنه كان همّاماً .. وأن همّ أمته وقومه قد امتلأت به نفسه .. لذا فقد جاء يسعي.

﴿يَسْعَى﴾ : من أجل ماذا .. هل من أجل امرأة ينكحها أو دنيا يُصيها .. كما هو شأن الآلاف من الرجال غيره؟!

لا؛ ليس شيئاً من ذلك!

فهو جاء ﴿يَسْعَى﴾ ؛ إلى أن توسّط قومَه وهم مجتمعين .. ليقرروا موقفهم من دعوة الأنبياء والمرسلين ..؟!

فشقّ جموعهم وناداهم بأعلى صوته .. ناصحاً ومشفقاً .. وقبل أن يأخذ قسطاً من راحة أو يلتقط أنفاسه من أثر السعي .. وبثبات المؤمن الواثق بوعد ربه.

ف ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ؛ فيما يُبلغون عن ربهم .. وآمنوا بهم .. تفلحوا .. ومفهوم الأمر باتباع المرسلين يقتضي النهي عن كل دين يُخالف دين المرسلين .. إذ لا يصح ولا يُقبل من المرء أن يتبع دين المرسلين ثم هو في نفس الوقت يتبع دين الطواغيت .. وعبادة الأصنام والأوثان .. فلا يجتمع في قلب امرئ اتباع وانقياد لدين الله واتباع وانقياد لدين الطواغوت .. والقول باجتماعهما هو من قبيل القول بالشيء وضده في آنٍ واحد.

﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ ؛ فمن علامات صدق الرسل أنهم لا يسألونكم أجراً وعطاءً على دعوتهم وجهادهم ونصحهم .. وإبلاغ الرسالة .. فأجرهم على الله .. وإنما يسألونكم فقط أن تدخلوا في دين الله تعالى، وفي عبادته وتوحيده .. وأن تكفروا بالأوثان والطواغيت، وتبشروا من عبادتهم.

أما من يقتات ويستغني من وراء دعوته .. وكلماته .. ويكون همه الأكبر من وراء دعوته كيف يتلقى العطايا والمنح من الآخرين .. ولو على حساب الحق .. فهؤلاء حري بأن لا يُسمع لهم .. وأن يُتهموا

وَجَاءَ رَجُلٌ يَسْقَى

في دينهم ومروءتهم، ويُساء بهم الظن .. والأنبياء والرسل ليسوا شيئاً من ذلك حاشاهم .. لذا فإنه لحري بكم بأن تُصغوا إليهم وإلى دعوتهم .. وتتبعوهم!

﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ : وهم إضافة إلى ذلك كله فهم مهتدون موفّقون إلى الحق صراط الله المستقيم

.. مهتدون في أنفسهم ودعوتهم وكل أحوالهم .. فلا هداية ولا منجاة لأحد إلا باتباعهم وطاعتهم .. فاهتدوا بهم وأطيعوهم.

لأنه قد يعترض معترض فيقول: هناك من دعاة الباطل من لا يسألون الناس المال والعطايا على دعوتهم .. فيأتي الرد الحاسم عليهم: ولكنهم غير مهتدين .. فهم إذ لا يأخذون أجراً ولا مالاً. وما أقل هذا الصنف في دعاة الشر والباطل. فإنهم يدعون إلى الفحشاء والمنكر والبغي .. وهذا بخلاف ما عليه الأنبياء والرسل؛ فهم إضافة إلى كونهم لا يسألون الناس الأجر والمال .. فهم مهتدون .. يدعون إلى الهدى والحق. وما إن أنهى مقاله الإيماني الأنف الذكر .. إلا واعترضه الملام من قومه مستفسرين .. ومستنكرين .. ومهددين.

هل أنت على دين الأنبياء والرسل .. هل تركت ديننا؛ دين الآباء والأجداد؛ دين عبادة الأوثان والأصنام .. والطواغيت؟!
فأجابهم:

﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ : وما الذي يمنعني من أن أفرد الله تعالى وحده بالعبادة وهو

الذي خلقتني، فأحسن خلقي .. وتفضل علي بالنعم التي لا تُعد ولا تُحصى .. فمن لوازم متطلبات النعم التي خص الله بها العباد، أن يخصه العباد بالشكر ويفردوه بالعبادة!

ثم هل من آلهتكم المزعومة وأوثانكم وأصنامكم من يستطيع أن يخلق شيئاً .. وإذا كان لا يستطيع أن يخلق شيئاً .. وهو أعجز من أن يخلق بعوضة .. فهل من يخلق كمن لا يخلق .. هل يستويان مثلاً .. ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ النحل:17. وقال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ الأعراف:191.

﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ : ثم أنكم أيها المشركون الضالون لا تحسبون أنكم بمفازة من العذاب عندما

تُرجعون إلى الله يوم القيامة .. ويُجرى عليكم الحساب .. ويجازي الله تعالى الناس على أعمالهم، وما

وَجَاءَ رَجُلٌ يَسْقَى

قدموا لأنفسهم؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.. يوم يقع الندم، ولات حين مندم ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ الفرقان:27. ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمُرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ النبأ:40.

﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ﴾ : أي من دون الله تعالى.

﴿الْهَيْءُ﴾ : فأخصهم بالعبادة، والطاعة، والمحبة، والتحاكم من دون الله .. وقد تبين أنهم عاجزون قاصرون لا يملكون شيئاً .. ولا يقدرّون أن يخلقوا شيئاً .. ولا ينفعون ولا يضرّون أحداً إلا إذا شاء الله .. وهذا سؤال توبيخي تقريعي استنكاري؛ أي كيف تحملونني على أن أعبد آلهة من دون الله تعالى ضعيفة عاجزة؛ لا تخلق، ولا تنفع ولا تضر.. أليس لكم عقول تتفكرون بها؟!

ومن علامات ضعف، وعجز، وقصور هذه الآلهة المزعومة:

﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ﴾ : أي إن يصيبني الله ببلاء؛ كالمرض وغيره ..

﴿لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً﴾ : أي لا تنفعني شفاعتهم في شيء .. لأنهم لا شفاعاة لهم أصلاً ..

فالشفاعة تكون يوم القيامة لمن ارتضى الله وأذن له من الأنبياء والرسل والصدّيقين

والشهداء، وغيرهم من المؤمنين الموحدين .. ولمن شاء الله أن يُشَفِّعَ له.

﴿وَلَا يَنْقُذُونَ﴾ : أي كذلك فهم لا يستطيعون أن ينقذوني أو يخلصوني مما أنا فيه من البلاء

والمرض .. فهم أضعف وأعجز من ذلك .. فهم لا يملكون من الأمر شيئاً؛ فالأمر كله لله تعالى وحده.

فكاشفُ الضُّرِّ هو الله تعالى وحده .. وإن أَرَادَكَ بِفَضْلٍ وَخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ وَقَضَائِهِ رَادٌّ: ﴿وَإِنْ

يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنعام:17. وقال

تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ

مِنَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يونس:107. ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُهِتَ الَّذِينَ﴾ الشعراء:80.

﴿إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ : أي إن أصغيت إليكم وأطعتمكم فيما تأمرونني به؛ من عبادة آلهتكم

وأوثانكم، وأصنامكم، وطواغيتكم .. من دون . أو مع . الله .. فإني يقيناً على خطأ بين ظاهر، وأنا من

الهالكين الخاسرين الذين ضلوا الحق، والصراط المستقيم.

وَجَاءَ رَجُلٌ يَسْقَى

فلما سمع الملائكة من قومه هذه الإجابة الإيمانية عما قد سألوه عنه .. ولبسوا منه صدق لهجته ..
والجد فيما يقول .. عاودوا الكرة في تهديده وزجره ونهيه .. وبالغوا في التهديد والوعيد .. إن لم يعد عن
دينه .. ويدخل من جديد في دينهم: دين عبادة الأوثان والطواغيت!

فما كان جوابه لهم إلا أن قال لهم بكل ثبات ويقين، وبملاء فيه:

﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ : الذي خلقكم .. والذي خلق السماوات والأرض .. والذي رزقكم وأمدكم

بالنعم .. ثم أنتم به تكفرون.

وكفرتُ بأصنامكم وأوثانكم وطواغيتكم التي تعبدونها من دون الله .. وبيان هذا المعنى من لوازم
وشروط الإيمان برب العالمين؛ إذ لا يصح إيمان برب العالمين إلا بعد الكفر بالطاغوت، كما قال تعالى:
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل:36. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ

بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة:256.

﴿فَاسْمَعُونَ﴾ : فافهموا مقالي وخطابي جيداً؛ بأني قد آمنت بالله رب العالمين .. وكفرت

بالطواغيت كل الطواغيت التي تعبدونها من دون الله .. فافعلوا ما بدا لكم .. فإني لا أخشاكم .. ولا
أخشى جموعكم ولا عساكركم .. فأنا لا أخشى إلا الله.

فوثبوا عليه وثبة رجل واحد .. يملؤ نفوسهم الحقد والكراهية .. والعداوة والبغضاء .. فضربوه
.. ورجموه .. وحرّقوه .. ووطئوه بأقدامهم .. وتفننوا في تعذيبه .. حتى قيل أن أمعاه قد خرجت من دبره
.. ولم يكن له أحد يُدافع أو يمنع عنه .. حتى قتلوه رحمه الله.

الكل من حوله فرح بموته .. والكل منهم لا ينسى حظّه من اللطم .. والشتم .. والرّقس .. حتى
بعد موته .. عسى أن يشفي بعض ما في نفسه من غلٍّ وحقد على دين الله وأتباعه .. بينما جند الله في
السماء .. كانوا في أشد الشوق إليه .. ليحتفوا به بطريقتهم .. ويفرحوا بحياته من جديد .. وبقدومه
عليهم كشهيد.

فلما مات .. وخرجت الروح من جسدها إلى بارئها .. وتلقته الملائكة فرحين ومُبشرين .. قيل له

مباشرة ، وفي الحال:

وَجَاءَ رَجُلٌ يَسْقَى

﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ : لينعم بنعيمها وخيراتها وملذاتها .. جزاء إيمانه، وجهاده، ونصحه لقومه، وصبره على البلاء .. فلما رأى ما هو فيه من النعيم والخيرات والمسرات .. بينما قومه لا يزالون . كالكلاب المسعورة . مندشغلين بالانتقام من جسده الطاهر .. قال:

﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ، ما أنا فيه، وما هم فيه .. ما أنا فيه من النعيم المقيم .. وما هم فيه من الشقاء والضلال المبين .. والانشغال بالاعتداء على جسدي!

ثم يا ليتهم يعلمون:

﴿بِمَا غَفَر لِي رَبِّي﴾ : ذنب الذي كان مني قبل أن أتبع المرسلين، الذي لومت عليه لكنت من الهالكين الخاسرين، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَكْرَمِينَ﴾ : فأكرمني بالمقامات العالية .. بالمسرات والخيرات .. والعطاء الجزيل .. فإنهم لو علموا ذلك عسى أن يهتدوا .. ويؤمنوا .. ويقلعوا عن شركهم وضلالهم .. فنصح قومه حياً .. وبعد مماته .. رحمه الله، وغفر له .. وزاده شرفاً وتكريماً.

مصداق ذلك في كتاب الله، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران:169. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة:154.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1427/05/17هـ

2006/06/13م

الشيعة الروافض .. والقضية الفلسطينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

من المفارقات التي تستدعي التنبيه، وحسن التفسير موقف الشيعة الروافض . ممثلين بدولة إيران الصفوية التي ترعى وتدعم جميع حركات التشيع في العالم . من قضايا المسلمين الهامة، وعلى رأسها قضية فلسطين بكل أبعادها .. وبخاصة أن كثيراً من عوام المسلمين بل ومثقفهم .. نجدهم ينساقون وراء العواطف، والشعارات البراقة، من دون الالتفات إلى حقائق الأمور، ومراميها!

من جهة نجد الشيعة الروافض .. قد وقفوا . ولا يزالون . مع الغزاة الصهائنة والأمريكان وحلفائهم ضد المسلمين في أفغانستان .. وتأمروا معهم . بكل ما تعني كلمة التآمر . لإسقاط دولة الطالبان .. التي كانت تمثل أكثر 95% من مسلمي أفغانستان .. لا لسبب؛ سوى أن هذه الدولة سنية .. تمثل شعباً مسلماً سنياً!

نجدهم قد وقفوا . أي الشيعة الروافض .. ولا يزالون . بكل ما أوتوا من قوة وتقية ودهاء مع الغزاة الصهائنة والأمريكان وحلفائهم .. على غزو العراق .. وعلى تدمير العراق .. ونهب العراق .. وقتل مسلمي أهل العراق .. وانتهاك أعراض وحرمات المسلمين العراقيين .. وتدمير مساجد العراق .. حتى أن الذين يُقتلون من المسلمين العراقيين على أيدي الشيعة الروافض .. وبتوجيه من الشيعة الروافض؛ وبخاصة شيعة وروافض الدولة الصفوية الإيرانية .. أكثر بكثير من الذين يُقتلون على أيدي الغزاة المعتدين .. ففي فرصتهم للانتقام التي كانوا ينتظرونها بفارغ من التقية والصبر منذ أكثر من ألف ومائتي سنة!

قُتل وذُبح عشرات الآلاف من مسلمي البوسنة والهرسك .. ومن مسلمي الشيشان .. على أيدي الصليبيين .. فلم يُحركوا ساكناً .. بل ولم يعترضوا .. والسبب أن الضحية من أهل السنة .. دمهم حلال! قامت عشرات الحركات الجهادية الجادة في البلاد العربية .. والعالم الإسلامي .. ومع ذلك لم يجدوا من الدولة الصفوية ورعاياها من الشيعة الروافض في العالم .. سوى الكيد .. والخيانة .. والغدر .. والتآمر .. والسبب يعرفه الجميع .. وهو أنها حركات جهادية سنية!

الشيعة الروافض .. والقضية الفلسطينية

تاريخ الشيعة الروافض كله: القديم والحديث منه .. يحكي حقيقة واحدة .. وهي أنهم كانوا . ولا

يزالون . مع الغزاة أعداء الأمة .. على الأمة وأبنائها .. ودينها!

وفي المقابل من الجهة الأخرى نجد خطابهم الموجه للفلسطينيين والخاص بالقضية الفلسطينية

.. يغلب عليه الحماس .. والوطنيات .. ولغة التحدي .. للغزاة الصهاينة اليهود!

حقاً إنه موقف مريب .. ومشكل على كثير من الأفهام .. فما الذي حمل . ويحمل . الشيعة

الروافض .. على هذا التناقض .. والتذبذب .. والتباين في المواقف .. فمن قمة العمالة والخيانة والتآمر

.. والحد على الأمة ودينها .. إلى قمة الحماسة .. والوطنية .. والتحدي والتعاطف .. إذا ما اقترب خطابهم

من القضية الفلسطينية[1]؟!

أقول وبكل صراحة ووضوح: هي الرغبة الجامحة . القديمة الجديدة . لدى الشيعة الروافض

ممثلين في دولتهم الصفوية إيران على نشر المذهب الشيعي الرافضي في أوساط المسلمين .. وعلى تشييع

المنطقة العربية والإسلامية برمتها .. ليسهل عليهم فيما بعد هدم الدين .. والتحكم في المنطقة وأهلها

وثرواتها .. كيفما يشاؤون .. ويهوون .. وفي الاتجاه الذي يريدون .. فإذا تشيَّعت المنطقة .. وتحقق ولاء

الناس فيها لإيران .. سهل الهيمنة عليها ولا بد .. ولا أدل على ذلك مما يحصل الآن في العراق: فلما

تشيَّعت غالب الطبقة الحاكمة والمتنفذة في العراق .. مهدوا مباشرة لتواجد النفوذ الإيراني الكبير على

الساحة العراقية .. وبصورة تسمح لإيران أن تتدخل في الصغيرة والكبيرة مما يجري على الساحة

العراقية!

هذا الهدف بالنسبة لهم .. هو غاية الغايات الذي يرخص في سبيله كل غالٍ ونفيس .. وهو الذي

يحدد معالم السياسة الخارجية للدولة الإيرانية الصفوية .. قد تكون هناك أهداف أخرى ثانوية

¹ مع التنبيه أن الشيعة الروافض في لبنان بقيادة منظمة أمل الشيعية بإيعاز من النظام النصيري الحاكم في سورية

وبالتحالف معه في أوائل الثمانينات . وقبل أن يوجد حزب الله وتبلور سياسة إيران الخارجية . قد ساموا الفلسطينيين

في مخيماتهم في لبنان التقتيل والعذاب والحصار .. وارتكبوا بحقهم المجازر التي تضاهي مجازر الصهاينة اليهود في صبرا

وشتاتيل .. ربما هذا السبب هو الذي حمل إيران على أن لا تتعامل مع منظمة أمل الشيعية مباشرة وأن تستخرج من

رحمها حزب الله .. لتعتمد عليه كتنظيم جديد في سياستها في لبنان وفلسطين ومنطقة الشرق الأوسط .. وحتى لا تجد

حرجاً وتعارضاً بين الممارسة والماضي المخزي والمخجل القريب!

الشيعة الروافض .. والقضية الفلسطينية

ومرحلية . تشغل كثيراً من المراقبين فيُطيلون الوقوف عليها، والنظر إليها تحليلاً وتفسيراً دون غيرها! .
لكن كلها تصب في خدمة الغاية الأعظم والأكبر ألا وهي تشييع العالم العربي والإسلامي .. وعلى جميع
المستويات .. ومن ثم الهيمنة عليه!

كيف ..!؟

أقول: أدركت إيران ومعها الشيعة الروافض في جميع أمصارهم وتواجدهم .. أهمية القضية
الفلسطينية بالنسبة للمسلمين .. ومكانتها العالية في قلوبهم .. وكيف أن قلوبهم تهفو وتميل نحو كل من
يوجه سهماً نحو الغزاة من الصهاينة اليهود .. أو يخدم القضية الفلسطينية .. ولو حتى بمجرد الشعارات
والبيانات .. وقليل من الدرهمات!

كم من طاغية هتفت الشعوب باسمه وحياته .. لما هتف الطاغية . وهو كذوب . بتحريف فلسطين
.. وإعادة الحقوق المغتصبة لأهلها .. والأمة لم تتنبه له ولخداعه وكذبه إلا بعد حين .. وبعد فوات الأوان!
أدرك الشيعة الروافض ذلك .. وأدركوا أن بوابتهم إلى قلوب المسلمين في العالم كله .. ومن ثم
تشييعهم والهيمنة عليهم وعلى بلادهم .. هي فلسطين .. والقضية الفلسطينية .. واللعب على وتر الانتصار
للفلسطينيين وقضيتهم .. وأدركوا أن من يتظاهر بالانتصار للقضية الفلسطينية . ولو كان كاذباً . يُغفر له
عند الشعوب ما تقدم من ذنبه وطغيانه .. وتأميره .. وخياناته .. مهما عظمت وكبرت .. وما أكثر تأمر
الشيعة الروافض على الأمة ودينها ومصالحها . وقد تقدمت الإشارة إلى ذكر بعضها . وما أحوجهم لعمل
يُكفّر عنهم سيئاتهم وطغيانهم وخياناتهم وكفرهم عند الناس .. ويواري سوءاتهم وطغيانهم وظلمهم
وعمالهم وكفرهم عن أعين الناس .. فالقضية الفلسطينية .. والتباكي عليها .. والمتاجرة بها .. خير دعاية
لترويج أي شخص أو أي جماعة أو حزب .. أو نظام .. أو منهج أو فكر على الناس .. مهما كان هذا الفكر
أو النظام باطلاً .. ومهما تعاظم انحراف أصحابه!

لأجل ذلك كله نجد الشيعة الروافض، ومنذ أن قامت دولتهم الرافضية الخمينية في إيران
يُغازلون القضية الفلسطينية .. ويضربون على وتر نصرة وتأييد الشعب الفلسطيني في صراعه مع
المحتلين من الصهاينة اليهود .. ويمدون أحياناً يد العون لبعض الفصائل الفلسطينية .. ويوجهون بين
الفينة والأخرى رسائل تحدي للصهاينة الغزاة .. بل قد زرعوا في لبنان حزباً بكامله . يُسمى زوراً حزب الله

الشيعة الروافض .. والقضية الفلسطينية

.. خصصوا له من الدعم والأموال ما يكفي لميزانية دولة بكاملها . ليقوم بهذا الدور المشبوه والمريب ..
ويُمارس هذه الدعاية المكثفة للشيعة والتشيع في المنطقة .. وقد نجحوا وللأسف . إلى حدٍ كبير . في
مخططهم ونهجهم هذا!

كيف ..!؟

أقول: من خلال هذا الأسلوب الدعائي .. وهذا النهج الباطني المريب الأتف الذكر الذي ينتهجه
الشيعة الروافض ممثلين في دولتهم إيران .. وعينهم الساهرة النشطة في لبنان والممثلة في حزب الله .. ها
قد بتنا نسمع عن تشكيل ووجود جماعة شيوعية رافضية في فلسطين .. ومن أبناء فلسطين .. يقولون
بقول الشيعة الروافض في أمهات المؤمنين .. وفي الصحابة .. وفي القرآن والسنة!

ها نحن نجد آلاف الفلسطينيين يهتفون باسم زعيم حزب الله اللبناني حسن نصر الله .. وباسم
إيران .. وآيات وأحبار ورهبان إيران .. وتُرفع صورهم على الصدور .. وهذا إنجاز كبير بالنسبة لقادة
وأحبار التشيع والرفض!

كذلك بتنا نرى في الشارع السني على امتداد العالم الإسلامي .. من يهتف باسم " حسن نصر الله
" واسم قادة وآيات إيران .. وهذا لا شك أنه يُعد إنجازاً كبيراً وفق المقاييس الشيوعية الإيرانية!

وكذلك بتنا نجد من المسلمين ومن مثقفهم .. من لا يقبل أي طعن أو تشكيك في الشيعة
الروافض .. لكونهم يتحدون الصهاينة اليهود .. مع علمهم أن أصولهم تقوم على مبدأ هدم الدين وعلى
مبدأ العمالة ضد الأمة ومصالحها .. ومنهم من تجاوز فنادى بضرورة السير تحت راية وزعامة حزب الله
الرافضي .. وآيات وأحبار إيران .. وهذا إنجاز كبير جداً وفق المقاييس الشيوعية الإيرانية!

إذاً القوم قد نجحوا إلى حدٍ كبير فيما يصبون إليه .. ويخططون له .. كان من آخر حركاتهم
الدعائية هذه .. ما افتعله حزب الله الرافضي مؤخراً في لبنان .. وعلى حدود فلسطين .. مع الغزاة
الصهاينة اليهود!

فما الذي حصل .. وما الغاية مما قد حصل؟

هذا سؤال لا بد من أن نجيب عنه .. لأن الناس قد ذهبوا في الجواب عنه مذاهب عدة .. أكثرهم

لم يقترب . أو لم يتجرأ على الاقتراب . من الحقيقة!

الشيعة الروافض .. والقضية الفلسطينية

أقول: الكل يعلم حصار الصهاينة اليهود لمدينة غزة المرابطة المجاهدة .. بعد سلسلة من عمليات الهدم والاعتقالات التي مارسها العدو الصهيوني ضد أهلنا في فلسطين .. والتي منها قتل عائلة بكامله على شواطئ غزة .. ومن ثم اشتداد معاناة أهل غزة بسبب الحصار الصهيوني عليهم .. وممارساته العدوانية الإجرامية ضدهم .. مع تخلف الأنظمة العربية الخائنة العميلة عن نصرتهم ونجدتهم .. مما جعل الشارع العربي والإسلامي يغلي لما يحصل لأهلنا في غزة بخاصة وفلسطين بعامة .. وهو شعور طيب ومحمود وهو أضعف الإيمان .. في هذه الظروف العصيبة .. التي يبحث فيها الجميع عن سبيل مهما كان ضئيلاً لدعم الفلسطينيين في غزة وغيرها .. والكل يمتلئ نقمة على الأنظمة العربية وبخاصة منها أنظمة الطوق التي تلعب دور كلب الحراسة الوفي لدولة الصهاينة اليهود .. في هذه الأجواء المليئة بالحقن والسخط على الواقع .. أوحى إيران لعملائها في حزب الله بأن يفجروا عملياتهم التي تم فيها أسر جنديين من جنود الصهاينة اليهود .. والتي كانوا ربما يعدون لها منذ زمن طويل .. لكن ينتظرون الأجواء المناسبة التي تحقق لهم الدعاية للتشيع بأكبر قدر ممكن .. فلم يجدوا وقتاً ولا ظرفاً مناسباً لذلك أكثر من هذه الأجواء الأنفة الذكر .. فحصل الذي حصل .. ورافق العملية التي سموها " بالوعد الصادق! " دعاية مكثفة للشيعة الروافض .. ولقادة وأخبار وآيات التشيع والرفض .. وبخاصة منها الإيرانية .. مما أشعرنا أن العملية .. غرضها الأكبر هو الدعاية للتشيع والرفض .. ولو كان ذلك على حساب لبنان وبناءه التحتية .. وشعب لبنان كله!

ثم البيانات التي أذاعها زعيم حزب الله اللبناني .. وما رافقها من عمل دعائي لشخصه وحزبه .. ودولته إيران .. والمفاجآت التي وعد بها الناس! .. وطريقته في إدارة المعركة . إلى ساعة كتابة هذه الكلمات . والخسائر التي نزلت في الطرفين: الطرف اللبناني أرضاً وشعباً وما أفدحها .. والطرف الإسرائيلي الصهيوني .. وما أقل خسائره .. قياساً لحجم المعركة الدائرة، وحجم ونوعية ما يمتلكه حزب الله من سلاح .. كل ذلك يؤكد أن الغرض الأكبر من هذه العملية هو الدعاية للشيعة الروافض .. ولأخبارهم ورهبانهم وآياتهم في إيران!

حزب الله اللبناني يُطالب الشعب اللبناني بكل أطرافه وتجمعاته .. بأن يُشاركوه في تحمل المعاناة .. وأن يصبروا على القصف والتدمير الذي حل بهم وبديارهم وجميع مؤسساتهم .. لكن يمنعهم أشد

الشيعة الروافض .. والقضية الفلسطينية

الممانعة من أن يُشاركوه في الجهاد ضد الصهاينة الغزاة .. وفي تحمل مسؤولياتهم في عملية المواجهة مع الصهاينة اليهود .. لأن في مشاركتهم له في هذا الشرف .. سيقبل من قيمة الدعاية للشيعة الروافض .. ولأخبارهم وآياتهم في إيران .. ومن ثم سيمنع قادة إيران من التحكم والإنفراد بإدارة الصراع على الجبهة اللبنانية الفلسطينية .. وفق أجندتهم وسياساتهم ومخططاتهم الخاصة بهم .. هذا هو السبب الأكبر من منع حزب الله لأي فصيل آخر وبخاصة إن كان إسلامياً .. من أن يُشاركه في عملية المواجهة والمقاومة .. والجهاد ضد الصهاينة الغزاة المعتدين!

لذا من حقنا أن نفسر كل عمل . ظاهره حق . تقوم به إيران الصفوية أو ولدها المدلل حزب الله اللبناني . وبخاصة فيما يتعلق بالوضع في فلسطين والقضية الفلسطينية برمتهما . على أنه عمل دعائي للشيعة الروافض ولأخبارهم وآياتهم .. لا يمكن أن يخرج عن كونه عملاً دعائياً .. فمن أدرك هذا المعنى سهل عليه فهم مواقف الشيعة الروافض .. وفهم تناقضاتهم .. وتذبذباتهم .. ومزاوداتهم .. ووطنياتهم المزيفة .. والغاية من ورائها!

لا نلوم أهلنا وإخواننا في فلسطين على فرحهم وطربهم لكل قذيفة أو صاروخ ينزل بساحة الصهاينة الغزاة المعتدين .. بل نحن نشاركهم الفرح .. وليس لنا إلا أن نفرح لكل نكايه تنزل بساحة الصهاينة اليهود المعتدين .. سواء كانت هذه النكايه بسبب كوني أو على أيدي البشر .. لكن هذا الفرح .. لا ينبغي أن يمنعنا من أن نحسن تفسير الأمور .. ونحسن النظر إلى مراميها وأهدافها القريبة والبعيدة .. الباطنة منها والظاهرة .. كما لا يبرر لنا أن يحملنا على موالاته الطغاة الظالمين .. وأن نتحول إلى مشروع دعائي لأهدافهم ومشاريعهم الباطلة الخبيثة الهدامة!

وفي الختام أود أن أخاطب أمريكا وإدارتها الصليبية الصهيونية التي تحمي وترعى دولة إسرائيل .. والتي تضي عليها وعلى جرائمها وإرهابها الشرعية والقانونية .. وتوجد لها المبررات والمسوغات على ارتكاب المزيد من الجرائم بحق الشعبين الفلسطيني واللبناني .. نقول لها: لما هُدمت بعض مباني نيويورك في 9/11 .. أقمتم الدنيا ولم تقعدوها .. وعددتكم ذلك من الإرهاب الذي يبرر لكم غزو البلاد .. وانتهاك الحرمات .. فهذا الذي تفعله إسرائيل اليوم . بدعم منكم . من قتل للأطفال والنساء والشيخوخ .. وتدمير لمئات المباني والعمارات على رؤوس أبنائها من الأمنيين المدنيين في لبنان .. وغيرها من البنى التحتية .. ما

الشيعة الروافض .. والقضية الفلسطينية

حكمه .. وفي أي خانة يمكن أن يُصنّف .. في خانة المقاومة أو الدفاع المشروع أم في خانة الإرهاب والإجرام
!؟..

رميكم بحجر . دفاعاً عن النفس والحرمات . هو إرهاب ينبغي استئصاله وتطويره ومحاربه
ومحاصرته .. وتدميركم لمئات المباني بأطنان من القنابل على رؤوس الأبرياء الأمنيين المدنيين دفاع مشروع
ومباح ..!!؟

يتضايق البعض عندما نصف أمريكا بأنها راعية وحامية الإرهاب في العالم .. وأنها تمارس قمة
الإرهاب والإجرام .. بزعم محاربة ومطاردة الإرهاب .. وأحياناً بلا زعم!
حقاً إننا في زمانٍ تحكمه شريعة الغاب .. شريعة عوراء لا تحب أن ترى إلا نصف الحقيقة:
النصف الذي يرضيها ويخصها ويكون لها .. دون النصف الآخر الذي يكون عليها .. إنها شريعة أمريكا ..
وشريعة الأمم المتحدة التي تكيل بمكيالين .. بل بعشرات المكايل .. هذا ما سيذكره لكم التاريخ .. وتحكيه
عنكم الأجيال!

واعلموا أن الظلم لا يُباركه الله .. وأن عواقبه على أصحابه وخيمة .. وأن الغلبة والنصر للحق
وأهله، ولو بعد حين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1427/06/23هـ

أبو بصير الطرطوسي

2006/07/19م

فقه الاختلاف عند أهل السنة وأهل البدع

فقه الاختلاف عند أهل السنة وأهل البدع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

. مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:102.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء:1.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ الأحزاب:70-71.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ

بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

اللهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ فاطرَ السموات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكمُ

بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى

صراطٍ مستقيم.

وبعد: فإن الاختلاف وارد في مواضع دون مواضع، وبعضه استساعه الشرع دون بعض، وعالج

غير المستساع منه بطريقة محكمة راقية حاسمة .. وكالعادة فإن أهل البدع والأهواء الذين يحومون

حول الحمى والشبهات، وفي كثير من الأحيان يقعون فيها .. لا يُوفرون فرصة إلا ويغتنمونها لصالح أهوائهم

ومآربهم .. ولا يدعون ثغرة يقدرّون على أن يمرروا من خلالها شبهاتهم وأهواءهم، وأغراضهم .. إلا

وسلكوها وغاصوا في أنفاقها والتواآتها .. من ذلك استغلالهم الخاطئ والمريب للمساحة المحددة من

الاختلاف الوارد بين علماء الأمة والمستساع شرعاً!

فِئَةُ الْاِخْتِلَافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ

مثلهم في كتاب الله تعالى، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾

آل عمران:7. أي ابتغاء تحريف التنزيل عن مراد منزله ليفتنوا الناس عن دينهم الحق!

لا يتورعون أن يضرّبوا نصوص الكتاب والسنة بعضها مع بعض، ويُعارضوا بعضها ببعض ابتغاء الفتنة والتحريف .. وابتغاء تمرير أهوائهم وضلالاتهم وبدعهم .. ليحسبهم الجاهل على شيء، وهم ليسوا على شيء!

ومن جهة أخرى فإن بعض الكتّاب والدعاة المعاصرين المصايين بلوثة الديمقراطية المعاصرة .. قد تناولوا موضوع الاختلاف في الإسلام بطريقة لا تخلو من مأخذ .. وفي كثير من الأحيان ترضي الفرق الضالة الهالكة على حساب الحق .. والتوحيد .. على مبدأ ساحة الاختلاف في الإسلام تسع الجميع .. وأن الاختلاف فيما بين الفرق .. يثري الفكر والثقافة .. لا ينبغي أن يفسد الود فيما بين المسلمين .. فوسعوا ما ينبغي تضيقه، وضيقوا ما ينبغي توسيعه .. وجمّعوا ووحّدوا حيث ينبغي التفريق .. وفرّقوا حيث ينبغي التجمّع والتّوحد!

لذا وجدت نفسي مُلزمًا في أن أكتب حول هذا الموضوع .. وأن أجيب عن بعض المسائل ذات العلاقة بموضوع الاختلاف، ونظرة الإسلام إلى الاختلاف والمختلفين: معنى الاختلاف، ما هي أسبابه، وما هو موقف الإسلام منه؛ كيف يُعالجه ويتعامل معه، وما هو القدر المُستساغ منه شرعاً .. والقدر غير المُستساغ .. ومن ثم كيف تم استغلال فقه الاختلاف أو هذا القدر المُستساغ من الاختلاف شرعاً من قبل أهل الأهواء والبدع استغلالاً هابطاً مريباً .. وغيرها من المسائل ذات العلاقة بالموضوع .. كل ذلك سنجهده . بإذن الله تعالى . أن نجيب عنه في هذا المبحث الهام الوجيز، الذي أسميته "فقه الاختلاف عند أهل السنّة وأهل البدع"، راجياً من الله تعالى السداد والتوفيق والقبول .. إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلّى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم.

فِهُوَ الاختلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

. **معنى الاختلاف:** الاختلاف ضد الاتفاق؛ وفلان اختلف مع فلان أي لم يتفق معه، وكان لكلٍ

منهما رأيه المخالف والمغاير لرأي الآخر فيما اختلفا فيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ اختلفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ البقرة:253.

ولما كان الاختلاف يحمل المختلفين على التنازع والتجادل فيما اختلفوا فيه . وهذا قد يؤدي إلى التفرُّق في الدين .. وإلى تفريق الصف والكلمة وضعف الشوكة . أمروا بأن يردوا منازعاتهم وما اختلفوا فيه إلى الله والرسول ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ النساء:59. وقال تعالى: ﴿وَمَا اختلفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الشورى:10.

وفي المفردات للأصفهاني: الاختلاف والمخالفة أن يأخذ كلُّ واحدٍ طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله. ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى: ﴿فاختلف الأحزاب .. ولا يزالون مختلفين .. الذي هم فيه مختلفون .. إنكم لفي قولٍ مختلفٍ .. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات .. فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنه .. وما اختلفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ .. فأحكم بينكم فيما كنْتُمْ فِيهِ تختلفون﴾

- هـ

. نظرة الإسلام إلى الاختلاف:

تنقسم نظرة الإسلام إلى الاختلاف إلى أربعة أقسام:

الأول: ما يُعرف باختلاف التنوع؛ وهو أن يكون في المسألة الواحدة قولان مختلفان أو أكثر كلها مشروعة ومباحة قد أجازها الشرع، وترك للمرء حرية أن يختار ما يشاء منها، مثال ذلك: أدعية استفتاح الصلاة؛ فقد وردت عدة أدعية وصيغ مختلفة تُستفتح بها الصلاة، ولك أن تستفتح صلاتك بالدعاء الذي تشاء من تلك الأدعية المأثورة الثابتة .. فهذا من اختلاف التنوع لا التضاد، لا حرج فيه. ونحو ذلك صيغ الأذكار والأدعية المتعددة والمختلفة في الركوع .. فلك أن تختار واحدة من تلك الصيغ الثابتة وتدعو الله تعالى بها .. فهذا من اختلاف التنوع لا التضاد، لا مشاحة فيه ولا تنازع بين أهل العلم.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

وكذلك في السجود فقد ثبتت صيغ عدة من الأذكار والأدعية .. فلك أن تختار منها ما تشاء وتدعو الله تعالى بها .. ونحو ذلك صيغ التشهد المتباينة عند القعدة وبعد كل ركعتين .. وقبل التسليم .. فلك أن تختار منها ما تشاء .. فهذا مما لا حرج فيه لثبوت فعل ذلك عن النبي ﷺ .. وكذلك كفارة من يخل بشروط الإحرام لضرورة، كما في الحديث عن كعب بن عجرة أن رسول الله ﷺ مرَّ به زمن الحديبية فقال: "قد آذاك هوامُّ رأسك"؟ قال: نعم، فقال النبي ﷺ: "أحلق ثم اذبح شاةً نُسكاً، أو صم ثلاثة أيام، أو أطعم ثلاثة أصعٍ من تمرٍ على ستة مساكين" متفق عليه. وفي رواية عند أبي داود: "إن شئت فانسك نسيسة، وإن شئت فصم ثلاثة أيام، وإن شئت فأطعم ثلاثة أصعٍ من تمرٍ لسته مساكين". فهذا من اختلاف التنوع الذي لا حرج فيه للمرء أن يختار منها ما يشاء، وما يناسبه.

ونحو ذلك الصيام في السفر من غير ضرر ولا حرج ولا مشقة فمن شاء صام فله ذلك، ومن شاء أفطر فله ذلك، ومن صام لا يجوز له أن يُعيب على من أفطر، ومن أفطر لا يجوز له أن يُعيب أو ينكر على من صام، كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري ؓ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ لستَ عشرةً مضت من رمضان، فمنا من صام، ومنا من أفطر، فلم يُعَب الصائمُ على المُفطر، ولا المُفطر على الصائم" مسلم.

قلت: ولكن إذا ترتب على السفر ضرر أو مشقة وحرج يكون حينئذٍ الإفطار هو الأولى، وفي حالات قد يتعين الإفطار ويصبح واجباً؛ إذ لا ضرر ولا ضرار.

فالأمثلة على اختلاف التنوع كثيرة يكفي منها ما تقدم ذكره؛ لأن الغرض هنا التمثيل والتوضيح لا الحصر والاستقصاء .. وبيان أن هذا النوع من الاختلاف يجب أن يلغى القبول؛ إذ لا يجوز أن يثير أدنى تنازع أو تفرق أو اختلاف بين المسلمين.

ويُقال كذلك: أن من اختلاف التنوع ما يكون بعضه أفضل من بعض، فهو يدور بين الفاضل والمفضول لا إثم ولا وزر فيه؛ مثال ذلك: صلاة المرأة في المسجد؛ حيث يجوز لها أن تصلي في المسجد لكن صلاتها في بيتها أفضل .. ونحو ذلك حجها؛ فلو كشفت عن وجهها وكفها جائز، فلهذا ذلك، لكن الأفضل . في مواضع وظروف . أن تنتقب أو تغطي وجهها وكفها .. كذلك الحلق أو التقصير للحاج أو المعتمر؛ فالتقصير جائز لا حرج فيه لكن الأفضل منه الحلق .. ونحو ذلك تقديم بعض المناسك يوم

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

النحر على بعض جائز لا حرج فيه .. لكن الأفضل الترتيب: رمي جمرة العقبة، ثم الذبح، ثم الحلق، ثم طواف الإفاضة .. وكذلك عندما يرد نص واحد يحتمل معنيين: أحدهما راجح والآخر مرجوح .. كما في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "نادى فينا رسولُ الله ﷺ يوم انصرف من الأحزاب أن لا يُصلينَّ أحدُ الظهرِ إلا في بني قُريظة. فتخوفَ ناسٌ فوَّتَ الوقت؛ فصلوا دون بني قُريظة، وقال آخرون: لا نُصلي إلا حيثُ أمرنا رسولُ الله ﷺ، وإن فاتنا الوقت، قال: فما عَنَّفَ واحداً من الفريقين" مسلم. وذلك لأن النص يحتمل المعنيين والفهمين، وإن كان اختيار الفريق الذي صلى دون بني قريظة خشية فوت الوقت كان الأرجح والأصوب. كما يقول شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم. وكلاهما خير.

ونحو ذلك الحديث الذي أخرجه أبو داود بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رجلان في سفر، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء، فتيما صعيداً طيباً، ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء، ولم يُعد الآخر، ثم أتيا رسولَ الله ﷺ فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يُعد: "أصببت السنة، وأجزأتك صلاتك"، وقال للذي توضعاً وأعاد: "لك الأجر مرتين" [1]. دل حديث النبي ﷺ أن كلا الفعلين جائزان، لكن الأصوب منهما والأقرب للسنة اختيار الذي لم يُعد صلاته.

فالأمثلة على هذا النوع من الاختلاف كثيرة .. والشاهد هنا أن هذا النوع من الاختلاف كذلك يجب أن يلحق القبول؛ إذ لا يجوز أن يُثير بين المسلمين أدنى اختلاف أو تنازع .. أو يكون سبباً للبغي .. وإن كان للنصح مورد في هذا الموضع فيكون في أعلى درجات الرفق. من دون ترفعٍ على المنصوح أو احتقارٍ له. مع ضرورة بيان أن ما يفعله المنصوح جائز وله أجر فيه وهو حق ولكن الأفضل والأكمل منه كذا .. وكذا.

قال ابن تيمية في الاقتضاء: اختلاف التنوع على وجوه: منه ما يكون كل واحدٍ من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً؛ كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم رسول الله ﷺ عن الاختلاف، وقال: "كلاكما مُحسِن". ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنابة، إلى غير ذلك مما قد شرع جميعه، وإن

¹ صحيح سنن أبي داود: 327.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

كان قد يُقال: إن بعض أنواعه أفضل .. ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها، ونحو ذلك، وهذا عين المحرم.

ومنه ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك، ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقاتلين وذم الأخرى.

ومنه ما يكون المعنيان غيرين لكن لا يتنافيان؛ فهذا قول صحيح وهذا قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنازعات جداً.

ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان، ورجل أو قوم سلكوا هذه الطريق، وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكلاهما حسنٌ في الدين، ثم الجهل أو الظلم يحمل على ذم إحداهما أو تفضيلها بلا قصد صالح، أو بلا علم، أو بلا نية وبلا علم.

وهذا القسم . الذي سميناه اختلاف التنوع . كل واحدٍ من المختلفين مصيب فيه بلا تردد، لكن الذم واقعٌ على من بغى على الآخر فيه ا- هـ.

الثاني: اختلاف تضاد في الفروع: ونعني بالفروع؛ المسائل الفقهية العملية، وهذا النوع من

الاختلاف واسع الانتشار بين أهل العلم، والأمثلة عليه كثيرة جداً . يدركه المرء عند أدنى اطلاع على اجتهادات الأئمة وعلماء المذاهب الأربعة . إلا أن الحقَّ فيه واحد لا يتعدد .. وما سواه فهو باطل.

ماذا يعني ذلك .. وما هي أسباب هذا النوع من الاختلاف .. ثم كيف يُحسَم .. وما هو موقف

الإسلام ممن أخطأوا في اجتهاداتهم ومذاهبهم .. هذه أسئلة لا شك أنها تراود القارئ ..

لذا لا بد من الإجابة عنها، والله المستعان.

أمَّا ماذا يعني ذلك .. فإنه يعني أن على المرء أن يتحرى الحق ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . من

خلال البحث والسؤال . فيما اختلف فيه .. ليتدين به؛ إذ لا يجوز له أن يتدين بأي قول شاء من أقوال أهل العلم .. من دون أن يطمئن قلبه أن هذا القول الذي تدين به هو الحق الذي يرضاه الله تعالى ورسوله، ودلت عليه نصوص الكتاب والسنة؛ لأن الخطأ وارد بحقهم .. فكلُّ يُخطئ ويصيب .. يُؤخذ منه

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

ويُرد عدا النبي ﷺ .. والخطأ مردود لا يجوز التدين به بأي حال من الأحوال؛ أيّاً كان نوعه وكان صاحبه، لقوله ﷺ: "من عملَ عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" مسلم.

والقول بأن للمرء أن يتدين بأي قولٍ من أقوال أهل العلم .. سواء وافق الحق أم خالفه .. وسواء علم أنه موافق للحق أم لم يعلم .. قول باطل مؤداه إباحة أن يتحرى المرء زلات أهل العلم فيشكل منها مذهباً غريباً عجيبيّاً .. وقد صدق من قال: من تتبّع زلات أهل العلم فتدين بها فقد تزندق!

أمّا ما هي أسباب هذا النوع من الاختلاف ..؟

أقول: أسباب هذا النوع من الاختلاف بين أهل العلم عديدة منها المعترف، ومنها غير معترف.

الأسباب المعترفة: منها، عدم بلوغ الحديث فيما اختُلف فيه؛ فليس كل عالم قد أحاط علماً

بمجموع ما هو ثابت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو إقرار .. ومن لم يبلغه الحديث فيما اختُلف فيه قد يفتي بخلافه وهو لا يعلم.

قال ابن تيمية في كتابه القيم رفع الملام: فإن الإحاطة بحديث رسول الله ﷺ لم تكن لأحدٍ من

الأمّة، وقد كان النبي ﷺ يُحدث أو يفتي أو يقضي، أو يفعل الشيء، فيسمعه أو يراه من يكون حاضراً،

ويُبلغه أولئك . أو بعضهم . لمن يبلغونه، فينتهي علم ذلك إلى من شاء الله تعالى من العلماء من الصحابة

والتابعين ومن بعدهم .. ثم في مجلس آخر قد يُحدث أو يفتي أو يقضي أو يفعل شيئاً، ويشهده بعض من

كان غائباً عن ذلك المجلس ويبلغونه لمن أمكنهم، فيكون عند هؤلاء من العلماء ما ليس عند هؤلاء،

وعند هؤلاء ما ليس عند هؤلاء .. وأما إحاطة واحد بجميع حديث رسول الله ﷺ فهذا لا يمكن ادعاؤه

قط .. فمن اعتقد أن كل حديث صحيح قد بلغ كل واحدٍ من الأئمّة أو إماماً معيناً فهو مخطئ خطأ

فاحشاً قبيحاً ا- هـ.

ومنها: أن يكون الحديث قد بلغ العالم لكن لم يصح ولم يثبت عنده لقواعد حديثية معتبرة

يعتمدها في التصحيح والتضعيف .. فيضعّف ما صحّ عند غيره، أو يصحّح ما هو ضعيف عند غيره.

ومنها: أن يكون الحديث قد بلغه وقد ثبت عنده، لكن مع مرور الزمن ينساه .. وهذا وارد بحق

أهل العلم.

فقه الاختلاف عند أهل السنة وأهل البدع

ومنها: **عدم دراية العالم بدلالة الغريب والمشكل من الحديث ..** والتي قد يختلف العلماء في تفسيرها وتأويلها.

ومنها: **اعتقاد العالم بأن ليس في الحديث دلالة صريحة على ما اختلّف فيه ..** كأن يكون له من الأصول والقواعد ما يرد به تلك الدلالة .. أو اعتقاده بأن دلالة هذا الحديث ليست مرادة بدلالة أحاديث ونصوص أخرى تخالفها .. أو اعتقاده بأن الحديث متشابه معارض للمحكم الذي هو أقوى منه في الدلالة والوضوح؛ فيحمله ذلك على التأويل أو القول بالنسخ ونحو ذلك .. بخلاف غيره من أهل العلم .. فهذه هي غالب الأسباب المعتبرة شرعاً .. الممكنة الوقوع .. التي بسببها يقع الخلاف بين أهل العلم فيما اختلفوا فيه .. نسأل الله تعالى أن يهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه تعالى يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم^[1].

أما أسباب الاختلاف غير المعتبرة شرعاً فهي عدة أيضاً:

منها: **التعصب لقول المذهب الذي يتمذهب به العالم كالتعصب لمذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم؛** فيحمله التعصب على نصرة قول المذهب في الحق والباطل سواء .. وفيما هو موافق للنص الشرعي وفيما هو مخالف .. وما أكثر الأمثلة والنماذج الدالة على هذا النوع من التعصب لو أردنا الإحصاء .. وما أكثر مسائل الاختلاف بين المسلمين التي مردها إلى هذا التعصب المقيت المذموم! ونحو ذلك تعصب بعض طلبة العلم . قديماً وحديثاً . لشييوخهم ولأقوال شييوخهم .. في الحق والباطل سواء .. فينتصرون لهم ولأقوالهم في الباطل كما ينتصرون لهم في الحق .. فيوسعون ساحة الاختلافات أكثر مما هي واسعة .. وأكثر مما ينبغي!

ومنها: **اتباع الهوى والانتصار له، والاجتهاد على طريقة من يُحاول أن يجعل النص الشرعي تبعاً لهواه وقوله وليس العكس ..** وما أكثر هؤلاء . في زماننا . الذين يطلبون العلم .. ويبحثون في المسائل الشرعية على هذه الطريقة المنحرفة في البحث والطلب!

¹ ما تقدم ذكره من أسباب معتبرة مُستفاد من الكتاب القيم " رفع الملام " لشيخ الإسلام رحمه الله.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

ومنها: **الحسد الذي يحمل صاحبه على البغي والظلم وعدم الإنصاف** .. فيذم ما ينبغي مدحه،

ويمدح ما ينبغي ذمه .. وما يحمله على ذلك سوى الحسد والبغي وطلب الشرف والرئاسة، وإرادة العلو في الأرض بغير حق .. وما أكثر من يفعل ذلك!

قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ﴾ البقرة:213.

وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ﴾ آل عمران:19.

ومنها: **الكبر الذي يحمل صاحبه على احتقار مخالفه ورد ما عنده من حق** .. وحتى لا يُقال فلان

اتبع فلاناً .. أو فلان قد غلب فلاناً في الحجة .. فيقع حينئذٍ الاختلاف المذموم .. ويقع معه التباغض والتدابير!

ومنها: **عندما يرضى أهل الإفتاء أن يكونوا تبعاً للسلطان الحاكم ولسياساته** .. وسنداً لظلمه

وأوضاعه وأوضاع نظامه الفاسدة .. فيسندونها بالفتاوى الخاطئة .. ويتكفون الانتصار لها .. بليّ

النصوص الشرعية عن مرادها .. مرضاة للحاكم .. واستشرافاً لما في يديه من العطاء والمنح . وما أكثر

هؤلاء المفتين في زماننا . فينعكس ذلك على الأمة بمزيد من الاختلاف والتفرق!

ولكي تنجح مهمة هؤلاء المفتين الضالين المضلين .. في إغواء وإضلال الناس .. وترويج سياسة

الأنظمة الفاسدة .. وحماية عروش الطغاة الظالمين .. ويتسع نفوذهم بين الناس .. يقابلهم الحاكم

بإضفاء الأوسمة والألقاب عليهم .. ومنحهم جميع فرص الظهور عبر جميع الوسائل المتاحة التي تملكها

الدولة . وما أوسعها وأكثرها . فالخدمة متبادلة؛ من الطرفين نحو الطرفين .. لكن ما أقل ما يأخذونه من

الحاكم وما أكثر ما يأخذه الحاكم منهم!

وهؤلاء مثلهم في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ

بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ البقرة:159. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ

اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة:174.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

ومثلهم في السنة قوله ﷺ: "إن أخوف ما أخاف على أمتي كلُّ منافقٍ عليم اللسان" [1].
وقوله ﷺ: "اسمعوا؛ هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراءٌ فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم،
وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولستُ منه، وليس بوارِدٍ عليّ الحوض .." [2].
وقوله ﷺ: "أيما رجلٍ أتاه الله علماً فكتمه؛ أجمه الله يومَ القيامةِ بلجامٍ من نارٍ" [3].
وقوله ﷺ: "إنما أخافُ على أمتي الأئمةَ المضلين" [4].

قال الشيخ سليمان آل الشيخ في كتابه تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: قوله: "إنما
أخافُ على أمتي الأئمةَ المضلين"; أي الأمراء والعلماء والعبّاد الذين يقتدي بهم الناس، ويحكمون فيهم
بغير علم فيضلون ويضلون؛ فهم ضالون عن الحق مُضلون لغيرهم، كما قال تعالى عن أهل النار: ﴿حَتَّى
إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ﴾
الأعراف:38. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ الأحزاب:1-67. هـ.

ومنها: **أن يُطلَب العلم لغير الله، ولأي غرضٍ من أغراض الدنيا؛** كأن يُطلَب من أجل المال أو
الوظيفة أو الرياسة أو الزعامة، أو ليصرف إليه وجوه الناس، أو لكي يُقال عنه عالم .. أو ليتخير به
المجالس عند الحكام وذوي الجاه والشرف .. وغير ذلك من الأغراض الدنيوية .. فمن طلب العلم على
هذا النحو أو لغرض من تلك الأغراض .. لا يتورع أن يضع فتاويه حيثما يشاء .. وحيثما يجد الغنيمة
والمكسب .. وحيثما يُطلَب منه ويُدفع له .. وهؤلاء كُثر متوافرون بيننا .. وأثرهم السيء على اختلافات
الأمة في دينها ظاهر ويبيّن لا يمكن خفاؤه!

وهؤلاء مثلهم في السنة قوله ﷺ: "مَنْ تعلم علماً مما يُبتغى به وجهُ الله، لا يتعلمه إلا ليصيب
عرضاً من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة يومَ القيامة" يعني ربحها [5].

¹ أخرجه الطبراني، صحيح الجامع: 239.

² صحيح سنن الترمذي: 3661.

³ أخرجه الطبراني وغيره، صحيح الجامع: 2714.

⁴ صحيح سنن الترمذي: 1817.

⁵ صحيح سنن أبي داود: 3105.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

وقوله ﷺ: "من طلب العلم ليُباهي به العلماء، ويُماري به السُّفهاء، أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار" [1]. وفي رواية: "ولا تخيروا به. أي بالعلم. المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار".

وقال ﷺ: "تعلموا القرآن وسلوا الله به الجنة، قبل أن يتعلمه قومٌ يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة: رجلٌ يُباهي به، ورجلٌ يستأكلُ به، ورجلٌ يقرأه لله" [2]. وما أكثر هؤلاء الذين يستأكلون بالقرآن في هذا الزمان!

وقال ﷺ: "كيف أنتم إذا لبستكم فتنةٌ يهرمُ فيها الكبير، ويربوا فيها الصغير، ويتخذها الناسُ سُنَّةً، إذا ترك منها شيء، قيل: تُرِكَتِ السُّنَّةُ؟! قالوا: ومتى ذاك: قال: إذا ذهبت علماؤكم، وكثرت قراؤكم، وقلَّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلَّت أمناؤكم، والثُمَّسَت الدنيا بعمل الآخرة، ونُفِقَ لغير الدين" [3]. قلت: هذا الحديث يحكي زماننا .. وهو من جملة دلائل نبوة المصطفى ﷺ .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذه غالب الأسباب غير المعتمدة .. والمدمومة شرعاً وعقلاً .. والتي تؤدي إلى مزيد من اختلافات الأمة وتفرقتها في دينها .. لكن هذه الأسباب .. كما ذكرنا .. لا يجوز اعتبارها .. أو إعدار أصحابها .. أو اعتبار نتائجهم .. وما أقدموا عليه من قول أو عمل .. اجتهاداً معتبراً يؤجر صاحبه .. أو يجوز اعتماده أو الالتفات إليه .. لأنه بُني على باطل وفساد .. والرد عليهم وعلى نتائجهم الفاسد من قبل أهل العلم .. يكون من قبيل تحذير الأمة من أقوالهم ومواقفهم وأهوائهم وأخلاقهم .. لا غير!

أَمَّا كَيْفَ يُحَسِّمُ هَذَا النُّوعَ مِنَ الاختِلافِ: أَي اختلاف التضاد في الفروع ..؟

أقول: يُحَسِّمُ كل ما تمَّ فيه الاختلاف والتنازع برد كل ما تمَّ فيه الاختلاف والتنازع إلى الكتاب والسنة، على ضوء فهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

¹ أخرجه ابن ماجه، صحيح الترغيب: 104.

² السلسلة الصحيحة: 258.

³ قال الشيخ ناصر في كتابه قيام رمضان: رواه الدارمي 64/1، بإسنادين أحدهما صحيح والآخر حسن، والحاكم 514/4، وغيرهما.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:59.

فالأية الكريمة تضمنت أموراً عدة:

منها: **وجوب طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ طاعة مطلقة من غير قيد ولا شرط** .. وطاعة أولي الأمر

من المسلمين . وهم العلماء والأمراء . طاعة مقيدة بالمعروف ، وبما ليس فيه معصية لله تعالى .. ولو كانت

طاعة مطلقة لما جاز افتراض حصول التنازع معهم وفيما بينهم.

ومنها: **إمكانية حصول التنازع والاختلاف بين المسلمين** .. وإلا لما جاز افتراض شيء ومن ثم بيان

حله وعلاجه .. ثم هذا الشيء لا يمكن وقوعه وحصوله .. فهذا من العبث .. وكتاب الله تعالى حاشاه

العبث.

ومنها: **وجوب رد أي شيء من شؤون الدين والدنيا يتم فيه الاختلاف والتنازع إلى الله**

وَالرَّسُولِ؛ أي إلى الكتاب والسنة، فقوله تعالى: ﴿فِي شَيْءٍ﴾ ؛ نكرة تفيد العموم؛ أي أي شيء تتنازعون

فيه .. أياً كان نوع هذا التنازع وكانت صفته .. يجب أن تردوه إلى الكتاب والسنة.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الشورى:10. قوله ﴿مِنْ

شَيْءٍ﴾ ؛ نكرة تفيد العموم، أي أي شيء تختلفون فيه من شؤون الدين والدنيا ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ .

ومنها: **تضمن الكتاب والسنة حلاً شافياً لكل ما يمكن أن يتم فيه الاختلاف والتنازع** .. وإلا لما تم

الأمر برد كل ما يتم فيه التنازع والاختلاف إلى الكتاب والسنة .. فتعالى الخالق ﷻ أن يأمر عباده بأن

يردوا منازعاتهم إلى الكتاب والسنة ثم لا يجد المتنازعون حلاً شافياً لمنازعاتهم في الكتاب والسنة.

وهذا المعنى قد أشار إليه النبي ﷺ بقوله: "ما تركتُ شيئاً يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، وما

تركت شيئاً يبعدكم عن الله، ويقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه".

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: تركنا رسولُ الله ﷺ وما طائر يقلبُ جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه

علماً. قال: قال ﷺ: "ما بقي شيء يُقربُ من الجنة ويُبعد من النار إلا وقد يُنِّ لكم" [1].

¹ أخرجه الطبراني، والبزار، وأحمد، السلسلة الصحيحة: 1803.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

وفي ذلك ردٌّ على أولئك الظالمين المخرفين المعتدين . المحسوبين على الدعوة والإفتاء . الذين يُشيعون بين الناس: أن نصوص الكتاب والسنة قد بينت القواعد والمسائل العامة الكلية فقط .. وتركت الأمور التفصيلية . وهو الجانب الأكبر والأوسع من شؤون الدين والدنيا . للعقل والاجتهاد .. والأخذ والرد .. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ الكهف:5. وقال تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ الزخرف:19.

ومنها: **أن من لوازم الإيمان بالله واليوم الآخر المنازعات وما تم الاختلاف فيه إلى الكتاب والسنة** .. فإذا انتفى هذا الرد وحصل الاعتراض أو الإعراض .. انتفى معه مباشرة الإيمان بالله واليوم الآخر، مهما زعم صاحبه بلسانه خلاف ذلك فواقع حاله يُكذبه .. وهو أصدق تعبيراً عن الحال من اللسان! هذا المعنى يظهر في آيات عدة من كتاب الله العزيز، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء:65. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ الحجرات:2.

فإذا كان مجرد رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ سبباً ومظنة لحبوط العمل . ولا يحبط العمل إلا الكفر والشرك . فكيف بمن يرفع قوله وفقهه وحكمه ورأيه وعقله، وذوقه .. على قول وفقهه وحكم النبي ﷺ .. وعلى ما جاء به من عنده ﷺ .. لا شك أنه أولى بالكفر والشرك، وبأن يحبط عمله.

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور:63. قال ابن تيمية في الصارم: "قال الإمام أحمد: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ . وجعل يكررها، ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه.

وقيل له: إن قوماً يدعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان! فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره! قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ نُصِيبَهُمْ فِتْنَةً ﴿ وتدرى ما الفتنة؟ الكفر. قال الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة:217. فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ، وتعلمهم أهواؤهم إلى الرأي؟! "ا- هـ.

وعن أبي سلمة أن أبا هريرة قال لرجل: "يا ابن أخي إذا حدثتك عن رسول الله حديثاً فلا تضرب له الأمثال" [1].

أما قولنا "على ضوء فهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين" .. فهو لأن الله تعالى قد رضي عنهم بنص الكتاب والسنة، وعمن اتبعهم بإحسانٍ واهتدى بهديهم؛ والله تعالى إذ يرضى عن أحدٍ فهو يرضى عنه لسلامة دينه وإيمانه واعتقاده، وليس لشيءٍ آخر، وهذه خاصية لا يمكن الجزم بها لأحدٍ بعدهم بغير نص، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة:100. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح:18. والمؤمنون الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة هم أصحابه رضي الله عنهم أجمعين وكان تعدادهم يومئذٍ يتجاوز ثلاثمائة وألف صحابي، وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة" مسلم.

وقد توعد الله تعالى من يتبع غير سبيل الصحابة بالعذاب الأليم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء:115. وأولى الناس دخولاً بمسمى وصفة المؤمنين الوارد ذكرهم في الآية الكريمة هم أصحاب محمد ﷺ.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف:108.

قال ابن عباس ؓ: قوله ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾؛ يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة، وأقصد هداية، معدن العلم، وكثر الإيمان، وجند الرحمن.

¹ صحيح سنن ابن ماجه: 20.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان مستنأً فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم - هـ [1].

وفي السنة فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب" [2].

وقال صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" متفق عليه. فهم خير الناس . بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم. لسلامة دينهم وإيمانهم واعتقادهم، وعظمة أخلاقهم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "سترون من بعدي اختلافاً شديداً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات فإن كل بدعة ضلالة" [3]. فالعاصم من الاختلاف هو التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده؛ على رأسهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

ثم عندما تُفسَّر نصوص الكتاب والسنة على ضوء فهم خير الناس .. وتجتمع الأمة على ذلك .. نكون من جهة حيِّدنا أهل البدع والأهواء من أن يخوضوا بأهوائهم وأفهامهم السقيمة في تفسير نصوص الكتاب والسنة .. ومن جهة أخرى نكون قد ضيقنا ساحة الاختلافات بين المسلمين إلى أكبر قدر ممكن .. وكيف لا وقد وُحِّدنا مصدر التفسير والتأويل .. بعد أن وُحِّدنا مصدر الحكم والتشريع.

وأما ما هو موقف الإسلام ممن أخطأوا في اجتهاداتهم ومذاهبهم ..؟

أقول: منهم من له أجر، ومنهم من عليه وزر.

فإن كان المخطئ من أهل العلم والاطلاع والاجتهاد .. وأصوله سنيّة صحيحة .. ثم كان خطؤه ناتجاً عن سبب من تلك الأسباب المعتبرة للاختلاف المذكورة آنفاً أعلاه .. فله أجر على اجتهاده وإن كان

¹ تفسير البغوي: 453/2.

² صحيح سنن الترمذي: 1758.

³ صحيح سنن ابن ماجه: 40.

فَقْهُ الْاِخْتِلَافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ

خطأ .. لكن لا يجوز اتباعه فيما أخطأ فيه .. فهو لاجتهاده مأجور .. أما من يتبعه على اجتهاده الخاطئ مع علمه بخطئه فهو آثم وعليه وزر المتابعة والتقليد على الخطأ، وفي الحديث: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق". وقال ﷺ: "لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف" متفق عليه.

أما أنَّ له أجر على اجتهاده الخاطئ فهو لقوله ﷺ: "إذا حكَمَ الحاكمُ فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا اجتهد ثم أخطأ فله أجر" متفق عليه.

فإن قيل: كيف يكون له أجر وقد أخطأ ..؟

أقول: له أجر لأجل اجتهاده وبذل قصارى جهده في معرفة الحق .. وليس لأجل خطئه فيما اجتهد فيه .. فهو اتقى الله ما استطاع .. ومن اتقى الله ما استطاع حصل له الأجر على ما كان منه من عمل أو نتيجة، وإن ناله بعض التقصير أو القصور، لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن:16. وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة:286. وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ الطلاق:7.

فإن قيل: كيف نوفق بين قوله ﷺ: "من أفتي بغير علمٍ كان إثمُه على من أفتاه"^[1]. وبين

القول بأن من يتبع المفتي المجتهد على خطئه فعليه إثم ووزر ..؟

أقول: إثمُه على من أفتاه إن كان لا يعلم خطأ الفتوى، وأن الذي أفتاه قد أخطأ فيما أفتاه فيه .. أما إن كان يعلم خطأ المفتي فيما أفتاه فيه .. ثم اتبعه بعد ذلك على خطئه .. فحينئذٍ لا يُعذر، ويكون عليه إثم.

ويلحقه الإثم كذلك إن لم يتحرَّ الأتقى والأعلم، والأنسب . مع استطاعته على فعل ذلك . ليسأله عن شؤون دينه .. لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن:16. فهو يستطيع أن يتحرى الأتقى والأعلم لكنه لم يفعل لغرضٍ من أغراض النفس والدنيا!

بل من الناس من لا يتورع أن يسأل عن شؤون دينه أهل البدع والأهواء .. ومن خفت ذمهم وأماناتهم وعمودهم .. وهان عليهم دينهم .. لعلمه المسبق أنهم سيفتونهم بما يهوى ويريد .. ظناً منه أن إثم

¹ أخرجه أبو داود، والحاكم، وغيرهما، صحيح الجامع: 6068.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

العمل بما سيفتونه به .. سيظالمهم من دونه .. وهذا وهم منه؛ فهو شريك لهم في الإثم والوزر؛ لأنه لم يتق الله في دينه، وفيمن يأخذ عنهم دينه .. وهو نفسه لو أراد أن يُصلح ما عطب من سيارته . مثلاً. تراه يجتهد في البحث والسؤال عن أفضل مصلح وأجودهم وأمهرهم .. ليستأمنه على تصليح سيارته .. بينما لا يفعل شيئاً من ذلك عندما يريد أن يُصلح ما فسد وخسر من شؤون دينه وآخرته!!

هذا فيما يتعلق بمن له أجر على ما أخطأ فيه من أهل العلم والفقهاء والاجتهاد .. أما فيما يتعلق بالطرف الآخر الذي عليه وزر فيما قد أخطأ فيه .. هو كل من كان خطؤه ناتجاً عن سببٍ من تلك الأسباب غير المعتبرة شرعاً الأنفة الذكر أعلاه، فالخطأ لا يبرر الخطأ، ومن كانت أصوله فاسدة باطلة لا تبرر ما يترتب عليها من نتائج فاسدة باطلة.

والدليل على ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ الإسراء:36.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "القضاة ثلاثة: اثنان في النار، وواحد في الجنة. رجلٌ عليمٌ الحقُّ فقضى به فهو في الجنة. ورجلٌ قضى للناس على جهلٍ فهو في النار، ورجلٌ جارٍ في الحكم فهو في النار" [1]. فعلم أن من يقضي أو يفتي بغير علم أو عن جهل .. أو يعلم الحق .. ثم يفتي بخلافه لغرض من أغراض النفس والدنيا .. لا يُعذر .. وليس له أجر .. بل هو في النار.

ونحو ذلك الحديث الأنف الذكر: "من أفتي بغير علمٍ كان إثمُه على من أفتاه"؛ فرد الإثم على

المفتي لأنه أخل بشروط الفتوى .. وتجراً على الفتوى بغير علم!

وفي رواية: "من أفتي بفتيا غير ثبوتٍ فإنما إثمُه على من أفتاه" [2]. فأضافت هذه الرواية معناً زائداً؛ وهو أن المفتي لا يأثم إن أفتى بغير علم وحسب .. بل يأثم كذلك إن أفتى مستفتيه وهو شاك فيما يُفتيه غير مثبت من أدلة ما يفتيه به، وعدم التثبت أقل درجة وربما درجات من عدم العلم مطلقاً!

وكذلك الذي يسن سنة سيئة أو يدعو إلى ضلالة أو بدعة .. فهذا عليه وزره كاملاً، ووزر كل من اتبعه واستن بسنته واقتدى به .. ولا يتشفع له كونه يتزى بزى أهل العلم .. ولا تلك الألقاب أو الشهادات

¹ صحيح سنن ابن ماجه: 1873.

² صحيح سنن ابن ماجه: 47.

فقه الاختلاف عند أهل السنة وأهل البدع

التي حصل عليها من بعض الجامعات المعاصرة .. ولا منادات الناس له بيا شيخ أو يا عالم .. فمثل هذا مخطئ آثم، لا يجوز أن يُحمل عليه قوله ﷺ: "إذا حكّم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا اجتهد ثم أخطأ فله أجر"، بل يُحمل عليه قوله ﷺ: "من استنَّ سنَّةً سيئةً فاستنَّ به، فعليه وزره كاملاً، ومن أوزار الذي استنَّ به، ولا ينقص من أوزارهم شيئاً".

وقال ﷺ: "من سنَّ سنَّةً سيئةً فعْمِلَ بها بعده، كان عليه وزره ومثلُ أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً".

وقال ﷺ: "أیما داعٍ دعا إلى ضلالةٍ فاتَّبِع فإن له مثل أوزار من اتبعه، ولا ينقص من أوزارهم شيئاً".

وقال ﷺ: "من دعا إلى ضلالةٍ فعليه من الإثم مثلُ آثام من اتبعه، لا ينقصُ ذلك من آثامهم شيئاً" [1].

دلَّت الأحاديث الأتفة الذكر أن الإثم والوزر يطال التابع والمتبوع سواء .. ولا يتشفع للتابع كونه مقلداً أو أنه من عامة الناس؛ وذلك لتقصيره في البحث عن يستأمنه على دينه .. ولتھاونه في تسليم دينه لأهل الأهواء والبدع .. كما تقدم بيان ذلك أعلاه.

فإن قيل: كيف يتعامل المسلمون مع المجتهد المخطئ الذي له أجر، ومع خطئه .. وكذلك

الطرف الآخر الذي يُخطئ، وعليه وزر فيما أخطأ فيه؟

أقول: بالنسبة للعالم المجتهد الذي يُخطئ فيما اجتهد فيه، والذي له أجر على اجتهاده .. تُقال عثرته فيما أخطأ فيه .. ويُحسَّن به الظن .. ويُتوسَّع له في التأويل .. وحقه من الاحترام والتوقير يبقى محفوظاً عند أبناء الأمة .. لا يجوز أن يثير خطؤه مشاكل تؤثر على وحدة الكلمة ورضي الصفوف .. وهذا لا يمنع من رد خطئه برفق .. وتحذير الناس مما قد أخطأ فيه .. هذا الذي مضى عليه عمل السلف الصالح، وجميع علماء الأمة المتقدمين منهم والمتأخرين عندما يصوبون أخطاء بعضهم البعض، ويردون على بعضهم البعض.

¹ انظر جميع ما تقدم من أحاديث أعلاه، صحيح سنن ابن ماجه: 41/1.

فِئَةُ الْاِخْتِلَافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ

ويُمكن القول كذلك: أن العالم كلما ظهرت عليه علامات الاجتهاد والتقوى والصلاح بصورة أكبر وأوضح .. وسلمت أصوله من المآخذ .. وكان بعيداً عن مواطن الشبهات .. كلما تعيّن على الأمة احترامه وتوقيره .. وزيد بحقه تحسين الظن .. وتوسّع له أكثر في التأويل .. هذا الموقف يتذبذب صعوداً وهبوطاً بحسب حال العالم ذاته .. وبحسب تقلباته ومواقفه .. وما يطرأ عليه من جديد وتطورات .. إذ لا يجوز أن يكون الموقف من بلعام . عالم عصره . بعد أن انسلخ من آيات الله .. كما كان قبل أن ينسلخ من آيات الله .. وهذا من مقتضى العمل بعقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. نسأل الله تعالى الثبات، وحسن الختام.

أما فيما يتعلق بدعاة البدع والضلال .. الذين يحومون ويعومون حول الشبهات . وإن تسموا بأسماء أهل العلم . ويساندون الظلم والظالمين بفتاويهم الرخيصة .. فإنه يتعين التحذير منهم ومن أخطائهم سواء .. كما يتعين مجافاتهم بقدر انحرافهم وظلمهم وبعدهم عن الحق .. ومساندتهم للباطل .. هذا الذي مضى عليه عمل السلف الصالح في تعاملهم مع أهل البدع والأهواء .. ولو أردنا أن نسطر مواقف وتحذيرات السلف الصالح من هذا الصنف من الناس لسودنا عشرات الصفحات .. وليس هنا موضع تلك الصفحات.

وفي الأثر: "من وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام" .. لما في توقيره من تزكية للمبتدع، وإضلال لعوام الناس .. فيحملهم ذلك على اتباع المبتدع في بدعته وتحسين الظن به .. وتسليمه شؤون دينهم!

فإن قيل: هذا الموقف المتشدد من هذا الصنف من الناس مؤداه إلى تفريق الأمة،

ومزيد من الاختلاف بين أبنائها ..؟

أقول: بل في السكوت عنهم .. وعن بدعهم وأهوائهم وضلالاتهم .. وتمكينهم على ما هم عليه من باطل .. وأن تخلي بينهم وبين الناس .. هو الذي يفرق الأمة في شيع ومذاهب شتى، وهو الذي يوسع الخرق على الراقع .. فيصعب تربيته .. والواقع خير شاهد على ما نقول، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

المنكر يُنكر ويُزال، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران:104.

وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ آل عمران:110.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ الحج:41. فمن غايات التمكين في الأرض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وليس مباركة أو مجاملة المنكر وأهله.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" مسلم. وفي رواية: "فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" مسلم. ليس وراء إنكار وجهاد القلب مثقال حبة خردل من إيمان؛ لأنه ليس وراء إنكار القلب سوى الإقرار والرضى، والرضى بالكفر كفر.

الثالث: اختلاف تضاد في الأصول والعقائد، والتوحيد: هنا كذلك الحق فيما اختلف فيه واحد لا يتعدد، وما سواه فهو الباطل والضلال، كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ يونس:32.

ويُقال كذلك: أن اختلاف التضاد في العقائد والأصول يكون شديداً لا يمكن النظر إليه أو التعامل معه على طريقة التعامل مع اختلاف التضاد في الفروع؛ فساحة الأعذار في هذا النوع من الاختلاف تضيق جداً، والمخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة. وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه . مهمم؛ لأن إعدار المخالف في الأصول والعقائد، ومسائل التوحيد .. يعني إعداره في هدم الدين وهدم أصوله .. وإحداث دين جديد مختلف الأصول والعقائد، والأركان .. وهذا أمر لا يمكن إقراره أو التهاون فيه مطلقاً، أو التعامل معه باسترخاء وعلى مبدأ وقول المصابين بلوثة الديمقراطية المعاصرة: الرأي والرأي الآخر!!

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

لذا نجد السنّة فرقت في التعامل مع هذا النوع من الاختلاف .. عما سواه من الأنواع الأخرى الأنفة الذكر .. فشددت فيه ما لم تشدد في الأنواع الأخرى.

كما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه في سنده عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: خرج رسولُ الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفتقأ في وجهه حبُّ الرمان من الغضب، فقال: "بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟! تضربون القرآنَ بعبضه ببعض، بهذا هلكت الأممُ قبلكم" [1].

تأمل الحدة هنا التي واجه بها النبي ﷺ هذا الاختلاف والتنازع؛ حتى كأن حبَّ الرمان يفتقأ في وجهه الشريف من شدة الغضب .. وذلك أن المسألة المتنازع فيها لها مساس بالأصول، والعقيدة والتوحيد .. التهاون أو السكوت عنها مؤداه إلى الهلاك وضياع الملة .. لا يمكن أن تعالج على طريقة اختلاف التضاد في الفروع!

ونحوه الحديث الذي أخرجه مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو قال: هجرتُ على رسولِ الله ﷺ يوماً قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ. يُعرفُ في وجهه الغضب . فقال: "إنما هلكَ من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب". فليس كل اختلاف محمود .. وليس كل اختلاف يواجه برفق!

وكذلك موقفه ﷺ من فتنة كادت تقع بين الأنصار والمهاجرين، وذلك لما كسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، واستنصر كل منهما بقومه؛ فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فسمع ذلك رسولُ الله ﷺ فقال: "ما بالُ دعوى الجاهلية .. دعوها فإنها منتنة" البخاري. موقف فيه حزم وشدة .. لأن الاختلاف الذي حصل تضمن إحياء عصبية الجاهلية من جديد .. بعد أن منَّ الله عليهم بنعمة أخوة الإسلام .. وهذا معنى لا يمكن التهاون معه بحال .. كما لا يمكن أن يُعالج على طريقة ما بال أقوام إذ لا بد من التصريح والمواجهة.

ونحو ذلك قوله ﷺ الشديد في الفرق الضالة التي خالفت أهل السنة والجماعة في مسائل الأصول والاعتقاد، كما في الحديث عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "افتترقت اليهودُ على

¹ صحيح سنن ابن ماجه: 69.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

إحدى وسبعين فرقة؛ فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة؛ فأحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفسُ محمدٍ بيده لتفترقنَّ أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة؛ واحدة في الجنة، وثلثان وسبعون في النار" قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: "الجماعة" [1]. وفي رواية عند الترمذي، قال: "ما أنا عليه وأصحابي" [2]. أي الجماعة التي تكون على ما أنا عليه وأصحابي .. هي الفرقة الناجية .. أما الفرق الأخرى التي تُخالف أصول وعقائد الجماعة التي تكون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فكلها في النار.

وقال ﷺ في المعتزلة القدرية جاحدي القدر: "إنَّ مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله؛ إن مَرَضُوا فلا تعودُهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم" [3].

وفي رواية عند ابن أبي عاصم في السنَّة: "إن لكل أمة مجوساً، وإن مجوس هذه الأمة القدرية، فلا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تصلوا على جنائزهم إذا ماتوا".

وعن أبي هريرة مرفوعاً: "أخِرُ الكلامِ في القدر لشرار أمتي في آخر الزمان" [4].

وقال ﷺ فيهم وفي المرجئة: "صنfan من أمتي لا يردان علي الحوض: القدرية، والمرجئة" [5].

وقال ﷺ: "ستة لعنتهم لعنهم الله وكلُّ نبيٍّ مُجاب: المكذب بقدر الله، والزائدُ في كتاب الله" [6].

والمستلِطُّ بالجبروت؛ يُذل من أعزَّ الله ويُعز من أذلَّ الله، والمستحلُّ لحُرْمِ الله، والمستحلُّ من عترتي ما حرَّم الله، والتاركُ لسنتي" [7].

¹ صحيح سنن ابن ماجه: 3226.

² صحيح سنن الترمذي: 2129.

³ صحيح سنن ابن ماجه: 75.

⁴ السلسلة الصحيحة: 1124.

⁵ أخرجه الطبري في التهذيب، وابن أبي عاصم في السنة، وغيرهما، السلسلة الصحيحة: 2748.

⁶ يشمل ذلك كل من يدخل في القرآن معناً أو تفسيراً، أو فهماً .. النص القرآني لا يحتمله .. أي أن الوعيد الوارد في الحديث أعلاه يشمل من زاد في كتاب الله من جهة التحريف في التأويل .. كما يشمل من يزيد في كتاب الله من جهة تحريف مبانيه وكلماته وأحرفه!

⁷ أخرجه الحاكم في المستدرک: 36/1، وقال: صحيح الإسناد ولا أعرف له علة، ووافقه الذهبي.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

فتأمل هذه الأصناف الستة .. لما تضمنت مخالفتهم الوقوع في الكبائر.. ومخالفة أهل السنة والجماعة في الأصول والاعتقاد .. كيف استحقوا هذا اللعن من الله تعالى، ومن رسول الله ﷺ، ومن كل نبي مستجاب الدعاء!

وقال ﷺ في الخوارج: "الخوارج كلابُ أهل النار".

وقال ﷺ: "سيكون من أمتي قوماً يقرؤون القرآن؛ لا يُجاوز حلوقهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شرار الخلق والخليقة .. يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصومه مع صومهم .. يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية .. يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد .. لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن من قتلهم أجراً يوم القيامة .. يدعون إلى كتاب الله وليسوا من الله في شيء فمن قاتلهم كان أولى بالله منهم .. يقرأون القرآن؛ ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلواتكم إلى صلواتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يرون أنه لهم وهو عليهم، لا يُجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية .. سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يُحسنون القيل، ويُسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شرار الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم، سيماهم التحليق".

وغيرها كثير من الأحاديث الصحيحة قيلت فيهم وفي غيرهم من الفرق الضالة المحسوبة على أمة الإسلام .. بعض هذه الأحاديث في الصحيحين، وبعضها في السنن وغيرها، وفيما تقدم ذكره يكفي للدلالة على الشدة التي ينبغي أن يُعامل بها المخالف لأصول وعقيدة أهل السنة والجماعة .. إذ لا يجوز النظر إلى هذا النوع من الاختلاف كالاختلاف في مسائل الفروع .. كما لا يجوز التعامل مع المخالفين لعقيدة أهل السنة والجماعة في الأصول والاعتقاد كما يُعامل المخالف في مسائل الفروع .. التي يُستساع فيها الاجتهاد .. أو على طريقة أن الاختلاف مهما كان نوعه وكانت غاياته ودوافعه ظاهرة إيجابية .. يُثري الثقافة والمعرفة .. لا يجوز أن يفسد الود فيما بين المسلمين .. كما يزعم أصحاب اللوثة الديمقراطية!

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

كذلك لو أردنا أن نقف على مواقف السلف الصالح التي تتسم بالشدّة والغلظة على المخالفين لهم في مسائل الأصول والاعتقاد .. والتحذير منهم ومن الإصغاء إليهم وإلى أهوائهم وبدعهم .. لطلال بنا المقام .. ولأدركنا الفارق الكبير بين تعاملهم ونظرتهم للمخالف لهم في مسائل الفروع التي تقبل الاجتهاد .. التي تتسم بالرفق وخفض الجناح للمخالف .. وبين تعاملهم ونظرتهم للمخالف لهم في مسائل الأصول والاعتقاد التي تتسم بالشدّة والغلظة؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ التوبة:123. وبقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة:22.

فإن قيل: ما هي أسباب حصول اختلاف التضاد في الأصول والعقائد ..؟

أقول: إضافة إلى ما ذكرنا من أسباب غير معتبرة عند الحديث عن اختلاف التضاد في الفروع .. نذكر هنا سببين رئيسيين ساعدا بصورة كبيرة على وقوع اختلاف التضاد في الأصول والعقائد بين أبناء الأمة.

أولهما: انشغال بعض المسلمين . عن الكتاب والسنة . بعلم الكلام .. والفلسفة والمنطق .. وما تُرجم من كتب حول ذلك نقلت عن الأمم والملل الأخرى .. تنقل تصوراتهم واعتقاداتهم .. وطرقهم في الاستدلال على المعاني والحقائق .. والغيبات .. كل ذلك كان سبباً في تسريب وانتشار بعض تلك الاعتقادات والتصورات . بين أبناء الأمة . المغايرة والمخالفة لعقيدة الإسلام وأصوله.

هذا السبب كان ولا يزال مستمراً .. وهو في ازدياد وتوسع مستمر .. وما من عام يأتي إلا والذي بعده أسوأ منه .. فأبناء الأمة في هذا الزمان . إلا من رحم الله . لم يقتصر اطلاعهم . من علوم ومناهج الأمم والملل الأخرى . على علم الكلام والفلسفة والمنطق .. وطرق الاستدلال وحسب .. بل تعدوا ذلك بكثير .. فهم لم يدعوا باطلاً ولا كفراً .. ولا فكراً أو مذهباً شاذاً منحرفاً .. في الشرق أو الغرب .. إلا واطلعوا عليه .. ودرسوه ودرّسوه .. بل وجربوه في واقع حياتهم ومعاشهم وحكمهم .. وقبل أن يطلعوا

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

على الكتاب والسنة .. أو يتفقهوا بما في الكتاب والسنة، ويتعرفوا على رصيدهم المعرفي والثقافي الحضاري الضخم الذي لا يوازيه رصيد عند الشعوب والأمم الأخرى .. مثلهم في ذلك مثل الغني الذي يقصد اللثام ليلتمس منهم الفُتات ليقيم به صلبه .. ظناً منه أنه فقير .. وأنه لا يملك شيئاً .. وهو في حقيقته ليس كذلك بل هو من أغنى الناس عن التسول أو عن أن يسأل الناس شيئاً .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا الخطر .. وهذا الانحراف في مناهج وطرق التلقي والاتباع .. قد حذر النبي ﷺ منه أشد التحذير، كما في الحديث عن جابر، أن عمر بن الخطاب، أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله! هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه النبي ﷺ يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل! ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟! فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ، فقال: أعودُ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً. فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل"[2]، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني "[3].

¹ أي من الغضب؛ وذلك لأن الأمر له علاقة بالعقيدة والتوحيد، وبالتلقي والاتباع، وممن يؤخذ الدين .. وتؤخذ الأحكام والقيم والمبادئ والعقائد؟ فإن كانت من عند غير الله، فالجواب واضح: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. وإن كان التلقي يقتصر على الكتاب والسنة وحسب فذاك صريح الإيمان والإسلام.

وحتى يتفادى المرء الوقوع في الشرك لا بد له من أن يتوجه بكليته إلى ذاك النبع المعين الصافي الأصيل ليتلقى منه الدين والمبادئ وقيم الحق؛ وهو دين الله الإسلام الذي أوحاه الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ. وإذا كان الأمر بهذه الخطورة وهذا الجهد، فكيف بنا بكثير من شباب هذا الزمان الذين ينكبُّون على دراسة الكتب الماركسية، واللينينية، والأفلاطونية وغيرها من المذاهب الوضعية الكافرة، قبل أن يتفقهوا في دينهم أو يعرفوا شيئاً عن إسلامهم؟!

² هذا فيمن يتبع نبي الله موسى ﷺ ويترك محمداً صلوات ربي وسلامه عليه، فكيف بمن يترك النبي ﷺ وتعاليمه .. ويتبع حزب البعث .. أو الحزب الشيوعي .. أو الحزب الناصري .. وأرباب ومؤسسي تلك الأحزاب الشيطانية المارقة .. أو غيرها من الأحزاب الاشتراكية والديمقراطية والعلمانية السائدة في بلاد المسلمين .. فهذا لا شك أنه على خطر كبير .. ليس له حظاً في الإسلام، مهما زعم بلسانه خلاف ذلك وقال أنه من المسلمين؟!

³ رواه الدارمي، مشكاة المصابيح: 194، وانظر صحيح الجامع الصغير: 5308.

فقه الاختلاف عند أهل السنة وأهل البدع

وعن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير". قال بُشَيْر بن كعب: مكتوبٌ في الحكمة أن من الحياء وقاراً، وإن من الحياء سكينه! فقال له عمران: أُحَدِّثُكَ عن رسول الله وتحدثني عن صحيفتك؟! [1].

وفي الأثر عن ابن عباس قال: "يوشك أن تنزل عليكم حجارةً من السماء، **أقول:** قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر!"

قال الشيخ سليمان آل الشيخ في التيسير: فإذا كان هذا كلام ابن عباس لمن عارضه بأبي بكر وعمر؛ وهما هما، فماذا تظنه يقول لمن يُعارض سنن الرسول ﷺ بإمامه وصاحب مذهبه الذي ينتسب إليه، ويجعل قوله عياراً على الكتاب والسنة؛ فما وافقه قبله، وما خالفه رده أو تأوله، والله المستعان.

ولا ريب أن هذا داخل في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ التوبة:31. ا- هـ.

قلت: فماذا تظنه يقول لمن يُعارض سنن الرسول ﷺ بأقوال أرباب الكلام والفلسفة والمنطق .. وغيرهم من حثالة الناس .. لا شك أنه أولى دخولاً في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ . وأولى دخولاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام:121. وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ النساء:65.

قال الشافعي: "أجمع العلماء على أن من استبانته له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد".

وقال رحمه الله: "حكيم في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُقال: هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام " ا- هـ.

¹ صحيح الأدب المفرد: 985.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

هذا حكم الشافعي . رحمه الله . فيمن ينشغل عن الكتاب والسنة بعلم الكلام .. أن يُضربوا بالجريد والنعال .. لا أن يُحتفى بهم وبكلامهم وعلومهم الهابطة .. بزعم حرية الاختلاف مكفولة في الدين .. كما يروج لذلك دعاة العصر المصابون بلوثة الديمقراطية .. والإباحية الفكرية!

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "من رفع رجلاً في رتبة النبي ﷺ كفر، وحلّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهاداتان ولا الصلاة " ا- هـ.

هذا فيمن يرفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ .. فكيف فيمن يرفع رجلاً وأقواله درجةً .. فوق النبي ﷺ وفوق أقواله .. ويُقدم أقواله وحكمه على قول وحكم النبي ﷺ...؟!؟

ثانياً: حرص أعداء الأمة الأصليين من اليهود والنصارى .. وغيرهم من ملل الكفر والإلحاد .. على تعميق ودعم هذا النوع من الاختلاف . اختلاف التضاد في الأصول والعقائد . بين أبناء الأمة .. وتحت مزاعم وشعارات شتى بعضها ظاهرها الخير وباطنها الشر .. وبعضها الآخر ظاهرها وباطنها الشر .. لعلمهم أن هذا النوع من الاختلاف مؤداه إلى تفريق الأمة إلى فرق وطوائف متناحرة متباغضة متدابرة .. وهذا مؤداه إلى إضعافها .. وذهاب شوكتها وقوتها .. وهيبتها .. مما يتيح للعدو أن يتدخل في شؤون الأمة وقضاياها العامة والخاصة منها .. بأي طريقة شاء؛ سواء عن طريق الغزو العسكري، أم الغزو الفكري الثقافي .. وعلى مبدأ شعارهم القديم الحديث: "فرّق تَسُدْ"!

وقد وجد في الأمة . وللأسف . من يُصغي إليهم .. ويثق بهم .. ويستعين ويستنصر بهم على مخالفته .. فجعلوا بذلك للعدو ذريعة وموطأ قدم في قلب الأمة .. وسهلوا عليه الغزو الفكري الثقافي، والعسكري . لو اقتدى الأمر . كما هو حاصل اليوم .. ونشاهد أحداث هذا الغزو بشقيه . الدائرة في منطقة الشرق الأوسط، وغيرها من بلاد المسلمين . على مدار الساعة!

ولا أجدني بحاجة للاستطراد بذكر الأدلة الدالة على دعم العدو السخي .. للفرق والأقليات الطائفية .. التي تختلف مع الأمة في أصولها وعقيدتها .. مقابل تعامل هذه الفرق والأقليات الطائفية مع أعداء الأمة على الأمة ودينها ومصالحها .. فالأمر واضح بيّن .. وهو معلوم للجميع .. لا يخفى إلا على كل من أعمى الله بصره وبصيرته!

فِهُوَ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ

الرابع: الاختلاف الناتج عن الاجتهاد في النوازل المستجدة مما لا نص فيه، وفيما لا يتعارض مع نص .. هذا النوع من الاختلاف وارد .. لاختلاف قدرات واطلاع المجتهدين.

فإن قيل: ما الدليل على جواز الاجتهاد ..؟

أقول: الدليل قوله ﷺ كما في الصحيحين: "إذا حَكَمَ الحاكمُ فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا اجتهد ثم أخطأ فله أجر". فالحديث أفاد بجواز الاجتهاد، وأن للمجتهد أجر على اجتهاده سواء أصاب أم أخطأ.

كذلك الحديث الذي أخرجه أبو داود بسنده عن شعبة، عن أبي عون، عن الحارث بن عمر ابن أخي المغيرة بن شعبة، عن أناس من أهل حمص من أصحاب مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: "كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟" قال: أقضي بكتاب الله، قال: "فإن لم تجد في كتاب الله؟" قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: "فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله؟" قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: "الحمد لله الذي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لما يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ" [1]. وقوله "ولا آلو": أي لا أقصر جهداً في تحري الحق فيما سأقضي به.

قلت: الحديث قد أفاد معانٍ عدة، منها: جواز الاجتهاد ..

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: أكثروا على عبد الله . أي ابن مسعود . ذات يوم، فقال عبد الله: "إنه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضي، ولسنا هنالك. ثم إن الله ﷻ قَدَّرَ عَلَيْنَا أَنْ بَلَّغْنَا مَا تَرَوْنَ، فَمَنْ عَرَّضَ لَهُ مِنْكُمْ قَضَاءَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَلْيَقْضِ بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلْيَقْضِ بِمَا قَضَى بِهِ نَبِيهِ ﷺ، فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا قَضَى بِهِ نَبِيهِ ﷺ، فَلْيَقْضِ بِمَا قَضَى بِهِ الصَّالِحُونَ. وَيَعْنِي بِالصَّالِحِينَ هُنَا الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا قَضَى بِهِ نَبِيهِ ﷺ، وَلَا قَضَى بِهِ الصَّالِحُونَ فَلْيَجْتَهِدْ رَأْيَهُ، وَلَا يَقُولْ: إِنِّي أَخَافُ، وَإِنِّي أَخَافُ، فَإِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، فَدَعِ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا يَرِيْبُكَ" [2].

¹ صححه ابن القيم الجوزية كما في كتابه أعلام الموقعين: 202/1.

² صحيح سنن النسائي: 4987.

فِئَةُ الْاِخْتِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ

وعن شريح أنه كتب إلى عمر رضي الله عنه يسأله، فكتب إليه . أي عمر رضي الله عنه : أن اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاقض بما قضى به الصالحون، فإن لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقض به الصالحون، فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر، ولا أرى التأخر إلا خيراً لك، والسلام عليكم" [1].
وقوله " فإن شئت فتقدم"؛ أي فإن شئت فتقدم فاجتهد رأيك إن كنت أهلاً للاجتهاد فيما تريد الاجتهاد فيه .. " وإن شئت فتأخر"؛ أي فتوقف .. إن وجدت ما يريبك ويمنعك من الاجتهاد .. وفي التأخر خير لك وأسلم من أن تتجراً على الاجتهاد فيما لم تثبت أو تتمكن منه ويطمئن إليه قلبك أنه موافق للحق.

فإن قيل: هل يُفهم مما تقدم أن باب الاجتهاد مفتوح لمن شاء .. أم للاجتهاد ضوابط

.. وللمجتهد شروط؟

أقول: بل للاجتهاد ضوابط وشروط:

منها: أن يكون الاجتهاد فيما ليس فيه نص .. فإذا ورد النص من الكتاب أو السنة .. بطل

الاجتهاد .. إذ لا رأي ولا اجتهاد مع النص!

ومنها: أن لا يؤدي الاجتهاد إلى مخالفة نص من نصوص الكتاب والسنة .. أو معارضة المقاصد

العامة، والقواعد الكلية للدين .. فإن عارض شيئاً من ذلك رُد الاجتهاد وبطل.

ومنها: أن يكون الاجتهاد منسجماً مع روح الدين ومقاصده العامة، وقواعده الكلية .. لا تنافر

بينهما.

ومنها: أن يكون المجتهد من ذوي العلم والتقوى والاطلاع .. يملك أدوات الاجتهاد فيما يريد

الاجتهاد فيه .. ملماً بالأدلة العامة لما يريد الاجتهاد فيه .. فاقهاً لواقع ما يريد الاجتهاد فيه .. فالعالم

كلما وسع اطلاعه وإلمامه بنصوص الكتاب والسنة .. وفقهه واقع المسائل التي يريد الاجتهاد فيها ..

كلما استغنى عن اللجوء إلى الرأي والقياس، والاجتهاد.

¹ صحيح سنن النسائي: 4997.

فِئَةُ الْاِخْتِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ

ومنها: **أن تكون أصول المجتهد أصولاً سننية سلفية ..** أما من كانت أصوله بدعية منحرفة فإنه لص لا يُستفتى .. ولا يؤتمن على دين .. ولا يُقبل منه اجتهاد.

فإن جمع بين الأمرين: بين الأصول السننية السلفية والأصول البدعية .. يُنظر للغالب منهما .. ويُعامل على أساسه .. كما يُنصح أن يُستفتى في الجوانب أو المسائل التي لها علاقة بأصوله السننية السلفية .. دون البدعية منها.

نضرب مثلاً للتوضيح: عالم على عقيدة أهل السنة والجماعة في مسائل الأسماء والصفات .. بينما في مسائل الإيمان والوعد والوعيد تراه على عقيدة أهل الإرجاء .. فيُستفتى حينئذٍ فيما له علاقة بمسائل الأسماء والصفات .. ويُعتزل ويُحذر منه فيما له علاقة بمسائل الإيمان والوعد والوعيد.

ونحو ذلك عالم أصوله سننية في المسائل الفقهية، تراه يتحرى الدليل ما استطاع فيما يفتي ويبحث فيه .. لا يتعصب لأقوال مذهب من المذاهب على حساب الحق والدليل من الكتاب والسنة .. بينما في مسائل الأسماء والصفات .. تراه على عقيدة المتأولة من الأشاعرة وغيرهم .. فحينئذٍ يُستفتى فيما له علاقة بمسائل الفقه .. ويُعتزل ويُحذر منه فيما له علاقة بمسائل الأسماء والصفات .. وقس على ذلك بقية المسائل والجوانب الأخرى من الدين.

بهذه الضوابط والشروط الأنفة الذكر يُعامل مع الاجتهاد؛ فيقبل أو يُرد.

فإن قيل: كيف نوفق بين القول بجواز الاجتهاد .. وبين القول بأن الدين قد اكتمل، وأن النبي

ﷺ قد بين كل شيء كما تقدم؟

أقول: لا تعارض بينهما . والله الحمد . ووجه التوفيق بينهما من أوجه:

منها: **أن الاجتهاد من الدين**، وهو مما بينه النبي ﷺ، وأجازه لأُمَّته بضوابطه وشروطه الأنفة الذكر، **وبالتالي فليس هو مغايراً للكتاب والسنة مخالفاً لهما ..** حتى نبحت في كيفية التوفيق بينهما. ومنها: **أن المجتهد لا يُحيط بجميع نصوص الكتاب والسنة ..** وما أحاط به .. قد ينسى بعضه كما تقدم .. **وبالتالي فهو عندما يلجأ للاجتهاد .. لا يعني بالضرورة أنه لا يوجد نص فيما يجتهد فيه ..**

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

بل قد يعني أحياناً أن المجتهد لا يعلم النص فيما يجتهد فيه .. فيضطر لأن يلجأ إلى القياس والاجتهاد .. والنقص حينئذٍ يكون من المجتهد لا من نصوص الشريعة.

مما يدل على هذا المعنى موقف عمر رضي الله عنه لما تلقى خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .. ورفضه . بادئ ذي بدء . فكرة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يفني الله تعالى المنافقين .. ولما أن سمع أبا بكر رضي الله عنه يتلو قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران:144. ثم قال: من كان يعبد الله تعالى فإن الله حيٌّ لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات.
فقال عمر: إنها في كتاب الله وما شعرت أنها في كتاب الله!

قال ابن عباس رضي الله عنه: والله لكأنَّ الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس، فما يُسمَع بشرّاً إلا يتلوها. البخاري.

والشاهد مما تقدم أن الفاروق عمر رضي الله عنه .. وهو هو .. لم يفتن لهذه الآية الكريمة في أحلك وأشد الظروف حاجة إليها .. وما شعر أنها في كتاب الله .. وكذلك غيره من الصحابة .. حتى سمعوها من أبي بكر الصديق رضي الله عنه .. وإذا كان مثل هذا يرد في حق المجتهد المطلق الفاروق عمر . الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه " فلم أرَ عبقرياً يفري فريه " . فمن باب أولى أن يقع فيه من هم دونه قدرأً وعلمأً واجتهادأً . ونحو ذلك ما كان يوصي به النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على سرية أو جيش فيقول: " وإذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله تعالى فلا تُنزلهم؛ فإنكم لا تدرّون ما يحكم الله فيهم، ولكن أنزلوهم على حكمكم " مسلم. أي أنزلوهم على اجتهادكم؛ فلأن يُرد الخطأ . في حال وقوعه . إلى اجتهادكم أهون من أن يُرد الخطأ إلى حكم الله تعالى وأنتم لا تدرّون ما حكم الله تعالى فيهم .. وذلك أن الوحي كان لا يزال يتنزل، والدين لم يكتمل بعد .. وبعد الشقة بين أمراء الجند وأماكن تواجدهم .. وبين المدينة المنورة مهبط الوحي .. يُحيل بينهم وبين معرفة حكم الله تعالى مباشرة وفي كل ما يطرأ عليهم من نوازل وجديد .. لذا لزم منهم الاجتهاد إلى حين إعلامهم بحكم الله تعالى المنزل بعد رجوعهم . فإما يجيء موافقاً لاجتهادهم أو مخالفاً له . وهذا يستغرق زمناً .. وهذا لا يُقال بعد أن اكتمل الدين،

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

وتمت النعمة، وبان حكم الله تعالى في كل شيء، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة:3.

ومنها: **أن الاجتهاد هو القياس .. والقياس يعني في النهاية: الرجوع إلى الكتاب والسنة وإلى دلالة نصوصهما؛** فيقيس المجتهد ما يريد الاجتهاد فيه مما لم يرد في حكمه نص على أمرٍ ورد في حكمه نص لوجود مشترك بينهما في علة الحكم .. فالأحكام الشرعية تُعرف بطريقتين: إما بالنص، وإما بحملها على نص عن طريق القياس، والقياس وظيفة ومهمة المجتهد^[1].

ومما أوصى به الفاروق عمر رضي الله عنه أبا موسى الأشعري رضي الله عنه عندما يريد أن يقضي أو يحكم في نازلة من النوازل مما لم يرد فيه نص: "الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايِس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق".

قال ابن القيم في الأعلام 1/130: هذا أحد ما اعتمد عليه القياسيون في الشريعة، وقالوا: هذا كتاب عمر إلى أبي موسى، ولم ينكره أحد من الصحابة، بل كانوا متفقين على القول بالقياس، وهو أحد أصول الشريعة، ولا يستغني عنه فقيه -هـ.

ومنها: **أن من المسائل يُعرف النص فيها من خلال النظر في مجموعة من النصوص الشرعية، كل نص فيه جزئية تخص المسألة، يُمكن حملها على المسألة، لكن لا تقوى بمفردها أن تكون دليلاً مستقلاً في المسألة ..** فإذا ضُمَّت إلى الأجزاء الأخرى المأخوذة من النصوص الأخرى .. والقواعد

¹ قال محمد أبوزهرة في كتابه أصول الفقه: يُعرف علماء الأصول القياس بأنه بيان حكم أمر غير منصوص على حكمه بإحاقه بأمر معلوم حكمه بالنص عليه في الكتاب والسنة. ويُعرفونه أيضاً: بأنه إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه للاشتراك بينهما في علة الحكم.

وبالقياس تُرد الأحكام التي يجتهد فيها المجتهد إلى الكتاب والسنة: لأن الحكم الشرعي يكون نصاً أو حملاً على نص بطريق القياس. ويقول الشافعي في مؤدى القياس: "كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم، وعليه إذا كان بعينه اتباعه، وإذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق بالاجتهاد؛ والاجتهاد هو القياس" -هـ.

فقه الاختلاف عند أهل السنة وأهل البدع

الشرعية الأخرى .. شكلت مجموع هذه الأجزاء بعضها مع بعض .. دليلاً مستقلاً على المسألة، أو النازلة التي يُراد لها الاجتهاد .. وهذا العمل الدقيق العميق .. هو من مهمة الفقيه المجتهد؛ أي أن المجتهد الحق عمله الأساس البحث عن النص .. وكيفية استخراج النص والدليل من مجموعة من النصوص والأدلة .. والقياس على النص .. فهو في جميع مراحل اجتهاده . لا يمكن أن يخرج عن النص .. أو على النص .. بل يتحاكم إلى النص.

فإن عُلِمَ ذلك عُلِمَ أنه لا تعارض . والله الحمد . بين الاجتهاد وعمل المجتهد .. وبين كون أن الدين قد اكتمل، وأن النبي ﷺ قد أبان لأمته كل ما تحتاجه من شؤون دينها وآخرتها.

فإن قيل: ما دام لا يوجد نص محدد في مسائل الاجتهاد .. وهذا مدعاة لاختلاف

المجتهدين في النازلة الواحدة .. لاختلاف قدراتهم وسعة اطلاعهم .. وبالتالي كيف يُعرف

المصيب منهم من المخطئ؟

أقول: الاجتهاد في مسائل النوازل، وفيما لا نص معين فيه .. الحق فيها واحد لا يتعدد وما سواه فهو باطل وخطأ . إذ لا موضع هنا للحديث عن اختلاف التنوع؛ لأن اختلاف التنوع كما تقدم يثبت بالنص لا بالاجتهاد . والمصيب من المجتهدين يُعرف بالنظر إلى مدى قرب اجتهاده من النص الشرعي .. ومن مقاصد الشريعة العامة .. وخلق اجتهاده من معارضة مقاصد الشريعة، وكلياتها العامة؛ فأهم الأقرب للنص ومقاصد الشريعة .. والأحكام في قياسه .. ويخلق اجتهاده من معارضة مقاصد الشريعة وقواعدها العامة .. فهو الحق الذي ينبغي أن يُتبع .. واجتهاده هو الأقرب إلى الصواب .. إن لم يكن هو الصواب .. بهذا الضابط يُفاضل بين المجتهدين واجتهاداتهم .. ويُعرف المصيب منهم من المخطئ، والله تعالى أعلم.

هذه هي أقسام الاختلاف .. وهكذا ينظر الإسلام إليها .. وهكذا يتعامل معها .. فكيف ينظر

أهل البدع والأهواء إلى الاختلاف .. وكيف يتعاملون معه؟

فقه الاختلاف عند أهل السنة وأهل البدع

نظرة أهل البدع والأهواء إلى الاختلاف.

أقول: أهل البدع والأهواء ليس لهم فقه يؤثر.. ولا نظر معتبر.. وإنما همهم الأكبر عبر تاريخهم الغابر والمعاصر.. كيف يمررون بدعهم وأهواءهم.. وكيف يوقعون الناس في شباكهم وحبالهم.. ليفتنوهم عن دينهم الحق.. وهذا يحملهم على الحوم والعموم حول الشبهات.. واتباع المتشابهات.. وجعلها حكماً على المحكمات.. ابتغاء الفتنة والتحريف.. من ذلك استغلالهم السوء لنظرة الإسلام للاختلاف؛ فاستدلوا باختلاف التنوع.. واختلاف التضاد في الفروع الحاصل بين بعض أهل العلم.. وما يجوز الاجتهاد فيه.. على شرعية اختلاف التضاد في الأصول والعقائد.. وأرادوا من ذلك تمرير عقائدهم الباطلة.. وأصولهم المنحرفة.. على اعتبار أنها من جملة الاختلاف المستساغ.. الذي لا ينبغي أن يفسد الود فيما بين المسلمين.

فيستدلون بما يُستساغ الاختلاف فيه.. على ما لا يجوز الاختلاف فيه.. لتشيع الفاحشة بين المؤمنين.. ويسود المنكر من غير مُنكِرٍ ولا رقيب ولا حسيب.. تحت ذريعة شرعية الاختلاف.. وضرورة احترام الاختلاف.. مهما كان نوعه.. وكان صاحبه!

يستدلون بما يُستساغ الاختلاف فيه.. على ما لا يجوز الاختلاف فيه.. ليلغوا مبدأ وعقيدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام.

فلماذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وحرية الاختلاف.. كما يزعمون ويصورون.. مكفولة للجميع.. ومتاحة للجميع.. أياً كان نوع هذا الاختلاف.. إذ لا يجوز أن ينكر أو يحجر فريق على آخر.. فساحة الاختلاف تسع الجميع على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وأهوائهم!؟

يستدلون بما يُستساغ الاختلاف فيه.. على ما لا يجوز الاختلاف فيه.. ليستخرجوا من أهل الحق؛ أهل السنة والجماعة اعترافاً بشرعيتهم.. وشرعية ما هم عليه من باطل وضلال.. ليتقوا بهذا الاعتراف على بسط نفوذهم.. ونفوذ دعوتهم.. وإضلال الناس عن دينهم.. فيقولون لهم: لولا أننا على حق.. ودعوتنا على حق.. لما اعترف بنا وبشرعيتنا.. أهل الحق.. لأجل ذلك ورد التحذير من توقيير أهل البدع والأهواء!

فِقهُ الاختلافِ عندَ أهلِ السُّنَّةِ وأهلِ البِدَعِ

يستدلون بما يُستساغ الاختلاف فيه .. على ما لا يجوز الاختلاف فيه .. لتقرير مبدأ تعايش الأضداد والمتناقضات .. تعايش الحق مع الباطل .. وحمل كل منهما على الرضى والاعتراف بالآخر .. فيتميع حينئذٍ الدين .. وتضيق معالمه وحدوده، وأحكامه!

يستدلون بما يُستساغ الاختلاف فيه .. على ما لا يجوز الاختلاف فيه .. ليُغيّبوا عقيدة الولاء والبراء في الإسلام عن ساحة الشعور والاعتقاد، والواقع والعمل معاً .. إذ ما هي الفائدة من الحديث عن الولاء والبراء .. ما دام فقه الاختلاف في الإسلام . كما يزعمون ويصورون . يسع الجميع .. ويحتمل الجميع .. حتى الزنادقة ممن يُنسبون إلى هذه الأمة!

يستدلون بما يُستساغ الاختلاف فيه .. على ما لا يجوز الاختلاف فيه .. ليُغيّبوا مبدأً وعقيدة الجهاد في سبيل الله كما هي في الإسلام .. عن ساحة الشعور والاعتقاد والحياة .. إذ لماذا الجهاد .. وساحة الاختلاف في الإسلام . كما يزعمون ويصورون . تسع جميع الفرق والطوائف الضالة المنحرفة .. على اختلاف مشاربهم وأهوائهم!

يستدلون بما يُستساغ الاختلاف فيه .. على ما لا يجوز الاختلاف فيه .. ليشيع التحلل والتفسخ بين الناس وفي المجتمعات .. وتشيع الإباحية بكل معانيها؛ سواء منها الإباحية الفكرية الثقافية أم الإباحية الجنسية والأخلاقية!

يستدلون بما يُستساغ الاختلاف فيه .. على ما لا يجوز الاختلاف فيه .. ليمزقوا الأمة في أحزاب وتجمعات .. وطوائف شتى . متناحرة متباغضة متدابرة فيما بينها . عدد المذاهب والآراء والتصورات المختلفة التي يتبناها المختلفون!

يستدلون بما يُستساغ الاختلاف فيه .. على ما لا يجوز الاختلاف فيه .. ليتمكنوا أعداء الأمة الأصليين من غزو الأمة مادياً وثقافياً .. بذريعة ضرورة التنوع .. وضرورة إثراء الثقافات والحضارات! يستدلون بما يُستساغ الاختلاف فيه .. على ما لا يجوز الاختلاف فيه .. ليتمكنوا من إغراق السفينة بما فيها ومن فيها .. فهلك الجميع .. بزعم أن الحريات مكفولة ومحترمة .. لا يجوز المساس بها أو الاقتراب منها بسوء!

فِقهُ الاختلافِ عندَ أهلِ السُّنَّةِ وأهلِ البدعِ

هكذا ينظر أهل الأهواء والبدع والضلال إلى فقه الاختلاف .. وهكذا يتعاملون معه .. وهذا غرضهم منه .. وهم متفاوتون فيما بينهم في الإعراب عن مقاصدهم وغاياتهم؛ فمنهم الذي يغلب عليه التصريح، ومنهم الذي يغلب عليه التلميح .. فالحذر الحذر عباد الله!

. موقف الإسلام من الوحدة واجتماع الكلمة.

فقد أمر الإسلام المسلمين بالوحدة، والاجتماع، والاعتصام بحبل الله جميعاً، ونهاهم عن الفرقة والاختلاف في الدين إلى شيع وأحزاب ما أنزل الله بها من سلطان .. وشدد على ذلك أيما تشدد .. لما في الوحدة واجتماع الكلمة من قوة ومنعة وسؤدد ورفعة للدين وأهله .. وما في التفرق والاختلاف من ضعف، وهوان، وتخلف.

قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ آل عمران:103.

وقال تعالى: ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ الأنفال:46.

وقال تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ الأنعام:159.

وقال تعالى: ﴿ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ الروم:31-32.

وقال تعالى: ﴿إن هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ الأنبياء:92.

وقال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ الشورى:13.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

وفي السُّنَّةِ فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال" مسلم.

وقال ﷺ: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوة الجنة فليزم الجماعة" [1]. والجماعة التي أمر النبي ﷺ التزام غرزها هي الجماعة التي تكون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

وقال ﷺ: "الجماعة رحمة والفرقة عذاب" [2].

وقال ﷺ: "يد الله مع الجماعة" [3].

وقال ﷺ: "لا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام" متفق عليه.

وقال ﷺ: "لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا" البخاري.

وقال ﷺ: "لا تختلفوا فتختلف قلوبكم" [4]. فتأمل كيف أن الاختلاف الظاهر ينعكس سلباً

ومباشرة على الباطن، ويؤدي إلى اختلاف القلوب وتنافرها!

قال ابن عباس ؓ: أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله [5]. وغيرها كثير من النصوص الشرعية التي تأمر بالوحدة والإنتلاف، وتنهى عن التفرق والاختلاف .. فاجتماع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم وشوكتهم في صفٍّ واحد تجاه ما يهددهم من أخطار داخلية وخارجية .. من أعظم مطالب ومقاصد الشريعة.

¹ صحيح سنن الترمذي: 1758.

² أخرجه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة: 667.

³ صحيح سنن الترمذي: 1760.

⁴ صحيح سنن أبي داود: 618.

⁵ تفسير الطبري: 39/4.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

وهي كذلك مطلب عامة المسلمين .. إلا أن الكثير منهم . عن علم أو غير علم . يتغاضى عن ذكر الأسباب التي تؤدي إلى تحقيق الوحدة بين المسلمين .. والتي من دونها .. يستحيل تحقيقها، فمثلهم مثل من يُطالب بالشيء وضده معاً؛ يُطالبون بالوحدة وفي نفس الوقت يعضون الطرف عن الأسباب التي تؤدي إلى تحقيقها .. **أعظم هذه الأسباب وأهمها، سببان**[1]:

أولاً: **أن يكون الاجتماع على الكتاب والسنة، وفق فهم الصحابة** ومن تبعهم بإحسانٍ من خيار سلف الأمة، وبخاصة منهم أهل القرون الأولى المشهود لها نصاً بالفضل والخير .. هذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبلِ اللَّهِ جميعاً ولا تفرقوا﴾ : فالله تعالى لم يقل: "واعتصموا جميعاً" وإنما قيد هذا الأمر والفرض بجملة اعتراضية واجبة ﴿بحبلِ اللَّهِ﴾ ، فقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبلِ اللَّهِ جميعاً ولا تفرقوا﴾ . وحبل الله المتين الذي لا ينقطع الذي يجب أن تجتمع عليه الكلمة وتتوحد الصفوف هو كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .. وأيما وحدة لا تقوم وحدتها على أساس هذا المنهج .. فهي وحدة فاشلة ومرفوضة لا يمكن أن تتماسك أو يُكتب لها النجاح أو الحياة طويلاً!

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء:115. هذا جزاء ومآل من يُشاقق ويُخالف الرسول ﷺ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ونهجهم!

وقال ﷺ: "إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً؛ كتاب الله، وسنة نبيه"[2]. فالعاصم من الضلال والهلاك والفرقة الاعتصام والتمسك بالكتاب والسنة .. مفهوم المخالفة يقتضي إن لم نعتصم بالكتاب والسنة ضللنا وهلكنا .. ولا نلومن حينئذٍ إلا أنفسنا!

وقال ﷺ: "إنها ستكون فتنة". فقالوا: كيف لنا يا رسول الله، أو كيف نصنع؟ قال: "ترجعون إلى أمركم الأول"[3]. فالعاصم من الفتنة كل فتنة . أياً كان نوعها وحجمها . يكون بالرجوع إلى الأمر الأول؛

1 هناك أسباب أخرى لا يمكن تجاهلها .. ذكرناها في كتابنا " تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تُعين على وحدة المسلمين"، فراجعه إن شئت.

2 رواه الحاكم، صحيح الترغيب والترهيب: 40.

3 أخرجه الطبراني، السلسلة الصحيحة: 3165.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .. فأبي بيانٍ أصح وأشفى من هذا البيان ..
حقاً وصدقاً وبقيناً .. أنَّ النبي ﷺ لم يدع شيئاً ينفَعنا في ديننا ودينانا وأخرتنا إلا وقد بينه لنا وأمرنا به ..
وما من شيء يضرنا في ديننا ودينانا وأخرتنا .. إلا وقد بينه لنا ونهانا عنه .. صلوات ربي وسلامه عليه.
ثانياً: **انتفاء اختلاف التضاد في مسائل الأصول والاعتقاد:** إذ يستحيل تحقيق وحدة راشدة
متماسكة متألّفة .. يُكتَب لها النجاح والاستمرار .. مع وجود الأضداد والمتناقضات في الأصول والاعتقاد
بين المتألّفين المتحدّين .. فهذا عقلاً وشرعاً لا يُمكن حدوثه أو تحقيقه؛ إلا في حالة واحدة؛ وهي أن تهون
هذه الأصول والعقائد في أنفس وأعين المتحدّين المتألّفين .. فيتفقون فيما بينهم على تجاوزها وعدم
الالتفات إليها أو الاكتراس بها .. وهذا خيارٌ صعب الرضى به بالنسبة للمسلمين؛ يعني الإنسلاخ من الدين
كليّاً والعياذ بالله.

وُجِدَ . مثلاً . من حاول أن يوحّد بين أهل السنة والجماعة .. وبين الشيعة الروافض .. بزعم
مواجهة الأخطار الخارجية .. غاضباً الطرف عن المخالفات الجسيمة التي وقع فيها الشيعة الروافض ..
والتي تُناقض أصول وعقائد الإسلام كلياً .. لكن محاولاتهم كلها باءت بالفشل .. مثلهم مثل من يحرث في
ماء .. أو من ينشد الماء في سراب!

كيف يُمكن أن تتحقّق الوحدة مع الشيعة الروافض .. ومن أصولهم واعتقاداتهم: أن لأنّهم
مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مُرسل .. كلامهم نافذ وواجب الاتباع ككلام الله تعالى .. وأنهم
معصومون عن الخطأ والزلل .. يعلمون الغيب وما كان وما سيكون .. تخضع لولايتهم وسيطرتهم جميع
ذرات هذا الكون .. وأن الوحي لم ينقطع عنهم .. فهو لا زال يتنزل عليهم بعد وفاة النبي ﷺ .. فصرفوا
لهم العبادة من دون الله تعالى .. وأن لهم قرآناً غير القرآن الذي بين أيدي المسلمين .. والقرآن الذي بين
أيدي المسلمين قرآن محرف .. كَفَرُوا الصّحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .. جحدوا سنة
رسول الله الثابتة الصحيحة .. حَوَّنُوا أمهات المؤمنين؛ نساء الحبيب المصطفى ﷺ .. في قلوبهم من الغل

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

والحقد والغیظ على أهل الإسلام ما ليس في قلب كافرٍ .. وغير ذلك من الاعتقادات والأوصاف التي تناقض عقائد وأصول الإسلام كلياً .. والتي تعني في النهاية هدم الدين^[1]!

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف يُمكن أن تتحقق وحدة ومن ثمَّ يُكتب لها النجاح والاستمرار .. مع قوم هذه بعض أوصافهم .. واعتقاداتهم .. يأبون الانخلاع منها .. فهذا محال تحقيقه .. والذين يُحاولون فإنهم يُحاولون عبثاً .. لا يحترمون أوقاتهم ولا عقولهم!!

ويُقال كذلك: أن الذي يتحقق مع اختلاف التضاد في الأصول والعقائد والثوابت هو التنازع .. والعداوة .. والهلاك .. والتفرق في شیع وطوائف وفرق وأحزاب متنافرة متباغضة متدابرة .. وليس الوحدة والتآلف والاجتماع .. فالتفرق ثمرة ونتاج للاختلاف في الأصول والعقائد والتوحيد .. وبالتالي فإن الذين يُطالبون بأن لا يُثار الحديث عن اختلاف التضاد في الأصول والعقائد .. وما يُعتبر من ثوابت الدين .. فيما بين الفرق والطوائف المنسوبة إلى الإسلام .. خشية على وحدة الصف والكلمة .. هم واهمون .. خادعون ومخدوعون .. ويُقال لهم: هذا النوع من الاختلاف لا يُمكن أن يُثمر وحدة أو اتحاداً .. مهما سُكِّت عنه .. أو حاولتم أن تلبثوه ثوب التحضر والرقى .. بل في إقراره والسكوت عنه تتحقق الفرقة والعداوة والبغضاء، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ المائدة:14. فلما نسوا حظاً من الدين والتوحيد .. واختلفوا فيه .. كانت النتيجة كما قال تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ : فانقسموا وافترقوا إلى فرق عدة .. تلعن بعضها بعضاً .. وتكفر بعضها بعضاً!

وهذا مثلٌ ضُرب للمسلمين: أي إن نسيتم حظاً من الدين والتوحيد .. واختلفتم فيه .. كما فعل النصارى من قبلكم .. يُعاقبكم الله تعالى بما عاقبهم؛ فيُعري بينكم العداوة والبغضاء .. فتفترقون كما افترقوا .. وتلعنون وتكفرون بعضكم بعضاً .. كما فعلوا .. فليس لهم كلَّ مرة ولنا كلَّ حلوة إن تخلقنا بأخلاقهم .. وفعلنا فعالهم .. ففتنهموا!

¹ إن طلبت الدليل على ما تقدم ذكره عن القوم، فراجع كتابنا " الشيعة الروافض طائفة شرك وردة".

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "والله لتُقيمَنَّ صفوفُكم أو ليُخالِفَنَّ اللهُ بين قلوبكم". قال النعمان بن بشير— راوي الحديث —: فرأيت الرجل يلزق منكبه بمنكب صاحبه، وركبته بركبة صاحبه، وكعبه بكعبه^[1].

يا سبحان الله! إذا كان التقصير في عدم تسوية صفوف الصلاة .. مؤداه إلى اختلاف القلوب .. وإلى أن يُعاقب الله المقصرين باختلاف قلوب بعضهم على بعض .. فكيف بمن يقصر .. ويتهاون .. ويُخالِف فيما له مساس بالأصول، والعقيدة، والتوحيد .. لا شك أنه أدعى لنزول العقاب .. واختلاف القلوب وتنافرها!

ويُقال كذلك: أن أعظم مقاصد وغايات الدين .. تحقيق التوحيد؛ فهو غاية الغايات .. والمقصد الأعلى من خلق الخلق .. وإرسال الرسل .. وإنزال الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذريات:56.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البينة:5.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة:31.
وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل:36.
وغيرها كثير من الآيات القرآنية التي تؤكد هذا المعنى.

وبالتالي فإن مطلب ومقصد التراص، والتوحد، واجتماع الكلمة .. ما هو إلا وسيلة لخدمة المطلب والمقصد الأعلى والأعظم والأسمى للدين .. ألا وهو مطلب ومقصد تحقيق التوحيد .. وبالتالي لا يجوز أن يُضحى بالغاية من أجل الوسيلة .. ولا بالأعلى من أجل الأدنى، ولو حصل تعارض بين التوحد والتوحيد .. وكان لا بد من اختيار أحدهما .. فُدم خيار التوحيد ولا بد .. وليس للمسلم خيار غير هذا الخيار، إلا في حال أثار أن يختار الكفر على الإيمان!

فمن صفات النبي ﷺ أنه فرَّق بين الحقِّ وأهله من جهة .. وبين الباطل وأهله من جهة أخرى ولو كانوا من أولي القربى أو العشيرة أو القبيلة الواحدة؛ لأن ذلك من مقتضيات تحقيق التوحيد؛ توحيد الخالق ﷻ.

¹ صحيح سنن أبي داود: 616.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

كما في الأثر عن المقداد بن الأسود، قال: "والله لقد بعث الله النبي ﷺ على أشد حالٍ بُعثَ عليها نبيٌّ من الأنبياء في فترةٍ وجاهليةٍ؛ ما يرون أنَّ ديناً أفضلَ من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرَّقَ به بين الحق والباطل، وفرَّقَ بين الوالد وولده .." [1].

ومن أسمائه ﷺ الماحي الذي يمحو الله به الكفر والباطل، كما في الحديث: "أنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر" متفق عليه.

وعن جابر بن عبد الله ؓ قال: "جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائمٌ، وقال بعضهم: إن العين نائمةٌ والقلب يقظانٌ .."، وفيه: "فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمدٌ ﷺ فرَّقَ بين الناس" البخاري. فأخى بين المؤمنين، وعادى الكافرين والمجرمين.

وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة:22. فكان النبي ﷺ ومن معه من أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين خير ترجمان لهذه الآية الكريمة في شعورهم واعتقادهم، وواقع حياتهم ومعاشهم سواء.

فإن قيل: ماذا يكون القول في تلك المقولة الرائجة الشائعة: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر

بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"؟

أقول: هذه المقولة ليست حديثاً ولا أثراً لصحابي أو تابعي .. ولا لعالم من علماء الأمة الأوائل .. وإنما هي عبارة أُثرت عن داعية معاصر؛ نحسبه من الصالحين ولا نزكي على الله أحداً .. رحمه الله تعالى.

والعبارة متشابهة .. حمالة أوجه ومعانٍ .. قد استُغلت أسوأ استغلال .. من قبل دعاة التوحّد على حساب التوحيد، ووجه التشابه فيها أنها أجملت ما ينبغي فيه التفصيل، وبيان ذلك، أن قوله:

¹ أخرجه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة: 2823.

فِقْهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ البِدْعِ

"ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه " .. فإن كان المراد بالاختلاف اختلاف التنوع .. فاختلاف النوع . كما تقدم . كله حق وصواب .. لا مجال فيه للتلاوم والرد والأخذ .. ومن ثم الإعذار!
وإن كان المراد بالاختلاف اختلاف التضاد في الفروع .. وبشروطه التي يُستساغ فيها - كما تقدم . فالعذر قائم بين المختلفين .. ولكن هذا لا يمنع من التناصح وبيان الحق فيما اختلف فيه؛ لأن الحق في مثل هذا النوع من الاختلاف الذي ينبغي اتباعه واحدٌ لا يتعدد!
وإن كان المراد بالاختلاف اختلاف التضاد في الأصول والعقائد والتوحيد .. فالمقولة باطلة ومردودة؛ إذ لا يجوز أن نعذر المخالفين للإسلام في أصوله وعقائده وثوابته .. بل تشتد المؤاخذة عليهم .. كما تقدم الحديث عن ذلك.

فإن قيل: كيف نفهم ونفسر الحديث القائل: "اختلاف أمتي رحمة"؟

أقول: هذا الحديث موضوع لا أصل له — كما نص على ذلك علماء الحديث — ومعناه مخالف للأحاديث الصحيحة التي تبين شر ومضار الاختلاف في الدين، كما في قوله ﷺ: "لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا" البخاري.
وقوله ﷺ: "الجماعة رحمة والفرقة عذاب". وغيرها من النصوص الشرعية التي تحذر من شر الاختلاف والتفرق في شيع ومذاهب شتى.
بهذا أجيب عن هذا السؤال الوارد أعلاه .. وبالجواب عنه تنتهي — بفضل الله تعالى ومنته وتوفيقه . الإجابة عن مسائل هذا البحث .. راجياً من الله تعالى القبول، وأن يجعل من عملي هذا مفتاح خير مغلق شرٍّ للمسلمين .. إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1427/11/30هـ

2006/12/20م

فُكُّوا الْأَسِيرَ

فُكُّوا الْأَسِيرَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

إن ممَّا يجب على الأمة أن تنهضَ له، وتهتمَّ به .. وتقلقَ لأجله .. شؤونَ الأسرى المسلمين في جميع الأمصار؛ وبخاصة منهم الدعاة والعلماء .. الذين حملوا أنفسهم على الصدعِ بالحق .. وتعرية الباطل .. سواءً منهم الذين ضمَّتهم سجونُ الأنظمة المرتدة العميلة الخائنة في بلادِ المسلمين .. وما أكثرهم .. وأكثر ما يتعرضون له من تعذيب وإهاناتٍ وإذلال .. في تلك السجون الرهيبة المظلمة .. أو الذين ضمَّتهم سجونُ الروم في أمريكا وبلاد الغرب .. وأخص منهم بالذكر الشباب المسلم القابع . ظلماً وعدواناً . في سجون جوانتناموا .. والشيخ العالمِ الضيرير الكبير عمر بن عبد الرحمن الذي يتعرض في سجنه .. لفنون من الأذى والإذلال والقهر .. لم يحترموا فيه ضعفه .. ولا كِبَرِ سِنِّه .. ولا مكانته في الأمة .. وما أرادوا من وراء ذلك إلا إذلالَ الإسلام والمسلمين .. فكَّ اللهُ أسره وأسر جميع المسلمين في جميع الأمصار والبلدان!

يا أمة الإسلام .. أترون لو أن الأمم الأخرى لها في سجون المسلمين بعض ما لنا في سجونهم .. أتسكتُ، أو ترونها يطيبُ لها عيشٌ .. أو متاع؟!

ما أظنكم إلا وقد سمعتم كيف أن أمريكا ومعها جميع دول الغرب .. قد ضجَّتْ وهَدَّدت وتوعَّدت المجتمع الليبي بفنون من العقوبات والإجراءات الانتقامية .. إن لم يُفرج عن بضعة من الأسيرات الرومانيات المجرمات القاتلات القابعات في سجون ليبيا .. قد تعمَّدن قتل أكثر من أربعمئة طفل من أطفال المسلمين عن طريق حقنهم بجرثومة الإيدز .. ذاك المرض الفتَّاك القاتل!

بينما أمة الإسلام .. لها في سجون أمم الكفر والردة المئات إن لم يكن الآلاف .. من العلماء والشباب المسلم .. لا ذنب لهم سوى أنهم يقولون ربُّنا اللهُ كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ البروج:8. ومع ذلك فالمسلمون . إلا من رحم الله . عنهم ساهون لاهون .. غيرُ مكترثين لحالهم وما يعانونه من ظلم وبلاء .. وكأنَّ هؤلاء المعتقلين . من علماء وشباب الإسلام . ليسوا من أبناء هذه الأمة .. وليس لهم حقاً على إخوانهم المسلمين!!

فُكُّوا الْأَسِيرَ

يا أيها المسلمون .. كيف يطيبُ لكم العيشُ .. ويحلو لكم الصمتُ على مظالم أسراكم والله تعالى

يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات:10. ويقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ التوبة:71.

يا أيها المسلمون .. كيف يطيبُ لكم العيشُ .. ويحلو لكم الصمتُ على مظالم أسراكم، ونببيكم

صلوات ربي وسلامه عليه يقول: "أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكُّوا العاني"; والعاني هو الأسير.

وقال ﷺ: "إنَّ على المسلمين من فيهم أن يُفادوا أسيرهم، ويؤدوا عن غارمهم".

وقال ﷺ: "ما من امرئٍ يخذُلُ امرءاً مسلماً في موطنٍ يُنتقصُ فيه عرضه، ويُنتهكُ فيه من حُرْمَتِهِ،

إلا خذَلَهُ اللهُ تعالى في موطنٍ يُحبُّ فيه نصرته، وما من أحدٍ ينصرُ مسلماً في موطنٍ يُنتقصُ فيه من

عرضه، ويُنتهكُ فيه من حُرْمَتِهِ، إلا نصره اللهُ في موطنٍ يُحبُّ فيه نصرته". وأي خذلانٍ أعظم من أن

تتخلى الأمة . في ساعات العسر والشدة . عن الصفوة من أبنائها الذين نهضوا للذود عن دينها وحرمايتها؟!!

وقال ﷺ: "مَنْ نصرَ أخاهُ بالغيبِ نصره اللهُ في الدنيا والآخرة".

يا أيها المسلمون .. كيف يطيبُ لكم العيشُ .. ويحلو لكم الصمتُ على مظالم أسراكم، ونببيكم

صلوات ربي وسلامه عليه يقول: "المؤمنُ من أهلِ الإيمانِ بمنزلةِ الرأسِ من الجسد، يَأْلَمُ المؤمنُ لما يُصيبُ

أهلَ الإيمان، كما يَأْلَمُ الرأسُ لما يُصيبُ الجسد".

وقال ﷺ: "المؤمنون كرجلٍ واحدٍ، إذا اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينه اشتكى كله".

وقوله ﷺ "المؤمنون"; أي كلُّ المؤمنين . على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأوطانهم . لا يُمكن إلا أن يكونوا

في تعاونهم وتراحمهم وتعاطفهم وتعاضدهم . كرجلٍ واحدٍ .. يَأْلَمُ بعضهم لبعض .. ويقلق بعضهم لبعض

.. كما يَأْلَمُ ويقلقُ الرجلُ كله لأي عضوٍ يُصاب من أعضائه .. فهل نحن كذلك؟!!

يا أيها المسلمون .. كيف يطيبُ لكم العيشُ .. ويحلو لكم الصمتُ على مظالم أسراكم، ونببيكم

صلوات ربي وسلامه عليه يقول: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم، وتعاطفهم، كمثلِ الجسدِ إذا اشتكى

عضواً تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمى". فعلى كلِّ واحدٍ منا أن يسأل نفسه . ليعلمَ صدقَ إيمانه

وانتمائه للمؤمنين ولهذا الدين . هل هو ممن يَقلقُ ويُصابُ بالحمى لما يُصيبُ المسلمين في أمصارهم من

شدة وبلاء .. أم أنه ممن لا يُبالي .. ولا يكثرث إلا لنفسه ومصالحه وشهواته؟!!

فُكُّوا الْأَسِيرَ

يا أيها المسلمون .. كيف يطيب لكم العيشُ .. ويحلو لكم الصمتُ على مظالم أسراكم، ونبياكم صلوات ربي وسلامه عليه يقول: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ". وأي كربةٍ تنفّسها وتفريجها عن أخيك المسلم أعظم وأجلُّ من أن تسعى في تنفيس كربة المكروب السجين .. وما أشد كربيته وهو يقبُع في غياهب سجون الظالمين المجرمين!

وقال ﷺ: "المسلمُ أخو المسلم لا يظلمُهُ ولا يُسَلِّمُهُ، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلمٍ كربةً فرّجَ اللهُ عنه كربةً من كُرْبِ يومِ القيامة". وقوله ﷺ " لا يظلمُهُ ولا يُسَلِّمُهُ "؛ أي لا يُسَلِّمُهُ للظلم والظالمين .. وإنما يسعى لإنقاذِهِ من أيديهم.

يا أيها المسلمون .. تريدون من العلماء والدعاة أن يصدعوا بالحق .. وأن يقوموا بواجبهم نحو الأمة .. ثم إن فعلوا ونزلت بساحتهم البلايا والشدائد . من ذلك تغييرهم في غياهب سجون الطغاة الظالمين . تخليتهم عنهم .. وتبرأتهم منهم .. وتنكبتم عن نصرتهم .. وكأنكم لا تعرفونهم .. وليس لهم عليكم حقاً .. ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ النجم:22. فالإسلام يُنصر بالشعوب المسلمة وبعلمائهم العاملين معاً .. وليس بأحدهما دون الآخر.

باب من أبواب الخير قد فُتِحَ لك يا عبد الله .. فاعتنمه قبل أن يُغلق فتُحرم خيراً كثيراً .. هذا الباب هو أن تمشي في حاجة إخوانك الأسرى .. وحاجة عوائلهم .. وأطفالهم .. فهنيئاً لمن يغتنمه قبل أن يُحرمه، فيندم ولات حين مندم!

وإنها لفرصة أن أحضَّ إخواني المجاهدين على أن يعتمدوا خيارَ الفداء عمّاً سواه . ما أمكن لذلك سبيلاً . وأن يجتنبوا التعميم في مطالبهم .. بحيث تكون مطالبهم محددةً وممكنةً .. ومقدوراً عليها .. فقد صح عن عمران بن الحصين رضي الله عنه: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فدى رجلين من المسلمين بـرجلٍ مشرك". والله تعالى أعلم.

اللهمَّ يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام .. إِنَّا نَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ وَقُدْرَتِكَ أَنْ تَفكَّ أَسْرَ الْمُسْلِمِينَ .. في جميع البقاع والأمصار .. وأن تُفْرِجَ كُرْبَهُمْ .. وأن تجمع شملهم مع آبائهم وأسْرهم وأحبّتهم .. عاجلاً

فُكُّوا الأَسِيرَ

غير آجلٍ .. وأن تكون معهم في غُرْبَتِهِمْ ووحشَتِهِمْ .. وأن تُثَبِّتَهُمْ .. وتدخلَ السكينةَ على قلوبِهِمْ .. وأن تنتقمَ
من ظالمِهِمْ .. وجلادِهِمْ .. فترينا فيهم آيةً من آياتِكَ .. إنَّكَ يا ربنا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.
وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1428/01/17هـ

أبو بصير الطرطوسي

2007/02/05م

عندما تنحرف مسيرة الجهاد عن المسار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد شرع الجهاد في سبيل الله للحفاظ على مقاصد الإسلام الكليّة وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل أو العرض، والمال، ومن المال الأرض؛ إذ لا قيام ووجود لمقاصد الإسلام الأخرى إلا بالذکر. على الوجه الأكمل. من دون وجود أرض تحتضنها، وتحميها، وتحافظ عليها.

وشروطه: المتابعة للسنة أو الموافقة لأحكام الشريعة وحدودها، والإخلاص، فإن انتفى أحد الشرطين بطل العمل والأجر، وسلب عن الجهاد والمجاهدين صفة ومسمى الجهاد في سبيل الله.

ومن لوازمه: العلم؛ فالعلم يتقدم العمل ويتقدم الجهاد.. فمن انطلق إلى الجهاد بغير علم ولا فقه فيما يتعلق بالجهاد من أحكام ومسائل ضرورية.. وقع في العدوان والإفراط أو التفريط ولا بد، وعن قصدٍ أو غير قصد.. فجاهل الشيء كفاقده لا يمكن أن يقوم به فضلاً عن أن يعطيه للآخرين.

هذه هي مقاصد وغايات الجهاد، وهذا هو لازمه، وهذه هي شروطه.. التي تُحدد مسار الجهاد ومعالم طريقه، فلا يتجاوزها في شيء.

وعلى قدر انحراف سفينة الجهاد عن تلك المقاصد والغايات، وتلك الشروط.. يكون انحرافها عن المسار الصحيح.. وهي بقدر انحرافها عن هذا المسار تفقد مبررات وجودها.. ودواعي القبول والنصر والتمكين.

لا يمكن لجماعة من الجماعات أن تعتبر المسائل الفقهية الخلافية التي يُستساغ فيها الاختلاف والاجتهاد. وعلماء الأمة قد اختلفوا فيها، ولا يزالون. من الثوابت.. والكليات العامة التي لا تقبل النقاش.. والتي يُقاتل من أجلها أو من أجل نصره قول من جملة الأقوال التي قيلت في المسألة.. ويرتبون على ذلك ولاءً وبراءً.. ثم بعد ذلك نعتبر هذه الجماعة جماعة جهادية جادة تسير في الاتجاه والمسار الصحيحين.

لا يُقبل من أي حركة تنتسب للجهاد.. أن يكون تأصيلها النظري وفق قواعد أهل السنة والجماعة.. بينما تطبقها العملي.. وإنزال أحكامها على الواقع والأعيان.. وفق قواعد ومناهج الخوارج

عندما تنحرف مسيرة الجهاد عن المسار

الغلاة .. ثم بعد ذلك تُعتبر هذه الحركة الجهادية حركة جهادية جادة تسير في الاتجاه والمسار الصحيحين .. وأن منهجها هو منهج أهل السنة والجماعة.

الجماعة التي تضع السيف في أبناء المسلمين من أهل القبلة .. وغيرهم ممن صان الشرع حرماهم .. أو يظهر منها نوع استهانة واستهتار بالحرمان .. وبمقاصد الجهاد أو بعضها .. لا يُمكن حينئذٍ أن يُنظر لهذه الجماعة على أنها جماعة جهادية جادة تسير في الاتجاه والمسار الصحيحين.

الجماعة التي تتجرأ على انتهاك الحرمان المصانة شرعاً بالظن، والشبهات، والاحتمالات .. لا يُمكن أن يُنظر إليها على أنها جماعة جهادية جادة تسير في الاتجاه والمسار الصحيحين.

الجماعة التي تتعامل مع القضايا الكبرى العامة بأنانية وعصبية وحزبية .. فتُقدم مصلحتها الخاصة .. ومصلحة أفرادها .. على مصلحة الأمة .. ومصلحة الدين .. وعلى مصلحة وسلامة غيرهم من المسلمين .. لا يُمكن حينئذٍ أن يُنظر لهذه الجماعة على أنها جماعة جهادية جادة تسير في الاتجاه والمسار الصحيحين.

الجماعة التي تكون جل حركتها وعملها في الساحات المتشابهة المُختلف عليها .. والتي هي مثار جدل بين المسلمين وفقهائهم .. مع توفر الساحات المحكمة التي لا خلاف عليها .. لا يُمكن حينئذٍ أن يُنظر لهذه الجماعة على أنها جماعة جهادية جادة تسير في الاتجاه والمسار الصحيحين.

عندما تقدم جماعة من الجماعات حب التشفي والانتقام على الحكم الشرعي .. والمتابعة للسنة .. لا يُمكن حينئذٍ أن يُنظر لهذه الجماعة على أنها جماعة جهادية جادة تسير في الاتجاه والمسار الصحيحين.

أخوف ما يُخاف على سفينة الجهاد أن يتسلط عليها .. وعلى قيادتها .. أفراد يجنحون إلى الغلو والتشدد والتنطع في الدين .. والاستهانة بالحرمان المصانة شرعاً .. فإن حصل ذلك أو شيء منه .. لا تسأل حينئذٍ عن درجة الانحراف والهلكة التي يُمكن أن تُصيب حركة الجهاد .. والأمة من ورائها .. وعن العواقب الوخيمة التي يُمكن أن تحصل من جراء ذلك!

عندما تنحرف مسيرة الجهاد عن المسار

فإن حصل لحركة الجهاد الانحراف عن المسار الصحيح . المبين لمناهج أهل الغلو

والإرجاء، والإفراط والتفريط . فما هي النتائج المتوقعة، والتي يُمكن أن تقع:

1- تأخير النصر والتمكين .. لأن النصر والتمكين يُشترط لهما الطاعة لله ولرسوله ﷺ .. والاستقامة على المنهج القويم الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين .. كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

2- تسليط العدو .. والاستئصال المبكر للقائمين على تلك الجماعة أو المجموعات، وللمنخرطين فيها .. لأن البغي، والظلم، والغدر .. كل ذلك عواقبه وخيمة .. وعقوبته مستعجلة في الدنيا قبل الآخرة .. كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، فسنن الله في خلقه لا تُحايي أحداً.

3- تشويه صورة الإسلام .. وصورة عظمة الجهاد في الإسلام .. في أذهان كثير من الناس .. مما يؤدي إلى تنفيرهم وصددهم عن دين الله .. وهذه نتيجة يدفع العدو لأجلها الغالي والنفيس!

4- تخلي الناس عن احتضان وتبني ودعم تلك الجماعات .. وبخاصة إن أدركوا أن هذه الجماعات تعمل بطريقة لا تُبالي معها لمصالحهم وحرمتهم وحقوقهم .. في شيء .. ضررها يغلب نفعها .. والملام حينئذ هم القائمون على تلك الجماعة أو الجماعات لا غيرهم.

لا ينبغي ولا يجوز أن نضع الشعوب المسلمة بين خيارين لا ثالث لهما: إما الرضى بهذه الجماعة أو تلك على ما هي عليه من انحراف وغلو وممارسات خاطئة خطيرة تحصل باسم الإسلام والدين . والإسلام منها براء . وإما الرضى بالطاغوت وحكمه ونظامه . بمعنى السكوت عليه والتعامل معه بتقية ومدارة . والاستفادة بما يمن به عليهم ويعددهم به من الأمن والرخاء .. وفي كثير من الأحيان يحصل التردد ويصعب الاختيار .. ثم إن أخطأوا في الاختيار . طلباً للسلامة والأمان .. وهرباً من ظلم وطغيان هذا الفريق أو ذاك . ضيقنا عليهم ساحة الأعذار .. وأسرعنا في تكفيرهم، وانتهاك حرمتهم .. فهذا لا يجوز، وهو من فتنة الناس عن دينهم!

5- في مرحلة من المراحل قد يكتشف القائمون على هذه الجماعات غلوهم وخطأهم وانحرافهم عن المسار .. وأنهم قد أسرفوا في القتل .. فيحملون أنفسهم على المراجعة والتراجع .. والاعتذار عما يجوز الاعتذار عنه وما لا يجوز .. بصورة هي أقرب للارتكاس، والارتداد، والانتكاس .. فيقابلون الخطأ بخطئ

عندما تنحرف مسيرة الجهاد عن المسار

آخر .. والانحراف بانحراف آخر قد يكون أشد خطراً عليهم وعلى دينهم من الانحراف الأول .. وهذه النتيجة متوقعة وغير مستبعدة ممن يتربى على انتهاج الخطأ منذ انطلاقة الأولى .. فيكونون بفعلهم هذا كشهداء زور على الإسلام .. وعلى الجهاد في الإسلام .. وعلى مبادئ وقيم الإسلام .. في حالة الحرب والسلم سواء!

6- الإطالة من حياة الطواغيت الظالمين .. وحياة أنظمتهم الفاسدة الظالمة .. لأن الطاغوت هو المستفيد الأكبر من وراء هذه النتائج .. ومن وراء هذا الانحرافات والممارسات الخاطئة .. وفي كثير من الأحيان . لولا أن البراهين تأتي فيما بعد بخلاف ذلك . نكاد نقول أن هذا العمل المنسوب للجهاد والمجاهدين .. لا يُمكن أن يقوم به إلا الطاغوت وحاشيته .. لا يُمكن أن يقوم به إلا العدو .. لأنه هو المستفيد الأوحى من هذا العمل .. لكن وللأسف في كثير من الأحيان تأتي التقارير لتكذب ظننا، وتُخيب فأننا!

انحراف هذه الجماعة أو تلك عن المسار الشرعي الصحيح .. وانتهاجها سبل الإفراط أو التفريط .. هو الذي يقوي الطواغيت الظالمين على القائمين على تلك الجماعات .. ويجعل لهم عليهم سلطاناً .. وليس نصح الناصحين المشفقين من الدعاة المموحين الذين ينصحون ويسددون ويسدوا الخلل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .. كما يصور ذلك بعض المشاغبين عندما تأتي نصيحة الدعاة . المعروفين بنصرة قضايا الأمة، وقضايا الجهاد . بخلاف أهوائهم ورغباتهم، وانتماءاتهم الحزبية العصبية! كان المجاهدون من سلفنا الصالح يخافون على أنفسهم من ذنوبهم أكثر مما يخافون من جموع العدو، وعتاده، وسلاحه .. وما أكثر الشواهد والأدلة . من تاريخنا الإسلامي . الدالة على ذلك لو أردنا الاسترسال في الاستدلال.

اعلموا أن المُنكر يُنكر أياً كان صاحبه .. والخطأ يُرد ويُزال أياً كان صاحبه .. والقيادات الجهادية الجادة والمخلصة لا بد من أن تملك الجرأة على محاسبة النفس .. ومحاسبة أفرادهم الذين ينتمون إليهم وما يصدر عنهم من أعمال وممارسات مخالفة للشرع .. قبل أن يتسع الخرق، ويصعب الترقيع، والاحتواء!

أعلم أن من القيادات الجهادية المعاصرة من لديه ردة فعل تجاه مواقف الإخوان المسلمين القديمة والجديدة من بعض أفرادهم الذين يقومون بواجب الجهاد، وترجمة بعض أدبيات الإخوان الجهادية على أرض الواقع .. ثم بعد ذلك تتبرأ قيادات الإخوان منهم ومن جهادهم .. كما فعل الإخوان زمن البنا رحمه الله عندما تبرأوا من بعض أفرادهم لما قتلوا الطاغية " محمود فهمي النقراشي باشا "

عندما تنحرف مسيرة الجهاد عن المسار

الذي كان الحربة المشرعة لمحاربة الإسلام والمسلمين في زمانه .. وما يترتب عن هذا النهج والتذبذب من انقسام بين الفكرة وتطبيقها، وبين الأفراد وقياداتهم.

وهو حتى لا يكرر نفس النهج، ويقع فيما وقع فيه قادة الإخوان من قبل، ويُحدث هذا الشرح الكبير بين الأفراد والقادة، وبين الفكرة والعمل بها .. تراه يبارك كل عمل تقوم به مجموعته أو الأفراد الذين ينتمون إليه مهما كان نوع وطبيعة هذا العمل، سواء كان حقاً أم باطلاً .. ويصف أعمالهم . على خطأ بعضها . بأنها غزوة وغزوات، وفتح ما بعده فتح ..!

ونحن نقول لهذا الأخ الكريم وغيره من الإخوان من قادة العمل الجهادي: كلا المنهجين خطأ: المنهج القائم على التوسع في البراء ليشمل البراء من المجاهدين أنفسهم ومن أعمالهم المشروعة، وغير المشروعة .. والمنهج المقابل القائم على الولاء المطلق والثناء المطلق لكل ما يصدر عن المجاهدين من حق أو باطل، ومن خطأ أو صواب .. فهذا خطأ، وهذا خطأ!

والصواب: وسط بينهما، وهو ما كان عليه النبي ﷺ الذي أمرنا بأن نشهد على المحسن بأنه محسن أيّاً كان هذا المحسن، ونشهد على المسيء بأنه مسيء أيّاً كان هذا المسيء، وأن ننصف الحق ولو من أنفسنا.

لا بد من أن نقول لمن أصاب الحق من المجاهدين قد أصبت وأحسنت .. جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .. ولمن أخطأ منهم قد أخطأت، والصواب كذا.

إن أخطأ المجاهد .. تبرأنا من خطئه واعتذرنا لمن أخطأ بحقهم .. من دون أن نتوسع في البراء والاعتذار ليشمل البراء من الفعل الخاطئ ومن فاعله سواء، كما حصل مع النبي ﷺ لما تبرأ من صنيع خالد بن الوليد ﷺ لما قتل أولئك النفر الذين قالوا صبأنا، أرادوا أن يقولوا أسلمنا فلم يُحسنوا التعبير عما يريدون قوله، فقالوا صبأنا صبأنا .. فاستعجل خالد قتلهم، فقال النبي ﷺ لما بلغه الخبر: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد " ثلاثاً، وأصلح خطأه بدفع دية من قتلهم.

فمكانة خالد العظيمة عند النبي ﷺ محفوظة ومعلومة .. لكنها لم تمنع النبي ﷺ . حاشاه . من إنصاف الحق من خالد .. ومن البراءة من فعله الخاطئ .. والاعتذار إلى من أخطأ بحقهم.

وكذلك لما أخطأ أسامة بن زيد ﷺ عندما قتل في أجواء القتال من قال " لا إله إلا الله " ظناً منه أنه قالها فرقاً وخوفاً من السيف .. فأنكر النبي ﷺ عليه صنيعه .. وقال له مستنكراً: "يا أسامة أقتلته

عندما تنحرف مسيرة الجهاد عن المسار

بعد ما قال لا إله إلا الله؟! قال أسامة: يا رسول الله إنما كان متعوذاً! فقال ﷺ: "أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟!!" فما زال يكررها على أسامة، حتى قال أسامة: تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم! علماً أن أسامة ؓ من أحب أصحاب رسول الله ﷺ إلى قلب رسول الله ﷺ .. فحبه محفوظ .. ومكانته محفوظة ومعلومة .. ولكن هذا كله لا يمنع من رد الخطأ والبراءة منه إذا جاء الخطأ من جهته أو طرفه.

أما إذا كان خطأ المجاهد ناتجاً عن تدين بأصول بدعية فاسدة .. مخالفة لأصول أهل السنة والجماعة .. كأصول الخوارج الغلاة .. وكان هذا الخطأ هو ديدنه الدائم .. فحينئذ يتوسع البراء ليشمل البراء من الفعل والفاعل نفسه، كما أمر النبي ﷺ بالبراء من الخوارج الغلاة أنفسهم، ومن صنائعهم وأخطائهم سواء .. علماً أنهم وصفوا بأنهم من أكثر الناس عبادة، وتلاوة للقرآن .. إلا أنهم مع ذلك يستحلون الحرمات بتأويلات فاسدة، وينشغلون بقتل أهل الإسلام، ويتركون أهل الشرك والأوثان .. ينشغلون بقتل أهل الإسلام بالظن والشبهات، والاحتمالات والتأويلات الفاسدة .. ويسلم منهم طواغيت الكفر والظلم الكبار!

هذا هو المنهج الحق الوسط العدل في التعامل مع المجاهدين وأخطائهم .. لا بد من أن نربي أنفسنا وإخواننا عليه .. ونرقى إلى مستواه هذا إذا أردنا أن يكتب الله النصر لهذا الدين على أيدينا .. وأن نكون سبباً في نصره وعلو كلمته، وليس سبباً في هزيمته، وتخلفه.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود:88.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1428/03/29هـ

2007/04/16م

إِيَّاكَ وَعِبَادَةَ الطَّاعُوتِ يَا وَلَدِي

إِيَّاكَ وَعِبَادَةَ الطَّاعُوتِ يَا وَلَدِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد علاهُ الشَّيْبُ .. وداهَمَتْهُ الأَدْوَاءُ والأَوْجَاعُ .. ودنّت منه علاماتُ الأَجَلِ .. وفراقُ الأهلِ والأحِبَّةِ أصبحَ قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى .. والهَمُّ يَعْتَلِجُ قلبَهُ على مَنْ بَعْدَهُ من ذرِيَّتِهِ .. لا خوفاً عليهم من رزقٍ أو فقرٍ أو جُوعٍ .. فقد تركَ لهم من أسبابِ العيشِ ما يَدْفَعُ عنهم ذلكَ كُلِّهِ .. وإنما هو شيءٌ آخِرٌ يُشَبِّتُ عليه هَمُّهُ وحزنُهُ وفِكرُهُ ...

وهو في شروِده، وحُزنه، وهَمِّهِ، وقَلَقِهِ .. وخَلْوَتِهِ .. يَدْخُلُ عليه ولَدُهُ - الذي لم يتجاوز من العمرِ عَقْداً من الزمان - وهو يرتدي ثوباً أبيض .. تَعْلُو رَأْسَهُ قُبْعَةٌ بيضاء .. تَغْمِرُهُ الحيوِيَّةُ .. والنشاطُ .. والأملُ في غِدٍ واعد .. ما الذي يُحْزِنُكَ .. وَيُقْلِقُكَ .. ويجعلُكَ شارِدَ الذهنِ والبالِ يا والدي ..؟!

هَلْ رأيتَ مني شَغَباً أو شيئاً آخِرٌ يُغْضِبُكَ .. لأعتذرَ وأترجعَ عنه؟!

هَلْ قصَّرتُ في شيءٍ ينبغي أن أقومَ به .. ثم لم أفعله؟!

الوالدُ: ليس شيئاً من ذلك يا ولدي ..!

الولدُ: إذا ما هو .. ما الأمر؟!

الوالدُ: شيءٌ آخر .. أقوى منك .. ومن عُوْدِكَ الطري .. أخشى أنكَ لا تفهمهُ الآن .. وهو ما يزيدُ

من خوفي وقَلَقِي!

الولدُ: بشغفٍ ممزوجٍ بالفضولِ وحُبِّ الاطلاعِ، والثِّقَّةِ، والتحدِّيِ :- حدِّثني عنه يا والدي .. جَلِّهِ

لي .. ستجدني إن شاء الله فاهماً عاقلاً لكل ما تقول!

الوالدُ: هذا المكر الضخم المنظَّم .. والمستمر على مدار الوقت؛ في الليل والنهار من دون انقطاع

.. الذي يُحيطُ بك .. إحاطة السَّورِ بالمعصَمِ .. ويتجاوزُكَ إليه من كلِّ حدبٍ وصوب .. أن إليَّ .. إليَّ .. هو

الذي أخافهُ عليك!

الولدُ: ماذا تعني بالمكر يا والدي ..؟!

الوالدُ: المكر هو كلُّ قولٍ أو فعلٍ .. أو وسيلةٍ .. تُزَيِّنُ الباطلَ وتُحسِّنُهُ .. وتُشِينُ الحقَّ وتُقَبِّحُهُ في

أعين الناسِ!

إِيَّاكَ وَعِبَادَةَ الطَّاغُوتِ يَا وَلَدِي

المَكْرُ هو ضَرْبٌ من ضُرُوبِ الخِدَاعِ؛ يُظهِرُ الحَقَّ باطلاً، والباطِلَ حقاً .. والمعروفَ مُنكرًا، والمنكرَ معروفاً .. والفضيلةَ رذيلةً والرذيلةَ فضيلةً .. فيخلطُ الصُّورَ والحقائقَ والمعاني بعضها مع بعض .. بطريقةٍ يصعبُ معها . على كثيرٍ من الناسِ . التمييزُ فيما بينها .. ومعرفةُ ما ينفعُ منها مما يضرُ!

الوَلَدُ: لو ضربت لي مثلاً عن الوسائل التي تنشرُ ثقافةَ المكرِ والشرِّ .. لكي أهدرها وأكون على بينةٍ منها؟

الوَالِدُ: في كثيرٍ من الأحيانٍ قد لا تكونُ المشكلةُ في الوسيلةِ ذاتها، وإنما في شياطينِ الإنسِ والجنِّ القابعينِ خلقها .. ونوعيةِ الرِّسَالِ التي يَبْثُوثُهَا من خِلالِ تلكَ الوسائلِ .. من هذه الوسائلِ وسائلُ الإعلامِ المتنوعةِ والمختلفةِ: من مِدياعِ، وسينما، وتلفاز، وأجهزةِ إلكترونية، وجرائد، ومجلات .. وكتب .. وروايات وقصص هابطة ساقطة .. وملصقات ودعايات .. ومناهج دراسية باطلة تُفرض على الأبناءِ والأجيالِ .. تبتُّ ثقافةَ الشرِّ والفسادِ، والرَّذِيلَةَ والمجونِ والشكِّ والإلحادِ .. على مدارِ الوقتِ، ومن دونِ انقطاع!

أضف إلى ذلك أوكاراً وأماكن اللهوَ والفسادِ المنتشرة على جنباتِ الطُّرُقِ .. وفي كلِّ زاويةٍ من زوايا الطريق .. تفتشُ شباكها المزخرفةِ والمُغريةِ لكلِّ من يمرُّ بجوارها!

الوَلَدُ: حقاً إنه لأمرٌ مخيفٌ .. ومَكْرٌ عظيمٌ .. لكن ما الغرضُ من هذا المكرِ كُلِّهِ .. الذي تُنفقُ في سبيله مئات الملايين من الدنانير والجنميات .. ومن المستفيدُ منه؟!

الوَالِدُ: هذا سؤالٌ هامٌّ وكبيرٌ .. أُجيبُكَ عنه بأقصرِ وأوضحِ عبارةٍ أستطيعُها: الغرضُ منه — يا ولدي! — أن تكفرَ باللهِ وتؤمنَ بالطاغوتِ .. أن تعبُدَ الطَّاغُوتَ من دونِ اللهِ ﷻ .. أن يُخرجوا العبادَ من عبادةِ اللهِ وحده إلى عبادةِ العبادِ .. أن يُخرجوا العبادَ من التوحيدِ إلى الشركِ والتنديدِ .. ومن نورِ اليقينِ إلى ظلمةِ الشكِّ والإلحادِ .. أن يُطفئوا نورَ اللهِ في قلوبِ الناسِ .. ليسهلَ عليهم غزوها بما شاءوا من الأدرانِ والأوساخِ .. هذا هو غرضُهم وبكلِّ وضوحٍ، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً﴾ سبأ:33.

إِيَّاكَ وَعِبَادَةَ الطَّاعُوتِ يَا وَلَدِي

فهو ليس مَكْرُ اللَّيْلِ وحسب .. ولا مَكْرُ النَّهَارِ وحسب .. بل مَكْرٌ متواصِلٌ، يَصِلُ النَّهَارَ بِاللَّيْلِ،
واللَّيْلَ بِالنَّهَارِ من غير انقطاعٍ ولا تَوَقُّفٍ .. الغرضُ منه: ﴿أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً﴾ : أي شركاء
وطواغيت يُعبدون من دون . أو مع . الله!

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ : أي صُرِفَتِ العِبَادَةُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ .. ﴿أَشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ : أي نَفَرَت، وَأَعْرَضَت، وَتَكَبَّرَت .. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ : وهم الشركاءُ والأندادُ
والطواغيت؛ فَصُرِفَتِ إِلَيْهِمُ العِبَادَةُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﷻ ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الزمر:45. يفرحون ويُسرِّون!
وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ﴾ التوبة:32.

هذه هي الحقيقةُ كاملةٌ كلها قد وضعتها بين يديك يا ولدي ..!

الوَلَدُ: قد سمعتكُ تكررُ كلمةَ الطَّاعُوتِ على لسانك - يا والدي! - أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، محذراً إِيَّايَ مِنْهُ
ومن عبادته .. فمن هو الطَّاعُوتُ .. وما هي صفاته التي يُعرَفُ بها .. هل هو حجرٌ .. أم شجرٌ .. أم بشرٌ ..
أم ماذا .. لو تُجَلِّه لي . يا والدي! . لأجتنبه وأعتزله وأحذره أكثر فأكثر؟!

الوَالِدُ: أحسنتَ سؤالاً يا ولدي .. الطَّاعُوتُ: هو كل من ارتضى لنفسه خاصيةً أو صفةً من
خصائص وصفاتِ اللَّهِ ﷻ وحده، فأقره الناسُ وتابعوه عليها .. وعبدوه من جهتها .. هذا هو الطَّاعُوتُ
الذي يجب الكفر به والبراءة منه، ومن عبادته، وعابديه.

الوَلَدُ: لو تبسَّط لي المعنى .. وتضرب له الأمثال؟

الوَالِدُ: مثالُ ذلك: من خصائص وصفاتِ اللَّهِ تعالى أَنَّهُ المحبوبُ لذاته، وما سواه يُحِبُّ له وفيه؛
فيه يُعَقِّدُ الوِلاءَ والبراءَ، والحبُّ والبُغْضُ .. فإن زعمَ مخلوقٌ لنفسه هذه الخاصيةَ أو الصِّفةَ .. وطالبَ
الناسَ بأن يُوالوه لذاته لأنه فلان، بغضِ النظرِ عما يَصْدُرُ عنه من حقٍّ أو باطلٍ .. ويلزمهم بأن يُوالوا
فيه ويُعادوا ويُجافوا فيه .. ثم أنَّ من الناسِ من يقرُّه ويُتابعه على ذلك .. فهو حينئذٍ طَّاعُوتٌ .. ومن
تابعه وأقره من الناسِ على هذا الإِدعاء .. فهو داخلٌ في عِبَادَةِ الطَّاعُوتِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﷻ.

مِثَالٌ آخَرُ: من خصائص وصفاتِ اللَّهِ تعالى أَنَّهُ المطاعُ لذاته؛ فيطاع في جميع ما أمرَ لأنه الله،
ولأنه المعبودُ بحقٍّ، ولأنه لا يصدُرُ عنه ﷻ إلا مُطلقُ الحقِّ، ومطلقُ العدلِ؛ لكَمالِ أسَمائِهِ الحسنى

إِيَّاكَ وَعِبَادَةَ الطَّاغُوتِ يَا وَلَدِي

وصفاته العُليا .. فإن زعمَ مخلوقٌ لنفسه هذا الزعمَ الكبير؛ فقال: أنا المطاعُ لذاتي؛ فكلُّ ما يصدرُ عني من أمرٍ أو قانونٍ مُلزمٍ للناسِ .. لا يسعهم إلا طاعتي واتباعي .. لا رأيَ لهم إلا ما أرى .. ولا خيارَ ولا حقَّ لهم سوى اتباعي وطاعتي في كلِّ ما يصدرُ عني .. فهو حينئذٍ - بهذا الإدعاءِ الكبير - طاغوت .. ومن تابعه وأقره من الناس على هذا الإدعاء .. فهو داخلٌ في عبادة الطاغوتِ من دونِ الله ﷻ.

مِثَالٌ آخَرُ: من خصائصِ وصفاتِ الله تعالى أَنَّهُ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ؛ لا شريكَ له في الحُكْمِ والتشريعِ؛ فالحقُّ ما حكَمَ عليه الخالقُ ﷻ بأنَّه حقٌّ، والباطلُ ما حكَمَ الله تعالى عليه بأنَّه باطلٌ، والحلالُ ما حكَمَ الله تعالى عليه بأنَّه حلالٌ، والحرامُ ما حكَمَ الله تعالى عليه بأنَّه حرامٌ .. فالحكمُ على الأشياءِ إليه وحده ﷻ لا لغيره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف:40. وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف:26.

فإن زعمَ مخلوقٌ لنفسه هذا الحقِّ، وقال: الحكمُ لي، ولي الحقُّ في أن أُشرعَ، وأحلِّلَ، وأحرِّمَ، وأن أحكمَ على الأشياءِ بالتحسينِ والتقبيحِ من تلقاءِ نفسي من دونِ الله ﷻ .. فهو حينئذٍ - بهذا الإدعاءِ الكبير الكاذبِ - طاغوتٌ .. ومن تابعه وأقره من الناسِ على هذا الإدعاء .. فهو داخلٌ في عبادة الطاغوتِ من دونِ الله ﷻ.

مِثَالٌ آخَرُ: من خصائصِ وصفاتِ الله تعالى أَنَّهُ تعالى يَعْلَمُ الغيبَ، وما كان وما سيكون .. وأن الضرَّ والنفعَ بيده، وأنَّه تعالى وحدهُ القادرُ على جَلْبِ النفعِ لمن يشاء، وأن يدفعَ الضرَّ عن من يشاء .. فإن زعمَ مخلوقٌ لنفسه شيئاً من ذلك .. ثم من الناسِ من يُتابعه ويقرُّه على ذلك .. فهو حينئذٍ بهذا الزعمِ والإدعاءِ طاغوتٌ .. ومن يُتابعه ويقرُّه من الناسِ على هذا الزعمِ والإدعاء .. فهو داخلٌ في عبادة الطاغوتِ من دونِ الله ﷻ.

هل تريدني أن أزيدك أمثلةً .. أم فيما تقدم كفاية؟

الوالدُ: بل فيما تقدم كفايةً .. فالمسألةُ أصبحت واضحةً لي ولله الحمد .. جزاك الله خيراً - يا

والدي! - من أبٍ ومُعلمٍ ومُرشدٍ.

الوالدُ: إن عَلِمْتَ ذلك . يا ولدي! . عَلِمْتَ كم هم هؤلاء الطواغيتِ الذين يَسْتَشْرِفُونَ . في زماننا .

خصائصَ الألوهيةِ والرُّبوبيَّةِ من دونِ الله ﷻ .. وكم هم هؤلاء الذين يَعْبُدُونَ الطاغوتَ من دونِ الله

إِيَّاكَ وَعِبَادَةَ الطَّاعُوتِ يَا وَلَدِي

عَلَيْكَ .. ثم يحسبون أنهم على شيءٍ أو أنهم ممن يُحْسِنُونَ صُنْعاً .. فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ - يا ولدي - أن تدخل يوماً في عبادة الطاغوتِ وأنت لا تدري!

الوالد: ما العاصمُ من ذلك كله .. كيف لأحدنا وسطَ هذه الفتنِ المائجة .. أن يحفظَ نفسه من

الانسيابِ والانزلاقِ خَلْفَهَا؟!

الوالد: العاصمُ من ذلك كله وما سوى ذلك من الفتنِ .. الدُّعَاءُ أولاً؛ فَتَسْأَلِ اللَّهَ السَّلَامَةَ، وأن

يُدِيمَ عَلَيْكَ حِفْظَهُ وَنِعْمَهُ .. **ثانياً:** في الالتزامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَقِّ فَهْمِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .. فتلتزم غرزهما .. وتدورُ معهما حيثما دارا .. فمن التزم غرزَ الكتابِ والسُّنَّةِ لا يضلُّ بعد ذلك أبداً.

واعلم يا ولدي أن الإِنَاءَ يَنْضَحُ ما فيه .. فإن ملأته ماءً طاهراً نظيفاً نضج ماءً طاهراً نظيفاً .. وإن ملأته ماءً نجساً ممزوجاً بالأوساخِ والأدرانِ .. نضج الإِنَاءُ ما فيه من أوساخٍ وأدرانٍ .. فما تزرعه تحصده .. وكذلك وعاءُ الرأسِ؛ فإن ملأته حقاً وخيراً وعلماً نافعاً .. نضج حقاً وخيراً وعلماً نافعاً .. ونطقت بالحكمة .. وإن ملأته باطلاً وعلماً ضاراً .. نضج باطلاً وعلماً ضاراً .. ونطقت بالفتنة والهوى .. فتؤذي بذلك نفسك والآخرين .. فأنت وما يُلقَى في وعاءِ رأسك وعقلك .. فاحذر أن يُلقى فيه إلا حقاً وخيراً، وما ينفَعُك وينفَعُ الناسَ .. فكما لا تسمح للآخرين أن يقذفوا في معدتك الطعامَ الضارَّ الفاسدَ والملوثَ .. حتى لا تحصل لديك تشوهاتٌ مرضيةٌ وجسديةٌ يصعبُ عليك استئصالُها وعلاجُها .. كذلك ينبغي عليك أن لا تسمح لهم أن يقذفوا في وعاءِ رأسك وعقلك الطريِّ الأفكارَ والقيَمَ والمبادئَ الضارَّةَ الفاسدةَ .. حتى لا تحصل لديك تشوهاتٌ وتورماتٌ فكريةٌ وثقافيةٌ وعقديةٌ .. تُشكِّلُ عندك سلوكياتٍ منحرفةٍ وخاطئةٍ .. يصعبُ عليك فيما بعد علاجُها أو استئصالُها .. فتَضِلَّ وتُضِلَّ .. وتُهْلِكُ وتُهْلِكُ .. ثم بعد ذلك قد تحسبُ نفسك أنك ممن يُحْسِنُونَ صُنْعاً!

الوالد: لكن كيف لي أن أُمَيِّزَ بين النَّافِعِ مِنَ الضَّارِّ مما يُعْرَضُ عَلَيَّ من أفكارٍ..؟!

الوالد: اعرضها على الميزان؛ فالميزانُ هو الذي يَكشِفُ لك النَّافِعَ مِنَ الضَّارِّ مما يُعْرَضُ عَلَيْكَ

من أفكارٍ..!

الوالد: أيُّ ميزانٍ .. وهل للأفكارِ والقيَمِ ميزانٌ تُوزَنُ به؟!

إِيَّاكَ وَعِبَادَةَ الطَّاعُوتِ يَا وَلَدِي

الوالد: الميزانُ هو ما تقدّم ذكرُهُ؛ هو الكتابُ والسُنّةُ؛ فما وافقَهُما فهو حقٌّ .. اقبلهُ .. وليس لك

إلا أن تقبلهُ .. وما خالفَهُما .. فهو باطلٌ .. اطرَحهُ أرضاً .. وبَعِيداً .. أيّاً كان صاحِبُهُ أو كان قائلُهُ.

كان الوالدُ . وهو يُناصِحُ ولَدَهُ . يتصبَّبُ جبينُهُ عرقاً .. ويُغالبُ آلامَهُ وأوجاعَهُ .. وأنفاسَهُ .. وكأَنَّهُ

يتكلَّمُ مع ولَدِهِ كلامَ مودِّعٍ ومُفارقٍ .. وكان الوالدُ قد لاحظَ ذلكَ على أبيه .. وأدركَ أن أيّاماً قلائلٍ .. وربما

سويعاتٍ .. قد تتخطَّفُ منه والدَهُ الحبيبَ ليقضيَ نَحْبَهُ .. ويلقىَ أجلَهُ الموعودَ الذي لا مفرَّ منه ..

فيخسرَ حكمتَهُ وعِلْمَهُ الذي طالما كان يستفيدُ منهما عندما كانت تواجههُ المشاكلُ أو يُراودُهُ أيُّ سؤالٍ!

الولدُ: أوصيني يا والدي .. فأنا كُليّ آذانٌ صاغيةٌ لك!

الوالدُ: اتقِ اللهَ حيثما كُنْتَ .. فالتقوى دواءٌ لكلِّ داءٍ أو بلاءٍ .. وفرَجٌ ومخرَجٌ من كُلِّ كَرْبٍ أو

ضيقٍ .. ما خابَ ولا خسرَ من جرَّبَ التَّقوى بصِدقٍ و يقينٍ.

ثم الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ .. فحذّر- يا ولدي! - أن تتركَ الصَّلَاةَ .. مهما تكالبتِ واشتدَّت عليك الظروفُ

والمحنُ .. يجبُ عليك أن تقيمَ الصَّلَاةَ؛ حتى لو كنتَ مصلوباً على أعوادِ المشانقِ عند الظالمينَ، ثم

أدركتك الصَّلَاةُ وأنت على هذه الحالِ .. فتصلي إيماءً برأسك وقلبك .. فالصَّلَاةُ لا تُتركُ .. فمن تركَ

الصَّلَاةَ فلا دينَ له .. وآخرُ ما يُفقدُ من الدينِ الصَّلَاةُ!

لا تنسَ - إن استطعت - أن تصومَ من كلِّ أسبوعٍ يومي الاثنين والخميس .. ففي الصومِ خير كثير

لدينك يوم الدين .. ولصحتك في دنياك .. واعلم أن أكثرَ النَّاسِ جوعاً يومَ القيامةِ أكثرُهُم شَبَعاً في

الدنيا.

اجعلْ لنفسِكَ في كلِّ يومٍ وزداً من كتابِ الله .. وقَدراً محدوداً من القراءاتِ النافعةِ في كُتُبِ

العِلْمِ والفقهِ .. توخَّ مجالِسَ العِلْمِ والذِّكْرِ إن وُجِدَتْ .. وسلِّ نفسك في كلِّ يومٍ: هل ازدَدتَ في هذا

اليومِ إيماناً وعِلماً أم لا .. فإن كان الجوابُ نعم، فتحمدُ الله، وتسأله المزيدَ .. وإن كان لا، فتتنبَّه

لتقصيرِكَ .. وتستدركَ ما قد فاتك في يومِكَ الجديد!

إن داهمَكَ حقَّانٍ في آنٍ واحدٍ، وصَعِبَ عليك العملُ بهما معاً: حقُّ اللهِ تعالى وحقُّ العبادِ ..

فَتُقَدِّمِ حقَّ الله؛ لأنَّ حقَّ اللهِ مُقدَّمٌ على حقِّ العبادِ .. واعلم أن لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ ﷻ.

إِيَّاكَ وَعِبَادَةَ الطَّاغُوتِ يَا وَلَدِي

لَا تُصَاحِبِ إِلَّا تَقِيًّا مُؤْمِنًا .. فَالصَّاحِبُ سَاحِبٌ .. وَالْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ .. فَانظُرْ لِنَفْسِكَ خَلِيلًا
تَرْضَى أَنْ تَلْقَى اللَّهَ عَلَى دِينِهِ .. فَإِنْ لَمْ تَجِدْ .. فَلَا أَرَى لِسَلَامَتِكَ وَسَلَامَةِ دِينِكَ مِثْلَ الْإِعْتِزَالِ وَالْإِبْتِعَادِ
عَنْ قُرْنَاءِ السُّوءِ!

خَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنِ .. وَعَامِلِهِمْ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهِ .. وَاعْلَمْ أَنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى
اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا .. وَأَحَبَّ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَأَقْرَبِهِمْ مِنْهُ مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا.

إِيَّاكَ وَأَبْوَابَ السُّلْطَانِ .. فَمَا أَزَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا أَزَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا .. فَزَمْنُهُمْ
بَدِينِكَ كَمَا يَفِرُّ السَّلِيمُ الصَّحِيحُ مِنَ الْأَجْرِبِ الْعَلِيلِ!

أَنْصِفِ الْحَقَّ وَلَوْ مِنْ نَفْسِكَ .. وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ .. وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ .. وَلَا
تَخْشَى فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً .. وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ.
إِيَّاكَ وَالْكِبْرَ .. وَالْكِبْرُزُّ الْحَقِّ وَاحْتِقَارُ الْخَلْقِ .. تَوَاضَعُ لِلنَّاسِ .. أَحِبَّ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ .. كُنْ رَحِمَةً
لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ .. وَبِخَاصَّةِ مَنْهُمْ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِأَمِّكَ وَرَحِمَتِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْكَ ...!
وَأَنَا أَبُوكَ .. غَدًا مَوَدِّعُكَ وَمُفَارِقُكَ .. وَهُوَ يَوْمٌ آتٍ لَا مَحَالَةَ .. أَشْعُرُ بِدُنُوهِ .. حَقِّي عَلَيْكَ أَنْ لَا
تَنْسِيَنِي مِنَ الدُّعَاءِ

فَقَامَ الْوَلَدُ مِنْ مَجْلِسِ أَبِيهِ وَهُوَ يَجْهَشُ بِالْبُكَاءِ ...!

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1428/06/03 هـ

2007/06/18 م

يا ابنتي ...!

يا ابنتي ...!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سألتني ابنتي أن أخطأ لها كلمات؛ تكون لها ولأخواتها المسلمات . في أي بقعة من بقاع الأرض يكون تواجدهنَّ . بمثابة شمعة تُضيء لهنَّ بعض ظلمة الطريق الموحش والمفروش في ثناياه وعلى جنباته بمخالب وأنياب الذئاب والوحوش الأدمية ..!

فأجبتها .. وليس لي إلا أن أجيها:

اعلمي يا ابنتي .. أنك مخلوقة لله تعالى، مُلزَمةٌ بعبادته وتوحيده .. ومعنيته من قوله تعالى: ﴿وَمَا

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات:56.

فأنت لم تُخلقي عبثاً - تعالى الخالق عن ذلك علواً كبيراً - ولا لكي يعبث بك وبفكرك وأخلاقك العابثون .. وإنما خُلقت لعبادة الله تعالى وحده .. فتفرديه ﷻ بالعبادة بكل ما تعني كلمة العبادة من شمولية ومعنى.

من مقتضى هذه العبودية أن لا تقبلي حكماً في نفسك وحياتك .. وكل ما يخصك إلا من الله تعالى وحده .. فإن رضيت حكماً غير الله أو حكماً في نفسك من غير الله .. فأنت أمة لهذا الغير .. ودخلت في عبادة وطاعة هذا الغير من دون الله ﷻ.

يا ابنتي .. أراذك الله أمةً له .. وأرادوك أمةً للطاغوت .. ولشهوته .. ونزواته .. ومآربه .. وسياساته .. فاحذري أن تكوني أمةً للطاغوت، وأنت تدرين أو لا تدرين!

يا ابنتي .. أراذك الله أن تكوني مع المؤمنين تأمرين بالمعروف وتنهين عن المنكر .. وأرادوك أن تكوني مع الكافرين والمنافقين .. تأمرين بالفسوق والمنكر .. وتنهين عن الطهر .. والعفة والمعروف .. فحذاري أن تكوني مع من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف!

يا ابنتي .. المرأة كانت ولا تزال وستظل .. محلَّ تجاذبٍ شديد بين أهل الحق من جهة وأهل الباطل من جهة أخرى .. لإدراك الطرفين بأهمية دور المرأة في إعمار الأرض أو خرابها وفسادها .. لذا كل فريق حريص على أن تكون المرأة في صفِّه وإلى طرفه وجانبه .. فاحرصي دائماً أن تكوني إلى جانب طرف الحق .. مهما كانت التكاليف، وكانت التبعات!

يا ابنتي ...!

عندما ترضى المرأة أن تُسَلِّمَ نفسها وجسدها للطاغوت .. ليفعل بها ما يشاء .. ويسيرها كيفما يشاء .. ويستخدمها كيفما يشاء .. فالطاغوت حينئذٍ يحقق لنفسه ونظامه من المآرب والأغراض .. مالا يقدر على تحقيقه من خلال جنوده وجيوشه الجرّارة!

يا ابنتي .. أسمى الله مكانتك .. فجعل منك سبباً هاماً في إعمار الأرض بالخير .. وتنشئة الأجيال تنشئة إيمانية واعية راشدة .. بينما الآخرون أرادوك معول هدم وتدمير .. للقيم .. والأخلاق .. والبيوت، والأجيال سواء!

يا ابنتي .. أراك الله حرةً عزيزةً كريمةً مصونة .. وأرادوك مجرد جسدٍ مُبتذل سهل المنال والاستغلال .. يسهل نهشه والاعتداء عليه من قبل الوحوش والذئاب الآدمية .. متى شاؤوا!

يا ابنتي .. التزام المرأة بحجابها .. هو أولاً طاعة وعبادة لخالقها ﷻ لا فكاك لها من الإلتزام به .. ثم هو بعد ذلك فيه شرفها .. وحشمتها .. وعزتها .. وسلامتها من الأذى .. وسلامة المجتمع من أن يتأذى بها .. وبالتالي تفريط المرأة بحجابها هو تفريط بتلك المعاني كلها.

ساء الذناب .. من المرأة المسلمة حجابها .. لأنه يُحيل بينهم وبين كثير من مآربهم الخبيثة الماكرة! ساء الذناب .. من المرأة المسلمة حجابها .. لأنه يُلزمهم باحترامها .. وعدم الاقتراب منها بسوء .. كما يفعلون مع غيرها ممن آثرت أن تسيّر في دروب التبرج والتحليل والفسوق والعصيان!

ساء الذناب .. من المرأة المسلمة حجابها .. لأنه يذكرهم بمعاني الطهر .. والعفة .. والشرف .. والإيمان .. وبحقارة ما هم عليه من انحطاط وسلوك بهيمي حيواني .. وهذا مما يؤذيهم ويكدر عليهم طبائعهم الخبيثة .. وخلواتهم الماجنة الساقطة!

فالطهر يؤذي العُصاة الماجنين، كما قال تعالى عن قوم لوط: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ النمل:56. فمنظر الطهر يؤذيهم ويعرفهم بحقيقة ما هم عليه من تفسخ وانحطاط ومرض وشنود!

ساء الذناب .. من المرأة المسلمة حجابها .. لأنهم لا يقديرون على استغلالها في تدمير أخلاق العباد وبخاصة منهم الشباب .. كما لو كانت من دون حجاب!

يا ابنتي ...!

لأجل ذلك كله .. نراهم يُحاربون الحجاب .. وينفقون الأموال الطائلة على الدعايات والوسائل التي تُحارب الحجاب .. وظاهرة الحجاب .. وهم بين الفينة والأخرى يُثيرون معركة الحجاب .. ويجددون معركة الحجاب .. عند أدنى أُوْبَةٍ للفتيات إلى الحجاب .. وكأنهم في حرب مع جيوشٍ جرارة تهدد سلطانهم وملكهم .. وطريقتهم السفلى في الحياة .. وما ذلك كله إلا لما يتركه الحجاب من أثرٍ بالغٍ على مخططاتهم ومآربهم التدميرية الخبيثة!

يا ابنتي .. لا تستهوينك من الطاغوت وسحرته .. كلمة " حقوق المرأة " .. فهي كلمة حقٍ يُراد بها باطل!

لو كانوا حريصين على حقوق المرأة .. كما يزعمون .. لما فرّطوا بحقوق أبيها وأخيها وزوجها وابنها .. وإلى درجة الاستهتار بأدنى حقوق الإنسان!

لا يُمكن الحديث عن حقوق المرأة بعيداً عن حقوق الرجل المُعَيَّبة .. والذي هو أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها!

كيف للمرأة أن تسعد بحقوق .. وحقوق أبيها وأخيها وزوجها وابنها .. مهانة ومُداسة بالأقدام .. لا يُلقى لها أدنى بال أو اهتمام من الطاغوت وحزبه!

يا ابنتي .. كاملُ حقوقك محفوظة ومبينة في دين الله تعالى .. فحذاري أن تستشرفي حقاً ليس لك .. ولم يأذن به الله تعالى.

فمن يُطالب بحقٍ ليس له .. كمن يسطو على حقوق وأملاك الآخرين .. ثم يزعم زوراً بأنها له خالصةً من دون الناس .. وهذا ظلمٌ وعدوان أعينك منه!

يا ابنتي .. حذاري أن تُصِدِّقي أن الثعلب يوماً يحرصُ على حقوق فريسته .. مهما تمسكَن .. وتساقطت منه دموع الأسى والشَّفقة .. فهي دموع المكر والكذب والخداع .. التي يتبعها الانقضاض والإفتراس .. فههي المرأة .. في أكثر البلدان تشدُّقاً وحديثاً عن حقوق المرأة .. وحرية المرأة .. تُباع .. ويُباع جسدها . كأى سلعة من سلع المتاع . للذئاب والوحوش الأدمية .. بدراهم قليلات ومعدودات!

يا ابنتي .. المرأة المسلمة عاملة معطاءة .. لا تعرف الكلل ولا الملل .. يكفيها شرفاً وعملاً أنها محضنٌ للأبناء والأجيال .. تستقيم الأجيال باستقامتها .. وتنحرف بانحرافها .. وعند التأمل فهي تعمل

يا ابنتي ...!

أضعاف أضعاف غيرها من غير المسلمات أو من غير الملتزمات بتعاليم الإسلام .. ومع ذلك عملها هذا عندما لا يلبي رغبات ونزوات ومآرب الطاغوت وذئابه ووحوشه .. فهو ليس بشيء .. ولا يُعتبر. عند القوم – عملاً .. لذا نراهم يُطالبونها بلونٍ آخر من العمل الذي يسهّل عليهم استغلالها كأسوأ ما يُستغل متاع .. وبالتالي حذاري – يا ابنتي – أن تسمعي لهم وهم يتكلمون عن " عمل المرأة " ويتباكون على نصيبها في الانتاج .. فهي كلمة حق يُراد بها باطل!

من علامات كذبهم وغش طويتهم .. أنهم يحرصون على عمل المرأة بصورة مبتذلة تخدش الحياء والأخلاق - تتنافى مع فطرتها وتكوينها وكرامتها ووظيفتها في هذه الحياة - بينما في المقابل مئات الآلاف من الشباب والرجال العاطلين عن العمل .. يتسكعون في الشوارع .. وطواوير الانتظار .. عسى أن يجدوا لأنفسهم فرصة عمل!

يا ابنتي .. قد آخى الله بين الرجال والنساء .. وجعل النساء شقائق الرجال .. بعضهم أولياء بعض .. كل طرفٍ يُكمل الطرف الآخر لتعمر الأرض بالحب والخير والعطاء .. بينما صنّاع الفتنة المتنفذين – الذين يريدون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين – قد أظهروا النساء وكأنهن أعداء وأندادٌ للرجال .. والرجال أعداء وأنداد للنساء .. كل طرف منهما يُزاحم ويُقاتل الطرف الآخر على حقوقه ومكاسبه .. فسادت ثقافة النديّة والعداوة والكراهية بين الرجال والنساء .. بدلاً من ثقافة الحب والود والتواضع والفداء والإيثار .. فكان ذلك مدخلاً وسبباً لتدمير البيوت .. والمجتمعات الإنسانية سواء!

يا ابنتي .. الإناء ينضح ما فيه .. والأرض تُثمر ما يُزرع فيها؛ فإن زُرعت شوكةً أثمرت شوكةً، وإن زُرعت ورداً أثمرت ورداً .. فاحذري وسائل التلّقي .. ومن أن يُلقى في وعاء رأسك من حثالات المفاهيم والقيم والأفكار – من خلال وسائل الإعلام والنشر العديدة وضغط الدعايات الباطلة المكثفة والمنتشرة في كل مكان – فتتصرفين حينئذٍ على طريقة الظالمين الضالين .. وتتكلمين على طريقتهم .. وتلبسين على طريقتهم .. وتقلديهم في كل شيء .. حتى أنك تُحسنين ما يُحسنون .. وتقبحين ما يُقبحون .. وأنت مع ذلك كله تحسبين نفسك حرةً .. وممن يُحسنون صنعاً!

يا ابنتي .. يحرصُ الطاغوت وبطانتة - لغاية خبيثة في نفوسهم - أن يُظهروا الراقصات المغنيات العاريات الساقطات كبطلات ونجوم قد دانت لهن جميع معاني العظمة والبطولة والإبداع .. وكمثّل

يا ابنتي ...!

أعلى ليحتذي بهن وبأخلاقهن الفتيات .. فهؤلاء حطبُ النار.. وهن يُمَثِّلْنَ المثل الأدنى والأسوأ للآخرين .. فمثلك الأعلى الذي لا يُداني ولا يُماتل .. من دانت له جميعُ مكارم ومحاسن الأخلاق .. سيدُ الخلقِ محمد ﷺ .. ومن النساءِ نساؤه أمهات المؤمنين وبناته .. ونساء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

يا ابنتي .. لا تحتقرنَّ نفسك في أمرٍ ينبغي أن تهضي فيه لله .. فتقولِي لنفسك: أنا امرأةٌ أو أنثى لا أقدر على فعلٍ شيء .. فإضافة الأعمال القليلة بعضها إلى بعض .. تُصبح كثيرة وكبيرةً كالجبال لها أثرها الفعال في الحياة وعلى الناس .. وبعلو الهمة وصدق الإرادة والتوكل على الله يُفعلُ المستحيل .. فهذا الدين أمانةٌ سيُسأل عنه الرجال والنساء سواء .. فأنتِ معنية من كلِّ خطابٍ شرعي .. إلا ما استثنى الشارعُ فقال: هذا للرجال من دون النساء .. وهذا يستدعي منك أن تطلبي العلم .. وتتفقي بفقه الدين والواقع سواء .. لتتعرفي على مكانتك ودورك في هذه الحياة .. وتعرفي ماذا يريدُ الله منك .. وما يجب عليك وأنتِ تمرين في جميع مراحل وأطوار حياتك: كبنت، وزوجة، وأم.

يا ابنتي .. أنتِ لَبِنَةٌ في بناءِ ضخم اسمه أمة الإسلام .. فاحرصي أن لا يُوتى هذا البناء الضخم من قبلك .. فتُحدثين فيه ثَلَمًا قد يصعبُ سدُّه .. واحتواء آثاره!

يا ابنتي .. طلبُ العلم فريضة على كل مسلمٍ ومسلمةٍ .. وليس على الرجال من دون النساء . كما يُخَيَّلُ للبعض! — حتى بتنا نعيش زماناً لا نكاد نجد فيه عالمة أو داعيةً إلى الله .. وكأن هذا الدين هو للرجال من دون النساء .. وأن النبي صلوات ربي وسلامه عليه قد بُعث للرجال من دون النساء!!

يا ابنتي .. قد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها؛ إلا ذَكَرَ الله وما والاه، وعالمًا ومتعلمًا". وبالتالي لكي تخرجي من ساحة الملعونين لا بد أن تكوني واحدة من اثنتين: إما عالمة أو متعلمة .. وذلك من المهد إلى اللحد .. إذ لا مكان للجهل والجاهلين في الإسلام .. وأعني بالعلم هنا: قال الله .. قال رسولُ الله .. قال الصحابةُ .. والتابعون لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين!

يا ابنتي .. الجنة وجهنم لم تُخلقا للرجال وحسب — كما يُخَيَّلُ للبعض! — وإنما خُلقتا للرجال والنساء سواء .. وفي الحديث أن أكثر أهل النار من النساء .. وهذا يستدعي منك أن تتقي الله .. وأن تلتمسي كل ما يقربك من الجنة — من اعتقادٍ أو قولٍ أو عملٍ — فتأتيه .. وتلتزميه .. وتعصي عليه بالنواجذ .. وكل ما يقربك من النار. من اعتقادٍ أو قولٍ أو عملٍ . فتجتنبه .. وتعزليه، وتفري منه!

يا ابنتي ...!

يا ابنتي .. قد كثر المنظِّرون .. والمتكلمون .. والمشفقون .. والمتفهمون .. والمتعاملون .. فردي كلامهم .. ونظرياتهم وإشفاقاتهم كلها .. إلى الكتاب والسنة .. فما وافقهما فاقبله — لأنه جاء من هذا الطرف أو ذاك وإنما لأنه حقُّ قد باركته نصوصُ الكتابِ والسنة — وما خالفهما وعارضهما .. فرديه واضربي به عرض الحائط أيًّا كان صاحبه أو قائله.

فإن قيل لك: ما مذهبك ..؟!!

قولي لهم: مذهبي ما تقومُ به الحجَّة: قال الله .. قال رسولُ الله .. قال الصحابة .. فالمذهب الصحيحُ في اتباعِ الدليلِ الصحيح .. وما يُخالفه يُرد .. ويُضربُ به عرض الحائط .. مهما علا كعب وشأنُ صاحبه!

يا ابنتي .. المرءُ على دينِ خليله .. فاحرصي أن لا تُصاحبي إلا مؤمنةً تقية .. ولا تُجالسي إلا مؤمنةً تقية .. تُذكِّركِ إن نسيتي .. وتُنصِّحكِ إن أخطأتِي .. تُسرُّ لسرَّائك، وتُساء لضرَّائك .. وتكون لك عوناً على تحمل ما يتعيَّن عليك القيام به نحو نفسك ودينك وأمتك، وكل من له عليك حق.

يا ابنتي .. يغلب — وللأسف — على مجالسِ النساءِ في هذا الزمانِ القال والقيـل .. والخوض في سفاسفِ الأمور .. وما لا يعنهنَّ .. فترفَعِي عن ذلك كُلِّه .. لأنَّ ضررَ تلك المجالسِ أكثر من نفعها .. هذا إن كان لها نفعاً .. واعلمي أن الوقتَ يمضي . وهو بضَعُ منك .. وما يمضي منه لا يعود .. ولتُسألين عنه .. فاحرصي على استغلاله فيما ينفعك في دينك ودنياك، وأخرتك!

يا ابنتي .. الإنسانُ باهتماماته؛ فإن كانت اهتماماته رفيعةً كان رفيعاً وكبيراً .. وإن كانت اهتماماته وضيعةً كان وضيعاً بقدر وضاءة اهتماماته .. فاحرصي أن تكون اهتماماتك رفيعةً .. وكبيرة .. وعمامةً .. تهتمين لشؤون المسلمين وأحوالهم .. ومصالحهم .. كما تهتمين لشؤونك الخاصة وأكثرك .. فتألمين لآلامهم وضررائهم .. وتُسرين لسلامتهم وسررائهم .. أينما وجدوا وكانوا .. فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

ليست العظمة أن يعيش المرءُ لنفسه .. ومصالحه وحسب .. فهذه أنانيةٌ يُتقنها كلُّ أحدٍ .. بل من الهائم من يُحسن فعل ذلك لنفسه .. وإنما العظمة أن يعيش المرءُ للآخرين .. ولمصالحهم ومنافعهم

يا ابنتي ...!

.. فأحُبُّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ أنفعُهُم للناس .. وهذا أمر لا يُتقنه إلا العظماء والأكابر من الناس .. وما أقلُّهم في هذا الزمان!

يا ابنتي .. لكِ حقوقٌ وعليكِ حقوق .. فاحرصي على أداء ما عليك من حقوقٍ كما تحرصين على تحصيل ما لك من حقوق .. فمَنْشأ الظلم والبغي عند كل طرف عندما يهتم بكيفية تحصيل ما له من حق .. بينما ما عليه من حق لا يحظى بشيء من ذلك الاهتمام!

يا ابنتي .. أوصيكِ - وبناتِ المسلمين - بلاآتٍ أربع: لا للشركِ وعبادةِ الطاغوت .. ولا لتركِ الصلاة .. ولا لخلعِ الحجاب .. ولا للاختلاط!

فاجعلي من هذه اللآآت الأربع شعاراً لك في هذه الحياة .. واصبري وصابري عليها حتى الممات .. والموتُ آتٍ ليس ببعيد!

أسألُ الله تعالى أن يحفظكِ .. وبناتِ المسلمين .. من كل سوء .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1428/07/15 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2007/07/29 م

تعزيز ثقافة عبادة الطواغيت من المسؤول عنها؟!

تعزيز ثقافة عبادة الطواغيت

من المسؤول عنها؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

كيفما التفت أو اتجهت تجد الترويج لثقافة عبادة الطاغوت؛ تجد الترويج والدعاية لقانونه وشريعته ونظامه، وحكمه .. ودستوره .. تجد تزيين باطله وكفره وظلمه وفسوقه .. وتقبيح وتجريم كل ما يخالفه أو يعارضه وإن كان حقاً صريحاً لا مريّة فيه .. باطله حق، وظلمه عدل .. وفسوقه ومجونه رقي وتقدم وتحضر .. تجد الجدل المستमित عنه وعن مكاسبه وسرقاته .. وعرشه .. وميزانية قصره .. وخصوصياته التي لا حدّ لها .. تجد الغلو في إطرائه ومدحه وتعظيمه .. تجد تكريس ألوهيته وربوبيته على البلاد والعباد .. فالحق ما يراه للناس حقاً، والباطل ما يراه للناس باطلاً .. وهو في ذلك كله فوق أن يُراجع أو يُسأل عما يفعل أو يقول .. تجد الأجيال كيف تُنشأ على الولاء للطاغوت .. وطاعة الطاغوت .. والخضوع للطاغوت وقانونه .. والخشية من الطاغوت ومن عصيانه .. والتغني والتهافت باسم الطاغوت .. والموت في سبيل الطاغوت .. تجد طاقات وثروات الأمة تُهدر بسخاء .. في سبيل تعبيد الناس للطاغوت .. تجد طواغيتاً بكل وقاحة ووضوح . يُخاصمون الربّ في خصوصياته وصفاته وحقوقه .. ثم كثير من الناس يقرونهم ويتابعونهم على ذلك!!

كل هذا وغيره من المكر المتواصل نراه على مدار الوقت من غير توقف ولا انقطاع، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سبأ:33.

لكن من المسؤول عن تعزيز هذه الثقافة الخبيثة في الأمة؛ ثقافة عبادة الطواغيت من دون الله ﷻ: هذه الثقافة التي تُخرج العباد من النور إلى الظلمات .. من نور وعدل الإسلام والتوحيد .. إلى ظلمات الكفر والشرك والجهل والضياع؟!

تعزيز ثقافة عبادة الطواغيت من المسؤول عنها؟!

بشيء من التأمل نجد أن المسؤول عن ارتكاب هذه الجريمة النكراء بحق الأمة والشعوب. إضافة

للتواغيت ذاتهم، وبطانتهم المقربين . جهات عدة:

منها: وسائل الإعلام المرئية منها والمسموعة والمقروءة، المأجورة للطاغوت بصورة مباشرة وغير مباشرة - وما أكثرها - والتي تعمل - من غير انقطاع - على تكريس وتعزيز ثقافة عبادة الطاغوت، وتعبيد الناس للطاغوت .. وتزيين باطل الطاغوت .. وتزوير وقلب الحقائق في أعين الناس لصالح الطاغوت ونظامه .. هذه الوسائل وكل الموظفين والطواقم التي تعمل فيها .. هم شركاء في هذا الوزر العظيم .. وبعضهم وزره أعظم وأشد من بعض!

ومنها: نظام التربية والتعليم السائد والمعمول به في ظل الأنظمة الطاغية الحاكمة .. والمناهج الدراسية المقررة التي تخضع باستمرار - من قبل الطاغوت وزبائنته - إلى المراجعة والغرلة والتصفية .. وغرلة وتصفية القائمين على ذلك السلك التربوي التعليمي الهام .. بما يتوافق مع تكريس وتعزيز ثقافة عبادة الطاغوت .. والولاء للطاغوت .. وتعزيز ثقافة مصالح وسياسات وامتيازات الطاغوت أولاً وأخيراً .. والتي تُنشأ وتربى عليها الأجيال جيلاً بعد جيل .. فنفاجاً في أجيال مهزوزة ومشوهة وضعيفة؛ قد فقدت دينها .. وعقيدتها .. وانتماءها .. وتصورها .. وأخلاقها .. وولائها لربها .. وكل عوامل المناعة والقوة فيها .. لأن الطاغوت - بفعل تلك المناهج المقررة وغيرها - قد استحوذ على المساحة الأكبر من ذهن وتفكير واهتمامات وتطلعات تلك الأجيال .. ومنذ نعومة أظافرهم!!

نفاجاً بأجيالٍ .. تعاني من الجهل والفقر، والضعف، والذل، والخوف، والضياع، والجبن .. ترضى بالضميم .. والذل .. وبالقليل من الفُتات الذي يُرمى إليهم كمنة وفضل من الطاغوت .. وتسكت عن حقوقها .. ولقمة عيشها المغتصبة .. طلباً لمرضاة الطاغوت أو دفعاً لشره!

نفاجاً بأجيال مهزوزة فارغة .. قد فقدت الشعور بقيمتها وكرامتها .. وبالغاية من وجودها في هذه الحياة .. فأسمى غاياتها .. كيف تحظى بركوعٍ وانحناءٍ للطاغوت .. كيف تحظى بقبلة على أكمام وأقدام الطاغوت .. كيف ترقص وتغني وتصفق للطاغوت .. كيف يرضى عنها الطاغوت .. عسى أن ينظر الطاغوت إليها نظرة عطفٍ وتفضلٍ وإحسان!!

جيل أو أجيال محطمة ومدمرة .. هذه بعض صفاتها .. وتُنشأ هذه النشأة المعوجّة .. كيف يُرجى

منها تحرير الأراضي المغتصبة .. أو دفع العدو الصائل .. أو العمل من أجل تقدم وازدهار البلاد؟!!

تَفْزِيرُ ثَقَافَةِ عِبَادَةِ الطَّوَاغِيتِ قَبْلَ الْمَسْئُولِ عَنْهَا؟!

ومنها: علماء السوء .. وشيوخ البلاط الملكي أو الرئاسي .. والدعاة المأجورين الذين يطلبون الظهور والشهرة .. وصرف وجوه الناس إليهم على حساب الحق وكتمانه .. وهؤلاء لا شك أنهم شركاء في هذا الوزر العظيم، وهذا التخلف والظلم الذي تعاني منه الأمة، إن لم يكن لهم الدور الأكبر والفاعل فيه، تكمن جريمتهم ومسؤوليتهم عن هذه الجريمة من أوجه عدة:

أولاً: كلما ظهرت في الأمة طليعة من المؤمنين تأخذ على نفسها وعاتقها مهمة ومسؤولية القيام بواجب الجهاد في سبيل الله .. وواجب الصدع بالحق .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. والإصلاح .. والتغيير الذي يوجبه عليهم الإسلام .. وترجوه الأمة وتنتظره .. قام في وجهها هذا الفريق من المتلونين: من علماء وشيوخ ودعاة القصور والبلاط الملكي والرئاسي .. ليشككوا بنواياهم .. وجهادهم .. وتضحياتهم .. وطريقتهم .. ويرمونهم بعبارات التجريم والضلال والتكفير .. وما يحملهم على فعل ذلك سوى الذود والجدال عن الطاغوت ونظامه .. والخوف على مكتسباتهم وروايتهم!

الطاغوت يرتكب الموبقات والمهلكات العشر .. وينتهك الحرمات جهاراً نهاراً .. ويزعم لنفسه الربوبية والألوهية على الملأ .. ومع ذلك لا تسمع لهذا الصنف من الشيوخ والدعاة صوتاً ولا همساً .. فهم - عندما يأتي المنكر والكفر من جهة الطاغوت - صم بكم عمي لا يسمعون ولا يُبصرون .. ولو سئل أحدهم عن الشرق لأجاب عن الغرب .. وتراهم يُكثرون من الحديث عن فقه الفتنة النائمة، وَلَعْنِ اللَّهِ لِمَنْ يُوقِظُهَا .. وفاتهم أنهم والطاغوت هم الفتنة ذاتها!

بينما في المقابل ترى لهم ألسنة جداداً .. لا تعرف الرحمة ولا الشفقة .. وفقهاً لا يعرف التأويل ولا يُقيل العثرات ولا الكبوات .. ضد كل من يقف في وجه الطاغية ويُسمعه كلمة حق .. أو ينشد التغيير والإصلاح .. وتحرير البلاد والعباد من عبادة الطاغوت وأغلاله!!

فهم على طواغيت الحكم والكفر والظلم مرجئة ورحماء ورفقاء .. وعلى المجاهدين الموحدين وعلمائهم ودعاتهم .. خوارج وشداد غلاظ!

ثانياً: فهم عندما يُبايعون ويؤاكلون ويُجالسون الطاغوت .. من دون أن ينكروا عليه ظلمه وطغيانه .. وكفره .. يكونون بمثابة شهّاد زور .. يتقوى الطاغوت بهم على ظلمه وطغيانه، وتثبيت ملكه ونظامه؛ فيقول العامة من الناس: لو لم يكن هذا الحاكم جيداً .. لما جالسه وأكله وبايعه هؤلاء العلماء والدعاة .. ثم من الأعلم بحال هذا الحاكم .. وبما ينفع وما يضر، نحن أم هؤلاء العلماء

تعزيز ثقافة عبادة الطواغيت من المسؤول عنها؟!

والدعاة .. وإذا كان الجواب هم العلماء والدعاة .. فحري بنا - نحن عامة المسلمين والناس - أن نرضى بما يرضاه لنا هؤلاء العلماء والدعاة .. فيضلون ويضلون .. ويبوءون - حينئذٍ - بوزرهم ووزر من يتبعهم من الناس!

ثالثاً: كتمانهم للحق الذي يجب عليهم أن يبينوه للناس ولا يكتمون منه شيئاً .. وفي أوقات يتعين فيها الصدع والبيان .. مقابل ثمن بخس يُرمى إليهم من قبل الطاغوت كراتب يتقاضونه على الكتمان والتواطؤ على الظلم ومباركة طغيان الطاغوت .. فيضلون بذلك الناس .. ويخونون الأمانة .. وينقضون الميثاق .. وبخاصة عندما يتعلق هذا الكتمان بمسائل العقيدة والتوحيد الذي من مقتضاه وشروطه الكفر بالطاغوت، والبراء منه ومن نظامه وقانونه .. وهؤلاء مثلهم مثل فريق من الناس يدخلون كهفاً عميقاً ومظلماً .. محفوفاً بالمخاطر والحُقر .. ومع أحدهم مشعل من نار يُضيء لهم الطريق ويعرفهم على مخاطره وما يتخلله من حفر وتعرجات .. وآفات .. ثم هو عن سابق عمد وإصرار يُطفى نار المشعل الذي بيده .. ليتخبط الناس في الظلام .. وحتى لا يهتدون سبيلاً للنجاة!

فهم بهذه خلال الثلاثة الأنفة الذكر أعلاه — مجتمعة بعضها مع بعض، سواء علموا أم لم يعلموا — شركاء في الوزر، ويكونون سبباً في تكريس وتعزيز ثقافة عبادة الطاغوت من دون الله ﷻ .. وكأمر واقع لا فكاك ولا خلاص للأمة منه!

وهؤلاء هم المعنيون من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ البقرة:159.

ومن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة:174.

ومن قوله ﷻ: "إن أخوف ما أخاف على أمتي؛ الأئمة المضلون".

وقوله ﷻ: "إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي — وفي رواية: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة .

كل منافق عليم اللسان".

ومنها: أشباه المثقفين .. الذين لا لون لهم ولا طعم ولا رائحة .. لا يمكن أن تعرف لهم ولاء ولا وجوداً إلا حيث يُرزقون .. ويكون همهم الأكبر ما يطلبه الجمهور .. ويباركة الطاغوت .. وكيف يحظون على وظيفة يقتاتون منها في دائرة من الدوائر التابعة للطاغوت ونظامه .. يلحق بهم العلمانيون

تعزيز ثقافة عبادة الطواغيت من المسؤول عنها؟!

والإباحيون ومن لا دين ولا خلق له .. فهؤلاء مقابل إشباع شهواتهم ونزواتهم .. وإملاء جيوبهم وبطونهم بالحرام .. لا يترددون لحظة في الذود والجدال عن الطاغوت ونظامه وقانونه .. والتجسس لصالحه .. والعمل على تعزيز وتكريس ثقافة عبادة الطاغوت في الأمة .. فهؤلاء أيضاً شركاء في الوزر والجرم، ولسوف يُسألون!

ومنها: الأحزاب التي يرتضيها الطاغوت .. والتي ترضى أن تسير وفق قانونه ونظامه ودستوره .. فتُمنح رخصة للعمل الحزبي على هذا الأساس؛ أساس ترويج وتعزيز ثقافة عبادة الطاغوت من دون الله .. وإن خالط بعد ذلك بعض البرامج الإصلاحية الترقية الأخرى .. فإن وجود ذلك قد لا يضر ولا يمنع من الترخيص لها .. ما دامت قد وافقت على الأصل؛ ألا وهو الاعتراف بربوبية وألوهية الطاغوت .. وشرعية حكمه ونظامه ودستوره .. والعمل بين الناس على تكريس وتعزيز ثقافة عبادة الطاغوت من دون الله ﷻ!

وأما حزب لا يرضى أن يسير في هذا الطريق؛ طريق تعبيد العباد للطاغوت ونظامه وقانونه ودستوره، وتعزيز ثقافة عبادة الطاغوت من دون الله - ولو بصورة من الصور - لا يُمكن أن يحظى على الفرصة أو الترخيص للعمل .. وما أكثر الشواهد والأدلة المعاشة والمعاصرة الدالة على ذلك لو أردنا الاستدلال!

فهذه الأحزاب - التي ترتضي لنفسها أن تسير في هذا النفق المظلم الأثم - هي كذلك شريكة في هذا الوزر والجرم .. ولسوف تُسأل وتُحاسَب ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء:88-89.

هذه هي المشكلة الكبرى - الذي لا يجوز أن تعمي الأبصار عنها - وهذا هو حجمها .. وهؤلاء هم أطرافها وشركاؤها .. ولا بد للعلماء والدعاة إلى الله من أن يُعطوا هذه المشكلة حقها من الجهد والاجتهاد والجهاد .. وتكون على رأس أولوياتهم واهتماماتهم .. ويكون همهم الأكبر وشغلهم الشاغل كيف يواجهونها .. ويعرّفونها .. ويستأصلونها .. وكيف يُخرجون العباد من عبادة الطاغوت إلى عبادة الله تعالى الواحد الأحد .. وهي مهمة جميع أنبياء الله تعالى ورسله من قبل على مَرِّ العصور والأزمان، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الأعراف:59. وقال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ

تَغْرِيزُ ثَقَافَةِ عِبَادَةِ الطَّوَاغِيتِ مِنَ الْمَسْؤُولِ عَنْهَا؟!

إِلَيْهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الأعراف:65. وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ نَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ الأعراف:73. وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ الأعراف:85. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ النحل:36. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ الفرقان:31. هذه هي مهمة الأنبياء والرسل العظمى .. وهذه هي دعوتهم الخالدة .. أن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ .. وهذا هو منهجهم في الدعوة إلى الله تعالى ومواجهه الباطل وطغيانه .. وجهاد المجرمين .. ولا بد للدعاة والعلماء — ورثة الأنبياء — من يسيروا على نهج الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله.

يشهد عجيبي من قوم يُنسَبون إلى العلماء والدعاة .. يستشرفون الحديث عن معوقات تقدم الأمة .. وعن أسباب تخلفها وضعفها .. وعن كيفية إطلاق طاقات الشباب والاستفادة منها .. وغير ذلك من المواضيع العامة والهامة .. من دون أن يُشيروا . مجرد إشارة . إلى هذه المشكلة الكبرى . الأنفة الذكر أعلاه . التي تُعتبر المعوق الأكبر والأساس لكل تقدم .. وعدل .. وأمنٍ .. وازدهار .. وخير!!

يُنظِّرون حول ضرورة الإصلاح والتغيير .. ثم تراهم - رغبة أو رهبة - لا يشيرون - مجرد إشارة - إلى هذه المشكلة الكبرى . الأنفة الذكر أعلاه . التي تُعتبر العائق الأكبر أمام كل إصلاح أو تغيير!

يتكلمون - كلاماً عاماً - عن ضرورة عودة النَّاسِ إلى الله .. وأن يدخلوا في سلم الإسلام كافة .. ثم تراهم - رغبة أو رهبة - لا يشيرون - مجرد إشارة - إلى من يقف عقبة كأداء أمام عودة الناس إلى ربهم .. وأمام أي محاولة جادة تستهدف استئناف حياة إسلامية راشدة .. والمتمثل في الطاغوت الحاكم للبلاد والعباد .. الذي يُفسد في ساعة ما يُصلحه الدعاة في سنة - هذا إذا ترك لهم مجال للإصلاح - بحكم ما لديه من إمكانيات وصلاحيات وقوة!!

يتكلمون عن ضرورة تحرير أراضي المسلمين من العدو الغاصب .. مع علمهم أن طواغيت الحكم هم الذين مكنوا للعدو في بلاد وأراضي المسلمين .. وسهلوا له سبل الغزو والعدوان .. وهم الذين يحمونه ويحرسونه .. ويمنعون الشعوب من أن تأخذ طريقها لجهاد ومقاومة عدوان المعتدين .. وطردهم من ديار المسلمين .. بل ويجرِّمون ويقتلون ويعتقلون من يحاول أن يفك أو يخترق حصارهم

تَغْزِيرُ ثَقَافَةِ عِبَادَةِ الطَّوَاغِيَتِ قَبْلَ الْمَسْئُولِ عَنْهَا؟!

وطوقهم الذي به يحمون الأعداء .. ويحمون مستوطنات وكنكات وقواعد العدو .. ومع ذلك — هؤلاء الدعاة والمنظرين .. رهبة أو رغبة — لا يُشِرون — ولو مجرد إشارة — إلى خيانة طواغيت الحكم لأمتهم وشعوبهم وديارهم .. ودورهم الفاعل في تكريس وتثبيت عدوان المعتدين في بلاد المسلمين!

يتكلمون عن ضرورة محاربة ظاهرة الفساد والمفسدين .. كلاماً عاماً .. ومن دون أن يُشيروا . مجرد إشارة . إلى راعي وحامي الفساد والمفسدين .. والمتمثل في الطاغوت الحاكم للبلاد والعباد .. بل إذا اقتربوا منه بكلمة أو إشارة .. تراهم — رغبة أو رهبة — يحسّنون به الظن .. ويتوسعون له في التأويل والأعذار .. وينزهونه عن الإفساد في الأرض .. أو أن يكون له دراية أو علم بالفساد والمفسدين!!

يُحاربون التورمات الخبيثة المستعصية والمنتشرة .. بالكلمات الواهية والمسكّنات التي لا تُغني ولا تُسمن من جوع .. وكان الصواب .. وهذا الذي تقتضيه الأمانة منهم أن يتوجهوا إلى تحديد الداء الأساس والأكبر ومن ثم العمل على استئصاله من جذوره .. لكنهم لا يريدون أن يضحوا .. ولا أن يخسروا شيئاً من متاع الدنيا وزخرفها .. ولا أن يكون لهم عدو من المجرمين يجاهدونه بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله .. كما كان لكل نبي من أنبياء الله تعالى عدو من المجرمين .. ثم هم بعد ذلك كله يسمون أنفسهم . زوراً . بأنهم دعاة وعلماء .. وأنهم من ورثة الأنبياء

.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1428/08/21 هـ

2007/09/03 م

كيف نتعامل مع أطفالنا في رمضان

كيف نتعامل مع أطفالنا في رمضان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

ما إن يطل شهر رمضان المبارك إلا وتبدأ معركة أئمة المساجد مع الأطفال وأمهاتهم .. تبدأ نداءات الأئمة — بين كل ركعتين من صلاة القيام —: أسكتوا أطفالكن .. لا تأتين مع أطفالكن .. صلين وأطفالكن في بيوتكن ذلكم خير لكن .. لا تُذهبوا خشوعنا — نحن الرجال — بأطفالكن .. وأصواتهم .. وشغهم .. وهكذا يبدأ الزجر والنهي .. وتبدأ النداءات في كل يوم .. وفي كل صلاة تقريباً .. حتى بتنا ندرك مسبقاً عندما يمسك إمام المسجد مكبر الصوت .. عند الاستراحة بين كل ركعتين .. أن الحديث سيكون عن الأطفال وأمهاتهم .. وعن زجرهم .. وتوبيخهم!

في الأمس وقف إمام المسجد — الذي بجوار منزلنا، وهو ينتمي إلى إحدى الدول العربية — خطيباً خلال استراحة من استراحات صلاة القيام .. ليعلن عن قانونه الجديد .. وعن تهديده لمن لا يلتزم بهذا القانون؛ القانون نصه: أنه يُمنع على أولياء الأمور وبخاصة الأمهات .. أن يُحضروا أطفالهم إلى المسجد الذين أعمارهم أقل من سبع سنوات .. والذي يُخالف هذا القانون .. سيواجه بالطرد من المسجد .. هو وأطفاله أو هي وأطفالها .. وقد أعذر من أنذر!

قلت: يا سبحان الله .. المسألة قد تعدت ساحة الوعظ والتوجيه .. وساحة المبالغة في الزجر والنهي .. لتبلغ مرحلة سن قوانين وضعية ما أنزل الله بها من سلطان .. فالظاهرة — عما يبدو — قد تضخمت وطمّت وعمّت .. وهي لأجل ذلك تستدعي من الدعاة والعلماء أن يعنوها اهتمامهم وتوجيهاتهم .. عسى الله تعالى أن يهدي بهم الناس . وبخاصة منهم أئمة المساجد . إلى الحق والاعتدال في هذا المسألة التي باتت من المشاكل المتكررة التي يُعرف بها شهر رمضان من بين الأشهر!

فأقول: هذا الذي عليه أئمة المساجد .. من قسوة .. وزجرونهي للنساء وأطفالهن من أن يأتوا إلى المساجد .. حرصاً على خشوع الرجال . كما يزعمون . خطأ .. بل وخطأ كبير .. وذلك من أوجه:

منها: أنه مخالف للنص الشرعي .. ولسيرة النبي المصطفى ﷺ في تعامله مع النساء وأطفالهن .. عندما كانوا يأتون إلى المسجد .. ويصدر عنهم نوع حركة زائدة أو صخب أو ضجيج .

قال ﷺ: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" مسلم.

كَيْفَ نَتَعَاوَلُ مَعَ أَطْفَالِنَا فِي رَمَضَانَ

وقال ﷺ: "لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل" مسلم.

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنتكم إليها". فقال بلال بن عبد الله بن عمر: والله لنمنعن! فأقبل عليه عبد الله بن عمر: فسبّه سباً سيئاً، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ، وتقول: إِنَّا لنمنعن؟! [1] مسلم.

الشاهد من الحديث أن تصرّف أئمة المساجد الأنف الذكر فيه منع للنساء من أن يأتين المساجد، وهذا مخالف للنص أعلاه، وبيان ذلك: أنهم عندما يلزمون النساء أن يأتين من دون أطفالهن .. فهذا يعني – بطريقة غير مباشرة – طردهن ومنعهن من أن يأتين إلى المساجد؛ لأن المرأة لا يمكن أن تترك طفلها بمفرده في البيت . مع غياب من ينوب عنها في رعايته . وهي عندما توضع بين خيارين لا ثالث لهما: إما أن تأتي بمفردها أو أن تبقى في بيتها مع طفلها .. ستختار مرغمة مكرهة بقاءها في البيت .. وهذا وجه من أوجه المنع والطرده!

وقال ﷺ: "إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوّز في صلاتي؛ مما أعلم من شدة وجد أمّه من بكائه" البخاري.

الشاهد من الحديث أن النبي ﷺ لم يأمر الأمّ بأن تخرج بصبيها من المسجد حتى لا يتأذى والمصلون من صوت وبكاء طفلها .. أو لا تعد ثانياً إلى المسجد ومعها طفلها .. لم يحصل شيء من ذلك . كما يفعل أئمة مساجد هذا الزمان! - بل كان ﷺ مراعاة لمشاعر وعواطف الأم نحو وليدها الذي يبكي .. يتجوّز ويختصر من صلاته وقراءته!

وعن بريدة، قال: كان النبي ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما، وعليهما قميصان أحمران يعثران فيهما - وفي رواية عند أبي داود: يعثران ويقومان - فنزل النبي ﷺ فقطع كلامه، فحملهما، ثم عاد إلى المنبر، ثم قال: "صدق الله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ؛ رأيت هذين يعثران في قميصيهما فلم أصبر حتى قطعتُ كلامي فحملتهما" [2].

¹ من العادات السيئة السائدة عند كثير من المسلمين في بلاد الغرب، أن الرجال لا يمانعوا أن تسير نساءهم وبناتهم في كل اتجاه .. وسوق .. وشارع .. وأن يزاحمن الرجال في أماكن عملهم .. فإذا أردن أن يتوجهن تجاه المسجد ليتعبدن ويتفقهن .. تحركت غيرة الرجال .. وأعملوا فقههم الأعوج .. ومنعوا النساء من أن يأتين إلى المسجد!

² صحيح سنن النسائي: 1340.

كيف نتعامل مع أطفالنا في رمضان

هذا الذي فعله النبي ﷺ مع الحسن والحسين رضي الله عنهما: لم يطردهما - حاشاه - ولم يأمر بطردهما .. بل أوقف خطبته وكلامه .. ثم نزل عن المنبر .. ثم أخذهما فحملهما .. وصعد بهما إلى المنبر .. ثم استأنف كلامه من جديد .. رحمة ورأفة بهما .. فماذا ترون الناس فاعلين - في هذا الزمان - لورأوا خطيباً قد أوقف خطبته وفعل فعلة النبي ﷺ .. لربما رموه بالجنون والمروق .. ولطردوه وأبناءه من المسجد .. هذا إذا خرج من بينهم سالماً!

وعن أمّ خالد بنت خالد بن يعيد، قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي، وعليّ قميصٌ أصفرُ، قال رسول الله ﷺ: "سنه سنه". أي حسنة حسنة. قالت: فذهبتُ ألعبُ بخاتم النبوة فزبرني أبي. أي زجرني ونهاني - قال رسول الله ﷺ: "دعها" البخاري. دعها .. لا لكي تركض .. أو تلهو أو تلعب في زاوية من زوايا المسجد .. بل "دعها" تلعب بأعظم وأشرف موضع .. دعها تلعب بخاتم النبوة .. ما دام ذلك يُسرّها ويُفرحها .. فداه نفسي ما أعظمه من نبي!

هذا هو نبيكم . صلوات الله وسلامه عليه . يا أئمة التراويح .. فأين أنتم منه ومن صبره وأخلاقه؟! وعن شدّاد بن الهاد الليثي، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء، وهو حاملٌ حسناً أو حسيناً، فتقدّم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبر للصلاة، فصلى، فسجد بين ظهراني صلواته سجدةً أطالها، قال أبي: فرفعتُ رأسي، وإذا الصبيُّ على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجدٌ، فرجعتُ إلى سُجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ، قال الناس: يا رسول الله! إنك سجدت بين ظهراني صلواتك سجدةً أطالها! حتى ظننّا أنه قد حدث أمرٌ - يريدون أنهم ظنوا قد قبض لشدة ما أطال في سجوده ﷺ - أو أنه يوحى إليك، قال: "كلُّ ذلك لم يكن؛ ولكنّ ابني ارتحلني، فكرهتُ أن أُعجله حتّى يقضي حاجته" [1].

تصوروا لو فعل إمام - في زماننا - مع طفله .. أو طفل من أطفال المسلمين .. ما فعله النبي ﷺ مع الحسن أو الحسين .. وأطال في سجوده إطالة سجود النبي ﷺ من أجل طفله حتى يقضي حاجته ويكتفي من لعبه وهو على كتفه أو ظهره .. كيف ستكون ردة فعل الناس؟!

وعن أنس بن مالك، قال: "كان رسول الله ﷺ يمرُّ بالعلمان فيسلم عليهما، ويدعو لهما بالبركة" [2].

¹ صحيح سنن النسائي: 1093.

² رواه ابن عساکر، السلسلة الصحيحة: 1278.

كيف نتعامل مع أطفالنا في رمضان

وعنه قال: "كان - أي رسول الله ﷺ - أرحم الناس بالعيال والصبيان" [1]. وغيرها كثير جداً من النصوص التي تدل على سعة رفق ورحمة النبي ﷺ بالأطفال .. نرجو من أئمة المساجد .. وصلاة التراويح .. أن يقتدوا - ما استطاعوا - بالنبي ﷺ .. في تعاملهم مع الأطفال وأمهاتهم .. وأن يُمسكوا عن الإساءة لهم .. باسم الإسلام .. واسم الفقه الذي يحملونه .. وما هو بفقه وإنما هو الجهل.

ومنها: أن هذا الذي ذكرناه عن أئمة مساجد هذا الزمان يتنافى مع عشرات النصوص الشرعية التي تدعو وتأمّر بالرفق والرحمة، والتبشير، وتنهى عن العنف والشدة والتنفير.

ومنها: أن تنفير أو طرد النساء وأطفالهن من المساجد - بذريعة الحفاظ على هدوء المساجد - يعني إرسال النساء إلى الخيار والبديل السيئ؛ يعني إرسالهن إلى مشاهدة عشرات المسلسلات الساقطة والهابطة .. التي تنتظرهن على شاشة التلفاز!

فقه صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد .. يُقال للمرأة التي تحسن استغلال الوقت .. وتحسن الاستفادة من وقتها في بيتها .. أما إذا كانت - كما هو حال أكثر النساء في هذا الزمان - لا تحسن الاستفادة من وقتها في بيتها .. والبديل بالنسبة لها سيكون حتماً شاشة التلفاز .. أو القيل والقال والخوض في أعراض الناس .. فحينئذٍ ليس من الفقه أن تلزم البقاء في البيت .. بل ينبغي تشجيعها على المجيء إلى المسجد .. عسى أن تجدد إيمانها .. وتتطهر من ذنوبها وخطاياها .. ولولم يتحقق من مجيئها إلى المسجد سوى إبعادها عن تأثيرات المسلسلات الشيطانية الهابطة تلك لكان في ذلك خيراً كثيراً!

كثير منا يشكو انحراف النساء .. وبعدهن عن التدين وعن تعاليم الإسلام .. وتأثرهن بالساقطين والساقطات؟!

أقول: هناك أسباب عدة لهذه الظاهرة .. **منها:** معاملة أئمة المساجد وصلاة التراويح القاسية العنيفة والمنفرة للنساء - وكأن دين الله تعالى للرجال من دون النساء - فهؤلاء الشيوخ والأئمة وبعض الدعاة جزء من المشكلة وسبب فيها .. والملامة عليهم وعلى أمثالهم قبل أن تُحمل على النساء!

¹ أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ، السلسلة الصحيحة: 2089.

كيف نتعامل مع أطفالنا في رمضان

ومنها: أن الأطفال هم الجيل الآتي .. هم الورثة .. هم قادة وأمل المستقبل .. وبالتالي كيف نرجو ومنتظر منهم أن يكونوا على قد المسؤولية .. وعلى مستوى الإسلام والمهام الضخمة التي تنتظرهم .. ونحن ننفرهم ونطردهم من المساجد!

كيف نربي شاباً قلبه معلق بالمساجد .. ونحن نطرده من المساجد .. ونعامله هذه المعاملة القاسية العنيفة المنفرة .. منذ طفولته .. ونعومة أظافره[1]!؟

الجاهلية المعاصرة .. تفتتح مئات المؤسسات والنوادي والملاهي والملاعب .. خاصة بالأطفال والناشئة .. من أجل أن تجذبهم إلى أحضانها .. وكفرها .. وإلحادها .. وتفسخها .. وفجورها .. وفسوقها! تسمح لهم أن يصخبوا .. ويلعبوا .. وأن يفعلوا كل شيء يحلو لهم .. وأن يعبروا عن أنفسهم بالطريقة التي يشاؤون .. من أجل كسبهم واستمالتهم إليها .. ومن ثم تربيتهم وتنشئتهم على مبادئها وفق التصورات والمناهج الباطلة التي يريدونها لهم الأحيار والرهبان والساسة المنحرفون .. ونحن في المقابل نطردهم من المساجد التي لا نملك سواها!

نشكو ظاهرة انحراف الأجيال .. والشباب .. عن جادة الحق والرشد والصواب .. ونحن سبب فيها وجزء منها .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1428/09/08هـ

أبو بصير الطرطوسي

2007/09/20م

¹ لشدة غلظة وعنف كثير من رجال وشيوخ العجم . وبخاصة منهم الباكستانيين . على الأطفال . في بلاد الغرب . تكاد مساجدهم تخلو من وجود الأطفال .. هذه الأعمار ما بين السابعة والسادسة عشرة لا يُمكن أن تراها في مساجدهم إلا نادراً .. بسبب حرصهم على هدوء وقدسيتها المساجد .. زعموا .. وعندما ينحرف أبناؤهم في الكبر؛ فيقارعوا الخمر والميسر والزنى .. ويصبحوا من تجار المخدرات .. وكبار المجرمين والفاستقين .. يأتي الآباء ليؤلولوا ويستنجدوا بالشيخ والدعاة .. ويسألوهم المساعدة على هداية ونصح أبنائهم .. وأتى!!

كلامي هذا الأنف الذكر لا يعني أن نتجاهل تأديب الأبناء برفق .. وتعليمهم الآداب التي ينبغي مراعاتها في الصلاة والمساجد .. فهذا واجب .. لكن هذا شيء .. والتعامل معهم بغلظة وشدة وعنف .. وتنفيرهم وطردهم من المساجد .. بحجة الحفاظ على هدوئها .. شيء آخر!

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد كثرت رسائل الإخوان إليّ الذين يسألونني رأيي .. في الأوضاع المستجدة على الساحة العراقية .. وبخاصة ظاهرة اقتتال بعض الفصائل الجهادية بعضها مع بعض .. فريق يتهم فريقاً بالعمالة والخيانة .. والفريق المقابل يتهم الآخر بأنه من الخوارج الغلاة .. وكيف السبيل للخروج من هذه الفتن التي تركت الحلِيم حيراناً .. وأين ينبغي أن يقف المسلم ومع مَنْ .. فكان لا بد — إبراءً للذمة . من النصيحة .. وأن نقول ما نعتقده حقاً وصواباً حول ما تم السؤال عنه .. علماً أن الخائض في هذه المسائل الكبار لا يسلم عرضه من الطعن والتشهير والتجريح من قبل مخالفيه وشانئيه .. وشغب العامة .. لكن لا بد مما لا بد منه .. فالحق عزيز وحبیب .. لا بد لبيانه وإنصافه من ضريبة نحتسبها عند الله تعالى، ونرجو القبول.

ابتداءً لا بد من التسليم أن الذين يعيشون خارج الساحة العراقية — مهما أوتوا من علم ودراية وحكمة، وكانوا على اطلاع بالأحداث — لا يملكون الحل الناجع والحاسم لكل ما ذُكر ويُذكر من مشاكل ومسائل .. إذ جزء كبير من الحل مرتبط بإجراءات عملية واقعية .. ومقابلات .. واستماع مفصل لهذا الطرف أو ذاك .. وهذا مما لا يملكه الذي يعيش خارج الساحة .. وبعيداً عنها .. كما لا يكفي في ذلك مجرد الاطلاع على البيانات التي تتراشقها الأطراف بعضها ضد بعض .. وإن كانت تُعطي للقارئ الفطن بعض الدلالات .. لكن هذا كله لا يعفي المسلم من النصح وإبداء النصيحة للآخرين، ولو بصورة عامة توجه وترشد جميع الفرقاء والجماعات الموجودة على الساحة إلى الأفضل والأحسن، وإلى ما فيه خيري الدنيا والآخرة؛ إذ الدين النصيحة .. والنصيحة باقية وماضية في كل وقت وزمان وظرف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. والناس كلهم في خسر ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر:3.

وأختصر نصيحتي للإخوان في العراق وغير العراق ممن يعيشون ظروفاً مشابهة بالعراق وأهل

العراق .. في النقاط التالية:

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

1- ليعلم الجميع .. أن سبب كل بلاء أصاب ويُصيب الأمة يأتي من جهة الإفراط أو التفريط .. من جهة الغلو والتشدد ومن جهة الجفاء والتميع .. من جهة الخوارج الغلاة وخصالهم وأخلاقهم ومن جهة المرجئة وخصالهم وأخلاقهم .. وكلا المنهجين والفريقين على ضلالٍ مبين .. نبراً إلى الله تعالى منهما ومن صنائعهم وأخلاقهم .. والحق الذي لا ريب فيه – والذي دل عليه النقل الصحيح، والعقل السليم .
وسط بينهما .. ومن غير جنوحٍ إلى إفراط أو تفريط.

من السلامة والحكمة أن تراجع الجماعات – العاملة من أجل الإسلام – نفسها – على مستوى القيادات والأفراد سواء – وتجري بين الفينة والأخرى عملية فحص ومسح وتقييم وتدقيق .. لتشخيص الذات هل أصيبت بلوثة الغلو أو الإرجاء .. هل تسرّب إليهم أو إلى أحدٍ من أفرادهم وقياداتهم – وهم لا يشعرون – شيء من طبائع وأخلاق وصفات الخوارج الغلاة أو طبائع وأخلاق وصفات أهل الإرجاء والتفريط .. ليستدركوا الخطر والعلاج واستئصال التورمات الخبيثة قبل أن تتمكن منهم فيصعب عليهم التخلص منها، ومن آثارها!

لا يحسبن المرء .. ولا يغرته أن له بدايات في الالتزام والطلب كانت على منهج الوسطية؛ منهج أهل السنة والجماعة .. وبالتالي فهذا كفيل له أن يعصمه . طيلة حياته . من الوقوع في شيء من خصال وأخلاق الخوارج الغلاة أو المرجئة الجفافة .. وبالتالي فهو فوق الشبهة أو أن يُشار إليه بالمرض .. فهذا إن حصل فهو من تلبس إبليس عليه ومن الغرور وتزكية النفس على الله بغير علم .. وعلامة ذلك أنه لو عرض نفسه على عالم مختص لشخص له – بإذن الله – نوع مرضه وحجمه ودرجة انحرافه مهما كان دقيقاً أو خفياً!

فالمسلم قد يطرأ عليه النفاق .. وكذلك قد يطرأ عليه قليل أو كثير من خصال وأخلاق أهل الإفراط أو التفريط وهو لا يدري .. لذا لزمّت المراقبة .. والمراجعة والمحاسبة .. وأن نسأل الله تعالى باستمرار أن يثبتنا ويثبت قلوبنا على دينه؛ على الحق وعلى المنهج الوسط في جميع أمور ديننا ودنيا .. من غير جنوح إلى غلو أو تفريط.

2- من الأمراض الخطيرة المتفشية عند كثير من الجماعات والعاملين في حقل الدعوة – التي تحتاج إلى انتباه وعلاج مستعجل – ظاهرة غياب الإنصاف والعدل في الرضى والسخط .. في الحب

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

والكره .. وتضخيم أخطاء الطرف المقابل المخالف .. إلى درجة لا يحتملها الخطأ من أي وجه من الوجوه!

فالصغائر .. نظل نفسرها ونكبرها وننفخ فيها .. ونضخمها .. ونُضفي عليها من أوهامنا وظنوننا .. ونسيء الظن بأصحابها .. إلى أن نجعلها من الكبائر والمهلكات .. ونتعامل مع أصحابها على أنهم من ذوي الكبائر والموبقات .. فنحرمهم بعضاً أو كثيراً من حقوقهم.

وكذلك الكبائر .. نظل نفسرها ونكبرها وننفخ فيها .. ونسيء الظن بأصحابها .. ونضفي عليهم من الأوهام والتخيلات والظنون السيئة .. والتحليلات التي لا تُغني ولا تُسمن من جوع .. حتى نجعلها بمصاف الكفر الأكبر .. ونكفر أصحابها .. ثم يتبع التكفير الجائر انتهاك الحرمات .. وسفك الدم الحرام بغير حق.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من قذف - وفي رواية: من رمى - مؤمناً بكفرٍ فهو كقتله" البخاري. لأنه بتكفيره له . بغير حق . يُسقط جميع حقوقه التي منحها الإسلامُ إياه. والأسوأ من هذا كله .. والأخطر منه .. التكفير بالظن والشبهات .. والاحتمالات .. وبالاجتهاد الخاطئ الذي يحتمل التأويل، وقد يكون لصاحبه أجراً إن سلمت نيته، وبذل وسعه في طلب الحق ثم أخطأه، كما في قوله ﷺ: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر" البخاري.

نضرب مثلاً لتتضح به الصورة بشكل أفضل: المسلم المجاهد في مرحلة من مراحل جهاده .. قد يجد من الضرورة والحاجة الملحة .. أن يجالس عدوه .. وأن يتفاوض معه .. بل ويمهده ويُصالحه إلى أجل محدد .. وأن يُجيره ويؤمّنه وفق ضوابط الشرع .. وأن يسمع من عدوه وعدوه يسمع منه .. فهذه المفردات كلها قد دلت عليها سنة النبي المصطفى ﷺ وسيرته مع أعدائه .. فإذا فعل المجاهد الذي يصطلي نار المعركة شيئاً من ذلك .. أسرع الناس . وبخاصة منهم المخالفين الذين يتصيدون له العثرات . في تخطئته .. ثم يتمادون فيتبعون التخطئة بالتخوين .. ثم يتمادون في النقد والتجريح .. فيتبعون التخوين بوصفه بالعمالة .. وبعد العمالة تأتي مرحلة التكفير .. وبعد التكفير تأتي مرحلة سفك الدماء وانتهاك الحرمات .. والمأخذ في أصله قد لا يرقى إلى درجة اعتباره خطأً شرعياً!

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

المجاهد يُخطئ ويُصيب .. وقد يضع بعض ما أجازته الشرع له - مما تقدم ذكره - في غير موضعه .. وقبل أوانه .. فيخطئ .. وإذا أخطأ قلنا أخطأ .. ونصحناه وسددناه .. لكن هذا لا ينبغي أن يحملنا على أن نُضخم الخطأ وننفخ فيه ونكبّره .. لنجعله في مصاف الخيانة .. ومن ثم العمالة والكفر البواح .. لتأتي بعد ذلك مرحلة سفك الدماء وانتهاك الحرمات!

هذا الذي نُشير إليه يحصل . وللأسف . في كثير من الساحات الجهادية المعاصرة .. وعند التحري والتقصي تجد أن المسائل المتنازع عليها لا تبرر تفريق الكلمة وشق الصف إلى صفوف .. فضلاً عن كونها مبرراً لنشوب التقاتل والنزاعات المسلحة فيما بين المجاهدين .. التي يصعب احتواء آثارها فيما بعد .. فعلى جميع الفرقاء المتواجدين على الساحة أن يتقوا الله في أنفسهم وإخوانهم .. وأن يجتهدوا أن يضعوا الأمور في نصابها الشرعي الصحيح من غير زيادة ولا نقصان .. وأن يصفوا الأشياء بصفاتها وأسمائها الشرعية التي تستحقها من غير غلو ولا جفاء.

3- ليعلم الجميع .. أن النقل الصحيح والعقل السليم .. قد اتفقا واجتمعا ودلا على أن وحدة الكلمة .. واجتماع الصف .. ونبذ الفرقة والتنازع والاختلاف والشقاق - وبخاصة من يعيش في ساحات الجهاد وأجواء المواجهة مع الغزاة المعتدين - من أعظم المطالب والمقاصد الشرعية، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران:103. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال: 46.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله يرضى لكم أن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا" مسلم.

وقال ﷺ: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة" [صحيح سنن الترمذي:1758]. وغيرها من النصوص التي تحض على الجماعة والوحدة .. وتنهى عن التفرق والاختلاف والتنازع.

وبالتالي لا يُمكن ولا يجوز أن نفرط بهذا المطلب العظيم .. من أجل مطالب ومقاصد هي أقل منه شأنًا وأهمية.

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

نَجْتَهِدُ فِي أَنْ نُحْيِي جَمِيعَ الْمُطَالِبِ وَالْمُقَاصِدِ .. فَإِنَّ تَعَثُرَ ذَلِكَ .. وَكَانَ لَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيمِ مُطَلَبٍ عَلَى مُطَلَبٍ آخَرَ قُدِّمَ الْأَهْمُ فَالْأَهْمُ، وَالْأَوْكَدُ فَالْأَوْكَدُ .. وَأَعْظَمُ مُطَلَبٍ وَمُقَصَّدٍ بَعْدَ مُطَلَبِ التَّوْحِيدِ .. مُطَلَبِ الْوَحْدَةِ وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ.

وَعَلَيْهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَنْتَظِرَ الْجَمَاعَاتُ الْمَجَاهِدَةَ الْمُتَفَرِّقَةَ وَالْمُتَنَاحِرَةَ — الْمَوْجُودَةَ عَلَى السَّاحَةِ الْعِرَاقِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ السَّاحَاتِ — مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالِدُّعَاةِ الْمُخْلِصِينَ أَنْ يُبَارِكُوا أَوْ يُؤَيِّدُوا أَيَّ ظَاهِرَةٍ تَفْرُقُ وَتَقَاتِلُ وَتَفْرُقُ بَيْنَهُمْ .. وَبِخَاصَّةٍ فِي أَجْوَاءِ وَظُرُوفِ الْمَوَاجَهَةِ وَالْقِتَالِ مَعَ الْعَدُوِّ .. وَالغَزَاةِ الْمُعْتَدِينَ الصَّائِلِينَ قَابِعِينَ فِي عَقْرِ دَارِ الْمُسْلِمِينَ، يَعِثُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا!

نَعَمْ؛ قَدْ يَمِيلُ الْقَلْبُ وَيَسْتَرِيحُ إِلَى مَنَهِجٍ وَأَسْلُوبٍ وَسِيَاسَةٍ فَرِيقٍ أَوْ فَصِيلٍ مِنْ فَصَائِلِ الْجِهَادِ الْمَوْجُودَةِ هُنَا أَوْ هُنَاكَ .. لَكِنْ هَذَا الْمِيلُ لَا يَبْرُرُ لِصَاحِبِهِ أَنْ يَمِيلَ كُلُّ الْمِيلِ .. أَوْ أَنْ يَحْمَلَ لَوَاءَ الطَّعْنِ وَالتَّجْرِيحِ بِالفَصَائِلِ الْآخَرَى .. وَيَفْرُقُ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَجَاهِدِينَ بَعْدَ اجْتِمَاعِهَا .. أَوْ أَكْثَرَ مِمَّا هِيَ مُتَفَرِّقَةٌ!

وَنَصِيحَتِي لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَرِاقِبُونَ الْأَحْدَاثَ عَنْ بَعْدٍ .. مِنْ خَلْفِ أَجْهَزَتِهِمُ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ وَالْإِعْلَامِيَّةِ .. أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي إِخْوَانِهِمْ .. وَفِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ خَلْفِهِمْ .. فِيمَا أَنْ يَقُولُوا كَلِمَةَ تَوْحِيدٍ وَلَا تَفْرُقَ .. وَتَوَلَّفَ بَيْنَ الْقُلُوبِ .. أَوْ يَصْمَتُوا .. وَمَنْ صَمَتَ نَجَا .. أَمَا مِنْ تَابِعٍ .. وَأَبِي إِلَّا أَنْ يَحْرُضَ الْفَصَائِلَ الْمَجَاهِدَةَ عَلَى التَّفْرُقِ وَالتَّنَاحِرِ .. وَالتَّقَاتِلِ فِيمَا بَيْنَهُمْ .. فَقَدْ شَارَكَ الْقَوْمَ فِي الْوُزْرِ وَالْإِثْمِ .. وَلَهُ مَا لَهُمْ مِنَ الْوُزْرِ وَالْإِثْمِ وَإِنْ كَانَ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ خَلْفَ جِهَازِهِ الْإِلِكْتُرُونِيِّ .. فَالرَّضَى بِالشَّيْءِ كِفَاعِلَهُ!

مِنْ السِّيَاسَاتِ الْمُتَبِعَةِ لِلْعَدُوِّ فِي أَرْضِ الْجِهَادِ .. أَنْ يَفْرُقَ الْمَجَاهِدِينَ أَوْ الْجَمَاعَةَ الْمَجَاهِدَةَ إِلَى جَمَاعَاتٍ مُتَنَاحِرَةٍ وَمُتَدَابِرَةٍ — عَلَى مَبْدَأٍ فَرَقَ تَسَدٌ — وَأَنْ يَهْوَشَ بَيْنَهُمْ وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى التَّقَاتِلِ فِيمَا بَيْنَهُمْ .. لِيَصِفُّوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا .. ثُمَّ هُوَ فِي النِّهَايَةِ يَنْقُضُ عَلَى الْمُنْهَكِينَ مِمَّنْ تَبَقِيَ مِنَ الْمَجَاهِدِينَ وَلَمْ تَصِفِّهِ التَّرَاغَاتُ الدَّاخِلِيَّةُ فِيمَا بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ!

وَبِالتَّالِيِ كُلِّ مَنْ يَغْذِي أَوْ يُؤَيِّدُ هَذِهِ السِّيَاسَةَ .. الَّتِي تُوَدِّي إِلَى هَذِهِ النُّتَاجِ بَيْنَ الْمَجَاهِدِينَ فَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَنْصَارِ الْجِهَادِ .. وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُعْتَبَرَ مِنْ أَنْصَارِ الْجِهَادِ .. وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَنْصَارِ الْغَزَاةِ الْمُعْتَدِينَ .. عِلْمٌ بِذَلِكَ أَمْ لَمْ يَعْلَمْ .. وَإِنْ زَعَمَ بِلِسَانِهِ أَلْفَ مَرَّةٍ خِلَافَ ذَلِكَ!

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

4- أكدت نصوص الشريعة على أهمية الشورى .. وعلى ضرورة العمل بمبدأ الشورى .. وبخاصة في القضايا العامة التي تمس مصلحة الأمة .. ومصلحة الجهاد والمجاهدين، كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى:38. وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ آل عمران:159. وهذا الخطاب يوجه لسيد الخلق الذي لا ينطق عن الهوى .. لما في الشورى من تطيب لخاطر المستشارين .. وتأليف قلوبهم .. وتوحيد كلمتهم وصفوفهم خلف قيادتهم .. فكيف بمن هو دون المصطفى ﷺ .. لا شك أن العمل بمبدأ الشورى بحقه يكون أولى وأوكد.

ثم أن من حسنات الشورى أن تجعل الجميع يأخذون مواقعهم المناسبة من الأحداث .. وتجعل الجميع يتحملون مسؤولياتهم عن الأحداث .. بخلاف لو كانت القرارات تؤخذ بطريقة فردية أنانية .. فحينئذٍ المسؤوليات والمهام كلها تقع على عاتق هذا الفرد أو هؤلاء الأفراد بعيداً عن الآخرين .. ووحدهم يتحملون نتائج الأحداث .. وأنى لهم بهذا العبء الثقيل!

لذا لا نرى لفصيل من فصائل المجاهدين - في العراق أو غيرها من الساحات - أن يفرض نفسه وقراراته الكبيرة والعامة .. وبخاصة منها الإمارة العامة على بقية الفصائل من دون أن تكون الأمور بينهم شورى .. وعن تراضٍ بينهم وتشاور .. وبخاصة في مرحلة الصراع والقتال مع الغزاة المعتدين! فإن حصلت الاستهانة بمبدأ الشورى .. وأبى فصيل من الفصائل إلا أن يفرض نفسه على الجماعات الأخرى .. وعلى المسلمين من خلفهم بالقوة .. فإن النتيجة ستؤول حتماً إلى التقاتل والتفرق والتنازع .. وسفك الدم الحرام .. كما هو حاصل الآن .. وهذا الذي ينتظره ويرغبه العدو!

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ المائدة:14.

وهذا مثل قيل في النصارى .. ويُحمل على المسلمين إن سننوا سننهم فنسوا حظاً من الدين .. والشورى من أهم حظوظ وأسهم الدين .. فإن النتيجة المتوقعة والمنتظرة أن يُغري الله العداوة والبغضاء بين أولئك الذين نسوا حظاً من الدين .. ونعيذ إخواننا المجاهدين من أن ينسوا حظاً من الدين!

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

5- الخلافات والنزاعات واردة الحصول بين الجماعات المجاهدة .. لكن لا تُحسم بالتحاكم إلى السلاح .. فليس لأدنى خلاف أو تنازع يُفزع إلى السلاح .. وإنما تُحسم الخلافات بالرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .. وهذا لازم من لوازم الإيمان وشرط له، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:59. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء:65.

6- ليعلم الجميع .. أننا – وغيرنا من الدعاة والعلماء – لا يمكن أن نبارك أو نؤيد أو نبرر سفك الدم الحرام .. أياً كانت الذرائع والدوافع والمبررات التي حملت على سفك الدم الحرام .. أو كانت الجهة والمسميات التي خلف هذا الحرام!

هذا المعنى – لأهميته – قد ذكرناه مراراً وتكراراً .. ونعيد ذكره والتذكير به هنا .. فالمؤمن لا يزال دينه بخير ما لم يصب دماً حراماً .. وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يحولنَّ بين أحدكم وبين الجنة وهو ينظر إلى أبوابها ملء كف دمٍ مسلمٍ أهرأقه ظمأً" [السلسلة الصحيحة:7/1133].

أما هؤلاء المجاهيل؛ مجاهيل الاسم .. والقصد .. والدوافع .. والجهة التي ينتمون إليها .. والمنهج الذي ينتمون إليه .. الذين يطربون .. ويصفقون .. ويفرحون .. ويكبرون لكل قطرة دمٍ تسيل وتُسفك هنا وهناك .. ولو بالحرام .. فهؤلاء من حقنا أن نُسيء الظن بهم وبدينهم .. وبدوافعهم .. وأن نقول لهم: أنتم وصاحب الوزر سواء .. فانتظروا واستعدوا ليوم الحساب؛ فنصوص الشريعة قد دلت أن الرضى بالشيء كفاعله .. والرضى بالذنب كفعل الذنب وإن لم يُباشر فعله .. ونصيحتنا للمجاهدين الصادقين أن يُعرضوا صفحاً عن شغب هذه الشريحة من الناس، فلا يُصغوا إليهم في شيء .. فضرهم قد استطار .. وهو أكثر من نفعهم!

وللعلم فإن من الشيعة الروافض .. وغيرهم ممن يُصنَّف في خانة أعداء الأمة – لغرض الإساءة للجهاد والمجاهدين .. وتنفير الناس عنهم — من يتقمص هذا الثوب .. ثوب المزادة والحماس الزائد .. والنصرة للمجاهدين . تحت أسماء مستعارة مضللة وما أسهل فعل ذلك عليهم . وما في أنفسهم حماس صادق .. ولا نصرة للجهاد ولا للمجاهدين .. وإنما هو الحقد والكيد والمكر .. فالحذر الحذر عباد الله!

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

7- ليعلم الجميع .. كما أننا لا يمكن أن نبارك سفك الدم الحرام كما تقدم .. كذلك لا يمكن أن نبارك أو نؤيد الخيانة والعمالة .. والوقوف في خندق أعداء الأمة من الغزاة الصائليين الصليبيين والصفويين .. ضد المسلمين بعامة .. والمجاهدين منهم بخاصة .. مهما كانت الذرائع والمبررات الداعية إلى ذلك .. فمظاهرة الكافرين والمشركين في حربهم على الإسلام والمسلمين .. كفر بواح بالنص، واتفق جميع أهل العلم.

قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ آل عمران:28.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة:51.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ المائدة:81.

وهؤلاء الذين يسمون أنفسهم بمجالس الصحوة — الذين آثروا إلا أن يقفوا في خندق واحد مع الغزاة المعتدين ضد المجاهدين — ما هم إلا مجالس الغفوة والغفلة .. ليس فيهم شيء من معاني الصحوة .. فليفيقوا على أنفسهم .. وليتقوا الله .. وليحذروا أن تحملهم الثارات وحب الثأر والانتقام .. والانتصاف للنفس على الوقوع في الكفر البواح؛ والمتمثل في الوقوف مع الغزاة الكافرين الصائليين على الإسلام والمسلمين!

فإن قيل: ما حملنا على هذا الموقف إلا ظلم ذوي القربى لنا من أبنائنا وإخواننا ..!؟

نقول لهم: الظلم — على افتراض وجوده — يُنكر ويُرَدُّ .. ويواجه .. ونبراً إلى الله منه .. والمظلوم يُنتصَف من ظالمه .. لكن ليس من الانتصاف أو العدل أن يضع المظلوم يده بيد الكافر الغازي المعتدي على من ظلمه من المسلمين .. فالظلم لا يبرر الوقوع في الظلم الأكبر .. ولا يُدفع بظلم أكبر منه، والمتمثل في الكفر والشرك، والوقوف في صف الغزاة الكافرين على البلاد والعباد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان:13.

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

فالظلم يُنكر .. لكن لا يُنكر بما هو أنكر وأخطر منه ظلماً وعدواناً .. ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الظالم الكافر الصائل إذا كان لا يندفع كفره وظلمه وعدوانه إلا بالقتال مع الظالم المسلم .. جازبل وجب القتال مع الظالم المسلم لدفع ظلم وعدوان الظالم الكافر الصائل الأشد ظلماً وعدواناً، من قبيل دفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" متفق عليه. وقال ﷺ: "إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم" [صحيح الجامع: 1866].

قال شيخ الإسلام في الفتاوى 506/28: "من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر؛ فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع عسكر كثير الفجور؛ فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرراً في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفيجين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يكن إقامة جميعها. فهذا هو الواجب في هذه الصورة، وكل ما أشبهها؛ بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه - هـ.

8- جانب هام من جوانب الفقه والسياسة الشرعية طالما أشرنا إليه في مقالاتنا .. نعيد التذكير به هنا لأهميته .. وهو ليس كل من جاز قتله شرعاً أو استحق حداً .. استحسناً بالضرورة من الناحية الفقهية والسياسة الشرعية قتله أو إقامة الحد عليه .. من دون النظر إلى الاستطاعة .. وتقدير المصالح والمفاسد .. وبخاصة في ساحات الحرب والقتال .. خشية أن يُفتتن المحدود في دينه فيلتحق بالمشركين، فينقلب معهم على المسلمين .. وقد نقل بعض أهل العلم إجماع الصحابة على أن الحدود لا تُقام في أرض الحرب، مراعاة لهذا المعنى.

وبالتالي ليس من الفقه والسياسة الشرعية أن يُقصد - في ساحات القتال والحرب - إلى كل منافق خائن فيُقتل .. وبخاصة إن كان من ذوي الجاه والشرف والزعامة .. قد يفتتن الناس من ورائه بسبب قتله .. كما في الحديث الصحيح: لما قال رأس النفاق عبد الله بن أبي - وكان زعيماً يُسمع له في قومه قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة -: ليخرجن الأعز - يعني نفسه - منها - أي من المدينة - الأذل - يعني

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

النبي ﷺ — .. فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: "دعه؛ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه" البخاري. لم ينكر النبي ﷺ على عمر وصفه لابن أبي هانئ منافق، وأنه يستحق القتل .. وإنما نهاه عن قتله حتى لا يُقال .. وحتى لا يقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه .. وهذه سمعة منفرة ضررها على الدعوة والدولة الإسلامية كبير .. وبخاصة في المراحل الأولى من نشوئها وبداياتها .. قد يستغلها العدو أسوأ استغلال.

نفسه رأس النفاق وزعيم المنافقين ابن سلول يعتدي ثانية على عرض النبي ﷺ في حادثة الإفك .. فقال رسول الله ﷺ: "من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً". وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً". فقام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرک منه: إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرک. فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال: كذبت؛ لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على ذلك! فقام أسيد بن الحضير، فقال: كذبت؛ لعمر الله لنقتلنه؛ فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيان: الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل فخفّضهم حتى سكتوا وسكت البخاري.

ثم بعد ذلك إذا أحدث ابن أبي ابن سلول حدثاً كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه ويُعنفونه، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك من شأنهم: "كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لرعدت له أنف — أي لاضطربت وانتفخت واحمرت له أنوفهم حمية وعصبية — لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته". قال عمر: قد والله علمتُ لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركةً من أمري.

فتأملوا كيف أن أمر مقتل رأس النفاق ابن سلول قد أحدث هذا النوع من الفتنة والشرخ بين أعظم طائفتين تتشكل منهما طائفة الأنصار أعظم بها وأكرم من طائفة .. والنبي ﷺ بين أظهرهم يخفّضهم ويسكتهم .. ثم تأملوا كيف عالج النبي ﷺ الموقف .. وظاهرة هذا الخبيث المنافق .. إلى أن انتهى به الأمر أن قومه الذين كانوا يغضبون له .. هم الذين يقتلونه لو أمرهم النبي ﷺ بذلك .. ومات ابن أبي والنبي ﷺ لم يأمر بشيء من ذلك .. بل صلى عليه وكفنه بثوبه — وفي سيرته ﷺ مع هذا المنافق من الفوائد العظام ما يُكتب فيها مجلد لو شئنا التوسع — فما بالكم بمن هم دون الأنصار .. فما بالكم

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

بالناس في زماننا .. والنبي ﷺ ليس بين أظهرنا .. ينبغي أن نتوقع من الناس هذا النوع من النعرات والحميات والعصبيات .. والمطلوب منا قبل أن نلومهم .. أن لا نفتهم في دينهم .. وأن لا نُعين الشيطان عليهم!

كثير من الأخطاء والإفرازات السيئة .. قد تكون من عند أنفسنا .. وبسبب من أنفسنا وجهلنا .. ومن العدل والتقوى والفقهِ حينئذٍ أن نفقه ذلك .. وأن ننصف الحق من أنفسنا .. وأن نتحمل مسؤولياتنا عن الأحداث .. قبل أن نرمي المسؤوليات على الآخرين وعلى مؤامراتهم وخياناتهم!

لا ينبغي أن نصنع العدو بأنفسنا .. وبسبب من عند أنفسنا .. ونكثر أنصاره وأعوانه .. ثم نمنع القتل فيهم .. من دون أن نراجع أنفسنا .. وسياساتنا ومناهجنا .. وطريقة تعاملنا مع الناس!

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا وَلَا تَنْفَرُوا" متفق عليه.

وقال ﷺ: "إن الله رقيق يحب الرفق في الأمر كله" البخاري.

وقال ﷺ: "إن الله رقيق يحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يُعطي على ما سواه" مسلم.

9- الاجتهاد ما استطعنا أن لا ننسى شيئاً من حظوظ وواجبات الدين؛ فإن نسيان حظٍّ من حظوظ وأسهم الدين مآله إلى التفرق، والتناحر، والتباغض، والتقاتل بين الإخوان، وأن يُسلط الله عليهم العدو، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ المائدة:14.

هناك معنى طالما أشرنا إليه وإلى أهميته .. وأثره البالغ على وحدة وسلامة الصف .. وسلامة المجاهدين .. حتى أن من المرضى - لكثرة ما ذكّرنا أنفسنا والآخرين بهذا الأمر - من هزئ بنا .. واستخفَّ بأحاديث النبي ﷺ وتوجيهاته وأوامره .. واتخذها مادة للتندر والاستهزاء .. يحسبون صنيعهم هذا هيئاً وهو عند الله عظيم!!

هذا الأمر هو " الوفاء بالعهود واجتناب الغدر " .. بل الوفاء بما هو شبهة عهد وأمان .. واجتناب ما فيه شبهة غدر - مع المسلمين فيما بينهم، وبين المسلمين وغيرهم - لما في الغدر بالعهود من آثار وخيمة

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

جداً تتردد على المجاهدين وجماعاتهم وأفرادهم وقياداتهم .. من هذه الآثار أن يُسلط الله عليهم العدو، ويجعل لهم عليهم سلطاناً .. وأن يجعل القتل والقتال بين تلك الجماعات ذاتها التي لم تحفظ العهود ولم تُراعِ حرمتها، كما في الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "ما نقض قومُ العهدَ إلا سُلِّطَ عليهم عدوُّهم" [صحيح الجامع:3240]. وقال ﷺ: "ما نقض قومُ العهدَ إلا كان القتلُ بينهم" [صحيح الترغيب:2418].

هذا قول الحبيب المصطفى يا قوم .. وليس قول أبي بصير .. وإني أعيدكم أن تستخفوا بقول وتوجيهات النبي ﷺ .. فإن حصل شيء من ذلك ثم واجهتكم آثار المخالفة والنسيان والعصيان، والتي منها أن يكون القتل والقتال فيما بينكم .. فلا تلوّموا حينئذٍ إلا أنفسكم .. اللهم إني قد بلغت — حتى هزئوا مني . اللهم فاشهد.

10- ليعلم الجميع أن التعصب بجميع ألوانه وأنواعه وصوره كله مذموم شرعاً وعقلاً؛ سواء منه التعصب المذهبي، أو التعصب الحزبي، أو التعصب المشيخي؛ القائم على أساس الانتماء إلى بعض الشيوخ والأسماء، أو التعصب القبلي العشائري، أو التعصب الإقليمي القطري، أو التعصب القومي .. أو التعصب لبعض الأسماء والمسميات الجهادية على حساب الحق .. حيث بتنا في الآونة الأخيرة نلمس . عند بعض الناس . ظاهرة التعصب الشديد لبعض الأسماء والمسميات الجهادية المعاصرة .. فلا يقبلون في حقهم توجيهاً ولا نصحاً ولا تخطئة .. ومن يفعل وينصح - عملاً بتوجيه النبي ﷺ " الدين النصيحة " . سرعان ما يُساء به الظن، ويُرمى بالخيانة، ويُكبَّر عليه .. وإن كان ممن له سابقة علم، وجهاد، وبلاء في الله!!

فالحق الذي لا ريب فيه - عند هؤلاء المتعصبة من الناس - هو ما هم عليه، وما تكون عليه تلك الأسماء والمسميات .. وما خالفهم فهو الباطل .. فأصبحت هذه المسميات . عند هؤلاء النفر من الناس . هي الميزان وهي المقياس الذي به يُعرف الحق من الباطل .. والعدو من الصديق .. والتي فيها وعلمها يُعقد الولاء والبراء .. بعيداً عما تأمر به أو تنهى عنه نصوص الشريعة .. وهذا من الغلو ومن أخلاق الجاهلية التي حذرنا منها النبي ﷺ كما في الحديث، عن جابر بن عبد الله ؓ قال: غزونا مع النبي ﷺ وقد تاب معه ناسٌ من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجلاً لَعَابٌ، فكسَع أنصارياً - أي ضربه على دبره

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

إما بيده أو رجله — فغضب الأنصاريُّ غضباً شديداً حتى تداعوا، وقال الأنصاريُّ: يا للأنصار، وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين، فخرج النبيُّ ﷺ فقال: "ما بال دَعَوَى أهل الجاهليَّة، دعوها فإنها خبيثة". وفي رواية: "دعوها فإنها مُنْتَنَةٌ" البخاري.

فتأملوا رغم أن مصطلحي الأنصار والمهاجرين من المسميات المباركة التي أقرها الشرع وباركها .. لكن لما كان الانتصار على أساس التعصب لها، قال النبي ﷺ: "ما بال دَعَوَى أهل الجاهليَّة، دعوها فإنها خبيثة .. دعوها فإنها منتنة".

وقال ﷺ: "من قُتِلَ تحت راية عميَّةٍ؛ يدعو عصبيةً، أو ينصر عصبيةً، فقتله جاهلية" مسلم.
وقال ﷺ: "من قاتل تحت راية عميَّةٍ؛ يغضب لعصبية، أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبيةً، فقتله جاهلية" [صحيح الجامع: 6227].

وقال رجلٌ للنبي ﷺ: يا رسول الله، ما العصبية؟ قال: "أن تُعين قومك على الظلم" [1].
وقال ﷺ: "من نصر قومَه على غير الحقِّ فهو كالبعير الذي رُدِّي، فهو يُنزعُ بذنبه" [صحيح سنن أبي داود: 4271].

كما أن هذا النوع من التعصب والغلو مدعاة لتسرب الخونة والجواسيس إلى صفوف المجاهدين وأنصارهم .. فالمهمة تكون عليهم حينئذٍ سهلة؛ إذ يكفهم لكي يكونوا من المقربين أو يُصنّفوا من أنصار الجهاد والمجاهدين .. أن يتعصبوا لهذه الأسماء والمسميات .. وأن ترتفع أصواتهم، وتنتفخ أوداجهم في مدح وإطراء هذه الأسماء والمسميات .. أو يَطْرُؤوا ويَلْعَنُوا الآخرين .. على أساس هذه الأسماء والمسميات .. وما أكثر الجماعات الجهادية المعاصرة التي اخترقت ولُدغت من هذا الجانب .. فالحذر الحذر عباد الله!

11- مما يستدعي التنبيه والتحذير منه كذلك تلك الظاهرة الغريبة المشينة التي بتنا نلاحظها بوضوح، وهو الإرهاب الفكري والنفسي الذي تُمارسه شريحة من المجهولين — ممن يصنّفون أنفسهم بأنهم أنصار الجهاد! — ضد العلماء والدعاة المخلصين الذين لهم سابقة علم وجهاد وبلاء في الله .. فلا

¹ أخرجه أبو داود في السنن، وقال عنه ابن مفلح في الآداب الشرعية 60/1: حديث حسن.

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

يترددون من النيل منهم والطنع بهم وبدينهم وأعراضهم .. عند أدنى نصيحة أو توجيه يقومون به نحو إخوانهم وأبنائهم من المجاهدين .. لا تروق لهم ولا تُلامس أهواءهم!

وهذا مما لا شك فيه إلى جانب كونه مخالفاً للشريعة ونصوصها .. وأدائها .. له تداعيات خطيرة على العمل الإسلامي بعامة والعمل الجهادي بخاصة .. إذ الحركة الإسلامية بكل أطرافها وتجمعاتها .. تحتاج إلى كلمات ونصائح وتوجيهات وخبرة هؤلاء الدعاة والعلماء .. أكثر من أي شيء آخر .. والمجاهدون . جزاهم الله خيراً . من أكثر الناس إدراكاً لهذا المعنى .

وأنا إذ أشير إلى هذه الظاهرة السلبية المتفشية في المنتديات الحوارية .. محذراً منها ومن مضاعفاتها وتداعياتها على عطاء الدعاة العاملين وسلامة المجاهدين معاً .. فإني أشهد أن المجاهدين برآء منها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام .. وهم حريصون أشد الحرص على السماع من دعواتهم وعلمائهم وشيوخهم .. أكثر من حرصهم على اقتناء السلاح .. سواء اختلفوا معهم في بعض التوجيهات والإرشادات أم اتفقوا .. فالمجاهدون - كما نعرفهم وخبرناهم - من أكثر الناس تأدباً مع العلماء والدعاة العاملين .. ومن أكثر الناس معرفة لحقوقهم ومراعاة لها .. لذا من حقنا أن نقول لهؤلاء الذين يُثيرون الفتن والشغب باسم الانتصار للجهاد والمجاهدين عن بُعد .. حيدوا .. تادبوا .. لا ترفعوا أصواتكم .. فالمرور ليس موردكم .. لا تزاودوا، ولا تتشبعوا بما ليس فيكم ولا عندكم .. فإن لم تفعلوا فمن حقنا أن نسيء الظن بكم وبدوافعكم .. ونحذّر منكم .. ولا تلومونا حينئذ!

12- هذا المقال - وما ورد فيه - رغم أن المعنى منه بالدرجة الأولى الساحة الجهادية في العراق .. وما يجري على تلك الساحة من أحداث .. إلا أننا نعني منه كذلك جميع الساحات الجهادية - في فلسطين، وأفغانستان، والصومال، وغيرها من الساحات والميادين الجهادية - لمشابقتها للساحة العراقية في كثير من الجزئيات والجوانب .. وللإخوان في هذه الساحات أن يستفيدوا منه.

وفي الختام ليعلم إخواني المجاهدين حفظهم الله . أينما كانوا . أنني أحيمهم في الله .. وأنا منهم وهم مني .. وأنا لهم أرضاً وخداماً .. يسرنا ما يسرهم ويُسيئنا ما يُسيئهم .. فإن وجدوا في ثنايا كلماتي نوع شدة .. فالشدة ليست مرادة لذاتها - معاذ الله - .. فهي شدة الوالد على أبنائه قرّة عينه، وفلذات كبده .. وإنما - أحياناً - تشخيص الداء والدواء .. يقتضي نوع مصارحة ومكاشفة ومناصحة .. قد تُفسّر من

كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ

البعض بأن فيها نوع شدة .. وليس هو المراد .. غفر الله لي ولكم، ونصركم على أعدائكم أعداء الدين،
وسدد خطاكم، ووفقكم لكل ما فيه خير دينكم ودنياكم وأمتكم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1428/11/03 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2007/11/23 م

. ملاحظة: هذا المقال سيُضاف . بإذن الله . كملحق في نهاية كتابنا " الجهاد والسياسة الشرعية.

مناصرة ومكاشفة للجماعات الجهادية المعاصرة". لارتباطه وتعلقه بموضوع ومادة الكتاب.

إيران وظمّوحاتها في المنطقه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

مما يُؤسف له أن كثيراً ممن تتناولهم وسائل الإعلام على أنهم مراقبون ومحللون وأخصائيون .. نجدهم . في كثير من الأحيان . إذا تناولوا حدثاً هاماً يخص الشعوب والأمم والدول يناون بأنفسهم . رغبة أورهة . عن ذكر الحقيقة .. وأفضلهم الذي يذكرها منقوصة؛ فيحوم ويطوف حولها .. ويُشير إليها من طرف بعيد وخفي .. يحتاج إلى أخصائي آخر يُفسر ويُحلل مراده وكلماته . وليس كل الناس كذلك . فيزيدون بذلك الطين بلةً .. والغامض غموضاً .. ويجعلون من السهل صعباً .. ومن المحكم متشابهاً وحمّال أوجه .. ويا ليتهم لم يحللوا ولم يعلقوا .. وكأنّ وظيفتهم أن يُسدلوا على الحقائق مزيداً من الستر والغبش والتشويش والغموض .. وأن يزيدوا الناس ضلالاً وتيهماً .. حتى تلتبس عليهم الحقائق والمعاني .. فلا يحسنون التمييز بين ما هو حق وما هو باطل .. وبين ما ينفعهم وما يضرهم .. وبين من هو عدولهم وبين من هو صديق .. وهذا من الغش الذي لا يليق بأولي النهى من الرجال!

قد كثر في الآونة الأخيرة الحديث عن طمّوحات إيران النووية .. وخطر مشروعها النووي على المنطقة .. وعن طمّوحاتها في المنطقة العربية والإسلامية بشكل عام .. وعن التقارب العربي الإيراني .. وعن التجاذبات السياسية والتصريحات الصحفية بين أمريكا ودول الغرب من جهة وإيران من جهة أخرى .. والتي تتسم تارة بالتوتر والتصعيد وتارة بالتهدئة والتقريب حتى يُخيل للرأي وكأنّ الفريقين فريق واحد .. مما جعل الحلیم حيراناً؟!!

كيف ينبغي أن نفهم ونفسر هذه الأحداث .. وكيف ينبغي أن نتعامل معها؟!!

أقول: قبل أن نجيب عن هذا السؤال .. لا بد من أن نعرّف بالأطراف والفرقاء المعنية من

موضوعنا أعلاه، وهي:

إيران: تلك الدولة الطائفية الدينية القائم نظامها على دين وعقيدة التشيع والرفض، وسلطة

ولاية الفقيه المطلقة .. ذات الطموح الكبير في بسط نفوذها في المنطقة العربية سياسياً واقتصادياً

وعسكرياً . وبخاصة منها منطقة الخليج العربي؛ لقربها جغرافياً من إيران، ولوجود السكان فيها الذين

إيران وظفوحاتها في المنطقة

يدينون بالولاء والطاعة العمياء لقم وسلطة ولاية الفقيه . وهذا يستدعي منها أن تغزوها أولاً ثقافياً ودينياً وطائفيًا .. لتضمن ولاء أكبر شريحة من الشعوب في تلك البلاد .. والتي تُساعد كثيراً في تمرير المخططات الإيرانية الأخرى .. كما تُساعد على تدخلها في شؤون البلاد الداخلية .. الصغيرة منها والكبيرة .. كما هو حاصل في لبنان، وسورية، وأفغانستان، والعراق .. وفلسطين .. وغيرها من البلدان العربية والخليجية . والبلدان المنتمية للعالم الإسلامي . بنسب متفاوتة بحسب قوة وعدد من يدين لها ولسلطة ولاية الفقيه بالطاعة والولاء.

وإلا فقولوا لي، كيف يمكن أن نفسر وجود خمس قنصليات لإيران في العراق: قنصلية في أربيل، وقنصلية في السليمانية، وقنصلية في البصرة، وقنصلية في كربلاء، وقنصلية في بغداد .. هذا غير السفارة في بغداد؟!

لا يُمكن أن نقتنع أن لهذا الكم الكبير من القنصليات أغراضها الدبلوماسية والخدماتية وحسب .. أو أن العراق – هذا البلد العربي المسلم الذي قطعت أوصاله أحقاد ومؤامرات الآيات في قم وطهران . يستوعب ويحتاج إلى كل هذا العدد من القنصليات!

هذه مستوطنات وقلاع عسكرية .. لها وظائف عسكرية وسياسية وطائفية وتخريبية .. منها يُنطلق لتنفيذ ما يُحاك في قم وطهران من مؤامرات وتصفيات لخيرة الكوادر العلمية العراقية!

فإيران إن نجحت في غزو المنطقة طائفيًا .. ومذهبيًا .. نجحت ولا بد في غزوها سياسياً واقتصادياً .. وعسكرياً .. وهي كل ما ترجوه من أي اتفاق أو تقارب ثنائي بينها وبين أي دولة عربية أن يُسمح لها أن تنشط في البلد المتفق معه للدعوة إلى التشيع والرفض .. والولاء لعقيدة ولاية الفقيه المطلقة .. أو على الأقل يُسكت عن نشاطاتها الساعية إلى تشييع الناس واستمالتهم إلى مذهب الرفض والطعن .. وغالباً ما يتم ذلك تحت عنوان الاتفاقات الثقافية .. وأيُّ ثقافة تُرجى من إيران غير ثقافة التشيع والرفض .. وثقافة الطعن والهدم للإسلام وثوابته!

ولكي يتحقق لإيران هذا المطلب الهام بالنسبة لها .. لا بد من أن تظهر كقوة عظمى في المنطقة تُرهب حكامها .. وتستميل قلوب الشعوب التي تتطلع بشغف إلى كل قوي في المنطقة يرفع عنها ما نزل بها من ذلّ وضعف وهوان - من قبل حكامها والصهاينة اليهود - وفي نفس الوقت تمكن إيران من فرض

إيران وظفوحاتها في المنطقة

شروطها وإملاء طلباتها على الآخرين .. ويجعلها تتصرف وكأنها ند ورقم يصعب تجاوزه .. وهذا يستلزم من إيران أن تسير في طريق سباق التسلح وبطريقة جنونية .. وإلى درجة أنها تعمل على تصنيع قنبلة نووية .. وهي إن لم تكن قد أنجزتها .. فهي في طريقها نحو إنجازها .. والمسألة بالنسبة لإيران قضية وقت لا أكثر ولا أقل .. وهي تستفيد من كل دقيقة يمنحها إياه تفرق كلمة المجتمع الدولي والعربي نحو مشروعها النووي المريب والمثير للجدل!

فسياسة النظام الإيراني تقوم على محورين أساسيين: كل منهما يؤدي إلى الأخر ويمده بالقوة والحياة .. غير قابلين للتفاوض والمساومة: الأول والأهم: العمل المكثف على نشر مذهب التشيع والرفض في المنطقة .. وحماية ودعم كل نشاط شيوعي رافضي في المنطقة، وهذه مهمة غالباً ما يقوم بها أئمتهم وآياتهم وأخبارهم، مدعومين بصورة مباشرة من الطبقة الحاكمة المتنفذة. والثاني: العمل الدؤوب . وبصورة جنونية ومريبة . على تطوير برنامجها التسليحي التقليدي منه وغير التقليدي .. والذي لا يتوقف إلا عند تصنيع القنابل النووية والذرية تنفيذاً لوصية إمامهم الخميني!

إيران تُمارس دورين متناقضين: دور العميل لأمريكا وحلفائها من دول الغرب؛ وذلك عندما تكون ضحية هذه العمالة هم المسلمون السنة، كما حصل في أفغانستان والعراق؛ حيث صرح المسؤولون الإيرانيون أكثر من مرة أنهم ساعدوا أمريكا في غزوها لأفغانستان، والعراق، وأنهم لولا مساعدة إيران لما استطاعت أمريكا أن تُسقط نظام الطالبان في أفغانستان، ونظام وحكم صدام في العراق .. وهذا أمر واضح لا يحتاج لمزيد تدليل أو براهين.

ودور الندّ الذي يسعى لمصالحه وبسط نفوذه؛ ونفوذ التشيع والرفض في المنطقة .. وإن أدى به هذا الطموح لنوع مواجهة مع من تعامل معهم من أجل ضرب العالم المسلم السني .. فإيران تتعامل مع أمريكا وحلفائها من دول الغرب ككاسحات ألغام .. تستعين بهم وتعينهم وتتعامل معهم على ضرب المسلمين السنة واحتلال بلادهم .. ثم هم بعد ذلك يدخلون بسلام - بعد أن تكون الكاسحات الأمريكية قد مهدت لهم الطريق .. وأزالت من طريقهم الألغام والعقبات - ليقتطفوا الثمار .. ويسطوا نفوذهم .. وينشروا سمومهم .. سموم التشيع والرفض .. سموم الهدم والطعن .. وسموم التخريب والقتل لكل مناوئ سني قوي .. كما حصل في أفغانستان والعراق؛ أي أن إيران حتى في الجانب الذي تظهر فيه

إيران وظفوحاتها في المنطقة

كعميل فهو من أجل تسخير واستخدام الطرف الآخر الأمريكي الغربي في بسط نفوذها في المنطقة .. ونشر التشيع والرفض .. وثقافة ولاية الفقيه المطلقة .. بأقل خسارة ممكنة .. فمن عرف هذه الحقيقة .. أمكنه التوفيق بين المواقف المتذبذبة المتناقضة لساسة وآيات وأخبار قم وطهران .. وأدرك أن إيران تستخدم أمريكا ودول الغرب " كطنابير " تعبر من خلالهم إلى القلاع الإسلامية السنوية الصعبة الحصينة .. التي قد تكلف إيران قتال عشرات السنين .. ومئات الآلاف من شبابها .. لو أرادت أن تقتحم تلك القلاع بمفردها .. من دون استخدام تلك الطنابير .. والحرب الإيرانية العراقية السابقة أكبر دليل على صحة ما نقول!

دولة الصهاينة اليهود: وهي طرف أساس في هذه القضية والمعادلة .. فهي مهما قدمت لها . من أمريكا ودول الغرب، وإيران . الضمانات على أن القوة العسكرية النووية الإيرانية لا يمكن أن تُستخدم ضدها .. كما لا يمكن أن تُشكل عليها خطراً .. فهي لا ترضى ولا يهدأ لها بال .. لأن طبيعتها كدولة طاغية عدوانية غريبة .. قد استمرت العصيان على المجتمع الدولي وقراراته .. واعتادت أن تفرض شروطها وطلباتها على الآخرين ومن دون جدال .. لا تقبل وجود قوة عسكرية في المنطقة تنافسها، أو تكون لها كفاً .. مهما قيل لها عن حيادية أو عمالة هذه القوة .. فالسيد لا يُمانع أن يكون عميله قوياً .. لكن أن ترقى قوته إلى درجة قد تمكنه في مرحلة من المراحل أو ظرف من الظروف على العصيان والتمرد أو الانفراد بالقرار بعيداً عن السيد ومصالحه .. فهذا لا يمكن أن يُقبل في منطلق الدول الطاغية المستعمرة المعتدية على حقوق وبلاد الآخرين .. لذا نجدتها بين الفينة والأخرى تثير مخاوفها من مشروع التسلح الإيراني وبخاصة منه النووي .. وتحرض حلفاءها في أمريكا ودول الغرب على موقف أشد صرامة من إيران ومن مشروعها العسكري والنووي!

أمريكا ومعها دول الغرب: هذه الدول يهيمها في المنطقة ثلاثة أشياء غير قابلة للمساومة أو

التساهل:

أولها: أمن وسلامة وقوة دولة الصهاينة اليهود من كل وجه.

ثانياً: سلامة مصالحها الاقتصادية في المنطقة، وعلى رأسها استمرار ضخ الذهب الأسود . وبثمن

بخس، وفي كثير من الأحيان بلا ثمن . من البلاد العربية إلى السوق الأمريكي، والأوروبي.

إيران وظفوحاتها في المنطقة

ثالثاً: أن لا تقوم للإسلام في المنطقة . على مستوى الدولة والحكم والسياسة . قائمة تُذكر .. وأن

يبقى محصوراً في القلب .. وزوايا المساجد!

وأهمية هذا المطلب بالنسبة لهم تأتي من جهة كونه سبباً في تحقيق المطالبين السابقين الذكر أعلاه .. لأنهم يرون في الإسلام سبباً في تهديد أمن وسلامة دولة إسرائيل .. وتهديد مصالحهم الاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة سواء .. ويأتي من جهة كونه يحقق لهم مطلباً ثقافياً طائفاً صليبياً قديماً .. يتجدد عند أدنى ظهور للإسلام على مستوى الحكم والسلطة والسياسة!

وما سوى ذلك . كحقوق الإنسان ونشر الديمقراطية في المنطقة كما يزعمون . فهو غير مهم .. أو لنقل هو قابل للمفاوضة والمساومة والابتزاز .. والتذبذب صعوداً وهبوطاً وبالقدر الذي يحقق لهم سلامة المطالب الثلاثة الأنفة الذكر .. وهو . في حقيقته . لا يعدو مثلاً أن يكون " كبسمار جحا " الذي يمكنهم من دخول البيت في أي وقتٍ يشاؤون، ومن دون استئذان .. والتدخل بشؤون الأوطان بحجة الحرص على حقوق الإنسان!

وإلا كيف نفسر تقاربهم واتفاقهم مع أطغى طغاة المنطقة .. وإلقاء ألقاب المديح على فخاماتهم بعد أن كانوا يصنفونهم في خانة الديكتاتوريين المناهضين لحقوق الإنسان!

الأنظمة العربية الحاكمة: هذه الأنظمة منذ نشأتها . وإلى الساعة . رضيت أن تعيش طفيلية فضولية .. تستحمي بالقوي الأجنبي ضد ما يهدد عروشها ووجودها، ومكاسب الطبقة الحاكمة الذاتية الضيقة .. لذا فهي . ومنذ زمن . قد فهمت اللعبة جيداً، وحفظت المطلوب منها دولياً، لكي تبقى آمنة على عروشها، وخصائص حكامها المترفين .. وهي لكي تحظى بالرعاية والحماية الكاملتين .. فقد نفذت وبكل إخلاص ما طلب منهم.

فعلى مستوى الموقف من دولة الصهاينة اليهود: فالأنظمة العربية لم تعترف بشرعية وجودها وحسب، بل نراها تعمل — ومنذ زمن طويل — ككلب حراسة وفي على حدودها .. تحمي وتحرس أمنها وحدودها .. وتصد أي عمل إغاثي يمكن أن تتقدم به الشعوب نحو إخوانهم وأبنائهم في فلسطين .. وهي الآن تسير في تطبيع شامل ومكشوف وسريع مع دولة الصهاينة اليهود .. ومن دون مُقابل يستحق الذكر!

إيران وظفوحاتها في المنطقة

وعلى مستوى مراعاة مصالح أمريكا ودول الغرب: فالكل يعلم السخاء العربي ألامحدود في ضخ البترول " الذهب الأسود " عصب الحياة الصناعية، وغيره من الثروات الباطنية إلى السوق الأمريكي والأوربي بثمن بخس .. وأحياناً من دون ثمن .. ومن دون أن يسمحوا لشعوبهم أن تراقب عدّاد ضخ البترول لتلك الدول.

إضافة إلى أن البلاد العربية قد تحولت إلى سوق استهلاكي لمنتجات الشركات الأجنبية .. إلى درجة أنها في جميع حاجياتها تعيش على ما تصدره وتمن به تلك الشركات للسوق العربي .. حتى لما طالبناهم بمقاطعة الأجبان الدنمركية فقط .. لما طعنوا بسيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه .. قالوا: لا نستطيع .. ومن أين لنا بالجبن .. ومن سيُطعمنا الجبن إن قاطعنا ألبانهم وأجبانهم!!

وعلى مستوى قمع ومحاربة الإسلام السياسي .. والدعاة إلى الله .. فحدّث ولا حرج؛ فسجونهم تنبئك .. بما يعجز القلم عن تسطيره وذكره .. وهذا لا شك أنه مما يرضي أمريكا ودول الغرب عن تلك الأنظمة العميلة الفاسدة الخائنة .. مهما بدر من حكامها من فساد وظلم وطغيان وانتهاك لحقوق وحرمان الإنسان!

فالأنظمة العربية تعمل على حماية وتنفيذ المطالب الأمريكية الغربية الثلاثة الأنفة الذكر أكثر من أصحابها .. مقابل أن تبقى لهم عروشهم .. وأن يبقوا في سدة الحكم إلى أن يتخطفهم الموت .. أو يقعدهم العجز والمرض .. فلا يستطيعون حراكاً ولا كلاماً .. ولو كان ذلك على حساب البلاد والعباد .. فهذا كله غير مهم .. المهم دوام سلامة العرش .. وسلامة خصائص ومقتضعات العائلة أو الفئة الحاكمة .. وليكن بعدها ما يكون!

وهم مع ذلك .. ليأمنوا ثأر الشعوب لحقوقهم وحرمانهم ودينهم وعزتهم وثرواتهم .. فقد شغلهم بكل ما يؤدي إلى تخديرهم وإفسادهم .. وتحللهم أخلاقياً .. وتجهيلهم .. وصددهم عن دين الله .. ومن يستعصي عليهم من الناس؛ فلا يأتي معهم من خلال هذا الطريق؛ طريق التحلل والفساد .. والإغواء .. والإغراء .. أتوا به عن طريق الإرهاب والقتل .. والسجن .. والتعذيب .. وتكميم الأفواه .. وحرمانه من حقوقه المدنية المعروفة!

إيران وظفوحاتها في المنطقة

هذه الأنظمة ليس لها رصيد على مستوى شعوبها يحميها .. لأن التصالح مع الشعوب ليس من سياستها واستراتيجيتها .. وليس لها قوة عسكرية معتبرة تعتمد عليها مستقلة عن الدعم الأجنبي في صد أي عدوانٍ خارجي .. فكل منهم يقول بلسان حاله: بيوتنا عورة .. وقصورنا من زجاج لا تتحمل أي حرب أو مواجهة .. لذا نجدهم يسعون في مرضاة القوي الأجنبي .. ولو كان ذلك على حساب أمن وسلامة البلاد والعباد .. ونراهم يخشون كل قذيفة أو صاروخ يعلو سماء بلادهم .. خشية أن تُصاب قصورهم فتتممَّش أبنيتها الزجاجية!

هذا هو واقع جميع الأطراف المعنية من موضوع مقالنا هذا .. بعد أن عرفناه سهل علينا . بإذن الله — أن نجيب عن السؤال الوارد أعلاه: كيف نفهم ونفسر هذا التجاذب والتذبذب في العلاقات الأمريكية الغربية من جهة، والإيرانية من جهة ثانية .. وكذلك هذا التذبذب في التقارب العربي الإيراني؟ أما الجواب عن السؤال الأول **فأقول**: أمريكا ومعها حلفائها من دول الغرب يريدون ضرب إيران وممارسة مزيد من الضغط عليها، ولا يريدون .. كيف؟!

يريدون ضرب إيران وممارسة مزيد من الضغط عليها، لوجوه:

منها: خوفهم من مشروع إيران العسكري والنووي المتطور .. ومن طموحاتها العسكرية الزائدة .. ومن أن ينعكس ذلك يوماً من الأيام - وفي ظرف من الظروف لم يُحسب له حسابه - على أمن وسلامة دولة اليهود .. وقد ذكرنا من قبل أن أمن دولة اليهود خط أحمر لا يقبل المجتمع الدولي الأمريكي الغربي الاقتراب منه!

ومنها: خوفهم من تزايد طموحات إيران في المنطقة التي بدأت تتصادم مع بعض مصالحهم وسياساتهم في المنطقة .. كما الموقف في لبنان .. حيث أصبح اختيار رئيس لبنان بيد إيران .. وليس بيد الشعب اللبناني أو حتى المجتمع الدولي .. مستغلة نفوذها القوي عن طريق حزبهم الرفض " حزب الله"، وكذلك منظمة أمل الشيعية الرفضية التي لا تخفي ولاءها لآيات قم وطهران!

ومنها: رغبة المجتمع الدولي في إحداث نوع توازن في القوى في المنطقة .. بحيث لا تتضخم قوة طرف على حساب قوة الأطراف الأخرى في المنطقة .. وبشكل كبير .. والذي بدوره قد يؤدي إلى فقدان السيطرة على أمن المنطقة، وبخاصة منها الخليجية .. وحتى لا تدخل دول المنطقة الضعيفة . جرياً وراء

إيران وظفوحاتها في المنطقة

القوي الذي يحميها أو لا يؤذيها — في ولاءات متعددة متضاربة لا ترضاهما أمريكا .. وتتنافى مع مصالح المجتمع الدولي الغربي في المنطقة!

فبعض الدول العربية وبخاصة منها الخليجية تُظهر. على استحياء ووجل وتردد. نوع تخوف من تضخم المشروع العسكري النووي في إيران .. وأمريكا ومعها الدول الغربية لا بد من أن يُظهروا نوع اهتمام لما تتخوف منه تلك الدول العميلة التابعة لها!

هذه هي الأوجه التي تحمل أمريكا ومعها دول الغرب على التفكير بممارسة مزيد من الضغط على إيران .. وإلى درجة التلويح إلى اللجوء إلى الخيار العسكري .. أمّا أنهم لا يريدون ضرب إيران، ولا أن يُمارسوا عليها مزيداً من الضغط .. ذلك للأوجه التالية:

منها: أن إيران حليف وفي لأمريكا ودول الغرب .. عندما تكون الهجمة باتجاه العالم المسلم السني .. كما حصل في العراق وأفغانستان .. ولو اضطروا إلى غزو منطقة سنية أخرى فسيجدونها بجوارهم .. لذا ليس من الحكمة التفريط بهكذا حليف بسهولة .. ومن دون دراسة العواقب والنتائج!

ومنها: أن إيران بتركيبها الطائفية .. عنصر توتر في المنطقة .. وهو مما يستدعي من دول المنطقة الضعيفة أن ترمي بنفسها وثوراتها وقراراتها السياسي .. في حزن أمريكا ودول الغرب .. ليحموها من البعبع الإيراني .. ومن طموحاته التوسعية .. طيلة فترة التوتر .. وفي ذلك مكسب ظاهر لأمريكا .. لذا من صالحها أن تبقي على عنصر التوتر هذا .. وأن تُطيل من أمده .. ليستمر الابتزاز .. ويستمر وجود القواعد الأمريكية العسكرية في المنطقة!

فإذا خلا وجود العدو أو الخطر من المنطقة .. فما هو المبرر للابتزاز، والتدخل في شؤون المنطقة .. وما هو المبرر لاستمرار بقاء تلك القواعد العسكرية الأمريكية الغربية في المنطقة .. كان من قبل صدام .. فقضوا عليه .. والآن إيران .. فإذا قضوا على خطرهما كلياً .. فمن أين سيأتون بخطر جديد .. يبتزون به أموال وثورات العرب .. وبخاصة منها الدول الخليجية!

أمريكا بحاجة — في المنطقة — إلى كلب عقور .. ترخي له الحبل وقت تشاء .. وتلجمه وقت تشاء .. تُرهب به من يستعصي أو يُحاول أن يفكر من عملائها الصغار بالخروج عن طاعتها .. أو التحرر من التبعية لها!

إيران وظفوحاتها في المنطقة

ومنها: أن إيران - بحكم دوافعها الطائفية الدينية الخطيرة القائمة على الاختلاف والمخالفة لكل ما يمت إلى الإسلام بصلة - تلعب دوراً هاماً في تقسيم الأمة إلى أمتين .. والدولة إلى دولتين .. والمجتمع الواحد إلى مجتمعين بل ومجتمعات .. حتى المناسبات العامة التي تجمع الأمة: كالأعياد .. فإن إيران . بحكم نفوذها الجديد في المنطقة - تفرقها إلى مناسبات وأوقات عدة ومختلفة .. فنصف الأمة يعيد في يوم .. والنصف الآخر يُعيد في يومٍ آخر .. وهذا التفرق في الكلمة .. وعلى جميع المستويات .. مطلب أمريكي غربي - يساعدها على التدخل في شؤون المنطقة - قد لا يُمكن أن يحققه من دون آيات وأخبار وساسة قم وطهران!

ومنها: أن إيران قد تضخمت قوتها العسكرية . كما ذكرنا من قبل . وتضخم نفوذها في المنطقة .. فهي لم تعد مجرد عميل يمكن تأديبه أو ضربه بسهولة .. عندما يخرج عن طاعة الأسياد أو حدود الأدب واللباقة .. وبالتالي فإن إقدام أمريكا ومعها المجتمع الغربي على ضرب إيران يُعد مجازفة لا تؤمن عواقبها .. وقد يترتب عليها تكاليف تفوق قدرات وطاقات أمريكا وحلفائها في هذه المرحلة أو الظروف .. لذا نجد أمريكا تحسب ألف حساب لهذه الخطوة .. وتقدم خطوة وتُحجم أخرى .. يوماً تُصعد فيه الخطاب .. ويوماً آخر تلجأ فيه إلى التهذئة والخطاب الأقرب على الدبلوماسية والموادعة!

ومنها: أن إيران قد نجحت في إشغال أمريكا ومعها المجتمع الدولي في المستنقع العراقي والأفغاني .. عن مشروعها العسكري النووي، وعن طموحاتها الخاصة في المنطقة .. وإلى درجة الاستنزاف .. بحيث يصعب على أمريكا وحلفائها أن يفتحوا جبهة ثالثة مع دولة بقوة ونفوذ إيران .. وساسة أمريكا والغرب قد صرحوا بذلك أكثر من مرة!

ومنها: أن ضرب إيران من قبل أمريكا وحلفائها .. قد يحمل إيران - من قبيل ردة الفعل، والدفاع عن النفس - على مد بعض الحبال للتجمعات السنوية المجاهدة المحاصرة في كل من العراق، وأفغانستان .. لقربها الجغرافي من المنطقتين .. إضافة إلى تحريض عملائها ودبايرها الكامنة في المنطقة والتي تنتظر أمراً من ساسة وآيات قم وطهران .. وهذا ما يؤدي أمريكا جداً .. ويُفسد عليها مخططاتها ويزيدها إرهاباً وخسارة في جنودها وعتادها .. وهي تحسب لذلك ألف حساب!

إيران وظفوحاتها في المنطقة

ومنها: أن إيران سوق نفطي كبير.. والاعتداء عليه يربك الاقتصاد العالمي .. وهذا أمر معتبر لدى

المجتمع الدولي .. التفريط به ليس بالأمر الهين أو السهل!

هذه الأوجه مجتمعة هي التي تمنع أمريكا ومعها حلفائها من الاجتراء على ضرب إيران .. وتصعيد

الخلاص معها .. وهم واقعون بين " حَيْص بَيْص "؛ فتارة تراهم يلوحون بإمكانية اللجوء إلى الخيار

العسكري .. وتارة يلوحون بغصن الزيتون والسلام .. ويخففون من حدة لهجة التصعيد والمواجهة ..

وهذا التذبذب في المواقف ولهجة الخطاب مرده في حقيقته إلى مدى ترجيح العوامل الدافعة للحرب

والمواجهة .. والعوامل المقابلة الدافعة إلى السلم .. وتخفيف حدة المواجهة والتصعيد .. وإلى أن ترجح

مصلحة عوامل على أخرى .. قد تتخذ أمريكا قراراً بالحرب أو السلم مع إيران .. وإن كانت المعطيات

كلها ترجح جنوح أمريكا وحلفائها إلى خيار السلم والموادعة والرضى بالأمر الواقع .. وأن لا يزيدوا في

ضغوطهم عن الضغط المعنوي والسياسي، والإعلامي .. لحجم التكاليف الواسعة والضخمة الناجمة

عن الجنوح إلى خيار الحرب والمواجهة .. كما ذكرنا أعلاه.

وساسة وأخبار ورهبان قُم وطهران يُدركون هذا الذي ذكرناه أعلاه .. لذا نسمعهم بين الفينة

والأخرى يصرحون وبكل وضوح: أن أمريكا لا تستطيع أن تقدم على ضرب إيران .. وهم لا يكتثون للهجة

التصعيد الصادرة عن المجتمع الدولي .. لذا فهم ماضون في عملية تطوير مشروعهم النووي وإلى أقصى

حد .. وفي اعتقادي أن إيران ستصنع القنبلة النووية عاجلاً أم آجلاً .. مراهنه على العوامل الأنفة

الذكر التي تمنع التجمع الدولي من مواجهتها ومحاربتها .. ومنعها من المضي في مشروعها النووي ..

والقضية - بالنسبة لإيران - لا تعدو أكثر من وقت وحسب .. وهي - كما ذكرنا - تستفيد من هذا الانقسام

الدولي نحوها .. ونحو مشروعها النووي .. وهو يمدها .. ويمد مشروعها النووي العسكري بالقوة

والحياة!

أما الجواب عن السؤال الآخر: وهو كيف نفهم ونفسر ظاهرة التقارب العربي الإيراني الملحوظ

مؤخراً .. ولماذا .. ومن المستفيد منه؟

أقول: بالنسبة للأنظمة العربية وحكامها .. المهم بالنسبة لهم بالدرجة الأولى .. أن يأمنوا سلامة

عروشهم وقصورهم .. وليكن بعدها ما يكون .. وهم قد أدركوا أن إيران . على حين غفلة ولهُوٍ منهم . قد

إيران وظفوحاتها في المنطقة

تضخمت .. وكبرت .. واستعصت على العصا الأمريكية .. لم تعد ترهبها العصا الأمريكية كما كانوا يظنون .. وأن لإيران طموحاتها في المنطقة .. وهي تسعى لتحقيقها بجلادة وصبر. وبكل الوسائل والسبل . ولو بعد حين .. وبالتالي لا بد من أن يسعوا في إرضاء هذا الكابوس الجديد المتمثل في النظام الإيراني . الذي فاجأهم بعد رحيل صدام حسين رحمه الله — وأن يأخذوا منه عهداً بأن لا يقصد عروشهم وقصورهم .. بصواريخه .. وقنابله .. لو حصلت أي مواجهة بين إيران وأمريكا .. وأنهم سيقفون على الحياد ما استطاعوا في حال نشوب الحرب .. وبخاصة بعد تصريح ساسة وأخبار قم وطهران .. أنهم سيحرقون ويدمرون دول الخليج على أهلها لو نشبت أي حرب بينهم وبين أمريكا .. وكأن عدوهم الذي يُحاربهم هي دول الخليج وليست أمريكا!

لأجل ذلك نجد حكام العرب يهرولون الواحد تلو الآخر ليجروا اتفاقات ثنائية بينهم وبين النظام الإيراني .. يمنع الآخر من استهدافهم في حال نشوب أي حرب بين أمريكا وإيران .. وكان من آخر هذه التحركات الاسترضائية استضافة ودعوة الملك السعودي عبد الله .. لرئيس إيران أحمد نجاد لزيارة السعودية .. وأداء مناسك الحج!

لكن ما هو الموقف الإيراني من هذا التقرب والتزلف لحكام العرب .. وما هي شروطها .. وكيف تفاعلت معه؟!

أقول: إيران - في هذه المرحلة - لا تُريد من هذا التقارب العربي الإيراني .. سوى شيء واحد .. وهو أن يُسمح لها ولألياتها بأن ينشطوا في المجتمعات العربية لنشر دينهم ومذهبهم .. دين التشيع والظن والهدم والرفض .. أو على الأقل أن لا يواجهوا أي معارضة أو مصادرة لنشاطاتهم التشيعية الراضية في المجتمعات العربية من قبل السلطات الحاكمة .. فإن أعطوا . من قبل حكام المنطقة . هذا الجانب .. وسُمح لهم بأن ينشطوا لدينهم ومذهبهم الراضية .. فهذا — مرحلياً — يكفيهم .. ويُعد بالنسبة لهم فتحاً ونصراً ليس بعده فتح ولا نصر؛ لعلمهم أن تشيع المنطقة هي الخطوة الأساس والأهم نحو بسط أي نفوذ سياسي أو اقتصادي أو عسكري لاحق!

وللأسف فحكام العرب قد أعطوا ساسة وآيات قم وطهران هذا المطلب .. وغضوا الطرف عن نشاطاتهم الدينية الطائفية الراضية في بلاد المسلمين .. ومنهم من توسع؛ حيث نراه يمنع علماء ودعاة

إيران وظفوحاتها في المنطقة

الإسلام من مواجهة أو تعرية هذا الخطر الشيعي الرافضي الزاحف في المنطقة .. ومن يعصي أو يخالف فالسجن مأواه ومنزله .. بينما في المقابل نجد إيران تعطي دعاة التشيع والرفض كامل الدعم والحرية .. وتحميمهم وتدافع عنهم داخل إيران وخارجها .. لعلمهم أن طريقهم لتحقيق مصالحهم ومآربهم الأخرى لا يمكن أن تتم لهم إلا عبر هذا الطريق .. وفات حكام العرب هؤلاء أنهم يحفرون قبورهم .. ويهدمون قصورهم بأيديهم .. وإن غداً لناظره لقريب!

من أكبر الأخطاء التي ارتكبتها صدام حسين أبان حكمه .. أنه استهان بهذا الجانب .. وتعامل مع الشيعة الروافض حوله من أبناء العراق بحسن الظن .. وأنه منع علماء السنة من أن ينشطوا في الدعوة إلى الله ليخرجوا ضلالاً وجهلة الشيعة الروافض من جهلهم وضلالهم وشركهم إلى نور الإسلام وتوحيده .. فكانت نهايته المؤلمة على يد هؤلاء الروافض من أبناء وشيعة العراق .. فاستقووا عليه بالعدو الأجنبي .. والآن بقية حكام العرب يكررون نفس الخطأ مع الشيعة الروافض .. ولا أستبعد أن تتكرر نفس الآثار الناجمة عن الوقوع في هذا الخطأ .. أو أسوأ منها!

كثير من حكام العرب يتعاملون مع الملف الإيراني الشيعي الرافضي .. بطريقة مزاجية، ومن منظور سياسي مصححي وحسب؛ فإن ساءت علاقتهم بإيران سمحوا لشيوخ ودعاة البلاط أن يتكلموا على إيران .. وعلى الشيعة الرافضة .. وأن يستخرجوا كفرياتهم وأحقادهم من بطون كتبهم .. وإن تحسنت العلاقة بين طهران وأنظمتهم .. مَنعوا وأجموا وجرّموا وسجنوا كل من يتكلم أو يذكر الشيعة الروافض بكلمة سوء .. وهذا بخلاف ما عليه النظام الإيراني؛ حيث نراه يسمح ويُوحي إلى آياته وعملائه بأن ينشطوا لمذهب التشيع والرفض والطعن .. في كل الأجواء والظروف والتقلبات السياسية والعلاقات الرسمية مع الآخرين سواء كانت إيجابية أم سلبية!

فإن قيل: كلامك هذا قد يُفسَّر على أنه حرص على سلامة عروش هؤلاء الحكام والطواغيت ..

فما ردك؟!

أقول: بل هو الحرص على سلامة دين ومصالح المسلمين في بلادهم .. هو الحرص على مقدساتهم وحرماتهم .. وأوطانهم .. هو الحرص على تجنيبهم مخاطر ومزالق التشيع والرفض وما أكثرها .. فإذا كانت هذه المصلحة أو المصالح لا تتحقق إلا مع نوع مصلحة قد تصيب الحكام .. فليكن .. لا حرج ..

إيران وظفوحاتها في المنطقة

فهذا لا يمنعنا من تحذير الجميع من خطر الشيعة الروافض على المنطقة وأبنائها من المسلمين .. وإن ارتد نفع ذلك على أهل الأرض كلها .. المهم أن نوقف زحف الخطر الأكبر .. وليكن لكل منا نيته وقصده .. فإن كانت نيته الحفاظ على ملكهم وعروشهم .. فنحن نبتنا وقصدنا الحفاظ على ما تبقى من إسلام في نفوس الناس .. ومنع الخطر عنهم .. وعن أوطانهم وحرمتهم .. لا عن سواهم من الحكام!

كما أنني أقول بكل وضوح – وليعلم ذلك عني القاصي والداني – أننا لنا مشكلة كبيرة مع هؤلاء الحكام وأنظمتهم .. والجميع يعرف لماذا .. ولكن هذا لا يعني بحال أننا نرتضي مكانهم – أو أن يكون البديل عنهم – ساسة وآيات وأحبار التشيع والرفض في قم وطهران .. أو نرتضي أن يُجبرَ موقفنا من هؤلاء الحكام وأنظمتهم .. لصالح ساسة وآيات وأحبار التشيع والرفض والطعن .. معاذ الله أن نرضى بذلك .. ولو فعلنا يكون مثلنا حينئذٍ كمن يدفع شراً أصغر بشراً أكبر .. وهذا بخلاف ما يقره ويرتضيه العقل والنقل!

ومما تستفيده إيران كذلك من وراء هذا التقارب العربي .. أنها توصل رسالة قوية إلى أمريكا وحلفائها من دول الغرب أن إيران فوق أن تُحاصر .. وأنها رقم صعب لا يمكن تجاهلها .. وتجاهل مصالحها في المنطقة .. فهذه الدول العربية المحسوبة في ولائها ومواقفها على السياسة الأمريكية تفتح أبوابها لإيران وآياتها .. وتسعى لمرضاة ساسة وآيات طهران .. وتدعوهم لحضور مؤتمراتها واجتماعاتها الخاصة!

لأجل هذا السبب والذي قبله نجد أن إيران تُرحب بمثل هذا التقارب والانفتاح .. لأنها الطرف الوحيد في هذا التقارب الذي يربح ولا يخسر شيئاً!

فإن قيل: ما هو الموقف الذي تروونه مناسباً وموافقاً للنقل والعقل تجاه محاولة إيران تصنيع قنبلة نووية .. وما ينبغي على المسلمين أن يكون موقفهم تجاه هذه القضية؟

أقول: لا يجوز – شرعاً ولا عقلاً – أن نبارك أو نوافق على فكرة أو مبدأ تصنيع إيران للقنبلة النووية؛ لأن أول تجربة نووية لها ستكون في عاصمة عربية سنيّة إن لم تكن في المدينة المنورة، ومكة المكرمة حفظهما الله تعالى، وزادهما شرفاً وأمناً وتعظيماً .. وبوادر ذلك ظهرت عند أول استفزاز لإيران وتصعيد في التصريحات بين إيران وأمريكا .. لما صرّح ساسة وآيات طهران أنهم سيجرقون ويدمرون

إيران وظفوحاتها في المنطقة

عواصم الخليج العربي المسلم على أهلها وساكنيها .. وكأن مشكلتهم الأساسية مع الخليج العربي المسلم وأهله، وليس مع أمريكا .. والذي يصعّد في تصريحاته ضد إيران هم أهل الخليج، وليس أمريكا! من حقنا كمسلمين أن نتخوف من مشروع إيران النووي .. ونتحفظ تجاه كل نشاط لإيران حول هذا المجال .. وما صرح به ساسة وآيات طهران مؤخراً لبعض حكام دول المنطقة من طمأنة لهم ولشعوب المنطقة من أنهم لن يكونوا هدفاً لصواريخ وقنابل قم وطهران .. لا يكفي .. وهو غير مقنع، ولا مطمئن .. لماذا؟!!

أولاً: لأن التقية والكذب، والخداع، والغدر ديناً يتدين به الشيعة الروافض .. فمن لا تقيّة له عندهم لا دين له .. وبالتالي كيف نستطيع أن نميز بين ما يقولونه كذباً وتقية وبين ما يقولونه صدقاً غير كاذبين؟!!

من كان دينه قائماً على التقية والكذب والتكذيب، وتصديق الكذب .. كيف يريدوننا أن نصدقهم فيما يقولون؟!!

هذه التقية نفعتهم عندما تعاملوا مع الأمريكان .. أما نحن — ولله الحمد والمنة والفضل — قد خبرناهم منذ زمن فلا تنطلي علينا أكاذيبهم، ولا وعودهم الكاذبة ..!

ثانياً: حقدهم الدفين على الإسلام وأهله .. الذي لا يُوازي بحقد .. كثير من كتيمهم القديمة والحديثة مليئة بالنقولات والنصوص التي تنص على أن دم وحرمان المسلمين حلال زلال .. وعلى أي وجه كان السطو والاعتداء عليها!

هذه النصوص المتوارثة أنتجت منهم أجيالاً عامرة قلوبهم بالحقد والكراهية للإسلام وأهله .. ولو قيل لأحدهم: من عدوك الأول .. ثم الثاني .. ثم الثالث .. ثم العاشر .. وإلى الألف .. لأجابك من فوره: المسلم السني ..؟!!

ترى أحدهم إن جالس يهودياً أو نصرانياً أو بوذياً .. أو هندوسياً .. أو ملحداً لا دينياً .. ينبسط في مجلسه .. وتنفرد عليه أساريه .. بينما إذا جالس المسلم السني انقبض وانكمش .. وتلّون .. واستعمل التقية والخداع والكذب!

إيران وظفوحاتها في المنطقة

ولو قيل لأحدهم: هذا مسدس فيه طلقة واحدة .. وأمامك خنزير .. ومسلم سني .. على من تطلق هذه الطلقة .. لأجابه من فوره على المسلم السني .. وهو إذ يفعل ذلك: يفعله تديناً وتقرباً إلى الأئمة من أهل البيت بزعمه .. وكما يصور له الشيطان!!

فكيف بعد ذلك يريدوننا أن نصدقهم .. أو نطمئن أن مشروعاتهم النووي العسكري لن يستخدم ضد المسلمين .. وضد بلادهم وحرماهم، وأطفالهم؟!

ثالثاً: مما يميز الشيعة الروافض عن غيرهم حمقهم الشديد، وخفة عقولهم .. هذا إن كان عندهم عقل .. وإلا فقولوا لي: كيف تفسرون تصرف أعلى شخصية إيرانية — بعد نائب الإمام خامنئي كما يصفونه . ممثلة في شخص رئيس إيران " أحمد نجاد"، وهو يسجد للقبور .. ويشق جيبه .. ويضرب صدره .. وينوح مع النائحين والنائحات على أموات لا يعلم حالهم إلا الله تعالى .. وهذا التصرف له لا يُستثنى منه أية من آياتهم ولا مسؤول من مسؤوليهم .. فكلهم يلطمون ويسجدون للقبور والأموات .. ويعبدونها من دون الله .. وكثير منهم من يضرب نفسه بالسلاسل والسكاكين والخناجر إلى أن تسيل منه الدماء .. فإذا كان عليّة القوم هذا هو حالهم، وهذا هو وصفهم .. فكيف يُستأمنون على قنبلة أو قنابل نووية .. تفجيرها يؤدي إلى زوال شعوب ودول بكاملها .. إن لم يكن تدمير الأرض كلها؟!

لأجل هذه الأوجه الأنفة الذكر مجتمعة نرفض أن يكون لإيران قنبلة نووية .. ومن حقنا أن نتحفظ تجاه أي نشاط نووي يقومون به .. والملامة عليهم، لا علينا.

فإن قيل: بموقفكم هذا من المشروع النووي الإيراني، قد شابهتم ومثلتم موقف دولة اليهود من المشروع النووي الإيراني .. فكما أنكم تتخوفون من المشروع النووي الإيراني فكذلك اليهود يتخوفون، ويتحفظون من طموحات إيران النووية .. فوقفتم نفس موقفهم؟!

أقول: أولاً غالب دول العالم والشعوب .. يرفضون أن يكون لإيران سلاحاً نووياً .. لأسبابهم الخاصة .. وليس اليهود وحسب!

ثم أن اليهود يخافون على أنفسهم وأبنائهم من مرض الإيدز ومرض السرطان .. فهل لا يحق لنا أن نخاف على أنفسنا وأبنائنا من مرضي الإيدز والسرطان .. لأن اليهود يخافون على أنفسهم هذا المرض .. وحتى لا يشاركونهم نفس التخوف!!

إيران وظفوحاتها في المنطقه

هذا منطق لا يقول به عاقل .. وليس بمثله تُناقش المسائل الكبار!

فإن قيل: لماذا لم تنكر نفس الإنكار على السلاح النووي الإسرائيلي أو الأمريكي، أو الصيني أو

غيرها من الدول ..؟! ..

أقول: إنكارنا على هذه الدول، وبخاصة منها السلاح النووي الإسرائيلي معلوم .. القاصي

والداني يعرفه عنا .. لا يحتاج منا إلى مزيد بيان .. وغيرنا الكثير من علماء وشيوخ ودعاة ومثقفين

وساسة من أبناء هذه الأمة ينكرون على دولة اليهود سلاحها النووي .. فالإنكار على هذه الدول معلوم ..

وهو محل اتفاق عند الجميع .. لا يحتاج إلى نقاش ولا إلى مزيد بيان .. بينما السلاح النووي الإيراني .

وللأسف — ليس محل اتفاق عند الجميع من أبناء الأمة .. ويثار حوله كثير من الجدل واللغط ..

والتجاذبات .. لذا تعين علينا التنبيه والتحذير والبيان.

هكذا نرى الأمور .. وهكذا نفسرها ونفهمها .. وهكذا ينبغي أن تُفهم وتُفسَّر ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1428/12/14 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2007/12/23 م

الفهرس

- 5 لماذا الجهادُ في سبيل الله ..؟ (الجزء الثاني)
- 10 بيان حول غزو الصليبيين للعراق
- 14 دروسٌ وعِبْرٌ مُسْتَخْلَصَةٌ من غَزْوِ الصَّلِيبِيِّينَ لِلْعِرَاقِ
- 25 الموقف من النظام السوري في هذه الظروف
- 36 العُرُوبَةُ وَالْإِسْلَامُ
- 42 الشيعة والعراق
- 45 حتى لا يفقد العلماءُ دورَهُم
- 49 الشعوب والأنظمة وأمريكا
- 54 وقفاتٌ مع الإصلاحِ السوريِ المزعومِ
- 61 أسرانا في غوانتانامو أمانةٌ مُهدِرةٌ
- 64 الديمقراطيةُ كما تُريدُها وتمارسُها أمريكا
- 69 هَيْئَةُ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالسِّيَاسَةِ
- 75 أكرادُ العراقِ بينَ الأصالةِ والعمالةِ
- 79 الوحدةُ بينَ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ
- 82 العلمانيون .. وقومٌ لوط .. والحجاب
- 88 الجزء من جنسِ العملِ .. وصدّامُ حُسين
- 93 حزب الله اللبناني .. وتصدير المذهب الشيعي الرافضي

الفهرس

106	النظامُ السعودي .. ومناسكُ الحجّ
110	الضوابطُ المثلى في كفيّة التعامل مع الدعاة والعلماء
131	حتى لا يفهم أنّه رضى بالمنهج
152	حوارُ بين جورج بوش وحسني مبارك
159	أنتمُ البادئُ يا آل سعود وأنتمُ الأظلم
165	سجن "أبو غريب" معانٍ ودلالات
172	خانوا الحسين حياً وخانوه ميتاً
175	عندما ينزلُ البلاءُ بالمجاهدين
180	مهلاً يا دعاة الضلالة مهلاً
185	كُفراً إضافي للنظام السعودي
190	هؤلاء أخافهم على الجهاد والمجاهدين ..!
194	التوحيد .. قبل الأمن والأمان
200	حكم موالاة ومظاهرة المشركين على الإسلام والمسلمين
205	الحوار آدابُه وضوابطُه
214	تعريف الإرهاب
223	منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله
240	ركائز الحكم في الدولة الإسلامية
260	" تكفل الله لي بالشام "

الفهرس

- 265 موقفُ أمريكا من النِّظامِ السوري
- 274 إخفاقاتُ الحركةِ الإسلاميَّةِ المعاصرةِ (الأسبابُ، والدِّوافِعُ، والعلاجُ)
- 282 حُبُّ التَّشْفِي .. أم الحُكْمُ الشَّرعي
- 287 البُعدُ الوطني عند الوطنيين
- 291 محاذير العمليات الاستشهادية أو الانتحارية
- 299 " الرضى بالشيء كفاعله " ..
- 303 مفهومُ خاطئٍ شائعٌ لا بدَّ من تصحيحه
- 309 التَّكْفِيرُ حُكْمُ اللهِ .. فأين تذهبون!
- 314 دِرَاسَةٌ شَرعيَّةٌ في بيانِ حُكْمِ المُشارَكَةِ في المَجَالِسِ التَّشْرِيعِيَّةِ
- 322 النظام السوري .. والوطنية
- 328 نَظَرَةٌ شَرعيَّةٌ لمستقبلِ سورِيَّةِ الأبيَّةِ
- 341 الدِّيمقراطيَّةُ القَدِرَةُ
- 345 نَظَرَةٌ الإسلام إلى الكونِ والحياة
- 361 قَوافِلُ زَنادِقَةِ العَصْرِ " دُعاةٌ على أبوابِ جَهَنَّمَ " ..
- 368 لماذا الحُكْمُ بما أنزل اللهُ ..؟
- 388 وَجاءَ رَجُلٌ يَسعى
- 394 الشيعة الروافض .. والقضية الفلسطينية
- 401 فِقهُ الاختِلافِ عِنْدَ أَهلِ السُّنَّةِ وأهلِ البِدَعِ

- 444 فُكُوا الْأَسِيرَ
- 448 عندما تَنَحَرَفُ مَسِيرَةَ الْجِهَادِ عَنِ الْمَسَارِ
- 454 يَاكَ وَعِبَادَةَ الطَّاعُوتِ يَا وَلَدِي
- 461 يَا ابْنَتِي ...!
- 468 تَعَزِيزُ ثَقَافَةِ عِبَادَةِ الطَّوَاغِيَتِ (مَنْ الْمَسْؤُولُ عَنْهَا؟!)
- 475 كَيْفَ نَتَعَامَلُ مَعَ أَطْفَالِنَا فِي رَمَضَانَ
- 480 كَلِمَاتٌ حَوْلَ الْجِهَادِ فِي الْعِرَاقِ
- 495 إِيْرَانُ وَطُموحاتُها فِي الْمِنْطِقَةِ

الصفحات الالكترونية

Abubaseer.bizland.com	الموقع الالكتروني
Tartosi.blogspot.com	المدونة الالكترونية
Twitter.com/abubaseer123	تويتر
facebook.com/abubaseer.altartosi	الفيسبوك
Youtube.com/altartosi	اليوتيوب